

الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني
حياته وآثاره

الإمامُ العلّامة
مُحمّد بن يُوسُف السّنُوسي

عالم تلمسان وإمامها وبركتها (ت 895 هـ)

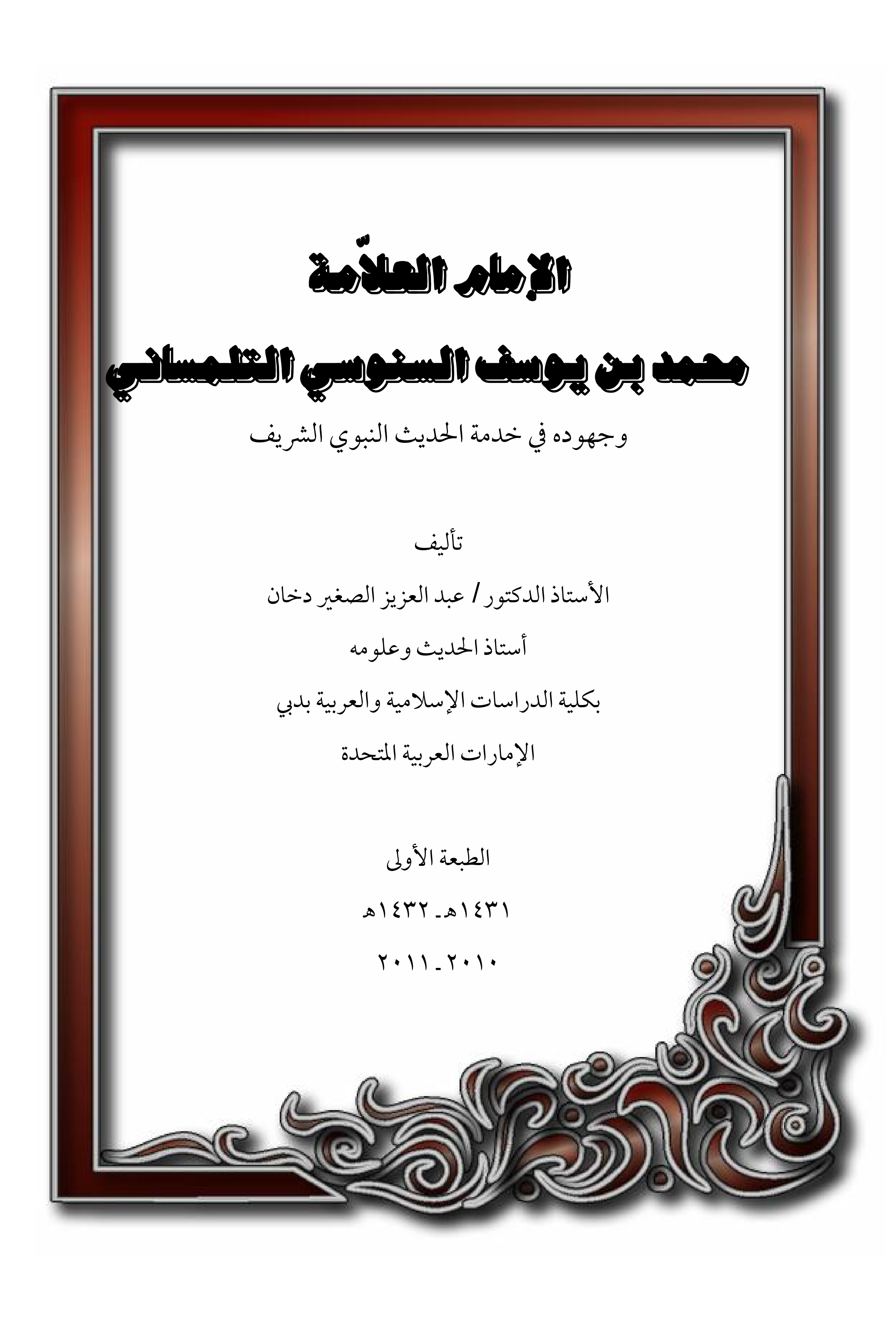
وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الصغير دخان

أستاذ الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي
الإمارات العربية المتحدة

دار كردادة للنشر والتوزيع
الجزائر



الإمام العلاّمة

محمد بن يوسف السنوسي التلمساني

وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف

تأليف

الأستاذ الدكتور / عبد العزيز الصغير دخان

أستاذ الحديث وعلومه

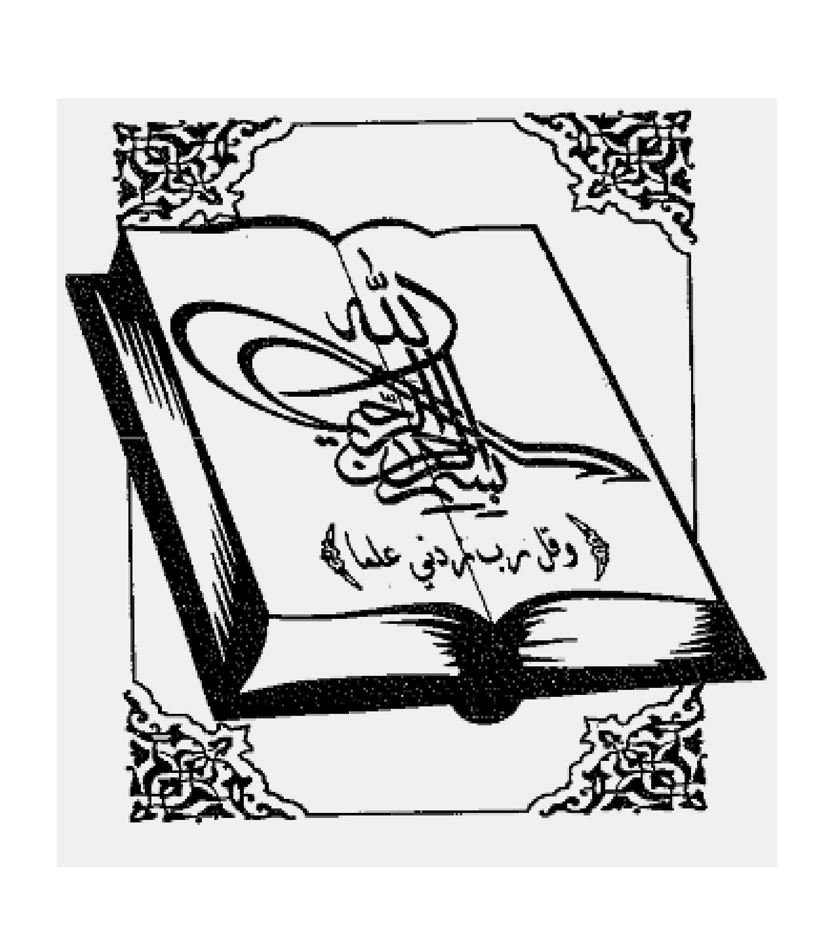
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

الإمارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـ ١٤٣٢هـ

٢٠١٠ ـ ٢٠١١


وقل رب زدني علما

الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني

وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف



وأمّا مدينة الجزائر فهي إلى الآن دارُ الجوهر الفرد في الأدب، وعلم العقل والنقل، وتُنبِتُ العلماءَ والصالحين كما تُنبت السماءُ البقلَ .. لا تخلو من قُرّاء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء .. مساجدُهم بالتدريس معمورةٌ، ومكاتبُ أطفالهم بالقرّاء مشحونةٌ ومشهورةٌ..

أبوزيد عبدالرحمن الجامعي الفاسي في رحلته

تعريف الخلف، ٢/ ٤١٩)

مقدّمة

الحمد لله وحده، منه نَستمدّ العَونَ والتوفيقَ وحُسنَ سلوك الطريق، ونشهد أن لا إله إلاّ الله، الملِكُ الحقُّ الجديرُ بالعبادة والحقيقُ. ونَشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ نبيّ وأفضلُ مخلوق، r وبارك، وعلى آله الطيّبين الطاهرين ذوي المنازل العامرةِ، والخصالِ الغامرةِ، والقلوب الطاهرة، وعلى أصحابِه الأطهارِ الأبرارِ، رُهبانِ اللَّيل وفُرسانِ النهار، وعلى مَن اقتدى بهم، واقتفى أثَرَهم، ونهج نهجَهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فمن الثابت يقينًا أنّ الجزائر لم تتأخّر في خدمة العلم عبر القرون الماضية، بل كان لها إسهام كبير، ففي كلّ قرن كان يظهر من أبنائها من يدلي بدلوه في خدمة العلم، وإنّ الذي يطالع عنوان الدراية، ونفح الطيب والصلة، والديباج المذهب وحواشيه، والبستان، وتعريف الخلف، وغير ذلك من كتب التراجم ليأخذه العجب ويستبدّ به الطرب، وهو يقرأ عن هؤلاء الأعلام الذين كانوا نجوما في سماء العلم والمعرفة، وجد بعضهم من يهتمّ بحفظ إسهاماته ومصنفاته، فسارت بها الركبان، في كلّ مكان، وكان لها شأن وأيّ شان، والبعض الآخر لم يجد شيئا من ذلك فطواه

النسيان، وضاع في غياهب الزمان.

هذا، وقد انطلق أبناءُ الجزائر مجتهدين في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتوه من سائر أبوابه، ووقفوا على المعقول منه والمنقول، وتمكّنوا من الأصول منه والفصول، وكانوا لعلوم وقتهم جامعين، ولراياتها رافعين، حتى علا في سماء المغرب بدرهم، واشتهر في تاريخه قدرهم، وتركوا وراءهم تراثا عظيما، حوته الكتب والخزائن، ودلّت عليه الأحوال والقرائن، ومضوا قد أدّوا ما عليهم من الواجبات، وتركوا لمن خلفهم أن يواصل حمل الأمانات، قد رجوا أن يكونوا خير سلف لخير خلَف، وأن يحفظ أبناؤُهم من بعدهم أمانةَ العلم وميراثَ النبوّة.

ولكن للأسف الشديد عقّ الأبناءُ آباءهم، والتلاميذُ شيوخَهم، وهو أمر اشتكى منه الإمام السنوسيُّ قديما، فقد نقل عنه الإمامُ ابن مريم المديوني قولَه ـ وهو يعدد فوائدَ ترجمةِ علماء بلده المغمورين ـ: (الرابع: أن فيه تخلصاً مما عليه أهلُ الزمن من القدح بمن عاصرهم من الصالحين، أو عاصرهم من بعض ذريتهم والقرابة إليهم، وهذا خلُق ذميم جدا، وقد نال منه أهلُ المغرب ـ خصوصا أهلُ بلدنا ـ حظا أوفرَ مما نال غيرهم، ولهذا لا يجدُ أكثرُنا اعتناءً بمشايخنا، ولا يحسن الأدبَ معهم، بل يستحي

كثير منا أن ينسب بالتلمذة لمن كان خاملاً، ويكون جلَّ انتفاعه بذلك الخامل، فيعدل عن الانتساب إليه إلى من هو مشهورٌ عند الظلمة، وربما نسب بعضُ من لا خلاق له العداوةَ والسب والأذية لمن سبقت له شيخوخته عليه ولا يبالي، وذلك مذموم جداً...)، إلى أن قال: (ويرحم الله المشارقةَ ما أكثرَ اعتناءَهم بمشايخهم، وبالصالحين منهم خصوصا)[١].

ونحن اليوم نستشعر هذا الواجبَ ونرجو أن يتعاون الجميعُ من أجل خدمةِ تراثِ هؤلاء الأعلام من علماء الجزائر العظامِ، وأن نُخرِج إلى الناس هذه الكنوزَ التي ما زالت مدفونةً، وأن نُعرّف أمّةَ الجزائر بتاريخها المضيء، ورجالِها الذين لم يكونوا أقلَّ شأناً من غيرهم، ولكن طواهم النسيانُ، وتنكّر لهم الزمانُ.

لقد وصف أحدُ العلماء الجزائرَ بأنّها: (تُنبت العلماءَ والصالحين كما تنبت السماءُ البقلَ)[٢].

(١) انظر: البستان في علماء تلمسان، ص٧.

(٢) قال ذلك الكاتب أبو زيد عبدالرحمن الجامعي الفاسي في رحلته. انظر: تعريف الخلف برجال السلف، للديسي، ٢/ ٤١٩.

وهذا حقّ وصدق، فقد كان بالجزائر علماء كثيرون، ضربوا منذ القديم بنصيب وافر في خدمة العلوم الشرعية وتصنيف المؤلفات الكبيرة، وجمعوا في جهودهم بين رواية كتب العلم وبين النظر فيها واستخراج كنوزها، أو شرحها، أو التعليق عليها، وغير ذلك من أنواع الإسهام العلمي الكبير.

وقد كان الصحيحان في جملة المؤلفات التي اهتمّ بها أهلُ المغرب الأوسط(الجزائر)، سماعاً، وتدريساً، وتأليفاً.

ففي تراجم كثير من علماء الجزائر نجدُ إقبالَهم على سماع الصحيحين من الشيوخ، ثمّ روايتِهما وإقرائِهما لطلاب العلم بعد ذلك، أو التصدّي لشرحهما، أو التأليفِ حولهما، إلى آخر ما هنالك من مظاهر العناية بهذين الكتابين العظيمين.

ولمّا وقع في يدي هذا الإعلانُ الكريمُ الذي أصدرته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، والمتمثِّلُ في إقامة جائزةٍ دوليةٍ تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية عبدالعزيز بوتفليقة ـ جزاه الله خيرا وأجزل مثوبته ـ تتعلّق بالإمام الكبير محمد بن يوسف السنوسي التوحيدي، وبيانِ جهوده في خدمة العلم، قفز إلى ذهني كتابُه الحافل (مكمّل إكمال الإكمال) الذي

يعتبر حلقةً في سلسلة من المؤلفات المغربية التي خدمتْ صحيحَ الإمام مسلم، فقلت في نفسي: لقد وافق هذا هوى في نفسي، فقد كنت منذ فترة ليست بالكثيرة أجمع أوراقي وأبحث في كتب التراجم لإعداد موسوعة حول علماء الجزائر في الحديث الشريف، في القديم والحديث، وبيانِ مدى إسهاماتهم في الجانب المعرفي من علوم الشريعة، وقد وقفتُ من ذلك على الشيء الكثير، أسأل الله أن يوفقني لإتمام ذلك.

فلما جاء هذا الإعلان جدّد مني العزيمةَ وألهب مني الهمّةَ للقيام بهذا الواجب، فوضعتُ هذا المشروع جانبا إلى حين، وعزمت على الكتابة حول الإمام السنوسي باعتباره أحدَ رجالات الجزائر المشاهير، مُبرِزا مكانتَه ومؤلفاتِه وجهودَه.

ولمّا كانت شخصيةُ الإمام السنوسي متعددةَ الجوانب كانت الإحاطةُ بها وبجهودها في خدمة العلم من الأمور المتعذّرة، فأردت أن يكون كتابُه (مكمّل إكمال الإكمال) موضوعَ هذه الدراسة، حيث إنّ هذا الكتاب يتعلّق بواحد من المؤلفات الحديثية العظمى التي حظيت بمزيد من الرعاية والاهتمام، ألا وهو صحيح الإمام مسلم، وشرح الإمام الأبّي عليه.

ونظرا إلى أنّ الكتاب يتألّف من سبعة أجزاء (مع الأصل الذي هو إكمال الإكمال) للإمام الأبّي، فإنّه كان من المتعذّر إقامة الدراسة على جميع هذه الأجزاء، لذلك اخترت الجزء الأول الذي يتضمّن شرح مقدّمة الإمام مسلم، وكتاب الإيمان.

وإنّ الذي حدا بي إلى هذا الاختيار ما يأتي:

١ ـ أنّ الإمام الأبّي لم يتعرّض أصلا لشرح مقدّمة الإمام مسلم، متذرّعا بأسباب مذكورة في موضعها، فاستدرك عليه الإمام السنوسي ذلك، وقام بشرح هذه المقدّمة شرحا وافيا مختصرا، استفاد فيه في الغالب من شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، وعلى الفصول التي أنشأها قبل شروعه في شرح هذه المقدّمة.

وقد تهيّأ لنا من خلال شرح الإمام السنوسي لهذه المقدّمة أن نبيّن ملامح منهجه، ورعايته لعلوم الحديث واحتفاله بها.

٢ ـ بالنسبة لكتاب الإيمان، فإنّه رغم أنّ الأبّي قام بشرحه، إلاّ أنّ شرح الإمام السنوسي له أبان فيه عن كثير من القضايا التربوية التي لم يتعرّض لها الإمام الأبّي.

٣ ـ أنّ كثيرا من الصناعة الحديثية التي تركها الإمام الأبّي قام الإمام

السنوسي بذكرها والتفصيل في بعضها، والتنبيه على جوانب من منهج الإمام مسلم فيها، وغير ذلك.

لكلّ هذه الأسباب ـ وغيرها ـ اتّجهت النيّة إلى دراسة شرح الإمام السنوسي لمقدّمة الإمام مسلم وحاشيته على شرح الأبّي لكتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم.

وقد قمت بقراءة الجزء الأوّل وحرصت على تسجيل كلّ ما أراه يشكّل جزءا من منهج الإمام السنوسي في شرح الحديث، والجوانب التي ظهر اهتمامه بها، حتى نحفظ لهذا الإمام الكبير جهده في خدمة الحديث الشريف من خلال كتابه هذا، الذي يشكّل حلقة في سلسلة من حلقات خدمة أهل المغرب والأندلس لكتاب الإمام مسلم رحمه الله تعالى، وعسى أن نوفَّق إلى خدمة الكتاب كلّه، إذا كان في العمر بقية، وتخلصنا من الشواغل، وما أكثرها.

عملي في هذا الكتاب

يمكن أن ألخّص عملي في هذه الدراسة فيما يأتي:

١. ترجمت للإمام السنوسي ترجمة كاملة حافلة، تضمّنت جميع ما وقع تحت يدي من معلومات حول حياته العلمية والعملية.

٢. ركّزت على بعض الجوانب المضيئة من حياته، مثل تربيته الصوفية التي ظهر أثرها واضحا في مؤلفاته، وفي علاقته مع مجتمعه.

٣. حرصت على ترجمة كثير من شيوخ الإمام السنوسي الذين وردت أسماؤهم في كتب التراجم مختصرة، ممّا جعلها عرضة للاشتراك مع أسماء علماء آخرين، وهو من نوع المتفق والمفترق، فحرصت على استكمال الحديث عن هؤلاء الأعلام، والتنبيه على ما وقع من الأخطاء في ذلك.

٤. وكذلك فعلت مع تلاميذه، إلا من لم أجد له ترجمة أصلا، أو كانت ترجمته في الكتب غير وافية، أو ذُكر عرضا أثناء تراجم علماء آخرين.

٥. قمت بالتعريف بعلماء الجزائر الذين شاركوا في شرح مؤلفات الإمام السنوسي أو اختصارها أو نظمها، وهو عمل هدفتُ من ورائه إلى إظهار اهتمام العلماء بجهود الإمام السنوسي في خدمة العلوم الشرعية والعربية وغيرها، ثمّ الإشادة بجهود علماء الجزائر في خدمة الإسلام وعلومه.

٦. حرصت على الاهتمام بكلّ من خدم تراث الإمام السنوسي شرحا أو نظما، من علماء المشرق والمغرب، للدلالة على قيمة هذا الإمام وكيف

أنّ كتبه شرّقت وغرّبت ووجدت لها في كل بلد من يعرف لها فضلها وقيمتها، وخصصت مبحثا لجهود علماء الجزائر في خدمة كتب هذا الإمام، على اعتبار أنّ أهل العالم أولى به وأحقّ بالقيام بواجب إبراز فضله وعلمه، والتنويه بذكره بين علماء الإسلام في كلّ مكان. وقد ذكرت ترجمة موجزة لأصحاب هذه المؤلفات، مع الإحالة على أهم مراجع ترجمتهم، والتنبيه على بعض الأخطاء الواقعة في ذلك.

٧. أمّا القسم المتعلّق بدراسة كتاب مكمّل إكمال الإكمال فقد كان عملي فيه عبارةً عن استكشاف لمنهج الإمام السنوسي في شرح الحديث النبوي الشريف، وذلك من خلال قراءة ما كتبه في شرحه على مقدّمة الإمام مسلم وعلى كتاب الإيمان من صحيحه، وإيراد الأمثلة العملية الكثيرة التي تؤكّد ذلك.

٨. ثمّ تكلّمت عن الصناعة الحديثية في شرح الإمام السنوسي، وهي المادّة الأساسية لهذه الدراسة، فأوضحت ـ بالأمثلة الكثيرة ـ كيف حرص الإمام السنوسي على بيان علوم المتن والإسناد وأحوال الرجال وضبط أسمائهم وألقابهم وكناهم وأنسابهم، والحديث عن جملة من قواعد علوم الحديث، مع الحرص على شرح ألفاظ الحديث وبيان معانيه، والاهتمام

باستخراج الفوائد العلمية والعملية، ومناقشة بعض ما ينقله عن العلماء السابقين أو شيوخه، أو عن معاصريه، وكلّ هذا يعتبر إضافاتٍ حقيقيةً وذات فائدة كبيرة، سواء من الناحية العلمية البحتة، أو من الناحية التربوية والعملية.

٩. قمت بالتعليق بشكل مختصر على جملة من القضايا أو المعاني التي يذكرها الإمام السنوسي، ولم أرد الاستطراد في ذلك، صيانة للهدف الكبير من هذه الدراسة، ألا وهو بيان جهود الإمام السنوسي في خدمة الحديث بصفة عامّة، وصحيح الإمام مسلم بصفة خاصة.

خطّة البحث التفصيلية

هذا، وقد قَسمت هذه الدراسةَ حسب الخِطّة التالية:

مقدّمة

تمهيد: اهتمام المغاربة بالصحيحين

المبحث الأول: دخول الصحيحين إلى بلاد المغرب

المطلب الأوّل: دخول صحيح البخاري إلى بلاد المغرب واهتمامُ أهل المغرب الأوسط به

المطلب الثاني: دخول صحيح الإمام مسلم إلى بلاد المغرب والأندلس

المبحث الثاني: مكانة صحيح مسلم عند أهل الأندلس والمغرب

المبحث الثالث: مكانة صحيح مسلم عند أهل المغرب الأوسط (الجزائر).

الباب الأول: الإمام السنوسي (عصره وحياته واهتمام العلماء بمؤلفاته)

الفصل الأول: عصر الإمام السنوسي

المبحث الأوّل: الحياة السياسية والعلمية في عصر السنوسي

المبحث الثاني: الحالة العلمية في عصر السنوسي

الفصل الثاني: حياة الإمام السنوسي ونشأته وأثر البيئة الصوفية في بناء شخصيته

المبحث الأوّل: مولده ونشأته.

المبحث الثاني: رحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: مؤلفاته.

المبحث الأوّل: استدراكات الإمام السنوسي وتعقّباته لغيره.

المبحث الثاني: اختيارات الإمام السنوسي.

الفصل الرابع: الصناعة الحديثية عند الإمام السنوسي.

الفصل الخامس: علوم اللغة عند السنوسي في كتابه.

الخاتمة

الفهارس:

فهرس الآيات الكريمة.

فهرس الأحاديث النبوية.

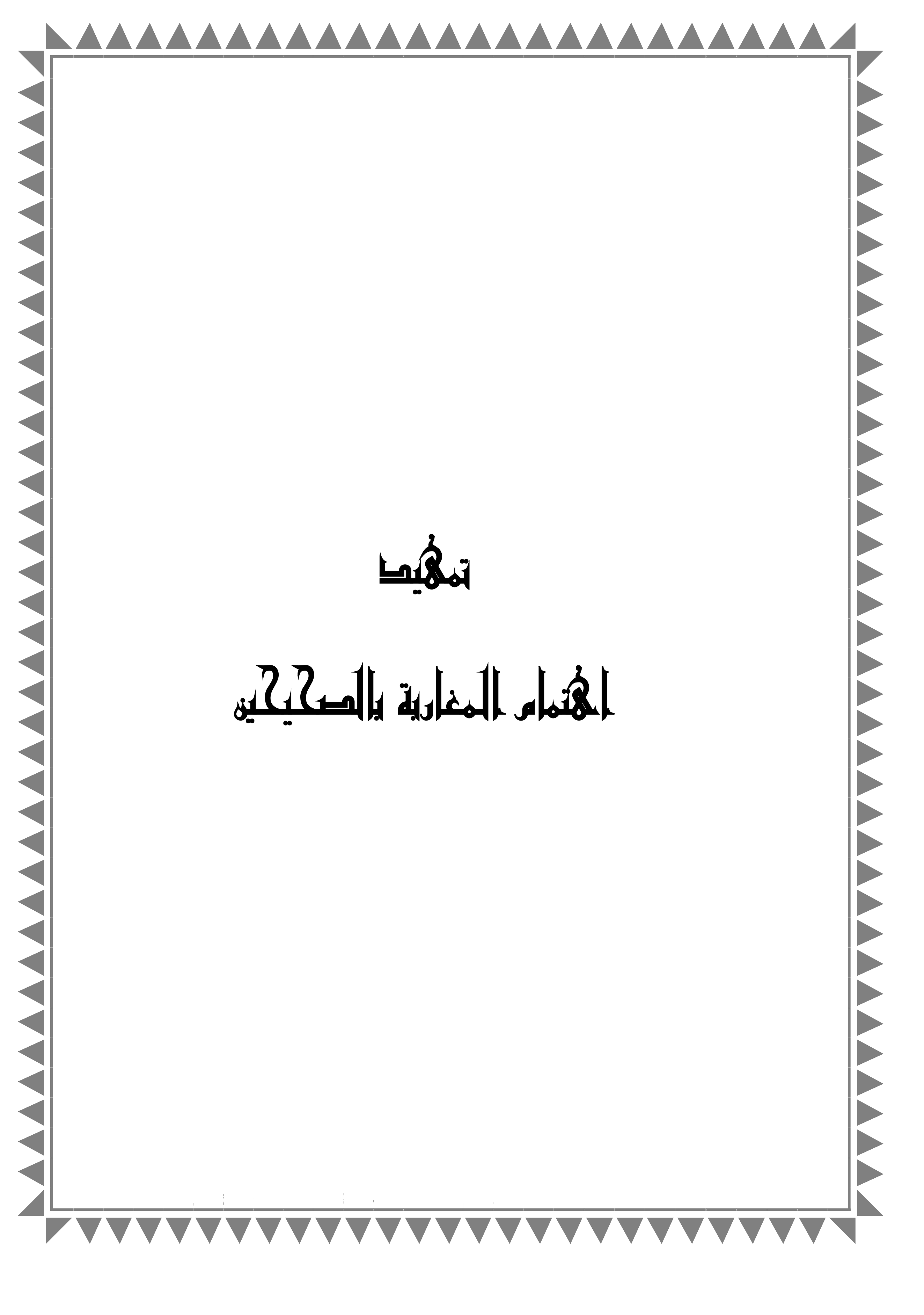
فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

وأخيراً، فهذا جهدُ المقلّ، لا أدّعي فيه العصمةَ من الزلل، وحسبي من هذا الجهد أن أكون في منزلة بين المنزلتين، وألاّ أُحرمَ أحدَ الأجرين، والله المأمول أن يضع هذا العمل بالمحلّ المأمول، وأن يكافئ صاحبه بالقبول، وأن يجعل ذلك كلّه في ميزان الحسنات يوم القيامة، وأن يكون هذا العمل باعثا لطلاب العلم في الجزائر للانطلاق في البحث عن علمائهم وجمع سيرهم وأعمالهم من خلال كتب التراجم والتاريخ والفقه وغيرها، حتى يصدق علينا أنّنا خير خلَف لخير سلف، والله وليّ التوفيق.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين



تمهيد

اهتمام المغاربة بالصحيحين

يحسن بنا أن ننبّه ابتداءً أنّنا نقصد بالمغاربة ما هو أعمّ من أهل المغرب المعروف، نقصد المغرب بأقاليمه الثلاثة، مضافا إليها بلاد الأندلس، فهذه الأرض كانت وحدة جغرافية واحدة، تنقّل فيها العلماء من إقليم إلى آخر، بل ولد بعضهم في إقليم وطلب العلم في إقليم ثان، ومات في ثالث، لذلك من الصعب جدا الحديث عن العلماء في بلد منها بمعزل عن الأقاليم الأخرى.

ولذلك سيرى القارئ الكريم أنّ حديثَنا سوف يتّسع ويضيقُ بحسب تتبّع علماء الحديث الذين خدموا صحيح مسلم، فقد يضيق ليخصّ بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حالياً)، بحكم أنّ الشخصية التي هي محور هذا البحث هي شخصية جزائرية، وقد يتّسع أحيانا ليكون الحديثُ عن جهود أهل المغرب والأندلس في خدمة صحيح الإمام مسلم عامّة.

وقد تضمّن هذا التمهيد مبحثين:

المبحث الأول: دخول الصحيحين إلى بلاد المغرب

لقد بدأ دخول الصحيحين إلى بلاد المغرب منذ فترة قديمةٍ جدا، قريبةٍ من حياة المؤلِّفين البخاري ومسلم، ولقيا من أهل المغرب

عامّة اهتماما واحتفاء كبيرين.

وفيما يلي مختصر مفيد لهذه المسيرة المباركة للصحيحين ببلاد المغرب.

المطلب الأوّل: دخول صحيح البخاري إلى بلاد المغرب واهتمامُ أهل المغرب الأوسط به

كان لأهل الجزائر جهد مشكور في رواية الحديث الشريف، ومن أمثلة ذلك ما نراه في ترجمة الإمام المحدّث الكبير بكر بن حماد التاهرتي (نسبة إلى تاهرت وهي تيارت اليوم)، المتوفى سنة(٢٩٦هـ)، فقد ارتحل إلى القيروان، فتتلمذ على يد مجموعة من مشاهير العلماء في زمانه، ثمّ ارتحل إلى المشرق، فسمع من الحديث الشيء الكثير، ولقي كبار المحدثين، حتى أضحى من حفاظ الحديث والعاملين به، والمميّزين للرجال[١].

أمّا الحديث عن دخول صحيح البخاري إلى بلاد المغرب

(١) انظر: معالم الإيمان، للدباغ، ٢/٢٨١ ـ ٢٨٥. شجرة النور، ١/٧٢. معجم البلدان، ٢/٩.

والأندلس، فيُعدّ الإمام القابسي[١] رحمه الله أوّلَ من كان له شرفُ إدخال صحيح البخاري إلى بلاد المغرب والأندلس، وهذا أمر قد أجمعت عليه كثير من المصادر التاريخية، فقد ارتحل الإمام القابسي إلى المشرق سنة (٣٥٢هـ)، وكان برفقته قرينُه وصاحبُه الإمام الأصيلي الأندلسي، فدخلا مكّة المكرمة، وهناك سمعا صحيح الإمام مسلم من الإمام أبي زيد المروزي(ت٣٧١هـ)، ونظرا إلى أنّ الإمام القابسي كان ضريرا فقد كان للأصيلي مهمّةُ ضبط سماع القابسي، ثمّ افترقا، فبقي الأصيلي في مكة سنين طويلة، بينما عاد القابسي من رحلته واستقرّ ببلده القيروان، وشرع في رواية صحيح البخاري، وعن طريقه انتشرت روايةُ صحيح البخاري في المغرب والأندلس[٢].

---

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن محمد، القابسي، القيرواني، الضرير، المتوفى سنة(٤٠٣هـ). أصله من القيروان، وإنّما نسب إلى قابس؛ لأنّ عمّه كان يشدّ عمامته شدّة قابسية. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلّكان، ٣/٣١٢.

(٢) انظر في هذا: معالم الإيمان، للدباغ، ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٨، ١٣٩. شجرة النور، ١/ ٩٧. مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ١/ ٣٠، ٣٤. وغيرها من =

إلاّ أنّه يجب ملاحظةُ أنّ أحد أقران الإمام القابسي ربما يكون هو الآخر قد حاز جزءا من شرف إدخال صحيح البخاري إلى بلاد المغرب، وأعني به الإمام أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي (من المسيلة المعروفة اليوم في الجزائر)، المتوفى سنة(٤٠٢هـ) بتلمسان، أي قبل وفاة القابسي بسنة واحدة، وكان الإمام الداودي قد عاش في طرابلس فترة، وأملى بها كتابه النامي في شرح الموطّأ، ثمّ ارتحل إلى تلمسان، وهناك ألّف كتابه (النصيحة في شرح صحيح البخاري)، الذي يعتبر ثاني شرحٍ للبخاري معروفٍ إلى الآن بعد شرح الخطابي المسمّى (أعلام الحديث)، ولا شكّ أنّ الداودي كان يملك نسخة من صحيح البخاري حينها، وعليها أقام شرحه المذكور، والله أعلم.

ورغم أنّ دخولَ صحيح البخاري إلى المغرب والأندلس كان متأخرا عن دخول صحيح مسلم كما سيظهر من سياق حديثنا، إلاّ أنّه قد حظي ـ مثلَ قرينه صحيح مسلم ـ بعناية خاصّة واهتمام كبير

=
المصادر.

من أهل المغرب والأندلس، فكثرت حوله الشروح والتعليقات وغيرُ ذلك من مظاهر العناية والاهتمام، وكان محلَّ التدريس في كثير من مجالس العلم في بلاد المغرب والأندلس، وكان لأهل المغرب الأوسط (الجزائر) نصيبٌ وافرٌ من هذا الاهتمام والعناية، وسوف أذكر هنا نماذجَ ـ على سبيل التمثيل ـ من عناية أهل الجزائر بصحيح البخاري، هذه العناية التي تنوّعت بين الإقراء والإملاء والتدريس والشرح والتعليقات وغير ذلك من صنوف الاهتمام:

١. الإمام الداودي المسيلي: وهو أبو جعفر أحمد بن نصر، المالكي، المتوفى سنة (٤٠٢هـ)، له شرح النصيحة على صحيح البخاري، وهو ثاني شرح معروف إلى الآن[١]، ولا يتقدّم عليه في

---

(١) صدر لي مؤخرا كتاب (الإمام الداودي محدّثا وفقيها)، من مكتبة جيل المستقبل بمصر، ترجمت فيه للإمام الداودي ترجمة وافرة لم أسبق إليها، ولله الفضل والمنّة، وبيّنت في الكتاب أنّ هذا العالم كان إماما في الفقه والحديث، ثمّ جمعت فتاواه وأقواله المنثورة في كتب المذهب المالكي وغيره، والنيّة معقودة على التوسّع في هذا الموضوع، خدمة لهذا العالم الذي لم يعط حظّه من الذكر والشكر، ومن الفضل والعرفان.

وكان أصل الكتاب بحثا محكّما نُشر بمجلّة كلية الدراسات الإسلامية =

شرح البخاري إلاّ الإمام الخطابي في كتابه (أعلام الحديث)[١]، مع ملاحظة أنّ الخطابي لم يقم بشرح صحيح البخاري كلّه، فالكتاب مطبوع الآن في ثلاث مجلدات فقط، أمّا كتاب الداودي فحسب نقول ابن حجر عنه يبدو شرحا كاملا لصحيح البخاري؛ إذ أنّ أوّلَ نقل لابن حجر عنه كان في مقدمته على شرحه المسمّاة هدي

=

والعربية بدبي، العدد (٣٣)، يونيو ٢٠٠٧م، بعنوان: الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي وشرحه (النصيحة على صحيح البخاري).

(١) هكذا ظهر هذا الكتاب مطبوعا ـ في ثلاث مجلدات ـ محقّقا من طرف حمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، وقام مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى بطباعته، ط١، ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

وقد درج مؤلف كتاب مدرسة الإمام البخاري في المغرب على تسميته بـ(أعلام السنن)، وهو خطأ واضح؛ لأنّ أعلام السنن هو كتاب آخر للخطابي في شرح سنن أبي داود.

والملاحظ أنّ المحقّق ـ غفر الله له ـ لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى شرح الإمام الداودي، رغم ما نراه عيانا في فتح الباري من احتفاء الحافظ ابن حجر واحتفاله بأقوال الإمام الداودي، حتى أطلق عليه لقب (الشارح)، وهو لقب لم يمنحه لغيره من شُرّاح صحيح البخاري.

الساري، وآخر نقل عنه كان في المجلد الثالث عشر[(١)]، وقد بلغ عدد المواضع التي نقل فيها ابن حجر عن الداودي مصرّحا باسمه (٥٤٧) موضعا، وربّما تكون هناك مواضع أخرى جرى فيها نقلُ كلامه بدون ذكر اسمه، كما هي عادة كثير من العلماء في مصنفاتهم.

٢. الإمام ابن زاغو: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالرحمن، المغراوي، التلمساني، المتوفى سنة(٨٤٥هـ)[(٢)].كان يُقرأ عليه الصحيحان في المدرسة اليعقوبية[(٣)]. قال القلصادي: (قرأت عليه بلفظي رواية جميع صحيح البخاري، ومن أوّل كتاب مسلم إلى أثناء باب الوصايا)[(٤)].

٣. الإمام الرصاع: وهو أبو عبدالله محمد بن قاسم الأنصاري، التلمساني، ثم التونسي، المالكي، ويعرف بابن الرصاع، المتوفى

---

(١) انظر: الهدي الساري، ٨٨، وفتح الباري، ١٣/ ٥٢٤.

(٢) في تعريف الخلف ذُكر تاريخ آخر لوفاته وهو خطأ. انظر: تعريف الخلف، ١/ ٤٦.

(٣) البستان، ص٤١. تعريف الخلف، ١/ ٤٧. الأعلام، ١/ ٢٢٧. معجم المؤلفين، ٢/ ١١٦.

(٤) رحلة القلصادي، ص١٠٣.

سنة(٨٩٤هـ)، فقيه، أصولي، متكلم، عارف بالعربية والمنطق. له شرح على البخاري، واختصر شرح البخاري لابن حجر[١].

٤. الإمام الجليل أبوعثمان سعيد بن أحمد المقّري(عمّ الإمام المقري صاحب نفح الطيب)، قرأ عليه ابن أخيه صحيح البخاري سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة بسنده[٢].

٥. الإمام المقّري صاحب نفح الطيب(ت١٠٤١هـ): فقد رحل إلى المشرق ودخل دمشق واستوطنها وأملى صحيحَ البخاري بالجامع تحت قبّة النسر بعد صلاة الصبح، واستمرّ في الإملاء حتى ختمه، وكان يوم ختمه حافلا جدا، اجتمع فيه الألوف من الناس، وكان ذلك سنة (١٠٣٧هـ)[٣]، وكان قبل ذلك قد أملى الحديث بالروضة الشريفة، بالمدينة المنورة[٤].

---

(١) الضوء اللامع، ٨/ ٢٨٧. نيل الابتهاج، ص٥٦٠. البستان، ص٢٨٣. معجم المؤلفين، ١١/ ١٣٧. مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ٢/ ٥٧٤.

(٢) تعريف الخلف، ١/ ٤٩.

(٣) تعريف الخلف، ١/ ٥٣. خلاصة الأثر، ١/ ٣٠٢. اليواقيت الثمينة، ١/ ٢٩.

(٤) خلاصة الأثر، ١/ ٣٠٤. تعريف الخلف، ١/ ٥١.

٦. الإمام محمد بن مرزوق الحفيد: العجيسي التلمساني، المتوفى سنة(٨٤٢هـ). أحد الأئمّة الذين اهتموا بصحيح البخاري تدريسا وتأليفا، فقد قرأه عليه طلابُ العلم، مثلُ ولده المعروف بابن مرزوق الكفيف[١]، ومثل تلميذيه: أبي الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني، وأبي الحسن القلَصادي، وغيرِهما[٢]. وفي مجال التأليف: له المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح ـ صحيح البخاري ـ، وأنوار الدراري في مكررات البخاري[٣].

٧. الإمام ابن مرزوق المشهور بالخطيب، جدّ الحفيد، المتوفى سنة(٧٨١هـ). قال ابن الخطيب القسنطيني: (سمعت منه البخاري وغيرَه في مجالس)[٤].

---

(١) البستان، ص٢٥٠. تعريف الخلف، ١/١٥٠. نيل الابتهاج، ص١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) البستان، ص٢٠٥، ٢٠٧. تعريف الخلف، ١/١٣٠، ١٣٣.

(٣) تعريف الخلف، ١/١٣٧. الضوء اللامع، ٧/٥٠. البدر الطالع، ٢/١١٩. مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ٢/٥٧٣.

(٤) البستان، ص١٨٧. تعريف الخلف، ١/١٤٣.

٨. الحاج الداودي التلمساني، المتوفى سنة(١٢٧١هـ)، له شرح على صحيح البخاري، لكن لم يكمل[١].

٩. الإمامان الأخوان المشهوران، أبو زيد عبدالرحمن، وأبو موسى عيسى، ابنا الإمام الشريف التلمساني، توفي الأول سنة(٧٤١هـ)، والثاني سنة(٧٤٩هـ). وهما اللذان ناظرا الإمام ابن تيمية وظهرا عليه. قال المقّري: (سمعا صحيح البخاري على الحجار، وقد سمعته أنا عليهما)[٢].

١٠. الشيخ عبدالله بن غانم، الدراجي، الهذالي، النجاعي، المتوفى سنة(١٢٩٦هـ). أصله من فرقة الهذالة من قبيلة أولاد دراج الظاعنة بالحضنة من أحواز المسيلة. ولد بقسنطينة، وبها تعلّم، ثمّ انتقل إلى تونس عالما، وأخذ في قراءة البخاري دراية ورواية،

(١) وفيات الصقلي، ص٦٢. شجرة النور الزكية، ص٤٠٠. تعريف الخلف، ٢/ ١١٤. الأعلام، ٢/ ١٥٢. معجم المؤلفين، ٣/ ١٧٣. اليواقيت الثمينة، ١/ ١٤٣.

(٢) البستان، ص١٢٣. تعريف الخلف، ٢/ ٢١٠، ٢١٥.

وحضر لختمه باي تونس وأعيان المدينة علما وسياسة[١].

١١. الشيخ الإمام أبوعبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، المعروف بابن الكماد، المتوفى سنة(١١١٦هـ). ذكر في إجازته لطلابه أنّه أخذ صحيح البخاري وروايتَه عن شيوخه[٢].

١٢. الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بابن الوقاد، المتوفى سنة(١٠٠١هـ). أصله من تلمسان، بها ولد ونشأ وتعلّم، وختم بها صحيح البخاري ستّ عشرة مرّة، قراءة بحث وتحقيق، ثمّ ولي القضاء بتارودانت وسجلماسة ومكناس وفاس، ثمّ عاد إلى تارودانت وتصدّر لنشر العلم، وكان أوّلَ من أقرأ بها صحيح البخاري، قراءة ضبط وإتقان[٣].

١٣. الأستاذ حميدة العمالي، مفتي المالكية في الجزائر، المتوفى سنة(١٢٩٣هـ). كان يدرّس صحيح البخاري في المسجد الأعظم

---

(١) تعريف الخلف، ٢/٢٤٥. الأعلام، ٤/١١٢. معجم المؤلفين، ٦/١٠٠.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٣٥٣.

(٣) تعريف الخلف، ٢/٣٥٩.

بالجزائر[١].

١٤. الإمام العلاّمة أبو محمد عبدالله بن محمد، الشريف، التلمساني، المتوفى سنة(٧٩٢هـ) غريقا شهيدا عند رجوعه من غرناطة قاصدا بلده تلمسان. قرأ على ابن مرزوق الخطيب جملة من صحيح البخاري، وسمع من أبيه أكثرَ الصحيحين[٢].

١٥. الشيخ الخطيب أبوالحسن علي بن موسى بن علي بن هارون، المشهور بالمطغري، نسبة إلى مطغرة تلمسان، المتوفى سنة(٩٥١هـ). قرأ صحيح البخاري كلّه عشر مرات، وأخذ عن ابن غازي شرح ابن أبي جمرة على صحيح البخاري[٣].

١٦. الإمام أبوالحسن علي الونيسي، المتوفى سنة(١٢٢٢هـ). له شرح على صحيح البخاري، في اثني عشر

(١) تعريف الخلف، ٢/ ١٥٤. معجم المؤلفين، ٤/ ٨٥.

(٢) البستان، ١١٧، ١١٨. تعريف الخلف، ٢/ ٢٤٦. وقد نسب إليه في الأعلام، ٤/ ١٢٧ شرح متن السنوسية، وهو خطأ ظاهر؛ لأنّه متقدّم على السنوسي كثيرا، بل مات قبل مولد السنوسي.

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٢٩٠.

مجلدا[١].

١٧. الإمام المفتي أبوعبدالله محمد بن سعيد بن إبراهيم، المعروف بقدورة. قال محمد بن قاسم الفاسي المعروف بابن زاكور(ت١١٢٠هـ): (وسمعت من إملائه في مجلسه الخطير جملةً وافيةً من الجامع الصغير، وأبوابا من صحيح البخاري، يحمد مواردَها المدلجُ والساري، سماعَ دراية وتحقيقَ رواية)[٢].

١٨. الشيخ محمد بن عبدالرحمن، المولود سنة(١٢٧٠هـ)، (كان حيا سنة ١٣٢٥هـ). كان يحفظ من المتون نحو الخمسين متنا، منها الكتب الستة، وكان يحفظ في اليوم مائة بيت[٣].

---

(١) تعريف الخلف، ٢/٢٩٤. معجم المؤلفين، ٧/٢٥٩.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٣٩١. وقد ذكر ذلك في كتابه (نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان). انظر: فهرس الفهارس، ١/١٨٦.

(٣) تعريف الخلف، ٢/٤٠٨.

قلت: هذا مظهر من الحفظ يذكرنا بما كان عليه الأئمّة السابقون، ويزيل استغراب البعض ممّا ذكره الإمام البشير الإبراهيمي من أنّه كان يحفظ كلّ ليلة قبل نومه مائة بيت من الشعر. انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ٥/١٦٥.

١٩. الإمام العلاّمة أحمد بن قاسم البوني(العنابي)، المتوفى سنة(١١١٦هـ)[١]. له مؤلفات عدّة حول صحيح البخاري، هي: نظم كتب البخاري، إظهار بعض نفائس ادخاري المهيّآت لختم البخاري، التحقيق في أصل التعليق، أي الكائن في البخاري، فتح الباري بشرح غريب صحيح البخاري، الإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه، أي الكائنين في البخاري، تخميس على القصيدة المسمّاه: قرّة العينين في مدح الصحيحين لجدّه[٢].

٢٠. الفقيه العلاّمة أبو الحسن علي بن عبدالواحد، الأنصاري، السجلماسي، الجزائري، المتوفى سنة(١٠٥٤هـ)، شهيدا بالطاعون. حكى بعض تلامذته أنّه قرأ البخاري سبع عشرة مرّة قراءة بحث وتدقيق، وقرأ البخاري على شيخه ابن أبي بكر الدلائي

(١) جعل الزركلي وفاته سنة(١١٣٩هـ). انظر: الأعلام، ١/١٩٩. وانظر أيضا: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ٢/٥٧٥.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٥٢٢ ـ ٥٣٣. الأعلام، ١/١٩٩. شجرة النور، ص٣٢٩. فهرس الفهارس، ١/١٦٩. مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ٢/٥٧٥.

نحو إحدى وعشرين مرّة[1]. قرأ عليه أبو مهدي عيسى الثعالبي[2](وهو غير الثعالبي صاحب جواهر الحسان) صحيح البخاري إلى نحو الربع منه، قراءة مدارسة واستخراج للطائف

(١) تعريف الخلف، ١/٧٣. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/١٧٣. هدية العارفين، ١/٧٥٦.
قلت: ربّما يستغرب طلاب العلم اليوم مثل هذا الأمر، والامر لا يستغرب، فلم يكن هذا الإمام بدعا في هذا، بل له في ذلك سلف كثير، ولولا خوف الإطالة لذكرت من ذلك أمثلة كثيرة، ولكن يمكن الرجوع إلى كتاب شيخنا عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل)، ص١٩٧ ـ ١٩٩ (بالهامش)، فقد ذكر من قصص العلماء في ذلك ما يقف الإنسان أمامه حائرا معجبا بحال هؤلاء الأعلام، متحسرا حزينا على ما آل إليه أمر العلم في هذه الأزمنة المتأخرة، والله المستعان!

(٢) هو الإمام أبو مهدي ـ وفي خلاصة الأثر: أبو مكتوم ـ عيسى بن محمد بن محمد، المغربي الجعفري الثعالبي الهاشمي، المتوفى سنة(١٠٨٠هـ)، نزيل المدينة المنورة ثم مكة المشرفة، ولد بمدينة زواوة، وبها نشأ وتعلّم، ثم رحل إلى الجزائر فأخذ بها عن علمائها، ثمّ إلى المشرق، فجاور الحرمين، وأخذ عن علمائها، ثمّ دخل فذاع صيته فيها، ثمّ رجع إلى الحرمين، وبقي هناك، حتى وافاه الأجل. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/٢٤٠. تعريف الخلف، ١/٨٢.

أسـانيده، ومـا يتعلّـق بمتنـه مـن غريـب، وبيـان محلّ الاسـتدلال، ومطابقته للترجمة، وما يحتاج إليه من إعراب وتصريف، وما فيه من القواعـد الأصـولية، إلى غـير ذلـك مـن الفوائـد، وقـرأ عليـه جميـع الصحيح أكثر من مرّة(١). مـن مؤلفاتـه: رجـال البخـاري(٢). وممّـن قرأ عليه صحيح البخاري أيضا: الإمام عمر بن محمد المانقلاتي، في جماعة من الطلبة الأخيار، والنجباء الأبرار(٣).

٢١. أبوعبدالله محمـد بـن الحسن بـن مخلـوف بـن مسعود المزيلي الراشدي، التلمساني، المالكي، المتوفى سنة(٨٦٨هـ). كـان فقيها محدّثا، له الزند الواري في ضبط رجال البخاري، وفتح المبهم في ضبط رجال مسلم(٤).

٢٢. أبـو زكريـاء يحيـى بـن عبـدالرحمن العجيسي، المتوفى

---

(١) خلاصة الأثر، ٣/ ٢٤٠. تعريف الخلف، ١/ ٨٦.

(٢) تعريف الخلف، ١/ ٧٣.

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٣٠٧.

(٤) الأعلام، ٦/ ٨٨.

سنة(٨٦٢هـ). له شرح صحيح البخاري(١).

٢٣. وهناك من علماء المغرب الأوسط من كان لهم باع كبير في الحديث وعلومه، منهم محمد بن أحمد القسنطيني، ولكن لملازمته في التدريس لم يتّفق له التصنيف، وإلاّ فهو أحقّ به(٢).

٢٤. وممّا يدخل في باب العناية والاهتمام بصحيح الإمام البخاري ما كان يفعله أهلُ المغرب الأوسط من قراءة صحيح البخاري في شهر رمضان، وقد كان ذلك سنّةً حميدةً ما زالت موجودة في بعض الأماكن إلى اليوم(٣).

٢٥. ولا ننسى أنّ الأمير عبدالقادر الجزائري(ت١٣٠٠هـ) هو الذي قام ـ بمشاركة الشيخ يوسف المغربي ـ بإعادة افتتاح مدرسة دار الحديث الأشرفية بدمشق، حيث

---

(١) مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ٢/٥٧٤.

(٢) انظر: تعريف الخلف، ٢/٣٥٥.

(٣) انظر: تعريف الخلف، ٢/٤٣٠.

قلت: وأملي أن تُفعّل هذه السُّنَّةُ مرّة أخرى، ويُحرص فيها على قراءة البخاري قراءةَ تحقيق ومدارسة، حتى يتمّ نفعها، ولا تبقى قراءة لمجرّد التبرّك، كما هو الشأن في بعض الأماكن كما رأيت ذلك بنفسي.

بـدأ فيهـا بقـراءة صـحيح البخـاري، وذلـك سـنة(١٢٧٢هــ، أو ١٢٧٣هـ)، ومن هذه المدرسة تخرّج علماء الشام والبلدات الشامية بعد ذلك[١].

٢٦. وعلى اسم هذه المدرسة قام الإمام محمد البشير الإبراهيمي بافتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان، سنة(١٩٣٧م)، وكان الحديث الشريف واحدا من موادّها الأولى ومقرّراتها الدراسية[٢].

هذه بعض النماذج من عناية أهل الجزائر بصحيح البخاري، وهناك أمثلة كثيرة أعرضنا عنها لضيق الوقت، وربّما يتّسع الوقت لاحقا إن شاء الله لجمعها وتدوينها؛ تنويها بجهد أهل الجزائر في خدمة صحيح البخاري، تماما كما فعلوا مع صحيح الإمام مسلم.

المطلب الثاني: دخول صحيح الإمام مسلم إلى بلاد المغرب والأندلس

---

(١) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٢/ ٨٩٧. دار الحديث الأشرفية بدمشق، ١٨.

(٢) انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ١/ ٣٠٦.

يعتبر الإمام مسلمة بن قاسم القرطبي الأندلسي المتوفى سنة (٣٥٣هـ) أوّلَ من كان له شرفُ إدخال صحيح مسلم إلى بلاد المغرب والأندلس، فقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالرحمن الفاسي في كتابه: المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية[١] أنّه يروي صحيح مسلم من طريق مسلمة بن قاسم، وليس بينه وبين مسلم صاحب الصحيح إلاّ راوٍ واحدٌ هو مكي بن عبدان(ت ٣٢٥هـ)[٢]، أي أنّه إسناد عال، وعلى هذا يكون مسلمة بن قاسم قد حاز منقبةً لم يشاركه فيها غيرُه من أهل المغرب والأندلس.

ويؤكّد هذا ويدعمه ما أورده غيرُ واحد من العلماء عن مسلمة بن قاسم في الثناء على صحيح مسلم وتفضيله على صحيح البخاري[٣]، فلو لم يكن عنده نسخة منه فمن أين كان له أن يقارن

(١) مخطوط.

(٢) وهو أحد الثلاثة الذين أخذوا الصحيح عن الإمام مسلم.

(٣) طبعا لا يخفى أنّ مراد مسلمة بن قاسم بتفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري هو في الأصحية كما سيأتي التنبيه عليه لاحقا.

بينهما؟

ثمّ بعد مسلمة بن قاسم كثر اهتمام أهل المغرب والأندلس بصحيح مسلم، وازدادت عنايتهم به.

فمن ذلك أنّ الإمام المحدّث المقرئ مكي بن أبي طالب القيسى(ت ٤٣٧هـ)، كان له أيضا شرف الإسهام في إدخال صحيح مسلم إلى بلاد المغرب والأندلس، وكان مكي بن أبي طالب قد ارتحل إلى المشرق سنة ٣٧٦هـ (أو بعدها)، وسمع صحيح مسلم بالأسانيد العالية، ثمّ رجع فأملاه على الناس في المغرب والأندلس[١].

وتذكر كتبُ التراجم أيضا أنّ حاتم بن محمد الطرابلسي(ت٤٦٩هـ)، سمع صحيح مسلم أثناء رحلته إلى مكّة المكرمة، ثمّ قفل راجعا، فمرّ بالقيروان سنة(٤٠٤هـ)، ومكث بها مدّة، ثمّ انتقل إلى الأندلس، حيث جلس لإسماع صحيح مسلم[٢].

---

(١) انظر: فهرسة ابن خير، ص١٠٠. معالم الإيمان، ٣/١٧١. سير أعلام النبلاء، ١٧/٥٩١.

(٢) انظر: فهرس ابن عطية، ص٦٨. فهرسة ابن خير، ص١٠٠. الصلة، =

رواية القلانسي:

لقد حظي أهل المغرب بشرف خاص يتعلّق بصحيح الإمام مسلم؛ إذ انفردوا برواية من روايات صحيح الإمام مسلم لم تقع عند المشارقة، وهي رواية الإمام القلانسي أحمد بن علي بن الحسين، فقد أخذ هذا الإمامُ صحيحَ الإمام مسلم عن مؤلّفه، وعنه أخذه أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر، المتوفى سنة(٣٥٩هـ)، وعنه أخذه أبو العلاء عبدالوهاب بن عيسى بن ماهان، المتوفى سنة(ت٣٨٨هـ)[1]، الذي يعتبر الواسطةَ لأغلب رواة صحيح الإمام مسلم من المغاربة.

قال ابن الصلاح رحمه الله: (وأما القلانسى فوقعت روايته عند أهل الغرب، ولا رواية له عند غيرهم، دخلت روايته إليه من جهة أبي عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء التميمى القرطبى وغيره،

=
١/١٥٥.

(١) انظر ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد، ١/٢٢٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ١/٢٠. سير أعلام النبلاء، ٣٢/١٣٥. وفي بعضها جُعلت وفاتُه سنة(٣٨٧هـ).

سمعوها بمصر من أبى العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان البغدادى، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر الفقيه على مذهب الشافعى، قال: حدثنا أبو محمد القلانسى، قال: حدثنا مسلم، إلا ثلاثة أجزاء من آخر الكتاب، أولها حديث الإفك الطويل؛ فإن أبا العلاء بن ماهان كان يروي ذلك عن أبي أحمد الجلودى، عن أبى سفيان، عن مسلم رضى الله عنه)[١].

وقد أثنى السمعاني على روايته عن مسلم فقال: (وكان سمع المسند الصحيح من أحمد بن علي القلانسي ورواه، وهو أحسن راوية لذلك الكتاب، وأنهم ثقاة)[٢].

ورغم أنّ هذه الرواية دون رواية المشارقة[٣] في الدرجة، إلاّ أنّ

---

(١) صيانة صحيح مسلم، ص١١١. وانظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ١٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١/ ١١.

(٢) الأنساب للسمعاني، ٥/ ١٩٠.

(٣) وهي رواية إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري(ت٣٠٨هـ)، وقد أكمل سماعَ الصحيح من الإمام مسلم سنة(٢٥٧هـ).

من فوائدها العملية أنّها أكملت الأحاديثَ التي فاتت رواية المشارقة، وهذا لعمري أمرٌ يعود بالروايتين إلى التساوي في الدرجة، والله أعلم[١].

وفيما يلي ذكر لبعض المغاربة الذين اتصلت أسانيدهم من هذا الطريق، وكان لهم أثر كبير في رواية صحيح الإمام مسلم ونشرها بين أهل المغرب والأندلس:

١ ـ الإمام الجياني: أبو زكرياء يحيى بن محمد، الأشعري، القرطبي، المتوفى سنة(٣٩٠هـ). أخذ صحيح الإمام مسلم عن ابن ماهان بمصر، ثمّ قام بنشره في الأندلس، وقد كان الإمام ابن عبدالبر أشهر من أخذ صحيح الإمام مسلم عن الإمام الجياني[٢].

٢ ـ الإمام الباجي: أبو عمر أحمد بن عبدالله، اللخمي، الإشبيلي، المتوفى سنة(٤٠٠هـ، أو قريبا منها) أحد الأئمّة المشاهير، ذكر الإمام ابن عبدالبر أنّه رحل إلى الحجّ متأخرا، فمرّ بمصر، فكتب عن ابن

(١) انظر: إبراهيم بن محمد بن سفيان روايته، وزياداته، وتعليقاته على صحيح مسلم، للدكتور/عبدالله بن محمد حسن دمفو، ص١٦ـ١٨.

(٢) تاريخ ابن الفرضي، ٢/٣٢٥.

ماهان، لكن ليس في المصادر أنّه قام برواية صحيح مسلم بعد رجوعه[١].

٣ ـ ابن الرسّان: أبو القاسم أحمد بن فتح بن عبدالله التاجر، القرطبي، المتوفى سنة(٤٠٣هـ). رحل إلى مصر وأخذ صحيح مسلم عن ابن ماهان، ثمّ نشره بالأندلس، وكان من أشهر من أخذه عنه الإمام ابن عتاب المتوفى سنة(٤٦٢هـ)، والإمام ابن عبر البر[٢].

٤ ـ الإمام ابن الحذّاء: أبو عبدالله محمد بن يحيى، التميمي، القرطبي، المتوفى سنة(٤١٦هـ). ارتحل إلى المشرق سنة(٣٦٢هـ)، فأخذ العلم في مصر ومكة والمدينة، وكان في جملة ما أخذ صحيح مسلم، سمعه من ابن ماهان بمصر، ثمّ قفل راجعا إلى الأندلس، وجلس لنشره وروايته لأهل الأندلس.

---

(١) مصادر كثيرة يرجع إليها، منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض ...ص ٨٣.

(٢) انظر: الصلة، ١/ ٢٦. جذوة المقتبس، ص١٤١. بغية الملتمس، ص٢٠٠. ومصادر أخرى.

ويُعتبر ابنُ الحذاء أشهرَ من روى صحيح مسلم عن ابن ماهان، قال ابن الصلاح ـ وهو يتحدّث عن رواية القلانسي التي ذكرناها سابقا ـ: (دخلت روايته إليهم من مصر على يدي مَن رحل منهم إلى جهة المشرق، كأبي عبدالله محمد بن يحيى الحذاء التميمي القرطبي وغيره، سمعوها بمصر من أبي العلاء عبدالوهاب بن عيسى بن عبدالرحمن بن ماهان البغدادي)[١].

٥ ـ الإمام الكناني: أبو الحكم المنذر بن المنذر، المتوفى سنة(٤٢٣هـ). سمع صحيح مسلم من ابن ماهان، ثمّ نشره بين الناس، فرواه عنه جماعة، ....[٢].

٦ ـ الإمام الباجي الابن: محمد بن أحمد، اللخمي، الباجي، المتوفى سنة(٤٣٣هـ). رحل مع والده إلى المشرق، وسمع معه صحيح مسلم من ابن ماهان، ثمّ شاركه أيضا في روايته ونشره بين أهل الأندلس[٣].

---

(١) صيانة صحيح مسلم، لابن الصلاح، ص١١١.

(٢) الصلة، ٢/ ٦٢٤. فهرس ابن عطية، ١٢٨، ١٣٠.

(٣) انظر: بغية الملتمس، ص٥٠. الصلة، ٢/ ٥٢٢. فهرسة ابن خير، ص١٠١.

المبحث الثاني: مكانة صحيح مسلم عند أهل الأندلس والمغرب

لقد بدأت رحلة المغاربة مع صحيح مسلم من زمن بعيد، بدأت يوم رحل أبناؤهم إلى المشرق طلبا للعلم، وهناك تشرّفوا بالتتلمذ على يد تلاميذ الإمام مسلم نفسه، وأخذوا عنهم صحيحَه بالأسانيد العالية المتّصلة، ثمّ قفلوا إلى المغرب يحملون هذا الكنز العظيم، فتلقّاه أهل المغرب بما يستحقّ من التقدير والاحترام والحفاوة وحسن الاستقبال، فأقبلوا على تعلّمه والتفقّه فيه واشتدّ اهتمامهم به، حتى قرّ في اعتقاد البعض أنّ صحيح مسلم حاز عند المغاربة منزلة ومكانة لم يحظ بها صحيح البخاري نفسه، حتى فَضلوه عليه، وهذا الاعتقاد وإن كان غير صحيح(١)، إلاّ أنّه يدلّ

(١) الراجح المحقّق أنّ أهل المغرب لا يختلفون عن إخوانهم المشارقة في تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم من حيث الأصحية، وما نقل عنهم ممّا يفيد خلاف ذلك، فالمقصود به غير الأصحية، إذ لا شكّ أنّه قد توفّر في صحيح الإمام مسلم من الميزات ـ غير الأصحية ـ ما يقدّم به على صحيح البخاري، ذلك أنّ الإمام مسلماً صنَّف كتابَه في بلده، بحضور أصولِه، وفي حياة كثير من مشايخه، فكان يَتحرَّز في الألفاظ، ويَتحرَّى في السياق، ولم يَتصدَّ لاستنباط الأحكام، وجَمَعَ الطُّرُقَ كلَّها في مكان واحد، واقتصر على =

في الوقت نفسه على شدّة اهتمام المغاربة بهذا السفر العظيم.

ومن هنا بدأت شروحهم عليه تتوالى، وتنوعت بين استخراج ما فيه من الصناعة الحديثية، أو استنباط الأحكام الفقهية منه، أو استدرار ما فيه من المعاني والفوائد والنكت، أو غير ذلك من أنواع العلاقة مع هذا الكتاب العظيم.

وهذه الكتب بعضها يشرح الكتاب كلّه، وبعضها يقتصر على جزء منه؛ إمّا بسبب الانشغال وعدم التفرّغ لذلك، أو ما يحول دون ذلك من مرض أو موت أو سفر أو غير ذلك.

وممّا يلاحظ في هذا المجال أنّ شرح المغاربة لصحيح مسلم كان في أحيان كثيرة عبارةً عن سلسلة من الشروح، يأخذ أحدُها بطرف

=

الأحاديث المرفوعة دون الموقوفات، كلُّ هذه الميزات جعلت صحيحَ مسلم أيسرَ تناوُلاً للوصول إلى الحديث فيه، وأنفع للفقيه الذي يريد أن يَتعرف على اختلاف ألفاظ الحديث، فهو بهذه الميزاتِ أفضلُ من صحيح البخاري، وهذه الميزاتُ هي سببُ مَن فضَّله من علماء المغاربة، كما صرح بذلك ابنُ حجر، وهو قَدرٌ مُشترَكٌ بين كثير من العلماء، لم يَختصَّ به علماءُ المغرب دون غيرهم، والله أعلم. انظر: النكت على ابن الصلاح، ١/ ٢٨٢.

الآخر، فيضيف إليه، أو يستدرك عليه، أو يكمّل ما فاته، أو يسدّ خللا وقع فيه، وتشكّل في مجموعها عيونَ ما قاله العلماء في مصنّفاتهم ومؤلفاتهم حول صحيح الإمام مسلم.

وحفاظا على هذه المنقبة الجميلة والمزية الجليلة، وإبرازاً لها وتجليةً، فإنّني سوف أعرض لهذه الشروح، مراعيا هذا الترتيبَ الزمني، وهذا التماسكَ والتواصلَ بين هذه الشروح.

١. أوّل هذه الشروح: الإيجاز والبيان لشرح خطبة مسلم وكتاب الإيمان، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن خلف، القرطبي، التُّجيبي، المعروف بابن الحاج، المتوفى سنة (٥٢٩هـ)، أحد شيوخ القاضي عياض، الذي ذكر أنّه استفاد من هذا الكتاب[١].

٢. تأليف على صحيح مسلم، لأبي محمد عبدالله بن عيسى الشيباني، السرقسطي، المتوفى سنة (٥٣٠هـ)، وقد وصفه ابن بشكوال بأنّه محدّث حافظ متقن، وأنّ له على صحيح مسلم تأليفا حسنا، ولكنّه لم يكمله[٢].

---

(١) انظر: فهرست ابن خير، ص١٩٦، ص٢١٦.

(٢) انظر: الصلة، ابن بشكوال، ١/ ٢٩١.

٣. الإرشـاد، لأبي الحكـم عبدالـسلام بـن عبـدالرحمن بـن أبي الرّجال(كان موجودا سنة ٥٣٠هـ)، وقد أثنى أبو جعفـر أحمـد بـن الزبير عـلى هـذا الكتـاب، وذكـر أنّ مؤلفـه قـصد فيـه إلى اسـتخراج أحاديث صحيح مسلم مـن كتـاب الله تعـالى، ثـمّ قـال:(أراك عيانـا قـول سـبحانه في نبيّـه عليـه الـصلاة والـسلام:﴿ وَمَـا يَنطِـقُ عَـنِ الْهَوَى﴾. [النجم: ٣])[١].

٤. المُعلم بفوائد صحيح مسلم، للإمام الكبير أبي عبد الله محمـد بن عليّ المازَري[٢]، المتوفّى سنة (٥٣٦هـ)، وهو عبارة عن تعليقـات ضبطها عنه طلابه في مجالسه العلمية، وتلقفوها عنه، ثـمّ عرضـوها عليه فنظر فيها وهذّبها، فكانت كتابا[٣]. قال القاضي عياض:(فإنّ كتاب المُعْلم لم يكن تأليفا استجمع لـه مؤلفـه، وإنّـما هـو تعليـق مـا

(١) صلة الصلة، القسم الرابع/ص٣٣.

(٢) نسبة إلى مازر، وهي واحدة من مـدن جزيـرة صـقلية المعروفـة بهـذا الاسـم إلى اليوم، وهي الواقعة بين تونس وإيطاليا، وكانت سابقا جزءا من بلاد المسلمين منذ أن فتحها أسد بن الفرات وقضى شهيدا على أرضها.

(٣) الكتاب مطبوع بتقـديم وتحقيـق الـشيخ محمـد الـشاذلي النيفـر. الـدار التونـسية للنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٧م.

تضبطه الطلبة من مجالسه وتلقّفه)[١]، وهذه العبارة تحمل اعتذارا واضحا من القاضي عياض للإمام المازري عمّا يمكن أن يقع من القصور في بعض جوانب كتابه، وقياما بالواجب في تلافي هذا القصور والنقص فقد اضطلع القاضي عياض رحمه الله تعالى بمهمّة رأب ذلك، فكان كتابه الآتي:

٥. إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، للقاضي عياض المتوفى سنة (٥٤٤هـ)، أكمل فيه النقص الذي وقع في كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، وكتاب تقييد المهمل وتمييز المشكل للإمام أبي علي الجياني الغساني، أمّا الأول فقد ذكرنا سببَ ذلك القصور، وأمّا الثاني فقد ذكر القاضي عياض أنّ المرض دهم أبا علي الغساني فحال بينه وبين غرضه في إتمام هذا الكتاب[٢].

٦. شرح على صحيح الإمام مسلم، للإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد العبدري، المتوفى سنة (٥٦٦هـ)، إلاّ أنّه لم يكمله، فقد وصل

---

(١) مقدّمة إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ص٧٧.

(٢) انظر: مقدّمة إكمال المعلم، ص٧٨.

فيه إلى الكتاب رقم (٤٢)[١] من مجموع كتب صحيح مسلم[٢].

٧. شرح ابن أبي جمرة على صحيح مسلم، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي جمرة، المتوفى سنة (٥٩٨هـ)، وهو شرح نافع جدا، وفيه كثير من الفوائد التي لا توجد في غيره[٣].

٨. الإعلام بفوائد مسلم المهدي الإمام، لأحمد بن عتيق بن الحسن، البلنسي، المعروف بالذهبي، المتوفى سنة(٦٠١هـ)، وهو شرح لمختصر صحيح مسلم الذي ألّفه محمد بن تومرت، صاحب دعوة الموحّدين[٤].

---

(١) وهو كتاب الرؤيا.

(٢) تبلغ كتب صحيح الإمام مسلم أربعة وخمسين كتابا. أمّا الأبواب ففيها خلاف بين العلماء، بسبب أنّ واضعها هم شرّاح صحيح مسلم، أمّا هو فلم يصنع شيئا من ذلك، بخلاف البخاري الذي بوّب أحاديث كتابه، وجعلها ميدانا لإظهار فقهه وفهمه للأحاديث.

(٣) انظر ترجمته في: تكملة الصلة، ٢/٥٦١. الذيل والتكملة، ٦/٥،٦. شجرة النور، ١/١٦٢. وله من المؤلفات أيضا: نتائج الأفكار ومناهج النظار في معاني الآثار، وإقليد التقليد المؤدي إلى النظر السديد، وغير ذلك.

(٤) انظر: تكملة الصلة، ١/٩٥.

٩. اقتباس السراج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الغساني، الوادي آشي(٥٠٧ ـ ٦٠٩ هـ/ ١١١٣ ـ ١٢١٢ م)، وكان فقيها، محدثا، حافظا، أديبا، نحويا، شاعرا، كاتبا[١].

١٠. شرح مقدّمة الإمام مسلم، لأبي عبدالله محمد بن أبي يحيى الأنصاري، الفاسي، المشهور بابن المَوّاق، المتوفى سنة (٦٤٢هـ)[٢].

١١. المُفصِح المفْهم والموضِّح المُلهم لمعاني صحيح مسلم، لأبي عبدالله محمد بن يحيى بن هشام، الأنصاري، المشهور بابن البرذعي[٣]، المتوفى سنة (٦٤٦هـ)، من الجزيرة الخضراء بالأندلس[٤]، كان رأساً في العربية عاكفاً على التعليم، كان أبو علي

---

(١) انظر ترجمته في: الديباج المذهب، ص٢١٠، والذيل والتكملة، ٥/١٧٧. معجم المؤلفين، ٧/٢٩.

(٢) انظر ترجمته في: التكملة، ١/٢٥٤، الذيل والتكملة، ٨/٢٧٢.

(٣) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، ٢/١٦٣. بغية الوعاة، ص١١٥. تكملة الصلة، ص٣٦١.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي، ١/٢٦٩. وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق وليد =

الشلوبين يثني عليه ويعترف له[١]. وهو غير ابن هشام صاحب مغني اللبيب المشهور النحوي، الذي كان نحويًّا لغويًّا شهيرًا جدًّا في زمنه، وألَّف كتابًا خاصًّا بغريب ألفاظ صحيح مسلم.

١٢. تلخيص صحيح مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن إبراهيم، الأنصاري، القرطبي، المتوفى سنة (٦٥٦هـ)، ثمّ شرحه في كتابه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم[٢].

١٣. المعرب المفهم في شرح صحيح مسلم، لابن أبي الأحوص: وهو الحسن بن أبي الأحوص عبد العزيز بن محمد المالقي، الاندلسي، المالكي، أبو علي، (ت في حدود ٧٠٠ هـ - ١٣٠١م)، وكان محدثا، حافظا، فقيها[٣].

=

أحمد حسين، بدار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ١٤٢٣هـ.

(١) انظر: الوافي بالوفيات، ٢/١٦٣. الأعلام للزركلي، ٧/١٣٨. معجم المؤلفين، ١٢/١١٣. تاريخ الإسلام للذهبي، ١٠/٣٦٣. هدية العارفين، ٢/١١.

(٢) قام على خدمة هذا الكتاب وتحقيقه أكثر من واحد.

(٣) معجم المؤلفين، ٣/٢٣٧.

١٤. إكمال الإكمال، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم البقّوري[١]، الأندلسي، المتوفى سنة (٧٠٧هـ)[٢]، محدث. زار مصر في طريقه إلى الحج، وتوفي بمراكش.

وبهذا الكتاب تعود الجهود لتعانق عمل القاضي عياض رحمه الله في هذا الباب، إذ أنّ هذا الكتاب هو أوّل شرح على شرح القاضي عياض المسمّى إكمال المعلم بفوائد مسلم.

١٥. تقييد على صحيح مسلم، لأبي محمد عبدالله بن محمد، التّجاني، المتوفى سنة (٧١٧هـ)، وهو كالإكمال لكتاب إكمال المعلم[٣].

١٦. الغلَسيّات، لأبي البركات محمد بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الحاج، المتوفى سنة (٧٧١هـ)، وكتابه هذا شرح على صحيح مسلم، قال عنه:(وهو ما صدر عني من الكلام على

(١) نسبة لبلد بالاندلس.

(٢) انظر ترجمته في: الديباج المذهب، ابن فرحون، ص٣٢٢، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ١/ ٢١١. الزركلي: الاعلام، ٥/ ٢٩٧.

(٣) انظر: رحلة التجاني، ص٢٥٥، ٢٥٦.

صحيح مسلم في التغليس)[١].

١٧. إكمال الإكمال على صحيح مسلم، لأبي القاسم الشريف الإدريسي، السلاوي، المتوفى في بداية القرن التاسع[٢].

١٨. إكمال إكمال المعلم، لأبي عبدالله محمد بن خلْفة الوِشتاني، المعروف بالأُبِّي، المتوفى سنة (٨٢٧هـ)، كان محدثا، فقيها، حافظا، مفسرا، ناظما، ولي قضاء الجزيرة سنة ٨٠٨ هـ. أخذ عن ابن عرفة ولازمه، واشتهر في حياته بالمهارة والتقدم في الفنون، أخذ عنه جماعة من الأئمة كالقاضي عمر القلشاني وأبي القاسم ابن ناجي والثعالبي وعبدالرحمن المجدولي وغيرهم[٣].

وكتابه هذا يُعدُّ تلخيصا لما في شروح المازري في فوائده، والقاضي عياض في إكماله، والقرطبي في مُفهمه، والنووي في منهاجه على صحيح مسلم، مع تعليقات حافلة نافعة، إلاّ أنّه حذف

---

(١) الديباج المذهب، ص٢٩١ ـ ٢٩٣، شجرة النور الزكية، ١/ ٢٢٩.

(٢) انظر: شجرة النور الزكية، ١/ ٢٥١.

(٣) موسوعة تراجم الفقهاء، ١/ ٢. نيل الابتهاج، ٤٨٧، والبدر الطالع ٢/ ١٦٩، ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٧٨، والأعلام ٦/ ١١٥.

مقدّمة الإمام مسلم على صحيحه.

وقد كان السبب في تأليفه لهذا الكتاب ما سمعه من شيخه محمد بن عرفة، الورغمي، التونسي، المتوفى سنة(٨٠٣هـ)، فقد قال ذات مرّة:(ما يشقّ عليّ فهمُ شيء ما يشقّ من كلام عياض في بعض المواضع من الإكمال والتنبيهات)[١]، فالتقط التلميذ هذه الكلمة، وجعل منها كتابا.

وهذا أمر وقع لكثير من طلاب العلم مع مشايخهم، وهو دليل اليقظة الكاملة والهمّة العالية.

وقد حظي شرح الأبّي باهتمام العلماء، حتى اعتبره السنوسي من أحسن الشروح وأجمعها، لذلك نهض إلى اختصاره في مكمّله[٢].

١٩. وشْيُ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي الحسن علي بن سليمان، المغربي، المتوفى سنة (١٣٠٦هـ)، اختصر فيه شرح السيوطي على صحيح مسلم المسمّى بالديباج، وقد طبع

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٤٧، ٤/ ١٤٠.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣.

بمصر سنة (١٢٩٨هـ)، ثمّ طبع مع الديباج سنة(١٣٢٨هـ)[١].

وهكذا شاء الله تعالى أن يقتسم أهل المغرب ـ ومعهم أيضا أهل الأندلس ـ شرف خدمة صحيح مسلم، فالمازري صقلي، وعياض مغربي، والقرطبي أندلسي، والأبّي تونسي، وهكذا...[٢]، وهو يدلّ من وجه آخر على تلك اللُّحمة الكبيرة التي كانت ـ وما زالت ـ تجمع بين أبناء هذا البلد الكبير بأقاليمه الثلاثة، مع فردوسه المفقود.

(١) انظر: تاريخ التراث العربي، ١/ ٢٧٠. فهرس الفهارس، ١/ ١٧٦.

(٢) أمّا جهود علماء الجزائر فقد خصصنا المبحث القادم للحديث عنها.

المبحث الثالث: مكانة صحيح مسلم عند أهل المغرب الأوسط (الجزائر).

لقد كان للمغرب الأوسط(الجزائر اليوم) نصيب وافر من شرف خدمة صحيح الإمام مسلم، فقد سعى الكثير منهم إلى سماعه من أفواه الشيوخ، والنماذج على ذلك كثيرة، وأيضا فإنّ جملة من الشروح عليه هي لعلماء ينتسبون إلى هذا القطر من العالم الإسلامي.

وفيما يلي ذكر لبعض جهود أهل المغرب الأوسط في خدمة صحيح الإمام مسلم:

١ ـ الإمام السنوسي في كتابه: مكمّل إكمال الإكمال، وهو هذا الكتاب محلُّ الدراسة، وهو اختصار لكتاب الأبّي المسمّى إكمال الإكمال، مع إضافة فوائد كثيرة جمعها من شروح عياض والنووي والقرطبي، مع إضافات أخرى من عنده.

٢ ـ وقد شارك السنوسيَّ في خدمة كتاب الأبَي عالمٌ جزائري آخر من بجاية، هو أبو مهدي عيسى بن أحمد الهنديسي، المعروف بابن الشاط، عالم بجاية ومفتيها، وهو أحد معاصري السنوسي، فقد

كان خطيبا بجامع بجاية الأعظم سنة(٨٩٠هـ)، لـه تعليـق اختـصر فيه ملخّصا من شرح الأبِّي[١]. أثنى عليه السخاوي، فقال: (تقـدم في الفقـه وأصـوله والعربيـة وغيرهـا حفظـاً لهـا وفهـماً لمعانيهـا مـع فروسيته وتقدمه في أنواعها وديانته. تصدى للإفتاء والإقراء وناب في الخطابة بجامع بجاية الأعظم، وهو الآن في سنة تسعين وثمانمائـة شيخُ وقدوةُ أهلها يزيد على ستين سنة)[٢].

وقال عنه الشيخ زروق: (الشيخ الفقيه، الإمام، الصدر، العالم، أبـو مهـدي مفتـي بجايـة، مـن صـدور الإسـلام في وقتـه علـما وديانة)[٣].

٣ ـ كما شارك الأبيَّ في خدمة إكمال المعلم أيضا عالم جزائري آخر

---

(١) انظر: نيل الابتهاج، ص٢٩٩. تعريف الخلف برجال السلف، ٢/ ٣٠٩.

(٢) الضوء اللامع، ٣/ ٢٣٢. تعريف الخلف برجال السلف، الديسي، ٢/ ٣٠٩. وقد ذكر الدكتور الفاضل حسين شـواط أنّـه مخطـوط بالخزانـة العامـة بالربـاط (ك ١/ ١٧٩١، ٣/ ١٨٢٤)، وبالخزانـة الحـسنية بالربـاط (٥٤٥٦، ٥٥٣٦، ٩٠٠٥). انظـر: منهجيـة فقـه الحـديث عنـد القـاضي عيـاض في إكـمال المعلـم بفوائد مسلم، ص٩٣.

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٣٠٩.

هـو الإمـام الـشهير أبـو الـروح عيـسى بـن مـسعود، المـنكلاّتي، الحمـيري، الـزواوي، أصـله مـن زواوة ببجايـة، ثـمّ رحـل إلى الإسكندرية، وتولّى تدريس الفقه المالكي بزاوية المالكية بالقاهرة سنة (٧٤٣هـ)، وفي هذه السنة كانت وفاته رحمه الله. ألّف إكمال الإكمال في اثني عشر جزءا، وكان معاصرا لابن فرحون، لذلك أثنى عليه هذا الأخير ثناء كبيرا، وممّا قاله فيه: (كان فقيهاً عالماً متفنناً في العلوم تفقه ببجاية على أبي يوسف: يعقوب الزواوي وقدم الإسكندرية وتفقه بها، ثم رحل إلى قابس فأقام بها مدة وولي القضاء بها، ثم رحل إلى ثغر الإسكندرية فأقام بها مدة يسيرة، ثم رحل إلى القاهرة فأقام بها يشغل الناس في العلوم بالجامع الأزهر.. وولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين، ثم رجع إلى الديار المصرية فولي نيابة القضاء بها عن قاضي القضاة زين الدين بن مخلوف المالكي ثم من بعده عن قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي المالكي، ثم ولي التدريس بمصر بزاوية المالكية وترك ولاية الحكم وأقبل على الاشتغال والتصنيف فشرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلداً وسماه:" إكمال الإكمال"، جمع فيه أقوال المازري والقاضي عياض

والنووي، وأتى فيه بفوائد جليلة من كلام بن عبد البر والباجي وغيرهما، وردَّ على تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق، وكان إماماً في الفقه، وإليه انتهت رياسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية. وكان مولده سنة أربع وستين وستمائة، وتوفي في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقاهرة)[١].

٤ ـ إكمال الإكمال، لأحمد بن سعيد البجائي، وهو شرح مختصر لصحيح مسلم، يوجد الجزء الأوّل منه مخطوطا في الخزانة الناصرية في تمكروت ببلاد المغرب[٢].

٥ ـ ومن هؤلاء أيضا: الإمام العلاّمة أحمد بن قاسم البوني(العنابي)، المتوفى سنة(١١١٦هـ)[٣]. له نظم كتب الإمام مسلم، وتخميس على القصيدة المسمّاه: قرّة العينين في مدح الصحيحين لجدّه[٤].

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ١/١٠٧.

(٢) انظر: منهجية فقه الحديث في إكمال المعلم بفوائد مسلم، ص٩٣.

(٣) جعل الزركلي وفاته سنة(١١٣٩هـ). انظر: الأعلام، ١/١٩٩.

(٤) تعريف الخلف، ٢/٥٢٢ ـ ٥٣٣. الأعلام، ١/١٩٩. شجرة النور، ص٣٢٩.
=

٦ ـ أبوعبدالله محمد بن الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، التلمساني، المالكي، المتوفى سنة(٨٦٨هـ). له فتح المبهم في ضبط رجال مسلم[(١)].

٧ ـ وفي جانب السماع عرف عن أهل المغرب الأوسط اهتمامهم بسماع صحيح مسلم وإسماعه.

وهذه بعض الأمثلة:

* أبو يحيى عبدالرحمن بن محمد، التلمساني، المتوفى سنة(٨٢٦هـ). سمع صحيح مسلم من شيخه أبي القاسم بن رضوان[(٢)].

* ما ورد أنّ الإمام السنوسي سمع الصحيحين من شيخه الإمام الثعالبي.

=

فهرس الفهارس، ١/١٦٩.

(١) الأعلام، ٦/٨٨.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٢٠٨.

الباب الأول

الإمام السنوسي

عصره وحياته واهتمام العلماء بمؤلفاته

الفصل الأول

عصر الإمام السنوسي

المبحث الأوّل: الحياة السياسية والعلمية في عصر السنوسي

شهد القرن التاسع أحداثا جساما في بلاد المغرب بصفة عامّة، وفي الجزائر بصفة خاصّة، كان لها الأثر البالغ في حياة الإمام السنوسي فيما بعد.

ففي سنة(٨٢٧هـ) ـ قبل مولد الإمام السنوسي بقليل ـ استولى الحفصيون بقيادة أبي فارس عبدالعزيز على تلمسان التي كانت عاصمة بني عبدالوادي آل زيّان، وولّى عليها الأمير الزيّاني محمد بن أبي تاشفين عبدالرحمن الثاني، وفرّ أميرها عبدالواحد بن أبي حمو موسى.

ولكنّ الأمير الزياني محمد بن أبي تاشفين عبدالرحمن نائب السلطان الحفصي على تلمسان سرعان ما استبدّ بأمر تلمسان وأعلن استقلاله وخروجه على السلطان الحفصي بتونس أبي فارس عبدالعزيز، فقام هذا الأخير بحصار تلمسان، فاضطرّ الأمير الزياني إلى الهرب، ولكنّه قُبض عليه وأخذ سجينا إلى تونس، حتى توفي سنة(٨٣٣هـ).

وفي سنة (٨٣٧هـ) انتقضت تلمسان على السلطان الحفصي، فخرج إليها، ولكنّه توفي في الطريق فجأة بقرب جبل ونشريس، فخلفه حفيده أبوعبدالله محمد الرابع، ولكنّه لم يمكث أكثر من سنتين، فقد توفي

سنة(٨٣٩هـ)، فخلفه أخوه أبو عمر عثمان الذي طال حكمه وامتدّ إلى سنة (٨٩٣هـ) ـ أي طوال حياة الإمام السنوسي ـ وقد كان من أعظم أمراء الدولة الحفصية، وقد انتظم له ملك تونس والجزائر إلى تلمسان، عدا بعض ثورات الأعراب التي كانت تقوم بين الحين والآخر.

ولّما توفي خلفه حفيده أبو زكرياء يحيى بن مسعود بن محمد، وفي عهده دبّ الانقسام في دولة الحفصيين، فاستقلّت عنهم جزيرة جربة، ثمّ طرابلس، وقد توفي هذا الأمير سنة(٨٩٩هـ)، ولم تزل هذه الدولة في تراجع وضعف، حتى كان آخرَ ملوكها محمدٌ بن الحسن بن محمد بن الحسن الذي استولى النصارى في عهده على تونس، ولكنّهم لم ينعموا بذلك طويلا، إذ سرعان ما داهمتهم جيوش العثمانيين، فقضت على أحلامهم وأطماعهم، بل أنهت وجودهم إلى الأبد[١].

وقد عاصر الإمام السنوسي دولة بني زيّان بتلمسان، وشهد من

---

(١) انظر تفصيل هذه الأحداث في: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ٢/ ١٩٢ ـ ٢١٦. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لابن أبي الضياف، ١/ ٢٣٠ـ ٢٤٢، ٢/ ٩ـ ٢٥.

أحوالها المتقلّبة الشيء الكثير، حيث تراوحت بين خضوعها للحفصيين بتونس، أو للمرينيين بالمغرب، وتعرّضها لهجمات الإسبان، واستمرّ ذلك بعد وفاة الإمام السنوسي، ولم يحسم هذا الاضطرابَ إلاّ مجيء العثمانيين الذين وضعوا حدّا لهذه الدولة، ورسموا حدود الجزائر الحالية تقريبا، حيث اعتبروا أراضي بني زيان إيالة كاملة من إيالات المغرب، ونقلوا العاصمة من تلمسان إلى الجزائر(١).

وقد كان لتلمسان أن تنعم في فترة الحفصيين ـ وخاصة في عهد الأمير الحفصي أبي عمر عثمان ـ باستقرار كبير، ظهر أثرُه في الحركة العلمية التي عاشتها تلمسان في تلك الفترة والتي شهدها السنوسي صغيرا وأسهم فيها كبيرا.

ولكنّ الأمر الذي كان يعصر قلوب أهل تلمسان ويقضّ مضاجعهم هو المأساة التي كان يعيشها إخوانُهم الأندلسيون في مواجهة الزحف النصراني القادم من الشمال.

وعندما ولد الإمام السنوسي كان قد بقي للمسلمين إمارة واحدة

---

(١) انظر: تاريخ المغرب وحضارته، ٣/١٢٣ ـ ١٦٤.

بالأندلس وهي إمارة بني الأحمر بغرناطة والحصون التي تتبعها.

ورغم ذلك فقد نشأ في هذه الإمارة نزاعٌ غريب عجيب، فقد تنازع أصحاب الأسرة الواحدة حكمَ هذه الإمارة، وقامت ثورة أطاحت بالأمير محمد الثامن(الملقّب بالأيسر)، وتولّى الأمر بعده أبو عبدالله الصغير، وفرّ الأيسر إلى تونس مستنجدا بالأمير الحفصي.

ولكنّ هذا لم يحسم النزاعَ داخل غرناطة، فقد اختلف أبوعبدالله الأحمر مع الوزير يوسف سراج الدين، ثمّ طرده، فالتجأ إلى ملك قشتالة النصراني يطلب عونه، فراحا يخططان معا لردّ الأيسر إلى عرشه، فاستدعي الأيسر من تونس، فرجع إلى الأندلس محمّلا بالهدايا الثمينة من سلطان تونس على ملك قشتالة، وبمساعدة هذا الأخير قام الأيسر بحصار غرناطة، ثمّ دخلها وقتل أبا عبدالله الأحمر، وعاد يوسف سراج الدين إلى وزارته، ولكن سرعان ما توتّرت العلاقات بين الأيسر وملك قشتالة بسبب ما طلبه هذا الأخير من شروط قاسية، كان منها الدخول في طاعته ودفع جزية سنوية، فرفض الأيسر ذلك، فعادت غارات القشتاليين على غرناطة، وامتدّ ذلك لسنوات.

وابتداء من سنة (٨٣٥هـ) أصبح الصراعُ السمةَ البارزةَ في حياة

غرناطة، فقد ثار النزاع من جديد بين الأيسر وخصومه، انتهى باستيلاء يوسف بن الأحمر على غرناطة بمساعدة القشتاليين، وفرّ الأيسر إلى مالقة، ثمّ عاد إلى حكم غرناطة من جديد، واستمرّ فيه إلى سنة(٨٤٥)، حيث تمكّن خصومه من الاستيلاء على غرناطة وتولّى حكمها الأمير محمد بن عثمان بن يوسف، الذي زجّ بالأيسر وأهلِه في السجن.

ولكنّ الصراع استمرّ طيلة تلك السنوات، كلّ هذا والعدوّ على الأبواب، والمتنازعون مشغولون بشهواتهم وصراعهم، حتى آل أمر غرناطة أخيرا إلى اقتسامها بين الأخوين المتصارعين: أبي الحسن علي بن سعد وأبي عبدالله محمد بن سعد المعروف بالزغل، وقد كان نزاعهما فرصة للنصارى ليواصلوا ابتلاعهم للحصون القريبة من غرناطة، وصار الخناق يضيق على غرناطة يوما بعد يوم.

وقد قام أهل غرناطة سنة(٨٨٢هـ)، ـ شعورا منهم بهذا الخطر الداهم ـ بإيفاد سفارة إلى السلطان العثماني محمد الثاني لإنجادهم، ولكنّه لم يفعل شيئا حيالهم؛ لانشغاله هو أيضا بردّ الأخطار التي تهدّد بلاده.

وفي سنة(٨٨٨هـ) تنازل أبو الحسن عن الإمارة لابنه أبي عبدالله محمد الملقّب بالصغير، الذي سرعان ما أسر من طرف القشتاليين، فاضطرّ

أبوالحسن إلى إسناد حكم إمارته إلى أخيه محمد بن سعد (الزغل)، ولكنّ القشتاليين أطلقوا سراح أبي عبدالله الصغير، ليبدأ صراع جديد بين العمّ وابن أخيه، ودخل القشتاليون على الخط لصالح أبي عبدالله الصغير، وبعد صراع طويل تمكّن أبوعبدالله من دخول غرناطة، واضطرّ الزغل إلى مغادرتها إلى مالقة، وذلك سنة(٨٩١هـ)، ومن هناك ركب إلى تلمسان، حيث أمضى فيها بقية عمره.

ثمّ اشتدّ حصار النصارى لما بقي من حصون مملكة غرناطة، ولم تنفع أصوات الاستغاثة التي وجّهها مسلمو غرناطة إلى السلطان العثماني بيازيد الثاني، ثمّ بعد ذلك إلى الملك الأشرف بمصر، وتركت غرناطة لتواجه مصيرها بنفسها، حتى خضع أميرها أبوعبدالله الأحمر الصغير للنصارى واستسلم لهم وسلّم غرناطة سنة(٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م)، ثمّ خرج يجرّ أذيال الخيبة وعبر البحر حيث استقرّ بفاس، حتى أدركه أجله سنة(٩٤٠هـ).

وكان هذا الجرح النازف حاضراً في وجدان الإمام السنوسي يعيشه لحظة لحظة، ويعبّر عنه كلّما سنحت له الفرصة.

وقد توفي الإمام السنوسي والنصارى على أبواب غرناطة يحاصرونها،

ولا شكّ أنّه مضى وفي نفسه غصّة وألم، نفث بعضه في مؤلفاته ـ ومنها شرحه على صحيح مسلم ـ عندما شكى زمانه وأهل زمانه والفساد الذي عمّ وطمّ وشغل الناس عن القيام بواجبهم الشرعي نحو إخوانهم في العقيدة، حتى سقطت الأندلس الخضراء بين أنياب النصارى، وطُويت بذلك صفحةٌ مشرقة من صفحات المجد والعلم والحضارة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولئن قصّر حكام المغرب كلّه بحقّ إخوانهم أهل الأندلس وأسلموهم لأعدائهم ليذلّوهم ويفعلوا بهم الأفاعيل، فإنّ أهل تلمسان كان لهم في تلك الأيام العصيبة دور إنساني كبير، فقد احتضنت أهل الأندلس الذين فرّوا بدينهم، وفتحت لهم ذراعيها، فأضحوا جزءا من نسيجها الإجتماعي، وأسهموا بدور كبير ـ بعد ذلك ـ في الحركة العلمية التي عاشتها تلمسان في تلك الفترة.

ولو تتبّعنا شرحَ السنوسي على صحيح مسلم لوجدنا مواضع يتعرّض فيها لحال الأندلس، خاصّة مع تلك الأسئلة الشرعية التي كانت ترد من بلاد الأندلس، تسأل عن كيفية التعامل مع الأوضاع الاستثنائية التي كان يعيشها المسلمون هناك، وهل يجوز البقاء في المدن التي سيطر عليها

النصارى وأضحت دار كفر، إلى غير ذلك، ولكن عذري في هذا أنّ الدراسة لهذا الكتاب اقتصرت على شرح الإمام السنوسي لمقدّمة الإمام مسلم وكتاب الإيمان من صحيحه.

والعزم قائم بحول الله على التوسّع في الموضوع مستقبلا بحول الله تعالى.

المبحث الثاني: الحالة العلمية في عصر السنوسي

رغم الظروف الصعبة التي سادت العصر الذي عاش فيه السنوسي، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من استمرار الحركة العلمية في تلمسان، فقد وجد في ذلك الزمن علماء كثيرون، كان لهم الأثر الكبير في النهضة العلمية التي شهدتها تلمسان وغيرها من بلاد المغرب الأوسط، فإضافة إلى الأسماء اللامعة التي ذكرناها في جملة شيوخ السنوسي وتلاميذه، كان من أقران السنوسي كوكبة من مشاهير العلماء، منهم الإمام التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، المتوفى سنة(٨٩٩هـ)، والإمام ابن زكري[١]، وهما اللذان قال فيهما أحمد ابن داوود البلوي الأندلسي، لما خرج من تلمسان وقد سئل عن علمائها، فقال: (العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري)[٢].

ومنهم الإمام المغيلي: محمد بن عبدالكريم بن عمر، المغيلي،

---

(١) البستان، ص٣٨.

(٢) نيل الابتهاج، ص٥٧٣. تعريف الخلف، ١/ ١٦٤. فهرس الفهارس، ١/ ٢٦٧.

التلمساني، المتوفى سنة(٩٠٩هـ)، صاحب قصّة يهود توات[١].

ومنهم الإمام الونشريسي: صاحب المعيار المعرب[٢].

إضافة إلى جملة من علماء الأندلس الذين لجأوا إلى تلمسان وغيرها من حواضر المغرب، فرارا بدينهم من بطش النصارى وفتنتهم، وأسهموا في الحركة العلمية التي شهدتها تلمسان.

وهكذا يمكن القول إنّ العصر الذي عاش فيه الإمام السنوسي كان من الناحية السياسية يشهد استقرارا متقطّعا في تلمسان وغيرها، نظرا لظروف المغرب الأوسط خاصّة، وظروف المغرب بصفة عامّة، إضافة إلى الأحداث المثيرة التي كانت تجري على أرض الأندلس، والتي كانت تلقي بظلالها على المسلمين في كلّ مكان، ولكن هذا كلّه لم يمنع الحركة العلمية من النشاط والامتداد.

(١) البستان، ٢٥٥.

(٢) البستان، ص٢٣٦.

الفصل الثاني

حياة الإمام السنوسي ونشأته

وأثر البيئة الصوفية في بناء

شخصيته

المبحث الأوّل: مولده ونشأته

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، عالم تلمسان وإمامها وبركتها، يلقب بالسنوسي، نسبة إلى سنوسة قبيلةٍ من البربر بالمغرب[١]، وتعرف هذه المنطقة اليوم بأولاد السنوسي، وتبعد عن مستغانم بأربعة وعشرين كيلومتر[٢].

وقد استدرك الإمام الزبيدي على الشيرازي اسم سنوسة، فقال: (ومما يستدرك عليه: سنوسة: قبيلة من البرابرة في المغرب، وإليهم نسب الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي لأنه نزل عندهم وقيل: بل هو منهم، وأمه شريفة حسنية، كذا حققه سيدي محمد بن إبراهيم الملالي في المواهب القدوسية، ووجد بخطه على شرح الآجرومية له: السنوسي العيسي الشريف القرشي القصار. قلت: العيسي من بيت عيسى توفي سنة ٨٩٥)[٣].

ويلقب أيضا بالحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم

(١) لب اللباب في تحرير الأنساب، ١/ ٩٧.

(٢) هذا ما أفادني به أحد الأساتذة الفضلاء.

(٣) تاج العروس، ١/ ٣٩٧٤.

أبيه، وهو تلمساني أيضا نسبة إلى تلمسان، المدينة التاريخية العظيمة.

ولد الإمام السنوسي بعد ٨٣٠هـ[1]، وبعض المصادر حدّدت تاريخ

---

(١) هناك خلاف في تحديد السنة التي ولد فيها الإمام السنوسي، وقد رجّح بعض الباحثين أن يكون مولده بين سنة (٨٣٨هـ) و سنة (٨٣٩هـ)، وذلك بناء على ما ذكره تلميذه الملالي من أنّه سأله قبل وفاته بعام أو عامين فأخبره أنّ سنّه خمس وخمسون سنة، فإذا طرحنا ذلك من تاريخ وفاته الذي ذكره تلميذه أيضا وهو سنة(٨٩٥هـ)، فيكون عمره بين (٥٦) أو (٥٧) عاما. انظر: محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، اسعيد عليوان (رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة)، ص١٩ ـ ٢٠.

انظر مصادر ترجمة محمد بن يوسف السنوسي:

المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي، وهو مخطوط، منه نسخة على الميكروفيلم في مركز جمعة الماجد بدبي ـ الإمارات العربية المتحدة، عن نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس.

دوحة الناشر، ١٢١.

نيل الابتهاج: ٥٦٣ ـ ٥٧٢ .

البستان، ٢٣٧ ـ ٢٤٧.

تعريف الخلف ١: ١٧٦.

معجم سركيس: ١٠٥٨.

تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ٢/ ٢٥٠، وتكملته، ٢/ ٣٥٢.

الأعلام، للزركلي، ٧/ ١٥٤.

=

ولادته بسنة(٨٣٢)[1]، والبعض حدّد ذلك بسنة(١٤٢٨م)، وهو يوافق بالهجري سنة(٨٣٥هـ)[2].

وقد نسبه الديسي فقال: (التوحيدي)[3]، في إشارة واضحة إلى اشتهاره بالكتابة في علم التوحيد، ولا عجب في ذلك، فكتبه الكثيرة في

=

دليل مؤرخ المغرب، ٢٩٢ .

إيضاح المكنون، ٢/ ١٩٩، ٤٤٨، ٦٥١.

معجم المؤلفين، ٢/ ١٣٢

أعلام الجزائر: ١٨٩ .

وللتنبكتي أحمد بابا مختصر ترجمة السنوسي. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/١٧١.

موسوعة أعلام المغرب، ٢/٧٩٥.

معجم مشاهير المغاربة، ص٢٩٢.

هذا، وقد أخبرني ـ بعد أن طبع البحث ـ أحد الأساتذة الأفاضل أنّ بحوزته مخطوطا في ترجمة الإمام السنوسي لمؤلف مجهول، ولكنني لم أتمكن من الاطلاع عليه.

(١) انظر: معجم المؤلفين، ١٢/ ١٣٢. معجم مشاهير المغاربة، ص٢٩٢.

(٢) انظر: مجلة التاريخ العربي، مجلة التاريخ العربي، ١/١٥٣٢٩. وقد وقع للكاتب هنا وهم، حيث قال: (علي بن محمد بن يوسف السنوسي)، وهو خطأ واضح.

(٣) تعريف الخلف، ١/١٧٩.

العقيدة تؤكّد ذلك وتؤيّده.

وربّما يقع عند البعض خلطٌ فلا يميزون بينه وبين غيره ممّن ينتسب إلى هذه الأسرة العريقة.

ومن ذلك أنّ أحدهم خلط بينه وبين محمد بن علي السنوسي، المتوفى سنة(١٢٧٦هـ)، صاحب الطريقة السنوسية الاوّل[1]، وابنه محمد بن محمد بن علي السنوسى، المهدى، زعيم السنوسية الثاني، المتوفى سنة(١٣٢٠هـ)[2].

نشأ الإمام السنوسي بتلمسان حاضرة العلم العلم في ذلك الزمان، خيِّرًا، مباركا، فاضلا، صالحا، في أسرة دين وعلم، فقد كان أبوه صاحب علم، وعنه أخذ السنوسي أوّل مبادئ علومه، والظاهر أنّه لم يتتلمذ على الإمام ابن مرزوق الحفيد؛ لأنّه كان يومها صغيرا، وقد ذكر التنبكتي ما يؤكّد ذلك، قال: (وسمعت أيضا أنّه كان في صغره إذا مرّ مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد وضع يده على رأسه ويقول: نقرة

(١) الأعلام، ٦/ ٢٩٩.

(٢) الأعلام، ٧/ ٧٦. انظر: هامش كتاب: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد ين عبد الوهاب، ١/ ٢٩. وانظر أيضا: مقدّمة محقق أم البراهين، ص٩ (بالهامش).

خالصة)[١].

ثمّ تطلّعت نفسه للأخذ عن علماء عصره، فأخذ القراءات عن السيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني، وعلمَ الاصطرلاب عن العالم المعدل أبي عبدالله الحباك، والأصولَ والمنطق عن الإمام محمد بن العباس، والفقه عن الفقيه الجلاب[٢]، وأخذ الرسالة عن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي أخيه لأمه، وأخذ الفرائض والحساب عن الإمام الشهير أبي الحسن القلصادي الأندلسي، وحظي منه أيضا بإجازة لجميع ما يرويه وغيره.

وأخذ كتاب الإرشاد لأبي المعالي والتوحيد عن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكنابشي.

وأخذ الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي، وقد حظي منه بإجازة لهذه المؤلفات وغيرها.

وكان للولي الكبير الصالح الحسن أبركان الراشدي[٣] أثر كبير في

(١) نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/١٨٧.

(٢) انظر تراجمهم في مبحث: شيوخ السنوسي.

(٣) انظر ترجمته في مبحث: شيوخ السنوسي.

شخصية الإمام السنوسي، فقد كان يحضر عنده كثيرا فانتفع بـه وببركتـه، وكان الحسن أبركان يحب الإمام السنوسي ويؤثره ويدعو لـه، فحقـق الله فيه فراسته ودعوته[١].

وله مشايخ غير هؤلاء أخذ عنهم واستفاد من علومهم[٢].

وفي جانب التربية الصوفية أيضا تتلمذ السنوسي على يد الإمـام الـولي الزاهـد إبـراهيم التـازي، حيـث ألبـسه خرقـة الـصوفية وحدثـه بهـا عـن شيوخه، وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها.

وقد امتزج التحصيل العلمي في حياة السنوسي بالتربية الصوفية، فـلا غرو أن يشتهر صلاحه وعلمه معا، فيلقى قبولا بين الناس، وينتشر الثناء عليه وعلى علمه وصلاحه.

وليس بين أيدينا الشيء الكثير مـن تفاصـيل حياتـه إبـان طلـب العلـم وملازمة الشيوخ، لكنّ سرعـان مـا اكتمـل عـوده ونـضج عقلـه واكتمـل تحـصيله العلمـي، فـذاع صـيته واشـتهر بـين علـماء عـصره، ولكـن لغلبـة الجانب الصوفي عليه، مارس نوعا من العزلة التي دعا إليها بعـد ذلـك في

(١) انظر: نيل الابتهاج، ص١٦١.

(٢) سوف يأتي الحديث عنهم في مبحث: شيوخ السنوسي.

كتبه، ورأى أنّها واجبة في حقّ كلّ الأفراد، وهي أوجب في حقّ العلماء، ولكنّه لم يكن يريد بذلك العزلة الكاملة عن المجتمع، بدليل ما سنراه من علاقاته مع عموم الناس، ومراسلاته إلى إخوانه العلماء، يباحثهم في مسائل العلم، ويشدّ على أيديهم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسعيه في قضاء حوائج الناس وغير ذلك.

وقد حفظ لنا تلميذه الملالي برنامجا يوميا كان السنوسي يأخذ به نفسه، ولا يقطعه إلاّ لأمر قاهر، حيث كان يصلّي الصبح في مسجده ويقرأ ورده، فإذا فرغ من ذلك أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد، ثمّ يخرج فيقف مع الناس ساعة بباب داره، ثمّ يدخل فيصلّي الضحى قدر قراءة عشرة أحزاب، ثمّ يشتغل بالمطالعة في وقت طول النهار، وربّما زالت الشمس وهو في الضحى، وبعد الزوال يخرج إلى الخلوات، فلا يرجع إلاّ للغروب.

أو يبقى في بيته فيتوضّأ ويصلّي أربع ركعات، ثمّ يخرج إلى مسجده فيصلّي بالناس الظهر، ويتنفّل أربعا ويقرئ، ثمّ يتنفّل وقت العصر أربعا، ويصلّي العصر ويقرأ، ثمّ يخرج إلى داره، ويشتغل بالورد إلى الغروب، ثمّ يخرج للمغرب، ويتنفّل بستّ ركعات، ويبقى في المسجد حتى يصلّي

العشاء ويقرأ ما تيسّر، ثمّ يرجع إلى داره فينام ساعة، ثمّ يشتغل بالنظر أو النسخ ساعة، ويتوضّأ ويصلّي، أو يذكر الله تعالى حتى يطلع الفجر، كان هذا أكثرَ حاله رحمه الله(١).

وقد اكتمل في الإمام السنوسي رحمه الله جانبان قلّ أن يكتملا في عالم، وهما جانب التحصيل العلمي، والجانب التربوي، أعني مجاهدةَ النفس وحمْلَها على قطع أسبابها بالدنيا وأهلها، والإقبالَ على سلوك طريق الصالحين.

وقد ألّف تلميذه الملالي(٢) كتابا في مناقبه، أشاد فيه بهذين الجانبين الذين بلغ الإمام السنوسي فيهما الغايةَ، وبهما وُضع له القبولُ في قلوب الناس وسارت بذكره الركبان، وتلقّف العلماء كتبه وأنزلوها من أنفسهم المحلّ المقبول والمنزل المأمول.

وسوف نلخّص من كلام تلميذه الذي عاش معه وخبر أحواله ما يوضّح قوّة هذين الجانبين في شخصية الإمام السنوسي.

الجانب العلمي في حياة الإمام السنوسي

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي، ١/١٨٦، بتصرّف واختصار.

(٢) انظر ترجمته في مبحث: تلاميذ السنوسي.

ففي الجانب العلمي كان للإمام السنوسي من العلوم الظاهرة أوفر نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيرَه، سيما التوحيد والمعقول، فقد شارك فيها غيرَه، بل زاد على الفقهاء، مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد.

ونظرا للتربية الروحية التي نشأ عليها الإمام السنوسي، فقد كان لا يقرأ هذه العلوم حتى يخرج منها إلى علوم الآخرة، سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة. قال تلميذه الملالي: (سمعته يقول: ليس من علم من علوم الظاهر يورث معرفتَه تعالى ومراقبتَه إلا التوحيد، وبه يُفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد خوفُه).

وفي مجال علم التوحيد، فقد بلغ في تحصيله وتحقيقه الغاية، وعندما ألّف كتابه (أم البراهين)، المعروف بالسنوسية الصغرى، طار هذا الكتاب كلَّ مَطار، وحلّ في جميع الأقطار، فلا يحصى كم شارح له أو مختصر، أو ناظم له، أو مقيّد عليه الفوائد والفرائد، وكلّ من قرأ هذا الكتاب يلحظ هذه المسحة الإيمانية التي ترافقه صفحاته على قلّتها[1].

---

(١) سوف يأتي الحديث لاحقا -بإذن الله تعالى- عن مؤلفاته في جميع فروع المعرفة الشرعية.

ولم يتردّد الإمام السنوسي في التحدّث بنعمة الله التي أنعم بها عليه، فقد نقل عنه الإمام الشاوي الملياني أنّه قال: (رزقني الله مسائل قد ابتلي بالغلط فيها من عرف بكثرة الحفظ والإتقان)[١].

الجانب التربوي في حياة الإمام السنوسي

وقد ظهر هذا الجانب أوّلا في سيرته التي سطّرها من عرفه وعاش معه من أقرانه وأصحابه وتلامذته.

فقد ذكر تلميذه الملاّلي من أحواله ما يقف الإنسان أمامه مندهشا معجَبا، وسوف نختصر منه هنا ما يفي بالغرض ولا يخلّ بالمقصود[٢].

أمّا عن حاله مع الله، فكان يؤثر حبّ مولاه ويراقبه، لا يأنس بأحد، بل يفرّ كثيرا إلى الخلوات، يطيل الفكرة في معرفته، كثير الخوف، طويل الحزن، مستغرقا في الذكر، فلا يشعر بمن معه، فانكشفت له عجائب

---

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٦٠/٦. قال الشاوي: (قيل: أشار لابن زكري). وسيأتي ذكر الخلاف الذي وقع بينه وبين هذا الإمام، وتأتي هناك ترجمة ابن زكري.

(٢) المواهب القدسية (مخطوط). وقد أورد التنبكتي طرفا من ذلك الكتاب بعد اختصاره. انظر: نيل الابتهاج، ص٥٦٤ ـ ٥٧٠. وانظر أيضا: تعريف الخلف، ١٨٢/١.

الأسرار، وتجلّت له الأبصار.

كان حاله في الدنيا أشبه بالمسجون، لشدّة خوفه ومراقبته لربّه، وقد كان دائم القيام، كثير الصيام، يفطر على اليسير من الطعام، يلبس ما حضر من اللباس ممّا اعتاده الناس.

أمّا عن حاله مع الخلق، فكان رحيما متبسما في وجه من يلقاه، متواضعا، حسن الخلق، رقيق القلب، يقبل على من يحدّثه، ويحسن الحديث معه، يرحم الأطفال فيتزاحمون على تقبيل يده، إذا مشى كان هيّنا ليّنا، لا ترى أحسن خلقا، ولا أوسع صدرا، ولا أكرم نفسا، ولا أعطف قلبا، ولا أحفظ عهدا منه، يوقّر الكبير، ويقف مع الصغير، ويتواضع للضعفاء، ويشفق عليهم، ويسعى في قضاء حاجاتهم عند السلطان، ويصبر على أذيتهم، فوضع له من القبول في الأرض ما لم ينله غيره من أهل عصره، فارتحل إليه الناس من كلّ مكان.

أمّا زهده وإعراضه عن الدنيا فمن الشهرة بمكان، حتى سارت به الركبان، وله في ذلك قصص غريبة وحكايات عجيبة.

وأمّا وعظه، فكان شيئا يقرع الأسماع، وتقشعر منه الجلود، حتى ليخال كلُّ من يسمعه أنّه هو المعني بحديثه، والمقصودُ بكلامه، جُلُّ

كلامه في الخوف والمراقبة وذكر أحوال الآخرة.

أمّا عن ذكره، فكان دائمَ الذكر في كلّ أحواله، لا يفتر ولا ينقطع، حتى أثناء حديث الناس معه، وكان يقول: (الحقيقةُ امتثالُ الأمر واجتناب النهي، مع كمال الذلّة والخضوع).

أما ورعه، فكان فيه مضربَ المثل، فكان يبغض الاجتماع بأهل الدنيا والنظرَ إليهم والتقرّبَ منهم، ولا يسعى إلى الاستزادة من معرفة الناس، ويودّ أن لا يراه أحد، قال لتلميذه الملالي يوما: (والله! يا ولدي! أتمنّى أن لا أرى أحدا، ولا يراني أحد، بل أشتغل وحدي، وما يأتيني من قِبل الناس، إن قصدوا نفعي سلّمت لهم فيه، لا حاجة لي بأحد ولا بماله)[1].

وقد طلب منه السلطان أن يَطلَع إليه ويقرأ التفسير بحضرته ـ على عادة المفسّرين ـ فامتنع من ذلك، فألّح عليه، فكتب إليه معتذرا بغلبة الحياء له، وأنّه لا يستطيع الكلامَ هناك، في قصص أخرى تدلّ على مبلغ ورعه وتحرّزه من حضور هذه المجالس أو الاجتماع بأهلها، وغير ذلك من مظاهر الورع[2].

(١) المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ١/ ١٨٣.

(٢) انظر أمثلة ذلك في المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

وبمناسبة ختمه لتفسير القرآن رغب إليه الوزير في الحضور، فلما بلغه ذلك وقد كان رتب لتفسير سورة الإخلاص يوما، ولتفسير المعوذتين يوما، بادر فجعل تفسير الكلّ في يوم واحد، خشية حضور هذا الوزير[١].

أمّا حياؤه، فله فيه قصصٌ أخرى، جعلته يقول لأخيه عليّ التالوتي يوما: (إذا دخل النار أحدٌ بالحياء فأنا أدخلها)[٢].

أمّا حِلمُه على الناس وصبرُه عليهم، فكان شيئا عظيما، فربما سمع منهم ما يكره فيتصامم عنه، ولا يؤثّر فيه، بل يبتسم، ولا يغضب لذلك، ولا يهتمّ به، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه، ويفاتح من يتكلّم في عرضه بكلام طيّب وإعظام حتى يستلّ سخيمة نفسه، فيعتقد أنّه صديقه. تعرّض له بعض معاصريه بالنقد والذمّ عندما ألّف بعض عقائده، وتناولوه بما لا يليق، فتغيّر أياما وحزن لذلك، ولكنه حلم عنهم وسامحهم، بل لم يمنعه ذلك من أن يثني على من يستحقّ الثناء منهم، وهذا لعمري قمّة الإنصاف، ولقد عرف مخالفوه منه ذلك فاعترفوا له

(١) المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ١/١٨٢.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ١/١٨٣.

بالفضل وأقرّوا به، وجاء إليه بعضهم في مرض موته يطلبون أن يسامحهم، فسامحهم.

أمّا إصلاح ذات البين، فكان خلقا من أخلاقه الرفيعة، فقد كان يصلح بين الخصوم.

أمّا شفقته على الخلق، فقد بلغت به أنّه كان يشفق على الحيوان، حتى الدابة الصغيرة التي تدبّ على الأرض، رأى يوما من يضرب دابّة ضربا عنيفا، فقال لضاربها: (ارفُق يا مبارك)، وكان ينهى المؤدبين عن ضرب الصبيان، ويقول: (لله تعالى مائة رحمة، لا مطمع فيها إلاّ لمن اتّسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم)[١]. ولم يكن يدعو على أحد.

ومن أخلاقه التي هي أثر من قوّة إيمانه إحسانُ ظنّه بالعلماء السابقين والذودُ عن أعراضهم والتماسُ الأعذار لهم.

فقد تكلّم الإمام السنوسي عن القدرة، وأنّها لا تأثير لها في أفعال العباد، وذكر أنّ هناك أقوالا أخرى لأهل السنة في تفسيرها، ثمّ قال: (ولا يصح نسبتها لهم، بل هي مكذوبة عنهم، ولئن صحت فإنما قالوها

(١) المواهب القدسية(مخطوط). البستان، ص٢٤٢، تعريف الخلف، ١/ ١٨٤.

في مناظرة مع المعتزلة جر إليها الجدل)[١].

قال العطار: (ولكن هذه الأقوال قد نقلها كثير من المحققين في كتبهم عنهم واشتهرت، وقد نقلها صاحب نهاية الإقدام عن أربابها، واحتج على صحتها، وفي الشامل لإمام الحرمين التصريح بما نسب إليه، وما قاله الشيخ السنوسي حُسنُ ظَنٍّ منه)[٢].

إنّنا لا نملك أمام هذا السجلّ المشرق للإمام السنوسي إلاّ أن نقول: هذه أخلاق العلماء الربانيين، التي تعلّموها من أستاذهم الكبير وقدوتهم الأعظم محمد r ، ولا غرو في ذلك، فمهما اغترف المسلم من بحر حياته r ، فلا شكّ أنّه يحقّق من السموّ والكمال البشري بقدر اغترافه من ذلك المعين الذي لا ينضب من الأخلاق العالية والقيم الجميلة في علاقة المسلم بربّه وبالناس وبالكون من حوله، بما فيه من حيوان وجماد.

كما ظهر الجانب التربوي أيضا في مؤلفاته، ففي كثير منها يلحظ القارئ المسحة الإيمانية في كتابته، كما يلاحظ أنّ الإمام السنوسي في كثير من كتبه كان يبتهل أيّ مناسبة تتعلّق بقضية تربوية حتى ينطلق في

---

(١) حاشية العطار، ٦/١٤٥، نقلا عن شرح الكبرى للسنوسي.

(٢) حاشية العطار، ٦/١٤٥.

تفصيلها واستجلاء جوانبها ودعوة الناس إليها.

وقد أمكننا أن نلاحظ من خلال شرحه لصحيح الإمام مسلم، وفي كتاب الإيمان خاصّة كيف أنّه كان يقف كثيرا عند القضايا التربوية في الحديث، ويسعى إلى إبرازها والتأكيد عليها، دون أن يخلّ بمقاصد شرح الحديث الأخرى.

وقد عقدت مبحثا استعرضت فيه نماذج من هذه العناية الخاصة بالقضايا التربوية الواردة في الحديث مباشرة، أو ما يمكن أن يستنبطه هو من معان سامية يسعى إلى غرسها في قلوب الناس، بأسلوب رقيق يعبّر عن نفس شفّافة صافية، قد غسلت بمياه التوحيد الصافية فأشرقت أنوارها في حياته ومن خلال مؤلفاته.

وهكذا يمكن القول إنّ الإمام السنوسي قد جمع صفات العالم الرباني، الذي استكمل أدوات المعرفة، ثمّ كان في سلوكه العملي خيرَ دليل على عمق التربية الروحية التي كان عليها، رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: رحلاته العلمية

كانت الرحلة ـ ومازالت ـ شرفا لكلّ طالب علم، وكان اقتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدح في قيمة ما يحمله من علم[(١)].

والحق أنّ كلّ العلماء الذين خلّدوا أسماءهم في سجل الإبداع العلمي كانت الرحلة في حياتهم شيئا طبيعيا، قال العلامة ابن خلدون: (... فالرحلة لا بد منها لطلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال)[(٢)].

ولم تكن الرحلة في الأزمنة السابقة لطلب العلم فقط، وإنّما كان من مقاصدها في أحيان أخرى التبرّك بالجلوس إليهم، والأخذ من أحوالهم مع الله، والتخلّق بأخلاقهم، وهذا الأمر كان سائدا عند طلاب العلم سابقا.

---

(١) من ذلك قول يحي بن معين: (أربعة لا تؤنس منهم رشدا ... وذكر منهم: ورجل يكتب في بلده ولايرحل في طلب الحديث). انظر: علوم الحديث، ص ٢٤٦. الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي، ص ٨٩، وفيه نقول أخرى تؤكد أمر الرحلة ولزومها لكل طالب علم.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٤١.

قال إبراهيم بن حبيب الشهيد: (قال لي أبي: يا بني! ائت الفقهاء والعلماء، وتعلّم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإنّ ذلك أحبّ إليّ لك من كثير من الحديث)[١].

وسيرا على هذه السنة الحميدة لم يتأخّر الإمام السنوسي في الرحلة في طلب العلم.

فقد ذكر الملالي أنّ الإمام السنوسي تتلمذ على شيخه الثعالبي في الجزائر العاصمة. قال الملالي: (ولما قرأ عليه ـ يعني على الثعالبي ـ شيخنا في الجزائر ارتحل من الجزائر، وجاء هو وأخوه سيدي علي التالوتي ...)[٢].

وممّا يحفظه تاريخُ السنوسي أنّه قدم مدينة وهران لزيارة الشيخ إبراهيم التازي[٣]، وهي المناسبة التي سمع فيها الإمام ابنُ جيدة المديوني من الإمام السنوسي مقدّمتَه الصغرى في العقائد[٤].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ١/ ١٢١.

(٢) المواهب القدسية (مخطوط).

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٤٢.

(٤) جذوة الاقتباس، ص١٥٨. تعريف الخلف، ٢/ ٤٢.

وقد بيّن الملالي أنّ زيارة السنوسي لوهران كانت بعد رجوعه من الجزائر العاصمة، وأنّه أقام عنده نحواً من خمسة وعشرين يوما[١].

ورغم أنّ ابن القاضي لم يذكره في جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينةَ فاس، ولا أعرف سببا لذلك، فإنّ الثابت أنّ السنوسي دخل فاس ووقعت بينه وبين بعض علمائها مناظرة حول قوله r : (لا تسبوا الدهر فإنّ الله هو الدهر)[٢]، وقد كانت مناظرة رائعة نقل إلينا الملالي تفاصيلَها، ونصَّ كلام السنوسي الذي يفيض حجّة وبرهانا، ويدلّ على تمكّنه من علوم اللغة والمنطق والأصول[٣].

---

(١) المواهب القدسية (مخطوط).

(٢) رواه البخاري. كتاب الأدب / باب: لا تسبوا الدهر(٦١٨١، ٦١٨٢) . ومسلم. كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها / باب: النهي عن سب الدهر(٤١٦٩)، من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم.

(٣) انظر هذه المناظرة في: المواهب القدسية (مخطوط).

المبحث الثالث: شيوخه

وراء كلّ طالب عظيم مشايخ عظماء، هذا الذي يمكن قوله بصدد الحديث عن مشايخ الإمام السنوسي، ففي سجلّه العلمي جملة وافرة من كبار علماء زمانه وصالحيه، عنهم تلقّى العلم، ومنهم أخذ أخلاق العلم وآدابه، وكان لبعضهم أثر واضح في حياته العلمية والعملية.

وقد حاولت تتبّع مشايخ الإمام السنوسي من خلال ما توفّر عندي من مصادر ومراجع، ولا أدّعي أنّني استوفيت ذلك، ولكن ظنّي أنّي أتيت على ذكر معظمهم، ويبقى المجال مفتوحا لإضافة غيرهم.

١. والده الشيخ يوسف بن عمر بن شعيب، الحسني، فعنه تلقّى أوّل مبادئ العلوم والمعارف، وكان رجلا صالحا، زاهدا، حرفته تعليم القرآن الكريم للأولاد في الكُتّاب، وكان السنوسي الصغيرُ أحدَهم، فقرأ عليه القرآن الكريم.

٢. الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي، القرشي، البسطي، الشهير بالقَلَصادي، الصالح الرحلة، المؤلف، الفرضي، آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس، وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض. أخذ عنه الإمام السنوسي جملةً من الفرائض والحساب، وقد

أجاز القلصادي للإمام السنوسي عامةَ ما له من مروي ومؤلَّف[١].

٣. الشيخ العلامة نصر الزواوي. قال الملالي: (كان عالما محققا، زاهدا، عابدا، وليا، صالحا .. من أكابر تلاميذ الإمام ابن مرزوق، قرأ عليه السنوسي كثيرا من فن العربية، ولازمه كثيرا)[٢].

٤. الشيخ أبو عبدالله محمد بن قاسم بن تومرت، الصنهاجي، التلمساني، قال الديسي: (غير ابن تومرت مهدي الموحدين)[٣]. قال عنه تلميذه السنوسي: (كان شيخا صالحا، عالما بعلوم المنقول والمعقول والنحو والحساب والفرائض والأوفاق والخط والهندسة ووفي كلّ علم). وقال عنه أيضا: (ما رأيته قط نظر في كتاب، إلاّ مرّة واحدة .. قرأت عليه جملة من الحساب والفرائض، ولازمته كثيرا ..)[٤].

---

(١) البستان، ص١٤١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٦٩٢. فهرس الفهارس، ٢/٩٩٨. وانظر في ترجمة القلصادي هذه المصادر أيضا: الضوء اللامع، ٥/١٤. نيل الابتهاج، ٣٣٩. الأعلام، ٥/١٦٣.

(٢) المواهب القدسية (مخطوط). نيل الابتهاج، ص٦١٥. البستان، ٢٩٥.

(٣) تعريف الخلف، ١/١٨٠.

(٤) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٥٣. البستان، ص٢٣٧. تعريف الخلف، ١/١٦٢.

٥. الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني. قال الملالي: (كان فقيها، وجيها، نزيها، عالما، عاملا، أستاذا، مقرئا، محققا. قرأ عليه شيخنا السنوسي القرآن، ختمه عليه مرّتين بالسبع، وأجازه فيها وفي غيرها من سائر مروياته)[١].

٦. الإمام الحباك: وهو أبو عبدالله محمد بن يحمد بن يحيى، التلمساني، الشهير بالحباك، المتوفى سنة(٨٦٧هـ). فقيه، فرضي، حاسب فلكي، ناظم. من تصانيفه: بغية الطلاب في علم الاسطرلاب، وشرحه عليها، شرح تلخيص ابن البناء، نظم رسالة الصفار في الاسطرلاب، وشرح على التلمسانية في الفرائض[٢]. وقد أخذ عنه الإمام السنوسي علم الاسطرلاب[٣]. وهو الذي شرح الإمام السنوسي أرجوزته: بغية الطلاب في علم الاسطرلاب، قال عنه التنبكتي: (شرح جليل)[٤].

(١) نيل الابتهاج، ص٦٣٠. البستان، ص٣٠٤. تعريف الخلف، ١/ ١٨٠.

(٢) نيل الابتهاج، ص٥٤٣. البستان، ص٢١٩ - ٢٢٠. معجم المؤلفين، ٩/ ٢٧. الأعلام، ٥/ ٣٣٣. هدية العارفين، ٢/ ٥٤.

(٣) نيل الابتهاج، ص٥٦٤. تعريف الخلف، ١/ ١٨٠.

(٤) نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨.

٧. الإمام ابن العباس: وهو أبو عبدالله، محمد بن العباس بن محمد بن عيسى، العبادي، التلمساني، المتوفى سنة(٨٧١هـ)، كان فقيها نحويا، شيخ شيوخ وقته في تلمسان. توفي بالطاعون. أخذ عنه السنوسي عِلمَي الأصول والمنطق، وأخذ عنه من العلماء التنسي والكفيف ابن مرزوق، وابن زكري، والمازوني، والونشريسي، وابن غازي، وغيرهم[1].

٨. الإمام الفقيه الجلاب: وهو محمد بن أحمد بن عيسى، المغيلي، الشهير بالجلاّب، التلمساني، المتوفى سنة (٨٧٥هـ). أحد الفقهاء المشهورين. ختم عليه السنوسي المدوّنة مرّتين، وكان يقول عنه: (إنّه حافظ لمسائل الفقه). ووصفه المازوني بصاحبنا الفقيه، وقال عنه الونشريسي: (شيخنا الفقيه المحصّل الحافظ). له فتاوى في المازونية والمعيار[2].

٩. الولي الكبير الصالح الحسن بن مخلوف المزيلي الراشدي، أبو علي، المشهور بأبركان، ومعناه بالبربرية: الأسود، المتوفى سنة (٨٥٧هـ)، وهو

---

(١) البستان، ص٢٢٣. الأعلام، ٦/١٨٣. تعريف الخلف، ١/١٨٠. معجم المؤلفين، ١٠/١٢١.

(٢) نيل الابتهاج، ص٥٥٢. البستان، ص٢٣٦. تعريف الخلف، ١/١٢٧.

أخو الإمام السنوسي لأمّه، حضر عنده السنوسي كثيرا ولازمه طويلا، وكان يقول:(رأيت المشايخ والأولياء، فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان)[١].

وكان إذا دخل عليه السنوسي يتبسّم له ويقول:(جعلك الله من الأئمة المتقين)[٢]. وله كرامات مذكورة في سيرته تدلّ على فضله وعلمه وحسن حاله[٣]. وقال عنه القلصادي في رحلته:(وحضرت مجلس الولي الصالح الحسن أبركان، وشهرته تغني عن تعريفه)[٤].

وقد وقع في تعريف الخلف خطأن:

- في: ١ /١٥٨، حيث جعل الحسنَ بن مخلوف تلميذا للسنوسي، والظاهر أنّ هناك سقطا، والتقدير: أخذ عن الإمام إبراهيم المصمودي

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص١٦١. البستان، ص٧٤. تعريف الخلف، ٢ /١٣٨.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ٢ /١٣٨.

(٣) انظر: المواهب القدسية(مخطوط). النجم الثاقب(مخطوط). تعريف الخلف برجال السلف، ٢ /١٣٨.

(٤) رحلة القلصادي، ص١٠٨، تعريف الخلف، ١ /١٣٩.

... وعنه السنوسي ..الخ[١].

وفي: ١٣٨/٢، عكس الأمر فجعل السنوسي تلميذا للحسن أبركان، وهذه هي الترجمة المعتمدة عنده، ولكنّه ذكر أخيرا أنّ وفاة الحسن أبركان كانت سنة(٨٠٧هـ)، وهذا خطأ واضح، والصواب أنّ وفاته كانت سنة(٨٥٧).

١٠. التالولي الأنصاري: وهو الفقيه الحافظ أبو الحسن، عليّ بن محمد، التلمساني، المتوفى سنة (٨٩٥هـ)، قبل السنوسي بقليل، وهو أخو الإمام السنوسي لأمه. كان محققا، متقنا، حافظا، من أكابر أصحاب الحسن أبركان. قرأ عليه أخوه السنوسي الرسالة في صغره[٢]، وأخذ عنه غير ذلك[٣].

١١. الإمام الورع الصالح أبو القاسم الكنابشي البجائي، ذكر الملالي أنّه كان إماما، عالما، صالحا، ورعا، قرأ عليه الإمام السنوسي

(١) انظر: نيل الابتهاج، ص١٦١.
(٢) البستان، ص١٣٩. تعريف الخلف، ١٥٩/١، ٢٧٦/٢ ـ ٢٧٧.
(٣) انظر: البستان، ص٢٣١.

وأخوه أبوالحسن التالوتي كتاب الإرشاد لأبي المعالي في التوحيد[١].

١٢. الإمام الحجة الورع الصالح أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، الثعالبي، الجزائري. ولد في الجزائر سنة ٧٨٦هـ، ثمّ رحل في طلب العلم إلى المشرق، وعاد إلى بلاده بعلم غزير. اتفق الناس في عهده على صلاحه وإمامته. ترك كتبًا كثيرة نافعة، أبرزها الجواهر الحسان في تفسير القرآن وقد انتقاه ـ كما يقول ـ من كتب التفسير السابقة وأضاف إليه ماتيسّر له، فجاء كتابه مملوءاً بنفائس الحكم وجواهر السُّنن الصحيحة. وله كتاب الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز. توفي سنة ٨٧٦هـ، في الجزائر ودفن فيها. كان أحد أولياء الله الصالحين، والعلماء العارفين، صاحب التصانيف العظيمة، منها تفسيره (الجواهر الحسان) و(العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة). أخذ عنه السنوسي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه ما يجوز له وعنه[٢]. ويعتبر الثعالبي من أكثر المشايخ الذين استفاد منهم السنوسي وروى عنهم.

---

(١) المواهب القدسية (مخطوط). وفيه أنّ أبا القاسم الكنابشي مكث في بيت السنوسي شهرا يدرّسه كتاب الإرشاد للجويني. وانظر: تعريف الخلف، ٢/٣٣.

(٢) تعريف الخلف، ١/٦٨.

١٣. الإمام العالم العلامة، أبو سالم وأبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن عليّ، اللنتي[١]، التازي، نزيل وهران، كان أحد الأئمّة الصالحين، إماما في علوم القرآن، مقدّما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله. وله شعر جيّد، أخذ عنه السنوسي والتنسي وأحمد زروق، وغيرهم[٢].

١٤. إبراهيم الوجديجي التلمساني، المتوفى في العشرة الرابعة من القرن العاشر. ذكره ابن مريم ضمن تلاميذ السنوسي[٣].

١٥. أبو القاسم الكنابشي، التلمساني[٤]. اشترك الإمام السنوسي مع أخيه أبي الحسن عليّ التالوتي في الأخذ عنه، فأخذ عنه السنوسي كتاب الإرشاد لأبي المعالي، وأخذ عنه التالوتي علم التوحيد[٥].

١٦. العلاّمة الوليّ سعيد بن عبدالحميد، العصنوني،

---

(١) نسبة إلى (بني لنت) قبيلة من بربر تازا، وبها ولد.

(٢) النجم الثاقب، لابن صعد، (مخطوط). نيل الابتهاج، ص٦١. البستان، ص٥٨. تعريف الخلف، ٢/١١.

(٣) البستان، ص٢٤٨. وانظر ترجمته مختصرة في المصدر نفسه، ص٦٤.

(٤) في نيل الابتهاج: البجائي بدل التلمساني.

(٥) البستان، ص١٥٢.

الونشريسي[١].

١٧. من العلماء الكبار الذين أدركهم الإمام السنوسي، ولكن لم يرد ما يثبت أنّه تتلمذ عليهم: الإمام ابن مرزوق الحفيد، المتوفى سنة(٨٤٢هـ)، فيكون عمر السنوسي يومها لا يزيد عن اثني عشر سنة (على أقصى تقدير)، وهذه السنّ تحتمل السماع والتلقّي، وربّما يؤخذ من قول السنوسي دائما: (قال سيدي الشيخ محمد بن مرزوق)[٢] على أنّه سمع منه وتتلمذ عليه، والله أعلم.

---

(١) تعريف الخلف، ٢/ ١٣٨.

(٢) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧.

المبحث الرابع: تلاميذه

لقد حاولت تتبّع كثير من المصادر سواء من ترجم للإمام السنوسي، أو من لم يذكره إلاّ عرضاً، من أجل معرفة تلاميذه، فاستطعت العثور على جملة منهم، وكثير منهم ـ كما سنرى ـ مشاهير، وهذا دليل آخر على منزلة هذا الإمام ومكانته.

وقد حاولت قدر الإمكان استيفاء أهمّ المعلومات حول هؤلاء التلاميذ، قدر الإمكان، إلاّ ما تعذّر عليّ من ذلك، ولعلّ الدراسة تتسع في المستقبل بإذن الله تعالى لتضيف جديدا في هذا الجانب، وفي جوانب أخرى من شخصية هذا الإمام الكبير.

١. الإمام ابن صعد: وهو محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد، التلمساني، الفقيه العالم، المتوفى سنة (٩٠١هـ) بالديار المصرية. أخذ عن محمد بن العباس والتنسي والسنوسي، وغيرهم، وله من المؤلفات (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب)، و(روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين)[1].

---

(١) وهم: الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري. انظر: البستان، ص٢٥٢. تعريف الخلف، ١/١٥١.

قال فيه محمد العربي الغرناطي(١):

إذا جئت لتلمسان فقل لصنديدها ابن صعد
علمك فاق كلَّ علم مجدك فاق كلَّ مجد

٢. بلقاسم بن محمد، الزواوي، المتوفى سنة(٩٢٢هـ)، من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم. أخذ عنه محمد بن عمر الملالي(٢).

٣. ابن أبي مدين: وهو أبوعبدالله محمد بن أبي مدين، المتوفى سنة(٩١٥هـ، أو بعدها)، ذكره ابن مريم في جملة تلاميذ الإمام السنوسي(٣). قال أبو عبدالله بن العباس: (تفقهت عليه بالدراية في مقدمة الشيخ السنوسي وفي عقيدته الكبرى والصغرى ومختصره المنطقي)(٤).

٤. يحيى بن محمد أبو السادات، المديوني، التلمساني. أخذ عن الإمام السنوسي، قرأ عليه الفقه والأصول والبيان والمنطق، وصاحبه سنين

---

(١) نيل الابتهاج، ص٥٧٥. البستان، ص٢٥٣. تعريف الخلف،١/ ١٥١.
(٢) نيل الابتهاج، ص١٥٠. البستان، ص٧١، ٢٤٣. أعلام المغرب العربي، ٢/ ١٣٤.
(٣) البستان، ص٢٤٧. تعريف الخلف، ١/ ١٦٢، ٢/ ٤٢.
(٤) البستان، ص٢٥٩.

عديدة حتى توفي[١].

٥. ابن الحاج البيدري: وهو أحمد بن محمد بن محمد، البيدري[٢]، الورنيدي، المعروف بابن الحاج، المتوفى سنة(٩٣٠هـ). كان شاعرا ماهرا، معاصرا للإمام محمد بن غازي، وكان بينهما مراسلات شعرية[٣]. أخذ العلم عن ابن زكري والتنسي والسنوسي[٤]، وله نظم على عقيدة الإمام السنوسي الصغرى، مطلعها[٥]:

الحمد لله الذي عرّفنا ... بنفسه وبالهدى شرّفنا

إلى أن قال فيها:

وبعد فالمقصود من هذا النظام ... نظم عقيدة السنوسي الإمام

من غير تبديل ولا تغيير ... سوى اختلاف اللفظ والتعبير

٦. الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد بن العباس، التلمساني(كان حيا في حدود سنة ٩٢٠هـ). أخذ عن علماء تلمسان، ولازم السنوسي

(١) البستان، ص٣٠٥ـ٣٠٦.

(٢) نسبة إلى جبل بيدر، في بني إسماعيل.

(٣) تعريف الخلف، ١/١٥٦، ٢/٤٣.

(٤) نيل الابتهاج، ص١٣٦. البستان، ص٢٤٧.

(٥) البستان، ص٩.

والكفيف ابن مرزوق والتنسي وابن زكري وابن مرزوق وأبا مدين وغيرهم، ورحل إلى فاس فأخذ عن ابن غازي(١).

٧. محمد القلعي، وهو من أكابر تلاميذ السنوسي. كان قائما على السنة، سيفا على أهل البدع والأهواء الزائغة(٢).

٨. ابن ملوكة: ذكره ابن مريم المديوني في جملة تلاميذ الإمام السنوسي(٣)، ولم يترجم له في البستان، ولكنّ الظاهر أنّ المراد به أحمد بن ملوكة الندرومي، الذي أخذ عنه علي بن يحيى السلسكيني الجاديري، المتوفى سنة(٩٧٢هـ)(٤).

٩. الملالي: محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي، أبو عبد الله الملالي، المتوفى سنة (٨٩٨): فاضل نسبته إلى ملالة وهي قرية من قرى مدينة بجاية، وقد نسبه إليها الإمام الزبيدي فقال: (ملاّلة كجبّانة: قرب بجاية على ساحل البحر، ومنها العلامة محمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن

---

(١) البستان، ص، ٢٤٧ ـ ٢٤٨، ٢٥٩.

(٢) البستان، ص٢٧١. تعريف الخلف، ١/ ١٦٣.

(٣) البستان، ص٢٤٨.

(٤) البستان، ص١٤٦.

علي الملالي ممن أخذ على الشيخ سيدي محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي)[١]. وهذه القرية هي التي نزلها ابن تومرت لما أخرج من بجاية، هكذا وقع تحديدها في جميع المصادر المشرقية والمغربية[٢]. كان الملالي من تلاميذ محمد ابن يوسف السنوسي التلمساني، وصنف في سيرته وأحواله ومناقبه كتابا كبيرا سمّاه (المواهب القدوسية في المناقب السنوسية)، وشرح عقيدته الصغرى[٣].

١٠. ابن جيدة: وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يحيى، المديوني، الجيزري، الوهراني، المعروف بابن جيدة[٤]،

---

(١) تاج العروس، ١/ ٧٥٢٣.

(٢) الوافي بالوفيات، ١/ ٤٢٩. وفيات الأعيان، ٥/ ٤٧. وانظر أيضا: طبقات الشافعية الكبرى، ٦/ ٤٩. سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٤٢. المختصر في أخبار البشر، ١/ ٣٠٧. تاريخ ابن خلدون، ٦/ ٢٢٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/ ٦٨. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ١/ ٥١. الأعلام، ٤/ ٢٣٢، ٦/ ٢٢٩. وفي معجم البلدان، ٤/ ١٥٤: (ملالةُ: بالفتح ثم التشديد: قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب).

(٣) تاج العروس، ١/ ٧٥٢٣. نيل الابتهاج، ص٥٦٤. الأعلام للزركلي، ٥/ ٣٠١.

(٤) وفي المصدر نفسه في ٢/ ٨١: المعروف بابن حرّة.

المتوفى سنة (ت١٥٩هـ)، أخذ عن فقهاء وهران وتلمسان، وسمع من الإمام السنوسي مقدمته الصغرى في العقائد عند قدومه إلى وهران، وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين[١].

١١. الإمام محمد بن عبدالجبار، الفجيجي، البرزوني، أخذ عن السنوسي والمغيلي وغيرهما[٢].

١٢. ابن مرزوق، حفيد الحفيد، وهو أحمد بن محمد بن محمد، ولد الإمام ابن مرزوق الكفيف، وحفيد الإمام ابن مرزوق المشهور بالحفيد، ولذلك يقال له حفيد الحفيد. كان نجيبا صالحا، من أهل تلمسان، أخذ عن والده الكفيف، وعن السنوسي، والتنسي، وابن زكري، وغيرهم[٣].

---

(١) نيل الابتهاج، ص١٤٠. جذوة الاقتباس، ص١٥٨. البستان، ص٥٢. تعريف الخلف، ١/١٥٧، ٢/٤٢.

(٢) ذكر ذلك الحفناوي في تعريف الخلف، ١/١٥، نقلا عن (صفوة من انتشر).

(٣) نيل الابتهاج، ص١٣٦. البستان، ص٥٢. تعريف الخلف، ١/١٤٩. وقد وقع للإمام بدر الدين القرافي وهم، فظنّه ولد الإمام ابن مرزوق الحفيد، والصواب أنّه حفيده، ابن ابنه.

وللفائدة فإنّ اسرة ابن مرزوق أسرة عريقة في العلم، توارثت ذلك ابنا عن أب، وأبا عن جد، =

١٣. الإمام الشريف الرحالة، إبراهيم بن أحمد الفجيجي، أخذ عن ابن غازي والونشريسي، ولقي بتلمسان جلّة من العلماء، منهم السنوسي وابن مرزوق والعقباني والتنسي، ثمّ رحل إلى مصر، فأخذ عن السيوطي والبساطي وابن النجار، وأخذ بالمدينة عن السخاوي والأشموني. له شعر جميل، ومن شعره في الرثاء[(١)]:

تغيّرت البلدان واحلولك الليل   وشبّ ضرام الشرّ وانهمر السيل
ودان الرحيل من بلاد تأمّرت   بها المفسدون واستمرّ بها الهول

١٤. محمد بن موسى، مذكور في ترجمة المديوني الوهراني السابق[(٢)].

١٥. محمد بن يحيى الشريف الأغريسي، من أولاد يعقوب بن محمد المغراوي، تفقّه على الشيخ السنوسي وغيره من علماء تلمسان[(٣)].

=

وقد يرد أحدهم منسوبا إلى ابن مرزوق دون تحديد، فيقع الوهم في تمييزهم، فلا مناص لمعرفتهم من معرفة مشايخهم وتلاميذهم وسنوات وفاتهم. انظر: تعريف الخلف، ١/١٤٦.

(١) انظر: تعريف الخلف، ٢/٨.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٨١.

(٣) تعريف الخلف، ٢/٥٦٧.

١٦. محمد بن موسى. مذكور في ترجمة ابن جيدة تلميذ السنوسي[١].

١٧. الشيخ زروق: وهو أحمد بن أحمد بن محمد، البرنسي، الفاسي، الشهير بزروق، المتوفى سنة(٨٩٩هـ). من شيوخه ـ كما ذكر هو نفسه ـ الإمام السنوسي رغم أنّه قرينه، واشترك معه في الشيوخ[٢].

(١) جذوة الاقتباس، ص١٥٨. وفي البستان، ص٥٣: محمد بن عيسى.

(٢) نيل الابتهاج، ص١٣١. البستان، ص٤٧. جذوة الاقتباس، ١٢٩.

المبحث الخامس: مؤلفاته

لقد كثرت مؤلفات الإمام السنوسي وتنوعّت فشملت جميع علوم الشريعة، بل تعدّتها إلى علوم المنطق والطب وغيرها، وهي بهذا تدلّ دلالة واضحة على سعة علم هذا الإمام ومدى تبحّره في العلوم، الأمر الذي أكسبه هذه المنزلة العظيمة بين العلماء.

وفيما يلي عرض مختصر، ولكنه مستوعِب لأغلب مؤلفات الإمام السنوسي، مرتّبةً على حسب موضوعاتها الكبيرة، مرقّمةً برقم تسلسلي:

أوّلا: العقيدة

١. أمّ البراهين(وهي العقيدة الصغرى). وهي المشهورة بالسنوسية الصغرى، مختصر مفيد محتوٍ على جميع عقائد التوحيد، وهي من أجل العقائد، لا تعادلها عقيدة، كما أشار هو في شرحه عليها[١].

وقد بلغ الأمر ببعض العلماء أن تجشّم الرحلات في سبيل نقل أمّ

---

(١) أم البراهين، ص١٩. قال الحفناوي في ترجمة محمد بن مرزوق الحفيد: (وله أيضا عقيدته المسماة: عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، وعلى منحاه بنى السنوسي عقيدته الصغرى). تعريف الخلف، ١/١٣٨.

البراهين إلى بلاد السودان وقام على شرحها[١].

وقد أورد الشفشاوني أنّ الشيخ أبا محمد عبدالله الورياجلي نذر على نفسه أن لا تفارقه عقيدة السنوسي الصغرى، وأنّه جعلها في جيبه على جلالة قدره وعظيم إنصافه[٢].

أقول: وقد بلغ اهتمام طلاب العلم بها إلى درجة أنّ بعضهم كان يحفظها عن ظهر قلب[٣].

وقد نظم الشيخ محمد بن يجَّبْش التازي في مدحها قصيدة جميلة[٤]. وله قصيدة أخرى في الثناء على شرح عقيدته الأخرى، ولعلّه يقصد الكبرى[٥].

٢. شرح أم البراهين(وهو شرح للصغرى).

٣. توحيد أهل العرفان ومعرفة الله ورسوله بالدليل والبرهان[٦].

---

(١) انظر مقدّمة محقق أمّ البراهين مصطفى محمد الغماري، ص٨ ـ ٩.

(٢) دوحة الناشر، ٣٣، ١٢٢.

(٣) انظر مثلا: تعريف الخلف، ٢/ ٤٠٧.

(٤) انظرها كاملة في دوحة الناشر، ص٦٧ ـ ٦٩.

(٥) انظر: المصدر السابق، ٦٩ ـ ٧٠.

(٦) هدية العارفين، ٢/ ٦١.

٤. عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد، المرغمة أنف كل مبتدع عنيد، ويسمى العقيدة الكبرى. المشهورة بكبرى السنوسي، ثم شرحها وسماها عمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد، وقد كان طلاب العلم يتنافسون في حفظها عن ظهر قلب. وهي السنوسية الكبرى، وهي أوّل ما صنّف في هذا الفنّ.

٥. عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، وهو شرح للعقيدة السنوسية الكبرى(١).

٦. الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام(٢). وقد رجّح أحد الباحثين أن يكون هو نفسه كتاب المقدمات المذكور بعده(٣).

٧. المقدّمات في التوحيد: وهي مقدمات على العقيدة الصغرى، ثمّ شرحها، وهي ثماني مقدمات في أصولي الفقه والدين(٤).شرح كلمتي

---

(١) وقد طبع سنة ١٢٩٢هـ، من طرف المطبعة الوهبية، وقد اعتنى بتصحيحه ومقابلته على أصله وتنقيحه محمد البلبيسي بن محمد. ثمّ أعيد طبعه بعد ذلك.

(٢) هدية العارفين، ٢/ ٦١. معجم أعلام الجزائر، ص١٨١. دائرة المعارف الإسلامية، ١٢/ ٢٩١.

(٣) انظر: محمد بن يوسف وشرحه لمختصره في المنطق، ص٥٨.

(٤) الأعلام، ٧/ ١٥٤. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨. وقد طبعت مع شرحها بتقديم =

الشهادة[١].

٨. صغرى الصغرى: وهو اختصار للعقيدة الصغرى، ثمّ شرحه عليها[٢].

٩. العقيدة الوسطى وشرحها.

١٠. شرح الأسماء الحسنى: حيث يفسّر الاسم، ثمّ يذكر حظّ العبد منه[٣].

١١. شرح التسبيح دبر الصلوات: وهو شرح للحديث الذي رواه الشيخان: (من سبّح الله دبر كلّ صلاة ...)[٤]، حيث تكلّم على معنى التسبيح وحكمته، والحكمة من تقديم التسبيح وتأخير التكبير

=

وتحقيق: يوسف أحنانة، عن أربع نسخ مخطوطة. (ليس هناك أيّ معلومات أخرى عن الكتاب).

(١) وقد ألحقها السنوسي بآخر أمّ البراهين، ص٦٦. وأشار الزركلي في الأعلام، ٧/ ١٥٤ إلى أنّ عنده منها نسخةً مخطوطةً.

(٢) وهو مطبوع قديما، طبعته مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

(٣) المواهب القدسية (مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨.

(٤) رواه مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته(٩٣٩)، من حديث أبي هريرة.

وتوسّط الحمد[١].

١٢. شرح نظم في العقائد، للحوضي[٢]: هكذا نسب الديسي صاحبَ هذه العقائد، ولم يزد على ذلك، ولكن ابن مريم ـ وكذلك الزركلي ـ صرّح باسمه فقال: (محمد بن عبد الرحمن الحوضي، الفقيه، التلمساني، ... له نظم في العقائد، شرحه الإمام السنوسي)، ثمّ جعل تاريخ وفاته سنة(٩١٠هـ)، أي بعد وفاة الإمام السنوسي[٣].

فإنّ صحّ هذا التاريخ، فيكون الحوضي من أقران الإمام السنوسي، شرح السنوسيُّ هذا النظمَ المذكور في حياة ناظمه، ثمّ سبقه بالوفاة سنة(٨٩٥هـ)، فرثاه الحوضي بتلك القصيدة الرائعة التي ذكرناها في موضع آخر[٤].

١٣. عقيدة السنوسي السادسة. وهي عقيدة مجهولة عند الكثير من الناس، وقد شرحها صاحبه العلامة عبدالرحمن الجامعي. قيل إنّ

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط). تعريف الخلف، ١/١٨٨.

(٢) ويسمّى هذا النظم: واسطة السلوك. انظر: المواهب القدسية(مخطوط).

(٣) الضوء اللامع، ٨/٣٧. البستان، ص٢٥٢. الأعلام، ٦/١٩٥.

(٤) انظر مبحث: وفاة السنوسي وما قيل في رثائه.

الشيخ السنوسي وضعها للنسوان والصبيان[١].

١٤. عقيدة أخرى فيها دلائل قطعية يردّ بها على من أثبت تأثير الأسباب العادية، كتبها لأحد الصالحين. ذكر ذلك تلميذه الملالي[٢].

١٥. الدهرية: وهي قصيدة له في العقيدة أيضا، ناقش فيها مذاهب الدهرية والزنادقة والملاحدة، ولمّا وقعت له مناظرة مع أهل فاس في الحديث، تحدّى بها مخالفيه[٣].

١٦. شرح المرشدة: والمرشدة كتاب في العقيدة على المذهب الأشعري، ألّفه المهدي بن تومرت، وقد ذكرها الحافظ العلائي وأنّ قائلها جرى على المنهاج القويم والعقد المستقيم، وأصاب فيما نزّه به العليّ العظيم، إلاّ أنّ العلائي أنكر نسبتها إلى ابن تومرت؛ وحجّته أنّ ابن تومرت كان يوافق المعتزلة في أصولهم، والذي في المرشدة من العقائد مباين لهم[٤].

---

(١) تعريف الخلف، ٢/٥٢٣.

(٢) المواهب القدسية (مخطوط).

(٣) المواهب القدسية (مخطوط).

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/٩١.

لكنّ الإمام السبكي ردّ قول العلائي وأكّد أنّ ابن تومرت لم يكن معتزليا، بل كان على المذهب الأشعري، صحيح العقيدة، أميرا، عادلا، داعيا إلى الحقّ[(١)].

قلت: ولا شكّ أنّ الإمام السنوسي ـ وهو أحد أئمّة الأشاعرة ـ لم يكن ليتصدّى لشرح كتاب يعلم أنّه على المذهب الاعتزالي.

١٧. المنهج السديد في شرح كفاية المريد[(٢)]: وهو شرح للامية المسمّاه: الجزائرية في العقائد الإيمانية[(٣)]، للإمام أبي العباس أحمد بن

---

(١) انظر: طبقات الشافعية، ٨/٩١. وهو ظاهر كلام الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٣/٣٨. أمّا ابن خلدون، فقد أنّه هو الذي نقل مذهب الأشعرية إلى المغرب، وألّف العقائدَ على رأيهم، مثل المرشدة في التوحيد. انظر: تاريخ ابن خلدون، ٦/٢٢٦.

(٢) هذا هو الصواب في اسم الكتاب كما ذكره تلميذه الملالي(المواهب القدسية ـ مخطوط)، وورد في بعض المصادر مختلفا عن ذلك، وهو (العقد الفريد في حلّ مشكلات التوحيد)، حتى ظنّه بعضهم كتابا آخر، وهو هو. انظر: معجم أعلام الجزائر، ص١٨١. هدية العارفين، ٦/٢١٦.

(٣) هدية العارفين، ٢/٦١. كشف الظنون، ٢/١٥٠١.

عبدالله، الجزائري، الزواوي، المتوفى سنة (٨٨٤هـ)[١]، وهي تزيد على أربعمائة بيت، وأوّلها:

الحمد لله وهو الواحد الأزلي سبحانه جلّ عن شِبْه وعن مَثَل
فليس يحصى الذي أولاه من نعم أجلُّها نعمةُ الإيمان بالرسل

قال التنبكتي: (فيه نكت نفيسة)[٢].

وكان أبو العباس من معاصري الإمام السنوسي وأقرانه، فقد اشتركا في الأخذ عن جملة من الشيوخ، منهم الإمام الثعالبي.

ولمّا أنهى أبو العباس لاميته المشهورة هذه بعث بها إلى الإمام السنوسي طالبا منه شرحَها، فأجابه السنوسي إلى مطلوبه، وممّا قاله في أول شرحه: (قد دعاني إلى شرح هذا النظم المبارك بعثُ مؤلفه بنسخة منه بخطه إلي بمكتوب يستدعي فيه أن اصنع عليه شرحا فأجبته إلى ذلك طالبا لرضائه، ودعائه الصالح)[٣].

(١) وبعضهم جعل وفاته سنة (٨٩٩هـ)، يعني بعد وفاة السنوسي، فالله أعلم.
(٢) تعريف الخلف، ١/١٨٨.
(٣) كشف الظنون، ٢/١٥٣٩.

ولما أتمّ السنوسي شرحه وأرسله إليه، قرظه أبو العباس بقوله[١]:

شرح الكفايــة أيّهــا المتــدين تحــصيله فــرض عليــك معــيَّن
تجلو معانيه القلوب من الصدا وتنيرهــا واللفــظ ســهل بــيِّن
ما هو إلاّ الروض يحسن منظرا مـن ذا يـرى حسنا ولايستحسن
يــا ناظريــه وكاســبيه بغبطــة فـأعزّ مـن ثمـن النّفـيس المـثمن
يجــزي مؤلِّفَــه الإلــهُ بجنّــة دارِ النعــيم بهــا تقــرّ الأعــين

ثانيا: التفسير وعلوم القرآن

يظهر من سياق كلام الملالي أنّ الإمام السنوسي أكمل تفسير القرآن كلّه في مسجده، ولكن للأسف الشديد لم يصل إلينا هذا الكنز الثمين كاملا، ولكن ما وصلنا هو:

١٨. تفسير سورة (ص)، وما بعدها. والظاهر أنّه أتمّ التفسير من سورة ص إلى آخر القرآن، فقد ذكر تلميذه الملالي في سياق حديثه عن مناقبه أنّه: (لما وصل في تفسيره سورة الإخلاص، وعزم على قراءتها يوما، والمعوذتين .... الخ)[٢].

---

(١) تعريف الخلف، ١/ ٣٩.

(٢) انظر: تعريف الخلف، ١/ ١٨٢

١٩. تفسير القرآن إلى قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾. [البقرة: ٧]، ولم يمكن التفرّغ له، حتى وافته المنية، رحمه الله تعالى(١).

٢٠. تفسير سورة الفاتحة. وقد حرص تلميذه الملالي على نقله كاملا رغم طوله(٢).

٢١. بعض ما نقله عنه تلميذه الملالي وهو في تفسير االمتشابه من القرآن الكريم(٣).

٢٢. مختصر حاشية التفتازاني(٤) على الكشاف(٥).

٢٣. مختصر في القراءات السبع(٦).

---

(١) المواهب القدسية (مخطوط).

(٢) المواهب القدسية (مخطوط).

(٣) المواهب القدسية (مخطوط).

(٤) هو الإمام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، المتوفى سنة(٧٩١هـ). تصانيفه كثيرة، منها حاشيته علي الكشاف للزمخشري في التفسير، وهي التي اختصرها الإمام السنوسي. انظر: معجم المؤلفين، ١٢/ ٢٢٨.

(٥) المواهب القدسية (مخطوط).

(٦) المواهب القدسية (مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨.

٢٤. شرح الشاطبية الكبرى[١]: وهي القصيدة العظيمة التي نظمها الإمام الشاطبي[٢]، وسمّاها: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني(عدد أبياتها: ١١٧٣ بيتا)، والتي اعتبرها العلماء أروعَ وأبدعَ ما ما قيل، وأنّه لم يُسبق إليها[٣].

٢٥. شرح كلام ابن البنا في تفسير قوله تعالى: ﴿ **لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ** ﴾. [الحجرات: ١١] [٤].

٢٦. شرح على ضبط الخراز في الرسم[٥].

ثالثا: الحديث

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٨. قال التنبكتي: (لم يكمله).

(٢) وهو الإمام أبو محمد القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد، الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ، الأندلسي، المتوفى سنة(٥٩٠هـ). انظر ترجمته: طبقات الشافعية، ١/٦٦. الوافي بالوفيات، ٧/٢٠٩.

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص١٢٣.

(٤) وقد أشار الباحث الفاضل اسعيد عليوان إلى أنّه توجد نسخة منه بدار الكتب الوطنية بتونس، تحت رقم (٧٧٨)، ضمن مجموع.

(٥) المواهب القدسية (مخطوط).

٢٧. مكمّل إكمال الإكمال: وهو هذا الكتاب الذي نحن بصدد إقامة الدراسة حوله.

٢٨. شرح صحيح البخاري، وصل فيه إلى باب: من استبرأ لدينه[١]. قال الكتاني: (وله أيضا شرح عجيب على البخاري لم يكمله)[٢].

٢٩. شرح مشكلات البخاري[٣]: والمراد بذلك الأحاديث التي رواها البخاري في صحيحه، ممّا يوهم التشبيه، مثل حديث القدم والنزول وغير ذلك، وقد نحا السنوسي في شرحها منحى الأشاعرة في تأويلها[٤].

٣٠. مختصر الزركشي على البخاري[٥].

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان / باب: فضل من استبرأ لدينه، وأوله حديث النعمان بن بشير، مرفوعا:(الحلال بيّن والحرام بيّن ...). الحديث.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. فهرس الفهارس، ٢/ ٩٩٩.

(٣) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨.

(٤) المواهب القدسية(مخطوط).

(٥) لعلّه يقصد: التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، للإمام بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ). المواهب القدسية(مخطوط).

رابعا: علوم اللغة

٣١. الدرّ المنظوم في شرح الآجرّومية[١]: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصِّنهاجي، الفاسي، المتوفى سنة(٧٢٣هـ)، المعروف بابن آجُرُّوم[٢]، ومعناه: الفقير الصوفي، وذلك بلغة البَرْبَر.

خامسا: التصوّف وعلم الكلام

٣٢. شرح جواهر العلوم للعضد[٣] في علم الكلام: قال التنبكتي: (وهو كتاب عجيب جدا في ذلك، إلاّ أنّه صعب، متعسّر على الفهم جدّا)[٤].

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط).

(٢) هذا الذي قطع به الإمام السيوطي في بغية الوعاة، وفيها أقوال أخرى، وبعضهم نسبه إلى قبيلة بني آجروم بفاس.

(٣) هو الإمام للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الغفار البكري الإيجي، الحنفي، المتوفى سنة ٧٥٦. انظر: طبقات الشافعية، ١/١٤٠. إيضاح المكنون، ١/٣٧٨. الأعلام، ٣/٢٩٥. وكتابه (الجواهر) هو اختصار لكتابه (المواقف) في علم الكلام.

(٤) نيل الابتهاج، ص٥٧٢، وانظر: تعريف الخلف، ١/١٨٩.

٣٣. اختصار كتاب الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي[١]:
وهو الإمام أبوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور؛ المتوفى سنة(٢٤٣هـ). أحد العلماء الزهاد العباد العارفين. له عدّة مؤلفات، أهمّها الرعاية لحقوق الله، الذي اختصره الإمام السنوسي.

٣٤. مختصر بغية السالك في أشرف المسالك في التصوّف، للساحلي: وهو الإمام أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي، المتوفى سنة(٧٥٤هـ)، ويعرف ببلده مالقة بالمعمم[٢].

٣٥. شرح أبيات الإمام الإلبيري، المتوفى سنة(٥٣٧هـ)[٣] في التصوف، ومطلعها[٤]:

---

(١) انظر: حلية الأولياء، ١٠/٧٣. ميزان الاعتدال، ١/٤٣٠. تاريخ بغداد، ٨/٢١١. وغيرها.

(٢) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ١/٤١١.

(٣) في تعريف الخلف: الإليري، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه، والإلبيري نسبة إلى إلبيرة ( )، من مدن الأندلس. والمنسوبون إلى هذه المدينة كثيرون. انظر: جذوة المقتبس، ص٢٠، ص٢٩.

(٤) المواهب القدسية(مخطوط).

رأيــت ربي بعــين قلبــي فقلــت لا شــك أنــت أنــت

٣٦. شرح الأبيات التي أولها: (تطهر بماء الغيب)[١]، للإمام أبي القاسم الجنيد رحمه الله، هكذا صحّح ابن عجيبة نسبتها إليه[٢]، وفي موضع آخر نسبها إلى محي الدين بن عربي[٣].

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط)، وهي ثلاثة أبيات:

تطهــر بــماء الغيــب إن كنــت ذا ســر وإلا تــيمم، بالــصعيد وبالــصخــر
وقــدم إمامـــا، كنـــت أنـــت إمامـــه وصل صلاة الفجـر، في أول العـصر
فتلـــك صـــلاة العـــارفين بربـــهم فإن كنت منهم، فانضح البر بالبحـر

وقد شرح هذه الأبياتَ الشيخُ أبو بكر بن محمد، البناني المغربي، المتوفى سنة(١٢٨٤هـ)، كما في معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ١/٥٩١، كما شرحها الشيخ أحمد الكستي الحلبي الأمجد، كما في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١/١٠٩.

وممّن شرحها أيضا الشيخُ عبد الجواد بن شعيب، القنائي الأصل، المصري، علماء مصر وأدبائها، المتوفى سنة(١٠٧٣هـ)، وسمّى شرحه: كشف الريب عن ماء الغيب. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٣٠١. وانظر شرحَها مختصرا في البحر المديد لابن عجيبة، ١/٤٣٢، وأوسع منه في إيقاظ الهمم شرح متن الحكم له أيضا، ١/٢٧.

(٢) البحر المديد، لابن عجيبة، ١/٤٣٢.

(٣) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، لابن عجيبة، ١/٢٦. الطبقات الكبرى للشعراني، ص٢٨٨. وانظر شرحه لها هناك.

٣٧. شرح بيتين آخرين لبعض العارفين، وهما[١]:

شمس النهار تغيب بليل وشمس الليل لا تغيب

٣٨. استغاثة: وهي أربعة أبيات مطلعها[٢]:

يا رب هيء لنا من أمرنا واجعل معونتك الحسنى لنا

٣٩. الاصطلاحات الصوفية[٣].

٤٠. نصرة الفقير في الردّ على أبي الحسن الصغير[٤].

---

(١) محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، ص٧٠. المواهب القدسية(مخطوط).

(٢) ذكر الباحث الفاضل اسعيد عليوان أنّه يوجد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس، تحت رقم (٣١٠)، ضمن مجموع، وقد نسبها العماد الأصبهاني إلى أبي محمد عمارة بن أبي الحسن اليمني، المقتول سنة(٥٦٩هـ).

يا رَبّ هَيِّىءْ لنا من أَمرِنا رَشَدا واجعلْ مَعُونتك الحُسنى لنا مَدَدا

ولا تَكلْنا إلى تدبير أَنفسنا فالنَّفْسُ تعجَزُ عن إصلاح ما فسدا

أَنتَ الكريم وقد جَهَّزْتُ من أَملي إِلى أَياديك وجهاً سائلاً ويدا

وللرَّجاءِ ثوابٌ أَنت تعلمهُ فاجعلْ ثَوابي دوامَ السَّتْرِ لي أَبدا

انظر: خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/١١٧. وفيات الأعيان، ٣/٤٣١.

(٣) ذكره محقق أم البراهين، ص١٥، ولم أر ذلك عند غيره، فالله أعلم.

(٤) هدية العارفين، ٢/٦١. الأعلام، ٧/١٥٤. إيضاح المكنون، ٢/٦٥١. وأشار الزركلي إلى أنّه مخطوط. وقد رجّح أحد الباحثين عدم صحّة نسبة هذا الكتاب إلى

=

سادسا: الفقه وأصوله

٤١. المقرب المستوفي في شرح مختصر الحوفي في الفرائض[1]، وهو اختصار وهو كبير الجرم كثير العلم، ألفه وهو ابن تسعة عشر عاما، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان، تعجب منه وأمره بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة؛ لئلا يصاب بالعين، ويقول له: (لا نظير له فيما أعلم)، ودعا لمؤلفه[2].

وممّن شرح الحوفية في الفرائض من علماء الجزائر: الإمام العقباني(ت٨١١هـ)، فله أيضا: شرح الحوفية في الفرائض[3].

=

الإمام السنوسي؛ نظرا للهجة الشديدة التي كتب بها هذا الكتاب، والتي تضمّنت كثيرا من الألفاظ القاسية والشتائم الكبيرة والمفردات البذيئة التي تتعارض مع أخلاق الإمام السنوسي وما عرف عنه من حياء وعلم وعفّة. انظر: محمد بن يوسف السنوسي ومختصره في المنطق، ص٦٧ ـ ٦٩.

(١) وأصل الكتاب لأحمد بن محمد بن خلف الحوفي، المتوفى سنة(٥٨٨هـ)، وقد اختصره أبو عبدالله: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المتوفى سنة(٨٠٣هـ). انظر: كشف الظنون، ٢/١٦٢٦. إيضاح المكنون، ٢/٤٤٨.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط).

(٣) البستان، ص١٠٦. الأعلام، ٣/١٠١.

٤٢. شرح الوغليسية في الفقه[1]. لم يكمل.

٤٣. نظم في الفرائض[2]. ومطلعه:

الحمد للمميت ثمّ الباعث   الوارث الأرضَ وغير وارث

٤٤. تعليق على فرعَيْ ابن الحاجب[3].

٤٥. شرح المدوّنة[4]. ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

٤٦. فتاوى السنوسي: جاء في تعريف الخلف للديسي ما يشير إلى أنّ للسنوسى فتاوى مذكورة في بعض الكتب، وقد راسل الشيخ

---

(١) الوغليسية: نسبة إلى الإمام الشيخ الفقيه الصالح المفتي، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي، البجائي، المتوفى سنة(٧٨٦هـ) ببجاية. الوفيات لابن قنفذ، ١/١٥. معجم المؤلفين، ٥/١٢٣.

وممّن شارك السنوسي في شرح الوغليسية من علماء الجزائر: الشيخ أحمد زروق. انظر: البستان، ص٤٦.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٨.

(٣) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٩. وممّن شارك السنوسيَّ في شرح فرعي ابن الحاجب أو أحدهما من علماء الجزائر: العقباني، والإمام ابن الإمام: عبدالرحمن بن محمد التلمساني، وابن مرزوق الحفيد. انظر: البستان، ص١٠٦، ١٢٦، ٢١١،

(٤) المواهب القدسية(مخطوط).

الديسي الشيخ محمد بن عبدالرحمن فلم يجد عنده خبرا عنها[١].

سابعا: المنطق

٤٧. شرح جمل الخونجي[٢] في المنطق[٣]: وقد شرح هذا الكتابَ كثيرٌ من علماء الجزائر، منهم الإمام محمد بن العباس العبادي ـ وهو شيخ السنوسي[٤] ـ، والمشدالي[٥]، وابن مرزوق الحفيد[٦]،

---

(١) تعريف الخلف، ٢/٤١٤.

(٢) المواهب القدسية(مخطوط).

(٣) اسم الكتاب: الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق، ألّفه الإمام أبو عبدالله أفضل الدين محمد بن نماور بن عبدالملك، الخونجي، الشافعي، المتوفى سنة(٦٤٦هـ) أو قبلها. انظر: طبقات الشافعية، ١/٩٠. الوافي بالوفيات، ٢/١٢٨. الوفيات لابن قنفذ، ص١١.

(٤) انظر ترجمته في عداد شيوخ الإمام السنوسي.

(٥) الإمام المشدالي: أبو الفضل محمد بن محمد، الزواوي، البجائي، المالكي، المتوفى سنة(٨٦٥هـ). كان أعجوبة الزمان، في الحفظ والفهم والذكاء وتوقد الذهن. انظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، ١/٥٤. معجم المؤلفين، ١١/٢٦٠. وقد ترجم له الشوكاني في البدر الطالع، ٢/٢٤١ ترجمة حافلة بالثناء عليه.

(٦) الإمام ابن مرزوق الحفيد: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد، العجيسي ـ نسبة إلى عجيسة، وهي قبيلة تسكن ضواحي قلعة بني حماد، شمال شرق المسيلة ـ التلمساني،
=

والشريف التلمساني[١]، وابن قنفذ القسنطيني[٢]، وسعيد العقباني[٣]، والندرومي[٤]، والمقّري[٥]، والمغيلي[١]، وغيرهم.

=

مولدا ووفاة، المعروف بالحفيد، المتوفى سنة(٨٤٢هـ). من مشاهير علماء الجزائر. انظر: الأعلام، ٥/ ٣٣١. شرح على الجمل يسمّى (نهاية الأمل في شرح الجمل)، وله أيضا نظم على الجمل، وقام الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي فهذب هذا النظم وحرره. انظر: كشف الظنون، ١/ ٦٠٢. وقد وقع في كشف الظنون خلط في هذا الموضع، نبّه عليه محمد أجمل في كتابه(فهرست مصنفات البقاعي، ص١٧٨).

(١) الشريف التلمساني: أبوعبدالله، محمد بن أحمد بن علي الادريسي الحسني، أبو عبد الله العلويني ـ نسبة إلى قرية العلوين القريبة من تلمسان، المعروف بالشريف التلمساني، المتوفى سنة(٧٧١هـ). من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب. انظر: الأعلام، ٥/ ٣٢٧.

(٢) شرف الطالب في أسنى المطالب لابن قنفذ، ص٢٣٨. الحلل السندسية، ٢/ ١٩٠.

(٣) الإمام العقباني: سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني: قاض، فقيه مالكي، من أهل تلمسان، المتوفى سنة(٨١١هـ). ولي القضاء في تلمسان وفي بجاية ومراكش وسلا ووهران، وحمدت سيرته. نظر: الأعلام، ٣/ ١٠١.

(٤) الإمام شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الندرومي، التلمساني، (كان حيا بعد سنة ٨٣٠هـ). له كفاية العمل في شرح الجمل للخونجي في المنطق. انظر: معجم المؤلفين، ١/ ١٥٠.

(٥) البستان، ص١٦٣.

٤٨. مختصر في علم المنطق[٢]. وقد كان هذا المختصر أهمَّ كتب التدريس بالقرويين منذ القرن الخامس عشر الميلادي[٣]. قال التنبكتي: (ومختصره العجيب فيه زوائد على الخونجي، وشرحه أحسن جدا). ومن المعلوم أن متن الخونجي من أدق كتب علم المنطق.

٤٩. شرح المختصر في علم المنطق، للإمام السنوسي نفسه، وهو شرح لكتابه السابق[٤].

٥٠. شرح مختصر الإمام محمد بن عرفة الورغمي، التونسي، في المنطق، وقد استطاع السنوسي حلّ صعوبته، إلاّ أنّه كان يردّد: (إنّ كلامه صعب، سيما هذا المختصر، تعبت كثيرا في حلّه؛ لصعوبته إلى الغاية، لا

=

(١) البستان، ص٢٥٥.

(٢) وقد طبع سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، في أربع عشرة صفحة، بدون ذكر دار النشر، ولكن على غلافه: مبيعه: بمكتبة حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي بجوار الجامع الأزهر الشريف بمصر.

(٣) مجلة التاريخ العربي، ١/ ١٥٣٣٧.

(٤) وكان موضوع أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة للباحث الفاضل اسعيد عليوان، بعنوان: محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، من جامعة الجزائر.

أستعين عليها إلاّ بالخلوة)[١].

٥١. شرح إيساغوجي في المنطق[٢]. وأصل الكتاب للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر، البقاعي، المتوفى سنة(٨٨٥هـ).

ثامنا: السيرة والتاريخ

٥٢. مختصر الروض الأنف للسهيلي[٣] في السيرة[٤]: والروض الأُنُف هو في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام.

---

(١) تعريف الخلف، ١/١٨٨.

(٢) المراد بإيساغوجي: المدخل إلى المنطق، وقد وضعه فرفريوس الصوري، المتوفى (بعد سنة ٢٩٨م)، وقد ظهر بعد جالينوس، وشهر بشرح كتب أرسطاطاليس. انظر: الفهرست: ٣١٣.

أمّا تأليف البقاعي الذي شرحه السنوسي فهو يختلف عما وضعه فرفريوس، فهذا الأخير خاص بالكليات الخمس، بخلاف إيساغوجي البقاعي فهو يشمل كلّ أبواب المنطق بما فيه من صورة ومادة.

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، المالقي، السهيلي، المتوفى سنة(٥٨١هـ)، حافظ، عالم باللغة والسير، ولد في مالقة، ثمّ نزل مراكش، فأقام بها يصنف كتبه إلى أن توفي. انظر: تاريخ الإسلام، ٩/١٢٥. الأعلام، ٣/٣١٣.

(٤) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٨. قال التنبكتي: (لم يكمل).

٥٣. مصنف في مناقب الأربعة رجال المتأخرين[١]: والمقصود بهم: محمد بن عمر الهواري الوهراني(ت٨٤٣هـ)[٢]، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري، فهؤلاء الأربعة هم الذين جمع الإمام ابن صعد(ت٩٠١هـ) - وهو من تلامذة السنوسي - مناقبَهم أيضاً في كتابه (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين)[٣].

تاسعا: علوم أخرى

٥٤. شرح مقدمات الجبر والمقابلة[٤] لابن ياسمين[١]: وهي

(١) معجم المؤلفين، ١٢/١٣٢.

(٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع، ٨/٢٧٢.

(٣) الأعلام، ٥/٣٣٥. معجم المؤلفين، ٨/٣٠٨. ولكنّ بعض الباحثين الفضلاء يشكّكون في صحة نسبة هذا الكتاب للإمام السنوسي، ويرون أنّه هو نفسه كتاب ابن صعد (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين). انظر: محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، ص٧٠.

(٤) الجبر والمقابلة فرع من فروع علم الحساب، وإنما كان من فروعه؛ لأنه علم يُعرف به استخراجُ مجهولات عددية من معلومات مخصوصة على وجه مخصوص. ومعنى الجبر زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الأخرى ليتعادلا. ومعنى المقابلة إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للتعادل. انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ٣٩٠.

أرجوزة في مقدّمات هذا العلم، شرحها كثير من العلماء[٢]، كان الإمام السنوسي أحدهم[٣]، وبعضُ شرّاحها من شيوخ السنوسي، مثل القلصادي[٤]. وممّن شرحها أيضا من علماء الجزائر: الإمام العقباني التلمساني[٥].

٥٥. مجربات في الطب[٦]: وهو كتاب جمع فيه مؤلفه ما جرّبه

=

(١) هو عبد الله بن محمد بن حجاج، أبو محمد، البربري الأصل، المراكشي، المعروف بابن الياسمين، المتوفى سنة(٦٠١هـ). عالم بالحساب، من الكُتّاب. كان من رجال السلطان بالمغرب. انظر: الأعلام، ٤/١٢٤. معجم المؤلفين، ٦/٤١.

(٢) انظر: معجم المؤلفين، ١/٢٧٠. عجائب الآثار، ١/٤١٩. ديوان الإسلام، ص٥٧. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/١٧٦، وغير ذلك.

(٣) المواهب القدسية(مخطوط).

(٤) الأعلام، ٥/١٠.

(٥) البستان، ص١٠٦.

(٦) الأعلام، ٧/١٥٤. وهو مطبوع سنة١٣٤٣هـ بهامش مجربات الشيخ أحمد الديربي الكبير المسمّى بفتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد وقمع كلّ جبار عنيد، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بهامش.

أقول: وربّما يمكن أن يضاف هذا الكتاب إلى الكتب التي يشكّ في نسبتها إلى الإمام السنوسي، فإنّ كثيرا ممّا ورد فيه يتعارض مع العقلية الفكرية المتحرّرة لدى السنوسي،

=

لنفسه من الفوائد والعلاجات والأدعية المستجابة وغير ذلك.

٥٦. شرح رجز ابن سينا في الطب[١]، لكنّه لم يكمله[٢].

٥٧. رسالة في الطب: وترد في النسخ المخطوطة بأكثر عنوان[٣]، وربّما هذا هو السبب في ظنّ البعض أنّها أكثر من كتاب[٤]، ومضمون هذه الرسالة شرح لحديث: (المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأصل كلّ داء البردة)[٥]، وبيان الأغذية والأشربة اللازمة للجسم،

=

وقد اطّلعت على هذا الكتاب وأرجّح أنّه ممّا نسب إليه، والله أعلم.

(١) المواهب القدسية(مخطوط). نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٨.

(٢) قال إدوارد فنديك في ترجمة ابن سينا: (وله أيضاً أرجوزة في الطب..). اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص١٨٨.

وممّن شرح هذه الأرجوزةَ أيضا: الإمام ابن رشد القرطبي المالكي(ت٥٩٥هـ). اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص٢٢٢.

(٣) انظر: فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا، رمضان ششن، ص٢٥١.

(٤) انظر: البستان، ص٢٤٧. محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، ص٧٦.

(٥) قلت: أمّا هذا الحديث فلا يصحّ رفعه إلى النبيّ ﷺ، وإنّما هو حكمة. قال الزركشي: (هذا من كلام الأطباء، إما الحارث بن كلدة، أو غيره، ولا أصل له عن النبي). ومثله =

والحديث عن الحليب واللبن وفوائدهما .. الخ[١].

٥٨. فضل مهنة الطب، وهي رسالة صغيرة، وبالرغم من أن السنوسي هذا ينتسب للفقه وعلوم الشريعة، فإنه أراد أن يدلي بدلوه في علم الطب؛ نظراً لأفضليته وشهرته على كل العلوم[٢].

٥٩. عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الاصطرلاب: وهي أرجوزة للإمام أبي عبدالله الحباك شيخ السنوسي[٣]،وقد شرحها الإمام السنوسي شرحا قال عنه التنبكتي: (شرح جليل)[٤].

=

قول السخاوي. انظر: اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي، ص ١٤٥. المقاصد الحسنة، ١/ ٦١١.

(١) انظر: البستان، ص٢٤٧. محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، ص٧٦.

(٢) مجلة التاريخ العربي، ١/ ١٣٠١١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يحيى، المعروف بابن الحباك، المتوفى سنة(٨٦٧هـ). صنف بغية الطلاب في علم الإسطرلاب. انظر: هدية العارفين، ٢/ ٥٤.

(٤) نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/ ١٨٨. وتوجد منها أكثر من نسخة مخطوطة. انظر: محمد بن يوسف السنوسي وشرحه على مختصره في المنطق، ص٧٥.

٦٠. مقدمات فوائد[١].

٦١. فتاوى ووصايا ورسائل ومواعظ وغير ذلك.

٦٢. ثبت صغير ذكر فيه إسناد حديث الأولية وغير ذلك...

هذا ما أمكنني معرفتُه من مؤلفات الإمام السنوسي من خلال البحث في الكتب التي ترجمت له، وربّما يكون له مؤلفات أخرى لا تزال غير معروفة، أو جنى عليها الإهمال وعوامل الزمن الأخرى فضاعت في جملة ما ضاع من تراث علماء الجزائر[٢].

---

(١) وقد أشار الأستاذ الفاضل عليوان إلى وجود نسخة منه بتركيا، بمكتبة السليمانية، لالولي(تحت رقم: ١٥٨٧)، ثمّ لم يستبعد أن يكون هذا الكتاب هو نفسه (مجربات في الطب).

(٢) لا بأس بالإشارة إلى أنّ الباحث الفاضل عليوان ذكر أنّ هناك نسخة مخطوطة بعنوان: الجد الحثيث فيما ليس بحديث، وهي منسوبة للإمام السنوسي، فلا يدرى هل هي له حقا، أم لا. انظر: محمد بن يوسف السنوسي، ص٦٦. والذي أعرفه أنّ هناك كتابا مطبوعا بهذا العنوان للإمام أحمد بن عبد الكريم، الغزي العامري، المتوفى سنة(١١٤٣هـ). وهو مطبوع بدار ابن حزم، بتحقيق: فواز أحمد زمرلي.

المبحث السادس: مناقبه وثناء العلماء عليه

لقد حاز الإمام السنوسي رحمه الله ثناء كبيرا ولقي عند الناس قبولا عظيما؛ لما تجسّد فيه من أخلاق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين.

قال أحمد بن داود الأندلسي: (العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري)[١].

وقد اعتبر المقّري أن من المفاخر أن يكون أحدُهم شيخاً للسنوسي، قال ذلك في حقّ أبي الحسن القلصادي[٢].

وقال أبو العباس ابن القاضي: (الإمام، المعقولي، الفقيه، المحدّث، الفرضي، الحيسوبي، صاحب العقائد التي لم يأت أحد بمثلها من المتأخرين)[٣].

وقال أبو عمران موسى بن عقدة الأغضاوي: (ما رأيت من غربل هذا العلم ـ يعني علم الكلام ـ مثل هذا الرجل)، يعني السنوسي[٤].

---

(١) نيل الابتهاج، ص٥٧٣. تعريف الخلف، ١/١٦٤. فهرس الفهارس، ١/٢٦٧.

(٢) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٦٩٢.

(٣) درة الحجال في أسماء الرجال، ابن القاضي، ٢/١٤١.

(٤) دوحة الناشر، ١٢١ ـ ١٢٢.

وكان الشيخ أبومحمد الهبطي يقول: (كلام السنوسي محفوظ من السقطات)[١].

وقد حلاّه كثير من العلماء بأوصاف عديدة، تدلّ على مكانته عندهم.

وقال ابن عسكر الشفشاوني: (محيي الدين وناصر السنة ..)[٢].

وقال عنه التنبكتي: (التلمساني، عالمها، وصالحها، وزاهدها، وكبير علمائها، الشيخ العلاّمة، المتفنّن، الصالح، الزاهد، العابد، الأستاذ، المحقق، المقرئ، الخاشع).

وقال عنه صاحب معجم المؤلفين: (محدث، متكلم، منطقي، مقرئ، مشارك في بعض العلوم)[٣].

وحلاّه النفراوي، والدسوقي، والصاوي بالعلامة[٤].

وحلاّه التسولي، والعطار، والمحبّي، والجبرتي بالإمام[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) دوحة الناشر، ص٦٧.

(٣) معجم المؤلفين، ١٢/١٣٢.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٨/٩١، ٣٢٠. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ١/٧٧. حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ١/٣٧.

(٥) البهجة في شرح التحفة، للتسولي، ٢/١٣، ٤/٣٤٦. حاشية العطار على شرح الجلال =

وحلاّه العطار في حاشيته بالعارف[١].

وقال الكتاني: (عالم تلمسان وإمامها وبركتها)[٢].

وقال عنه الزركلي: (عالم تلمسان في عصره، وصالحها)[٣].

وقال أبوعبدالله محمد بن منصور المستغانمي يمدحه[٤]:

لقــــد مـــــنّ ذو ... علينــا بــنجم آخــر

فأبــــدى لنـــــا ... وبـــالغ في التبيـــين

وذاك الـــــسنوسي ... وحـــاز فخـــارا في

فخـــارُ تلمـــسان ... فقــد فاقــت التــبر

وقال الشيخ محمد بن داود بن سليمان بـن أحمـد بـن خضر الخربتـاوي المالكي الأزهري يمدح صاحب تاج العـروس مـن جـواهر القـاموس في

=

المحلي على جمع الجوامع، ٤/ ٢٥٠، ٦/ ١٠٥. خلاصة الأثـر في أعيـان القـرن الحـادي عشر، ١/ ٣١٣. عجائب الآثار للجبرتي، ١/ ٣٠٦.

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ١/ ٣٤٧.

(٢) فهرس الفهارس، ٢/ ٩٩٨.

(٣) الأعلام، ٧/ ١٥٤.

(٤) البستان، ص٢٤٨.

أبيات منها هذا البيت[١]:

وهــو في الزهــد   وهـــــو في العلـــــم

وقال محمد بن يَجَّبْش(المتوفى سنة ٩٢٠هـ) في الثناء عليه[٢]:

صــــاغ الإمــــام   عــــزّ العلــــوم
نجــــل الكــــرام   الإفــضال يوســف
الطــاهر الأصــل   الــصالح المــبرور

وقال أيضا[٣]:

وفريــــدةٍ صــــاغ   العــــالم الحَــــبرُ
نجــــلُ الكــــرام   الطــاهرُ الأصــل
بحــــرُ العلــــوم   بــــين الأنــــام

وقد أثنى عليه تلميذه في الكتاب الذي ألّفه في مناقبه، ومما قاله فيه:(له في العلوم الظاهرة أوفر نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول شارك غيره فيها وانفرد بعلوم الباطن، بل زاد على

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣/١٤١٠.

(٢) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لابن عسكر الشفشاوني، ص٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص٦٩.

الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة، سيما التفسير والحديث؛ لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة)[١].

(١) المواهب القدسية(مخطوط).

المبحث السابع: وفاته وما قيل في رثائه

لما أحس الإمام السنوسي بمرض موته انقطع عن المسجد ولازم فراشه، واستمرّ على ذلك عشرة أيام، ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرة، فالتفت إليه وقال له: (وهل ثم غيرُها؟!).

وقالت له ابنته: (تمشي وتتركني!). فقال لها: (الجنة مجمعنا عن قرب إن شاء الله تعالى). وكان يقول عند موته: (نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها)[١]. وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة(٨٩٥)هـ الموافق لسنة(١٤٩٠م)، وشم الناس المسك بنفس موته رحمه الله[٢].

وقد رثاه العلماء بقصائد عصماء، اعترافا بفضله، وإشادة بعلمه، وحزنا على فقده.

ومن الروائع التي قيلت في رثائه قصيدة لزومية عصماء للإمام محمد بن عبدالرحمن الحوضي، وهي من عيون الشعر العربي، لذا رأيت إثباتَها هنا كاملة، تذكرة وعبرة.

---

(١) المواهب القدسية(مخطوط).

(٢) المواهب القدسية(مخطوط).

قال رحمه الله(١):

ما للمنازل	والأرض
وأتى عليها	وتراكمت
رزء عظيم	لم ندر يا للقوم
فقد	وهو ابن
قد كان بحرا	فانزاح عنها
ودعا إلى	وإلى الشريعة
هذا الذي	علل الضلال
هذا الذي	فانجاب عن
يا أيها النفس	لبقائها
يا أوحد	كلُّ العلوم
يا درّة الزهاد	يرجى
كم جاءت	يبغي إليك
فأبيت عنها	لم يخدعنك
وجعلتها	وسبيل ترحال
من للتآليف	يبدي بها ما
من للعلوم	يبدي لها نكتا

(١) تعريف الخلف، ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧.

من للقلـوب ... تــأتي مواعظــه
مـــا ذاك إلاّ ... أعطاكهــا ربّ
ما شئت مـن ... كرم ومن شـيم
واسيت أهل ... وعليــك مــن
تعطــــــي ... فاعتـاد رفـدَك
تلقـــــاهم ... فوجوههم باق
وينــال كــلُّ ... حتـى لقـد بلـغ
أخلاقـــك ... بــالله منــشور
خلـق كـريم ... إلاّ مــن المــولى
شــــــهد ... ومليحــــــة
لكـنْ مـشيئةُ ... ســبق القــضاء
لهفــا ولهفــا ... تجــدي ومــا
إن تبكه عين ... حقّا ولـو مـزج
أو تبكه أبـدا ... في حوزهــــا
لم يقـــدروا ... ولقــد بكتــه
فلمثله يبكي ... عظمـــــت
هيهــــات ... مــن شــأنها لم
وجــــب ... ولبلـدة بحـلاه

ولأهل ... شمس نأت

وشيوخنا ... جسد له

ولأهله حقّ ... من بعدع لا

لكنْ من ... بدر الدجا

يا قلب ... إن تلقها

يا ربّ قدّس ... ومن الجنان

وعليه من ... موصولة لا

وممّا قيل فيه أيضا قصيدة أخرى رائعة، منها هذه الأبيات[٢]:

أحيا الإله به ... تحيا بقاع جميع

حياته الزهد ... وقوته الذكر

كأنّما رمضان ... وليلة القدر

وممّا قيل فيه أيضا من قصيدة طويلة[٣]:

---

(١) هكذا ورد في تعريف الخلف، ثمّ طالعت المواهب القدسية للملالي، (وهو مخطوط)، فوجدت بدلها (إنّهم)، وهو الصواب؛ لأنّه لا يعرف للسنوسي ولد، وإنّما كان له حفيد من ابنته يقال له عبدالله، فإن صحّ ما في البيت، فيكون هو المراد بالابن، من باب تنزيل الحفيد منزلة الابن، والله أعلم.

(٢) المواهب القدسية (مخطوط).

(٣) المواهب القدسية (مخطوط).

قــد فــسّر الــوحي	في عـــصره لم يـــر في

المبحث الثامن: عقيدة الإمام السنوسي

يعتبر الإمام السنوسي أحد أهمّ رجالات المدرسة الأشعرية في العقيدة، والتي كان عليها كثير من علماء الإسلام الأعلام والجهابذة العظام، مثل الشاطبي والغزالي والجويني والباقلاني وابن الجوزي، والنووي، والقرطبي، والنسفي، وابن حجر، وغيرهم، من طوائف المحدثين والفقهاء والمفسرين وأصحاب السير، وأهل اللغة(1)، وقد كان للإمام السنوسي في تقرير هذه العقيدة الكتب الكثيرة التي سبق ذكرها، والتي حازت قبولا عند المسلمين، وأضحت مرجعا لكثير من البحوث بعد ذلك، واعتمدها العلماء وأوصوا بقراءتها، بل جلس كثير من العلماء لإقرائها على طلاب العلم في مدارس العلم في أزمنة متعددة.

وقد نال الإمامَ السنوسي ما نال إخوانَه الآخرين من علماء المدرسة الأشعرية من سبّ وشتم واتهام بانحراف العقيدة والضلال عن منهج الاستقامة، وغير ذلك من ألفاظ التبديع والتفسيق والتضليل، وخاصّة في هذا الزمان الذي تطاول فيه أنصافُ المتعلّمين الذين لم يأخذوا حظّهم

(١) انظر في ذلك كتاب: أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنان وفوزي العنجري، ص٢٤٨ ـ ٢٦٨.

من تربية هذا الدين، ولم يعرفوا للعلماء حرمةً، بل ركبهم الغرور ولم يعودوا يرون أنفسهم دون علماء السلف، بل قال قائلهم: نحن رجال وهم رجال، وليته كان رجلا حتى نصدّقه فيما يقول، بل أكثرهم طبول فارغة، تسمع جعجعةً ولا ترى طحينا، لم يأخذوا العلم من أربابه، ولم يأتوه من أبوابه، ولم يطلبوه بأسبابه، بل تجد الواحد منهم لا يكاد يحسن إعراب جملة، أو فهم قاعدة، ومع ذلك فهو يفتي في الأنفس والأموال والفروج، وما زلنا نرى هذا الفكر الأعوج ونقاسي آثاره ونتجرّع ثماره في المجتمع المسلم.

وقد تتبّعت بعض ما قيل عن الإمام السنوسي رحمه الله تعالى، فرأيت من ذلك عجبا.

فمن قائل إنّ السنوسي ليس من أهل السنة والجماعة، إلى قائل إنّ كتابه أم البراهين فيه أشياء كثيرة، مخالفة ما عليه أهل السنة، منها مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت[(١)].

وقال آخر: (والسنوسي، وأمثاله من المتأخرين، ليسوا من السلف،

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١/ ١٥.

ولا من الخلف المعروفين بالنظر والبحث، بل هو من جهلة المتأخرين، المقلدين لأهل البدع، وهؤلاء ليسوا من أهل العلم)[١].

وقال آخر: (وبعضهم يرى أن الفناء في توحيد الربوبية هو الغاية التي شمر إليها السالكون، وبعضهم قرر أن معناها أنه ـ تعالى ـ هو الغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، كما يذكر عن السنوسي صاحب الكبرى في العقائد المبتدعة)[٢].

وهذا الأمر يحتاج إلى ردود وتفصيل لا يتّسع له هذه الدراسة، ولعلّنا نعود إلى هذا الأمر بنوع من التفصيل مستقبلا بإذن الله تعالى.

هذا، وقد تجرّأ بعض المعاصرين فصار يحذف من كتب المتقدّمين ما لا يوافق مذهبه ورأيه، ثمّ يعيد طباعتها ونشرها.

وهذا العمل الذي تجرّأ عليه بعض المعاصرين لهم فيه سلف، فقد قال الإمام السبكي قديما: (وقد وصل حال بعض المجسمة فى زماننا إلى أن كتبَ شرحَ صحيح مسلم للشيخ محيى الدين النووى وحذف من كلام النووى ما تكلم به على أحاديث الصفات؛ فإن النووى أشعرى العقيدة،

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١/ ١٧٨.

(٢) موسوعة المؤلفات العلمية لائمة الدعوة النجدية، ١٣/ ٢٨٢.

فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذى صنفه مصنفُه، وهذا عندى من كبائر الذنوب؛ فإنه تحريف للشريعة، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما فى أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله وأخزاه، وقد كان فى غنية عن كتابة هذا الشرح، وكان الشرح فى غنية عنه)[١].

بل ذهب بعض الدارسين المحققين إلى أنّ هناك تحريفا وقع في كتاب الإبانة للإمام الأشعري، اختلفت معه النسخ اختلافا شديدا، ممّا يفرض الوقوف عند صحّة بعض ما نسب إلى الأشعري في هذا الكتاب، وألاّ ينسب شيء منه للإمام الأشعري إلاّ ما وافق فيه قولَ الكافّة من أهل العلم والنقل عنه، من علماء المدرسة الأشعرية[٢].

وفي شرحه على صحيح مسلم لم يفت الإمام السنوسيَّ أن يتعرّض للمسائل العقدية التي تضمّنتها الأحاديث النبوية، فاهتمّ بتوضيحها وبيان مذهب أهل السنة والجماعة فيها، والردّ على المخالفين في ذلك، والحرص على إزالة ما يمكن أن يعلق بأذهان المسلمين من أوهام أو

(١) طبقات الشافعية الكبرى، ٢/ ١٣.

(٢) انظر: أهل السنة الأشاعرة، ص٦١ ـ ٦٧.

أخطاء.

ومن خلال قراءتي في الجزء الأوّل من (مكمّل إكمال الإكمال) أمكنني أن أرصد جملة من أقوال الإمام السنوسي في أبواب العقيدة.

وقد رأيت أن أثبت ذلك في هذا الموضع؛ لأنّه أليق به وأنسب، وقد وضعت لها عناوين فرعية؛ زيادة في التوضيح.

المسلم العاصي لا يخلد في النار

أكّد الإمام السنوسي في أكثر من موضع على قاعدة المعاصي عند أهل السنة، وأنّ المؤمن العاصي لا يحكم بكفره، وما جاء من النصوص ممّا يفيد عدمَ دخوله الجنّة فهو محمولٌ على عِدّة محاملَ، ليس منها الحكمُ بخلوده في النار، أو عدمُ دخوله الجنّة مطلقا.

١ ـ من ذلك قوله عند حديث: (من كذب عليّ متعمّدا ...)، قال: (ومعنى الحديث أنّ هذا جزاؤه، إلاّ أن يعفو الله، ثمّ إن جوزي بالنار فلا يخلد فيها)[١].

قلت: وهذا مذهب أهل السنة في هذه المسألة، أنّ أصحاب الكبائر

(١) انظر: مكمل إكمال الإكمال، ١/ ١٧.

من هذه الأمّة تحت المشيئة، إن شاء سبحانه وتعالى عاقبهم، وذلك عدل منه، وإن شاء عفا عنهم وذلك فضل منه، غير أنّهم لا يخلدون في النار، خلافا لمن ذهب إلى أنّهم من أهل النار في الدنيا، وإذا ماتوا على ذلك فهم فيها خالدون مخلدون.

٢ ـ وفي حديث: (لا يدخل الجنّةَ نمّام)[١]، قال السنوسي: (يُحمل على المستحلّ، أو لا يدخلها ابتداء)[٢].

٣ ـ ومن ذلك ما قاله عند حديث: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، قال: (ومعناه عند أهل العلم: ليس ممّن اهتدى بهدينا، واقتدى بعلمنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده ـ إذا لم يرض فعله ـ: لستَ مني، وهكذا القول في كلّ الأحاديث الواردة بنحو ذلك)[٣].

الاستدلال لمذهب الأشاعرة

٢ ـ في حديث: (كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمع)، قال: (وفيه دليل للأشعرية أنّ الكذب لا يشترط في الاتصاف باسمه العمدُ، إلاّ

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان / باب: بيان غلظ تحريم النميمة.
(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢١٣.
(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٢. شرح النووي، ١/١٠٨.

أن يقال: لما علم المحدّث بكلّ ما سمع أنّه لا يكون كلّه صدقا بحسب العادة صار متعمّدا للكذب، فلا يكون ذلك دليلا للأشعرية، والله أعلم)[١].

قلت: وهذا الاستدراك الذي ذكره السنوسي رحمه الله تعالى لا ينطبق في جميع الأحوال، فقد يعتقد الراوي صحّةَ الخبر بناء على استجماع شروط الصحّة الظاهرة، ويكون في الخبر علّةٌ خفية غامضة تمنع من صحته، لم يدركها هذا الراوي، فلا يطلق في حقّه الكذب أصلا، لأنّه لم يقصّر في طلب الصحيح، والله أعلم.

قضية كفر تارك الصلاة

تحت عنوان: باب التكفير بترك الصلاة تعرض السنوسي رحمه الله لاختلاف العلماء في حكم تارك الصلاة، هل هو كافر أو لا؟، فنقل ما أورده الأبّي في شرحه لحديث النبيّ ﷺ: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٢]، ثمّ نقل عن الطيبي أنّ ظاهر هذا الحديث نظيرُ قوله تعالى: **{وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}**. [فصلت: ٥]، وقوله: **{وَجَعَلَ بَيْنَ**

---

(١) انظر: مكمل إكمال الإكمال، ١/ ١٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٨٨.

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً }. [النمل: ٦١]، وأنّه إذا ذهب إلى هذا المعنى وجب خلافُ المقصود، ولذلك قيل فيه وجوهٌ:

أحدها: أنّ ترك الصلاة معبّر به عن ضدّ فعله؛ لأنّ فعل الصلاة هو الحاجز بين الإيمان والكفر، فإذا ارتفع رفع المانع.

وثانيها: قول القاضي ـ يعني عياضا ـ: يحتمل أن يؤول ترك الصلاة بالحدّ الواقع بينهما، فمن تركها دخل الحدّ، وحام حول الكفر ودنا منه.

وثالثها: متعلّق الظرف محذوف، تقديره: ترك الصلاة وَصْلَةٌ بين العبد والكفر، والمعنى: يوصله إليه.

وقد أخذ السنوسي من الوجه الثاني عدمَ كفر تارك الصلاة، وأوضح أنّ تفسير الحديث على الوجهين الأوّل والثالث هو نوع من التغليظ، أي أنّ المؤمن لا يترك الصلاة.

ثمّ نقل عن الطيبي قولَه: (ويمكن أن يقال: إن الكلام مُصَوَّبٌ على غير مقتضى الظاهر؛ لأن الظاهر أن يقال: بين الإيمان والكفر تركُ الصلاة، أو بين المؤمن والكافر تركُها، فوضع موضعَ المؤمنِ: العبدَ، وموضعَ الكافرِ: الكفرَ، فجعله نفسَ الكفر؛ مبالغة وإشعارًا بأن حقيقة العبودية أن يخضع لمعبوده، ويشكر نعمه الظاهرة والباطنة، وحقيقةُ من

اتصف بالكفر أن يستنكف عن عبوديته، ويستر حق نعمه ويغمصَه، وأظهرُ الشكر وأكملُه، وعمودُه، وقِوامه أداءُ الصلاة وإقامتُها، كأنه قيل: الفرق بين المؤمن والكافر تركُ أداء شكر المنعم الحقيقي، فمن أقامه فهو مؤمن، ومن تركه فهو كافر، فعلى هذا، الكفرُ بمعنى كفران النعمة، والعبوديةُ إظهارُ التذلل، ولا يستحقها إلا من له غايةُ الأفضل، وهو الله تعالى)[١].

وهكذا نرى أنّ مذهب كثير من هؤلاء الأئمّة، كالقاضي عياض والأبّي والطيبي والسنوسي وأئمّة كثيرين قبلهم وبعدهم أنّ معنى الكفر المذكور في هذا الحديث هو كفر النعمة، أو هو محمول على التغليظ، وليس المراد به الكفرَ المُخرِجَ من الملّة، والله أعلم.

مسألة في تأويل الصفات

١ ـ في قوله r : (ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم ...) الحديث[٢]، استعرض الأبّيُّ أقوالَ العلماء

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٨٩.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف(١٥٤).

في تأويل هذه الجمل، ثمّ قال: (لا يكلّمهم ولا يزكّيهم: لا يتعيّن فيهما التأويل لصحّة النفي فيهما، ويتعيّن في: لا ينظر إليهم؛ لأنّه تعالى يرى كلّ موجود)[1].

فأضاف السنوسي تفصيلا مهمّا في المسألة، فقال: (فإن قيل: وكذلك الكلام يتعلق بكل معلوم فهو أعم من الوجود. قيل: معنى تكليمه تعالى لشخص خلق إدراك له يتعلق بصفة كلامه القديم، لا أن معناه أنه مجدد له كلامًا لم يكن، تعالى أن يتصف بالحوادث، فصح إذا أنّ (لا يكلم شخصًا) بمعنى لا يخلق له ادراكا يتعلق بكلامه، ولا ينافي ذلك عموم تعلق كلامه القديم، بخلاف إدراك البصر لو لم يتعلق بموجود للزم أن يقوم بالذات ضده لاستحالة عرو الذات القابلة لصفة عنها وعن ضدها.

فإن قيل: القدرة القديمة تتعلق بالممكنات ولم يلزم من عدم تعلقها بإيجاد ممكن أن يقوم بالذات ضدها. قلت: الفرق أن القدرة صفة يتأتى بها إيجادُ الممكنات وإعدامُها، والثاني ثابت لها تعلقت بإيجاد الممكن

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٢١٤.

وإعدامِه، أو لم تتعلق، بخلاف البصر فليس معناه صفةً يتأنى بها إدراكُ الموجود إدراكًا خاصًا، بل صفة يدركها الموجود إدراكًا خاصًا، وهذا التعلق نفسي لها، فإذا انعدم انعدمت الصفةُ وجاء ضدها. والحاصل أن قولك: لا ينظر الله إلى كذا ـ إذا أريد به الحقيقة ـ هو في الاستحالة كقولك: لا يعلم الله كذا؛ إذ النظر إدراك خاص)[١].

٢ ـ قال الطيبي عند كلامه على حديث: (اهتز العرش لمدح الفاسق)[٢]، قال: اهتزاز العرش عبارةٌ عن وقوع أمر عظيم وداهيةٍ دهياء؛ لأن فيه رضاءً بما فيه سخطُ الله تعالى وغضبُه، بل يقرب أن يكون كفرًا؛ لأنه يكاد أن يفضي إلى استحلال ما حرم الله تعالى[٣].

قلت: نقلَ السنوسيُّ هذا القولَ عن الطيبي، ولم يتعقّبْه، مصيراً منه إلى موافقته عليه، ثمّ هو جارٍ على مذهب الأشاعرة في التأويل، والسنوسي من أئمّتهم، والله أعلم.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢١٤.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٤/ ٢٣٠، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مدح الفاسق غضب الرب و اهتز له العرش)، وإسناده ضعيف.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥٣.

٣ ـ قوله r : (فرجعت إلى ربي)[١].

قال السنوسي: (معناه: إلى الموضع الذي ناجيته منه أوّلا، فناجيته فيه ثانيا)[٢].

ثمّ أكّد ذلك عند قوله r : (فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى r)، فقال: (معناه: بين موضع مناجاة ربي، والله أعلم، والمولى جلّ وعزّ منزّه عن حلول الأمكنة والتخصيص بالجهات، وعن مرور الأزمنة)[٣].

٤ ـ تحدّث السنوسي عن اختلاف العلماء في رؤية النبيّ r ربّه ليلة الإسراء، وصحّح أنّه رآه، تبعا للأشعري وغيره، ثمّ قال: (.. والدنوُّ والتدلي، إن كان بين النبي r وبين ربه جلّ وعز فمؤول؛ لاستحالة التخصيص بالجهة والانتقال في الأحياز على المولى جلّ وعلا، وإن كان

---

(١) صحيح مسلم، الإيمان/ باب الإسراء برسول الله r إلى السماوات وفرض الصلوات(٢٥٩).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣١٠.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣١٠.

بينه وبين غيره فهو على ظاهره)[١].

٥ ـ في تفسير النور في قوله r : (حجابه النور)[٢].

نقل الإمام السنوسي عن الإمام المازري أنّ المراد بالنور هنا اسم للمنع، أي: حجابه، أي: منعُه الخلقَ من رؤيته سبحانه من أنواره.

قال السنوسي: (ولعل وجه تسمية ذلك المنع نورًا أنه يوجب من معرفة الله تعالى ما يحصل نورًا في القلب)[٣].

ثمّ نقل عن القاضي عياض عن بعضهم أنّه قال: منتهى ما عرفه الخلق من الله تعالى أنّه ليس كمثله شيء، وهذه المعرفة هي النور الذي حجبهم عن معرفة ما وراء ذلك من تخيّله وتمثيله، كما قال الصديق: العجز عن الإدراك إدراك.

قال السنوسي: (فكأنه يقول حجابه معرفته كما قال أرباب الإشارات أن القرب منه بعدٌ، أي لا يزداد القريب منه بحسب المعرفة والاطلاع

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٢٧.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الإيمان/ باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه(٢٦٣).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٢.

على صفات الجلال والجمال إلا بعدًا عن تمثيله وتخيله وتوهمه واستعارة اسم النور لمطلق العلم سيما العلم به تعالى مشهور لغة وشرعًا وعرفًا ولعل الألف واللام في النور هنا للعهد والمعهود والنور المذكور في قوله تعالى: **{ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ }**. [النور: ٣٥]، إذ قد قيل: إنّ هذا النور هو معرفة الله تعالى التي أودعها في قلوب العلماء، ولا شك أن هذه المعرفة هي الحجاب الأعظم لتنزيهه تعالى عمّا لا يليق به من سمات الحوادث، ومَن حُرِمها وأُودع قلبُه ظلمةَ الجهل لا ينحجب عنه معبوده بزعمه، إما تصورًا، أو تخيلاً، أو تشبيهًا في الذهن، كما يقع لكثير من الجهلة، أو في الحس، كما وقع للنصارى في عيسى عليه السلام، ولبعض المتعبدين بغير علم، تظهر لهم صورة عظيمة بين السماء والأرض على هيئة مخصوصة فيسجدون لها، ويعتقدون أنها الله، تعالى عن ذلك، وعن سمات كل حادث، ثم الحجاب على كلا التقديرين عقلي)[1].

ثمّ قال السنوسي: (وهذا كله على أن الحجاب في قولهن حجابه النور بالنسبة إلى رؤيته جلّ وعلا بحيث تكون رؤيته تعالى محجوبة عنهم،

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٢.

ويصح فيه معنى آخر عجيب، وهو أن يكون ذلك الحجاب بالنسبة إلى الخلق، أي: حجابُه تعالى الذي يحجب به من شاء عن الالتفات إلى الخلق النورُ أي: المعرفة به، ثم لو كشف ذلك النور بأن يظهره للقلوب حتى يصير كأنه معاينة لأحرقت سبحات وجهه، أي: صفات جلاله المعروفة المطهرة للقلوب جميعَ مخلوقاته، أي: تتلاشى من القلوب حتى لا يشعر بها ولا يحس، حتى إنه يغيب من فُتح له في هذا المقام عن ذاته فلا يحس بها أصلاً، وكيف يظهر الباطل المتلاشى مع ظهور الحق الواجب.

وهذا المقام هو المعبر عنه بمقام الفناء، وقد قيل إن أبا يزيد البسطامي ناداه إنسان: أبا يزيد! فقال: أين أبو يزيد؟! لي منذ كذا وكذا أطلب أبا يزيد فلم أجده.

وتفسير الحديث بهذا المعنى غلب على ظني، بل هو محقق أن ابن دهان(١) في شرح الإرشاد أشار إليه وهو حسن جدًا، وإذا كان مقام الفناء

---

(١) لم أجد له ذكرا في المصادر التي عندي، سوى ما ذكره عنه أبوحيان في تفسير البحر المحيط، ٦/١٤٦، حيث اعتبره ممن قال بالحلول والاتحاد، وذكر أنّ شيخه المحدث المتصوّف قطب الدين أبا بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني صنّف كتاباً في هذه الطائفة، فذكر فيهم الحسين بن منصور الحلاج، وأبا عبد الله الشوذي كان بتلمسان،
=

بمجرد الاطلاع على بعض صفات الجلال، فكيف بالاطلاع على جميعها أو الكثير منها؟ فكيف برؤيته جلّ وعزّ؟ فسبحان من لا يحيط بجلاله وصف العارفين)(١).

٦ ـ قوله r : (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)(٢).

قال السنوسي: (أي ليس ثم مانع إلا رداء الكبرياء أي إلا صفة

=

وابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة، وأبا عبد الله بن أحلى المتأمر بلورقة، وأبا عبد الله بن العربي الطائي، وعمر بن علي بن الفارض، وعبد الحق بن سبعين، وأبا الحسن الششتري من أصحابه، وابن مطرف الأعمى من أصحاب ابن أحلى، والصفيفير من أصحابه أيضاً، والعفيف التلمساني، وذكر في كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدل على هذا المذهب.

قلت: فإن كان هذا هو المقصود عند السنوسي، ففي كلام السنوسي وشرحه لهذه المسألة ما يوجب التوقّف في الحكم على هذا الرجل بمذهب الحلول والاتحاد، والله أعلم.

وبالجملة، فهذا المسلك زلّت فيه أقدام، وضلّت فيه أفهام، واستُحِلّت فيه دماءُ علماءَ أعلام، والمعصوم من عصمه الله، والموفّق من وفّقه الله.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٤.

(٢) صحيح مسلم، الإيمان/باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى(٢٩٦).

الجلال التي لا تطيق الأبصار لضعفها رؤيته أي حتى يقويهم على رؤيته فاستعار r لهذا الجلال المانع من رؤيته تعالى لفظ الرداء المانع من رؤية ما تحته تقريبًا للإفهام بإبراز المعقول في حيز المحسوس والخطاب مع العرب الذين هم في البلاغة من هم وباب الاستعارة مشهور عند العرب فلا إشكال في الحديث إلا عند من غلبت عليه العجمة واستولت على قلبه البلادة)[١].

٧ ـ قول آدم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: (إنّ ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ... الخ)، الحديث[٢].

قال السنوسي: (غضبه تعالى هو انتقامه من المغضوب عليه بتعذيبه فيرجع إلى صفة الفصل أو إرادته الانتقام فيرجع إلى صفة الذات إذ إرادته لجميع الكائنات من عذاب وغيره صفة قديمة من صفات ذاته يستحيل عليها التجدد أوطروء العدم والمعنى أن ما يخلق الله سبحانه من أنواع الانتقام في ذلك اليوم ولم يخلقه قبل ولا يخلقه بعد لا ان ذاته في ذلك اليوم تتغير أو تتجدد له صفة لم تكن تعالى الله أن تتجدد له صفة أو

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الإيمان / باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها(٢٨٧).

تنعدم.

فإن قلت: كون ما وجد من الانتقام في ذلك اليوم لم يوجد قبل ظاهر وأما كونه لا يوجد بعده فليس بظاهر كيف وعذاب الكافرين بعده لا ينقطع.

قلت: ان المخاوف في ذلك عظمت حتى خاف المطيع، بل ورد أن جهنم حين تزفر لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه، وبعد هذا اليوم وانقضائه باستقرار كل فريق في منزله لا يكون الحال هكذا، بل أهل الجنة يأمنون، ويحل عليهم الرضوان الذي لا سخط بعده أبدًا، فالخوف العام والهول الأعظم الذي خاف من أجله البُرآء أن ينالهم توبيخ أو ملام لم يكن قبل ذلك اليوم، ولا يكون بعده على الدوام)[1].

التنبيه على أهمية معرفة العقيدة الصحيحة والحذر من التقليد

في قوله ﷺ: (فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول أنا ربكم! فيقولون: نعوذ بالله منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه .. الخ)، الحديث[2].

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٦٣.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرؤية(٢٦٧).

قال السنوسي: (وهذا آخر الفتن يتميز بها من حسنت عقيدته في التوحيد ومن لا. ولا ينجو منها إلا من أتقن ما يحتاج إليه من علم التوحيد في الدنيا وعرف ما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل. قال ابن دهان في شرح الإرشاد ولا ينجو من هذه الفتنة إلا من لم يرض لعقائده الصحيحة حرفة التقليد حتى إنه حمل المنافقين المذكورين في الحديث في قوله: (ويبقى في هذه الأمة منافقوها) على المقلدين؛ لأنهم أظهروا بألسنتهم ما لم يعلموه في قلوبهم.

قلت: والمصيبة على هذا عظيمة على عامة المؤمنين، بل وعلى كثير من المتفقهين، نسأله سبحانه أن يعامل جميع المؤمنين بلطفه الجميل، والذي ينبغي للعاقل أن لا يعامل نفسه إلا بالحزم والاحتياط، ويجهد في تحصيل العلم النافع، ولا يغتر حتى يفوته الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

وقال في موضع آخر: (وبالجملة، فإتقان علم التوحيد عُدَّة عظيمةٌ لكل هول من أهوال الآخرة، والله المستعان)[2].

بيان مذهب السلف في الآيات والأحاديث المتشابهة

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٤٣.

ذكر الأبّي في شرحه أنّ مذهب معظم السلف أو كلّهم وجماعة من المتكلمين على أنّها تصرف عن ظاهرها المحال، ويصرف علمُ تأويلها على ما يليق إلى الله تعالى، ومعظم المتكلّمين على أنّها تصرف عن ظاهرها المحال، ثمّ تؤوّل على ما يليق، والأول أسلم[١].

ومن الأمثلة التي ورد الحديث عنها في شرح السنوسي:

١ ـ تأويل الضحك بالرضا

١ ـ في حديث: (.. حتى يضحك الله عزّ وجلّ منه، فإذا ضحك الله منه ..)[٢].

قال السنوسي: (يؤوّل بإظهار الرضا والنعمة على هذا العبد)[٣].

٢ ـ في حديث: (فيتجلّى لهم يضحك)[٤]. قال: السنوسي(أي يظهر لهم وهو راض)، ثمّ نقل عنه القاضي عياض أنّه قال: (وقيل معنى

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٣٧.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: معرفة طريق الرؤية(٢٦٧).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٤١.

(٤) صحيح مسلم. الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها(٢٧٨).

يضحك: يُبدي لهم ما أخفى عنهم بفضله)[١].

٢ ـ تأويل الساق

في قوله r : (فيكشف عن ساق .. الخ)، الحديث[٢].

اقتصر السنوسي على نقل المعنى الذي ذكره الأبّي، وهو أنّ المراد بكشف الساق في هذا الحديث حقيقةُ الأمر واتضاحُه، والعرب تستعمل هذا اللفظ في ذلك، فيقولون: قامت الحرب على ساق إذا حقّت حقائقها، أو يكون المراد بالكشف عن ساق أن يظهر لهم من عظيم سلطانه وباهر آياته ما لا يشكّون في صحته، ويستدلّون به على حقيقة الأمر. ثمّ نقل عن العلماء السابقين أقوالاً أخرى في المراد بكشف الساق[٣].

فقال السنوسي: (وأظن أن القرطبي في التذكرة ذكر في معنى الساق نحو اثنين وعشرين قولاً فانظرها فيه)[٤].

٣ ـ تأويل اليد

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٥١.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب: معرفة طريق الرؤية (٢٦٩).

(٣) انظر: إكمال الإكمال، ١/٣٤٤.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٤٤. وهي في التذكرة، ٧٤٥ـ ٧٥١.

في قوله r عن الله تعالى: (غرست كرامتهم بيدي .. الخ)[١].

قال السنوسي: (اليد بمعنى الجارحة محال، ثمّ يوقف عن تعيين ما يليق منها لتعدّده، وقيل: يحمل على النعمة والقدرة والملك، ويكون وجه التخصيص تشرفها بنفي الوسائط)[٢].

٤ ـ تأويل الدنوّ والتدلّي

قال السنوسي: (والدنو والتدلي إن كان بين النبي r وبين ربه جلّ وعز فمؤول؛ لاستحالة التخصيص بالجهة، والانتقال في الأحياز على المولى جلّ وعلا، وإن كان بينه وبين غيره فهو على ظاهره)[٣].

الإشارة إلى الاختلاف في صحّة إيمان المقلّد

قال السنوسي: (أما من اعتقد التجسيم ونحوه ومات عليه من عامة المؤمنين، فإنه لا ينجو من شر هذه الفتنة ويهلك مع الهالكين، إلا أن يغفر الله تعالى، هذا كلُّه إذا قلنا إن إيمانَ المقلدِ صحيحٌ، وأما إن قلنا بعدمه، فيكون البعضُ الذي كاد أن ينقلب هو ممن عرف العقائدَ بأدلتها، لكن لم

(١) صحيح مسلم. الإيمان/باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٢٧٦).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٥٠.

(٣) المصدر السابق، ١/٣٢٧.

يكن له رسوخٌ في الإحاطة بوجودها، ودفعِ الشبه الواردة عليها، وبالجملة، فإتقانُ علم التوحيد عُدة عظيمة لكل هول من أهوال الآخرة، والله المستعان)[١].

(١) المصدر السابق، ١/٣٤٣.

المبحث التاسع: الإمام السنوسي الصوفي

تشكّل التربية الصوفية جانبا مهمّا من حياة الإمام السنوسي، نشأ عليها منذ صغره، وأخذها عن مشاهير الصوفية في زمانه، وقد طبعت هذه التربية الصوفية حياةَ السنوسي بعد ذلك، وظهر أثرها واضحا في مؤلفاته كلّها، ابتداء بكتب العقيدة التي ألّفها وصبغها مباحثها بتلك الصبغة الروحانية التي يحسّها بها كلّ من يقرأ شيئا منها.

وكان للإمام السنوسي وقفات في ردّ بعض ما يؤخذ على الصوفية من تصرّفات أو أقوال.

ومن أمثلة ذلك نقدُه للإمام ابن مرزوق الحفيد في بعض ما أخذه على الصوفية.

فقد استدلّ الإمام ابن مرزوق الجد(١) بتزوّد النبيّ ﷺ لخلوته في غار

(١) هو أبو عبدالله محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، المشهور بالجد وبالخطيب(٧١١هـ - ٧٨١هـ). فقيه، أصولي، محدث، نحوي، مفسر ولد بتلمسان، ورحل إلى المشرق، وأقام بمصر، وعاد إلى تلمسان، فولي أعمالا علمية وسياسية، وتقدم عند ملوك المغرب، وسجنه بعضهم، ثم رحل إلى القاهرة، فاتصل بالسلطان الاشرف فولاه مناصب علمية استمر قائما بها إلى ان توفي. انظر: هدية العارفين، ٢/ ٣٦. الأعلام للزركلي، ٥/ ٣٢٨. معجم المؤلفين، ٩/ ١٦. وأمّا الإمام =

حراء على ضعف قول الصوفية إن من أخلص لله عز وجل أنزل عليه طعامًا، والنبي r أولى بهذه المنزلة، ومع ذلك لم يقع له ذلك.

قال ابن مرزوق: (فإن قيل إنما فعل ذلك لكونه مشرعًا رفقًا بأمته، قيل: أجل، وإذا كان التشريع يلزمنا الاقتداء به فلنحمل الزاد كما حمل، وأين دليل تركه وهو سنته وسنة المرسلين قبله: **{ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا}**.[الكهف: ٦٢]، مع أن ذلك السفر كان لطلب العلم، وهو من أجل الطاعات، ومثله في القرآن كثير جدًا).

وقد تصدّى الإمام السنوسي لمناقشة ابن مرزوق، فأوضح أنّ : (حمل الزاد ليس مقصودا لنفسه، وإنما القصد به حفظ البنية عند الحاجة إليه، فمن جرى له حال مع مولاه جل وعلا بإغنائه عن الطعام والشراب بما شاء، أو يسهل عليه وجوده عند الاحتياج إليه من غير إحواج إلى مشقة الحمل فإن حمل الزاد بالنسبة إلى هذا لا فائدة له، ومثل هذا وقع كرامة للأولياء، ونُقل عنهم بالتواتر المعنوي، ولا ينكره إلا من لم يشم شيئا من

=

أبو عبدالله محمد بن مرزوق، فهو الشهير بالحفيد، وهو شيخ شيخ السنوسي؛ لأنّه من شيوخ الثعالبي، ذكره الثعالبي وأثنى عليه. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقّري، ٥/ ٤٢٥.

أحـواهلم، وذلـك ومثلـه زيـادة في صـدق النبـي r وبرهـان واضـح عـلى شرف شريعته، زادها الله شرفًا وتعظيمًا، إذ لم ينل أحد من الأولياء ما نال من المراتب العلية إلا ببركة تعلقه بأذيال ملته المرفعة صلوات الله وسلامه عليه أما الأنبياء صلوات الله وسـلامه علـيهم فلـما كـانوا في مقـام القـدوة لجميع الخلق ضـعيفهم وقـويهم وأقـواهم وجـاهلهم وعـالمهم وأعلمهـم ارتكبوا أسهل الظروف وأيسرها على الخلق بحيـث يـأنس ويـأوي إلـيهم القـوي والـضعيف والوضـيع مـن النـاس والـشريف وذلـك معلـوم مـن أحواهلم قطعًا).

ثـمّ قـال الـسنوسي: (ومـا ذكـره في الجـواب مـن أن التـشريع يلزمنـا الاقتداء به إن أراد بلزوم الاقتداء وجوب الفعل علينا فظـاهر المنـع؛ لأن التشريع يكون للمباح كما يكون للواجب، واللازم فعله الثـاني لا الأول، ولا شك أن حمـل النبـي r للـزاد مـن قبيـل تـشريع المبـاح لا مـن تـشريع الواجب، وإن أراد لزوم الاقتداء في الوجه الذي فعله عليه وهو الإباحـة فمُسَلَّم، ولا يفيد مطلوبُه، إذ لا ريب أن الصوفية رضي الله عنهم مُقِرُّون بإباحة حمـل الـزاد، وإنـما القـوم مخـبرون بـما أنعـم الله علـيهم مـن شريـف الأحوال، وما أوصلهم إليه حسن الإتباع للنبي r في الأقوال والأفعال.

وقوله: وأين دليل تركه أي ترك حمل الزاد، نقول: كثير:

منها: الإجماع على أن حمل الزاد ليس مقصودًا لنفسه فمن حصل له المقصود لم يطلب بالوسيلة.

ومنها: قوله تعالى: **{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }**. [الطلاق: ٢، ٣]، وقوله تعالى: **{ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }**. [الطلاق: ٣]، وقوله تعالى: **{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم}**. [المائدة: ٦٦]، وقوله: **{ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}**. [الجن: ١٦، ١٧].

وقوله ﷺ : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا)[1]، على أن الأولياء رضي الله عنهم لضعفهم بالنسبة إلى مرتبة الصحابة فضلاً عن مرتبة النبوة إذا منّ عليهم بحال شريف تاهوا في بحره، ولم يضبطوا أنفسهم في بعض الأوقات حتى

---

(١) الحديث رواه الترمذي. كتاب الزهد/ باب: التوكّل على الله (رقم: ٢٢٦٦). وقال: (حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو تميم الجيشاني اسمه عبد الله بن مالك).

يقوموا بما يطلب بظاهر الشرع معه، بل هم في ذلك كالسكارى والبله الذين لا يكلفون بما ذهلوا عنه، وأما الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فهم وإن حصلت لهم مقامات وأحوال لم يطق أكابر الأولياء الدنو من أدناها ضابطون مع ذلك لأنفسهم ما يكون لأحوالهم؛ لعظيم رزانة عقولهم، ورسوخ معرفتهم، ونباهة شأنهم، فلم تغلبهم الأحوال مع قوة أمرها، ورفعة لمعان أنوارها أن تشغلهم عن الالتفات إلى ما هم بصدده من كمال النصيحة للخلق، وسوق جميعهم بألطف وجه إلى عبادة الله عزّ وجل)[1].

ولكن في مقابل هذا الدفاع عن الصوفية لم يتردّد الإمام السنوسي في الشكوى من بعض أحوال من ينتسبون إلى التصوّف من العلماء، فقد اشتكى من أنّ بعضهم ـ في زمانه ـ إن هم: (إلا قُطّاع طريق الله، إن خالطهم أحد لأخذ علم أو دين ضل، إن لم يأخذ الله بيده ... وكيف لا يبكي الذي في زماننا هذا وغاية ما يتصف به أكابرُ العلماء الذين إليهم المرجع في أمر الدين وإقامته لو وفق الله وأشرف أحوالهم أن يصيروا من

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

أكابر أعوان الظلمة على ظلمهم والمشاركين لهم في ذلك قولاً وفعلاً، من غير مبالاة في ذلك، كأنهم سلبوا حقيقة من دينهم وعلمهم، وأما من يظهر من أولياء زماننا فأكملهم من له حسن نية وقصد خير للمسلمين، لكن تجدُ شياطين الإنس والجن تحتوشه حتى يفسدوا عليه ذلك، ويردوه ـ إن لم يعصمه الله ـ إلى أقبح حال، ويغرونه بإظهار القبيح في قالب الحسن، حتى يشاركهم فيما هم عليه من فاسد الخلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[١].

وهكذا نرى أنّ موقف الإمام السنوسي من التصوّف وأهله كان موقفا معتدلا، فهو لم يكن يقبل منهم ما يفعله بعضهم من المخالفات الشرعية، ويعيب عليهم ما يفعله بعضهم من الفصل بين الشريعة والحقيقة، ولكن في المقابل لم يكن يتردّد في ذكر خصالهم وفعالهم المستقيمة[٢].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٨٩.

(٢) يمكن الرجوع ـ للاستزادة ـ إلى رسالة الباحث الفاضل اسعيد عليوان (محمد بن يوسف السنوسي وشرحه على مختصره في المنطق)، فقد أبلى بلاء حسنا ـ جزاه الله خيرا ـ في توضيح علاقة الإمام السنوسي بالتصوّف، هذه العلاقة التي كانت تقوم على رفض كلّ ما يخالف الكتاب والسنة من ذلك.

المبحث العاشر: علاقة الإمام السنوسي بأهل عصره وإسهاماته في الحياة اليومية

لقد حفظت لنا سيرة الإمام السنوسي جملة من الأدلّة على أنّه رحمه الله ـ رغم تربيته الصوفية واستنكافه عن الاتصال بالحكام في زمانه ـ لم يكن يعيش بمعزل عن القضايا العلمية والاجتماعية التي حدثت في عصره.

ويكفينا ـ اختصار ـ ذكر هذه الأمثلة:

١ ـ كان السنوسي يردّ على العلماء ويناقشهم، سواء من معاصريه، أو من العلماء السابقين عليه، ومن ذلك ما ذكره التنبكتي في ترجمة أحمد بن محمد بن زكري(ت ٩٠٠هـ)، أنّه وقع له منازعة ومشاحنة مع الإمام السنوسي في مسائل، كلّ منهما يردّ على الآخر، قال: (ولولا خوف الإطالة لذكرنا بعضها)[١].

قلت: وللإمام ابن زكري كتاب ملخص المقاصد، في ألف بيت وخمسمائة بيت في علم الكلام[٢]. وذكر الشفشاوني أنّ أحد طلاب العلم أخذ هذا الكتاب إلى الإمام السنوسي وطلب منه أن يشرحه، فقال

---

(١) المواهب القدسية، (مخطوط). وانظر أيضا: دوحة الناشر، ص١٢٠.

(٢) عجائب الآثار للجبرتي، ١/ ١١٨.

السنوسي: (لا يقدر على شرح هذا إلاّ مؤلفه)[١].

وذكر الإمام الشاوي الملياني أنّه هو المقصود بقول الإمام السنوسي: (رزقني الله مسائل قد ابتلي بالغلط فيها من عرف بكثرة الحفظ والإتقان)[٢].

٢ ـ ولكن التاريخ حفظ لنا اعتراضات أخرى للسنوسي في مجال الفتوى في القضايا التي وقعت في عصره، وقد ظهر فيها قائما بالحقّ، مناصرا لأهل الحقّ.

فمن ذلك ما سطّره في قضية يهود توات المشهورة، التي وقعت بين قاضي توات: عبدالله بن أبي بكر العصنوني، التّلمساني، وبين محمد بن عبدالكريم المغيلي، وقد دوّنها الونشريسي في كتابه المعيار[٣]، وقد انتصر للإمام المغيلي كثير من العلماء، كان منهم الإمام التنسي، حيث كتب رسالة طويلة في تأييد رأي المغيلي وصواب ما أفتى به، وقام السنوسي

---

(١) دوحة الناشر، ص١٢٠.

(٢) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٦/٦٠.

(٣) المعيار المعرب، الونشريسي،٢/٢١٤-٢٥٣. وانظر في ترجمة المغيلي: البستان، ص٢٥٣ ـ ٢٥٧.

فكتب رسالة إلى المغيلي يؤيّده في قيامه بالحق، ويصوّب ما كتبه الإمام التنسي، وممّا جاء في هذه الرسالة: (من عبيدالله محمد بن يوسف السنوسي، إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي من المنكر، التي القيامُ بها ـ لا سيما في هذا الوقت ـ عَلَمٌ على الاتسام بالذكورة العلمية، والغيرةِ الإسلامية، وعِمارة القلبِ بالإيمان، السيد أبي عبدالله بن عبدالكريم المغيلي، حفظ الله حياته، وبارك في دينه ودنياه، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه، بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فقد بلغني أيّها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلّهم الله كنيسة في بلاد الإسلام، وحرصكم على هدمها، وتوقّف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء، فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه، فلم أر من وفّق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحقّ وشفاء الغلّة، ولم يلتفت ـ لقوّة إيمانه ونصوع إيقانه ـ لما يشير إليه الوهم الشيطاني من مداهنة من يتقى شوكته سوى

الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق علم الأعلام أبي عبدالله محمد بن عبدالجليل التنسي، أمتع الله به ...)(١).

٣ ـ وكانت الصلة بينه وبين العلماء في زمانه قائمةً على التواصل العلمي والتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فمن ذلك أنّ الإمام المغيلي لمّا ألّف كتابه (مصباح الأرواح في أصول الفلاح)، أرسله إلى الإمامين السنوسي وابن غازي فقرضاه(٢).

وكانت بعض آراء السنوسي عرضة للردّ والمناقشة، وخاصّة في جوانب العقيدة.

فمن ذلك أنّ الشيخ عمر المغيلي ألف كتابا يرد به على السنوسي، قال الشاوي: (ولا ينهض ردا)(٣).

شكوى السنوسي من أهل زمانه

الحقيقة أنّ ظاهرة شكوى السنوسي من زمانه تسترعي الانتباه

---

(١) البستان، ص٢٤٩، ٢٥٣. تعريف الخلف، ١/ ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) البستان، ص، ٢٥٥. تعريف الخلف، ١/ ١٧٢.

(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٦/ ١٠٤.

وتستوجب الوقوف عندها قليلا.

فلا شكّ أنّ للتربية الصوفية التي نشأ عليها الإمام السنوسي أثراً في تكوين هذه النظرة إلى الزمان وأهله، فقد رأينا السنوسي يعيش طرفا من حياته في عزلة تأخذ جزءا من يومه كما ذكر تلميذه الملالي.

ولكن هذه العزلة التي كان يمارسها الإمام السنوسي لم تكن تمنعه من أداء واجباته في المجتمع الذي كان يعيش فيه، فهو كان يدرّس العلم، وكان يقف مع الناس يجيب عن أسئلتهم، ويراسل العلماء يناقشهم أو يؤيّد أقوالهم، وهذه النوع من العزلة لا غبار عليه من الناحية الشرعية، بل هو الواجب في حقّ أهل العلم، أن يأخذوا لأنفسهم أوقاتا يراجعون فيها أنفسهم ويخلون فيها بربّهم، فكم للعزلة من إيجابيات.

ولكنَّ هذه الشكوى التي لا تنقطع من الإمام السنوسي تدلّ على فساد المجتمع في تلك الأيام، فهو لا يترك مناسبة حتى يبتهلها للشكوى من زمانه، ولكن هذه الشكوى لم تكن شكوى يائس، بل هي شكوى عالم، يجعلها مجالا للاعتبار، وفرصة لتوجيه الناس وإرشادهم إلى ما أصلح لهم في دينهم ودنياهم.

وأوّل موضع صدرت فيه منه هذه الشكوى كان عند قول ابن عباس:

(فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث)، فقد شرح السنوسي معنى كلام ابن عباس، ثمّ قال عقبه: (وإذا قال هذا ابن عباس في ذلك الزمن العظيمِ البركة، فكيف حالُ هذا الزمان الذي فاض فيه على البسيطة عبابُ الشرّ وأهله! ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله)(١).

والإمام السنوسي يؤكّد في مواضع كثيرة من شرحه أنّ هذا الفساد الذي اعترى الأمّة ليس خاصا بعوامّها، بل المصيبة الكبرى أنّه أصاب أكثر العلماء ـ بل والعباد ـ إلاّ النادر منهم.

ــ فعندما جاء إلى قوله r : (حتى تصير على قلبين .. الخ)، الحديث(٢)، تحدّث عن النوعين من القلوب، ثمّ قال عن الثاني: (.. والنوع الآخر على ضد هذه الأوصاف يتزلزل لأقل فتنة، وينخدع بأقل حالة فاسدة، وهذا حال العام والخاص في هذا الزمان، إلا من حفظ من النادر جدًا)(٣).

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٢.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين (٢٠٧).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥٢.

ـ وعندما تحدّث عن الدجال، ونقل عن علماء اللغة معنى الدجال، قال: (وعلماء السوء والرهبان على غير أصل سنّة كلّهم داخلون في هذا المعنى، وما أكثرَهم في زماننا، نسأل الله سبحانه السلامة من شرّ هذا الزمان وشرّ أهله)[١].

وقال في موضع آخر: (ومن تأمل حال من يتعاطى العلم في زماننا وجدهم ـ إلا النادر جدًا ـ على هذا الوصف الذميم، قد اختلط عليهم الحال، وتلبست عليهم البدع بالسنن، وامتزج الحق عندهم بالباطل، حتى صاروا يوالون أهلَ البدع، ومن يذهب على غير أصل علم وسنة، بل صاروا يفعلون مثل أفعالهم، بل انتقل بهم الحال إلى الداء العضال الذي كاد أن يكون كفرًا، وهو الوقوف على أبواب الظلمة، ومن تحقق دفنه للسنة والشريعة، ويتعاطون الثناء عليهم، وإنشاء ما يقدرون عليه من الأسجاع والشعر في ذلك، وبالجملة فأكثرهم مخروب الظاهر والباطن، مسلوب من كل خير، لاحظ لهم من العلم إلا نقلُ كلمة لا تجاوز حناجرهم)[٢].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢١.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٥٣. وانظر بقية كلامه وما نقله عن الإمام الطيبي في تأييد قوله.

وقال في موضع آخر: (قلت أنا: فكيف لو رأى هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم زماننا هذا الذي أدركناه، والله المستعان، وإليه المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو آخر القرن التاسع الذي آن فيه خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك من الأشراط الكبرى، فإن زمانهم وإن كان على ما كان عليه، فلم يَخْلُ من ظهور علماء عاملين، ولا من وجود أولياء في معاملتهم صادقين، بحيث يجد المسكين الطالب للآخرة من يصح الاقتداءُ به في أقواله وأفعاله، ويجد من يعينه على عزمه والزيادةِ في أحواله.

وأما زماننا هذا، الصعب النكد، فلم يظهر فيه إلا قُطّاع طريق الله، إن خالطهم أحد لأخذ علم أو دين ضل، إن لم يأخذ الله بيده، واتخذ إلهه هواه، وإن أمسك بدأً عن المخالطة ليسلم له دينه وعقله احتوشته حينئذٍ الشياطين، وأعانهم على ما قصدوا منه جهلُه، فأنى له بالسلامة في كلتا الحالتين؟ وكيف له بالنجاة في تعاطي الخصلتين؟ وكيف لا يبكي الذي في زماننا هذا، وغاية ما يتصف به أكابرُ العلماء الذين إليهم المرجع في أمر الدين وإقامته ـ لو وفق الله ـ وأشرفُ أحوالهم أن يصيروا من أكابر أعوان الظلمة على ظلمهم، والمشاركين لهم في ذلك قولاً وفعلاً من غير مبالاة

في ذلك، كأنهم سلبوا حقيقة من دينهم وعلمهم. وأما من يظهر من أولياء زماننا فأكملُهم من له حسن نية وقصدُ خير للمسلمين، لكن تجدُ شياطينَ الإنس والجن تحتوشه حتى يفسدوا عليه ذلك ويردوه ـ إن لم يعصمه الله ـ إلى أقبح حال، ويغرونه بإظهار القبيح في قالب الحسن، حتى يشاركهم فيما هم عليه من فاسد الخلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون).

ثمّ قال السنوسي: (فعلى العاقل في زماننا هذا أن يستعمل ما يقدر عليه من الحيل في تحصيل ما يحتاج إليه من العلم، على وجه يحتاط به ألا يَسرق طبعُه شيئا من الطباع القبيحة التي توجد في علماء هذا الزمان، فإذا حصل ذلك فر بنفسه وترك الناس جملة، وأخمل ذكرَه ما استطاع، وليحذر صحبةَ الظلمة وأعوانهم وأخذِ حظه من الخُطط التي تؤدى إلى معرفتهم، ويعينه على ذلك ـ مع توفيقه جل وعلا ـ القناعةُ والرضا بالدُّون في الملبس والمأكل والمسكن، وبالله سبحانه التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٩.

المبحث الحادي عشر: الإمام السنوسي المفسّر

إضافة إلى كونه إماما في العقيدة والحديث وغير ذلك، كان الإمام السنوسي عالما في التفسير، وله في ذلك مؤلفات ذكرناها سابقا، وفي شرحه على صحيح مسلم كان يتعرّض لتفسير الآيات التي وردت في صحيح مسلم، أو الآيات التي يوردها هو يفسّر بها معاني الأحاديث الشريفة، ورغم أنّ هذه المواضع كانت قليلة في الجزء الأوّل، إلاّ أنّها تدلّ على تمكّنه من علم التفسير، إضافة إلى بعض مباحث علوم القرآن بصفة عامّة.

وفيما يلي نماذج من تفسيره، وتنبيهه على بعض المباحث القرآنية:

١ ـ ففي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، الآيات، قال السنوسي: (ومعنى قم: أي من اضطجاعك مدثرًا، أو من نومك، وبادر بإنذار قومك، أو الناس، أو الثقلين أجمعين؛ لأنه بعث للجميع، وهو أولى، ولهذا لم يعلق بمفعول فيعم، وإلا لزم التحكم، أو ينزل منزلة اللازم، أي: أوجد الإنذار وحذِّر مَن كذبك أن ينزل عليهم من عذاب الله ووقائعه مثلُ ما نزل بمن كذب الرسلَ من قبلك، ودل على المبادرة الفاءُ العاطفة على (قم)).

وبهذه الطريقة استمرّ الإمام السنوسي في تفسير هذه السورة، حتى قال أخيرا: (وهنالك من اللطائف والدقائق ما يحل بيانَه التفسير، وكانت هذه ثانيةً عن اقرأ في النزول؛ لأن الإنذار لا يكون إلا مع العلم، ولا علم إلا بعد القراءة والتعليم، واكتفِ بهذه الإشارة لما وراءها، والنداء بـ(يا) التي للبعيد؛ لتعظيم منزلته وما يراد به، والمدثر للملاطفة كما تقدم)[1].

أقول: لعلّ هذا الأنموذجَ من تفسير السنوسي يفتح شهيةَ بعض طلاب العلم ويقوّي عزائمَهم ويُعلي هممَهم لخدمة ما وصل إلينا من تفسير الإمام السنوسي، وقد ذكرنا سابقا أنّ من مؤلفاته تفسيرا، بدأ فيه من سورة (ص) إلى آخر القرآن، وتفسير بداية سورة البقرة، إضافة إلى ما ذكره في مكمّل إكمال الإكمال في كتاب التفسير من صحيح الإمام مسلم، فهذا كلّه يشكّل مادّة علمية كبيرة، تصلح أن تكون كتابا، من أجل التنويه بجهد هذا الإمام الكبير في خدمة الكتاب العزيز.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٢-٣٠٣.

الاهتمام ببعض مباحث علوم القرآن

تعرّض الإمام السنوسي لذكر بعض مباحث علوم القرآن، بمناسبة شرحه لبعض الأحاديث.

١ ـ فمن ذلك أنّه تحدّث بمناسبة الكلام على بدء الوحي عن أوّل ما نزل من القرآن، فقال: (وقد اختلف في أول ما نزل من القرآن فقيل: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾. [العلق: ١]؛ لظاهر هذا الحديث، وهو قول عائشة رضي الله عنها وجماعة من المفسرين. وقيل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وهو قول أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ لحديث جابر بن عبد الله حسبما يأتي في التفسير إن شاء الله تعالى. وقيل: نزل أولاً من: ﴿ اقْرَأْ ﴾ إلى: ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، كما في الحديث، ثم نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وقد يُجمع بين القولين بأن كُلاًّ أخبر بما اعتقد، أو بأن الأولوية[1] أمر إضافي، فهذا الحديث دل على أن أوّلَه نزولاً بالإطلاق: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾، وحديث جابر على أن أوّلَه نزولاً بعدها ـ وبعد فَترة الوحي ـ المزّمّل والمدّثر، وهو ظاهر من سياق هذا الحديث.

(١) هكذا في أصل الكتاب، ولعلّ الصواب: الأوّلية، والله أعلم.

وقيل أول ما نزل من الأمر بإنشاء القراءة: اقرأ، ومن الأمر بإنشاء الإنذار: المدثر.

وقيل: أول ما نزل فاتحة الكتاب، وعزاه ابنُ عطيةَ لأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، والزمخشريُّ لأكثرِ المفسرين، قال: ثم سورة القلم. وقال القرطبي عن علي رضي الله عنه: أول ما نزل:﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾. [الأنعام: ١٥١]، قالوا: والصحيح الأول، وحديثُ جابر ليس بنص في الأولية كما سبق، وعن أبي موسى: أول ما نزل: اقرأ، ثم ن والقلم ثم، المدثر، ثم والضحى)[١].

٢ ـ استدلاله على صحّة القول بأنّ قوله تعالى: :﴿ اقْرَأْ ﴾، الآية، أوّل ما نزل، ثمّ نزلت سورة المدثّر، واعتذاره لمن قال خلاف ذلك.

قال السنوسي: (وفي قوله: فإذا الملك الذي جاءني بحراء دليلُ صحةِ القول بأن:﴿ اقْرَأْ ﴾ أول ما نزل، ثم المدثر، ولما لم يذكر هاتين الجملتين في التفسير من حديث ابن شهاب، بل اقتصر على حديثه عن جابر قال من قال بحسب ما هناك إن المدثر أولُ ما نزل)[٢].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٠١.

٣ ـ أنّ من الآيات القرآنية ما يعرف كونها مكيةً من سياق رواية الحديث، وكذلك سببُ نزولها.

ففي قوله: (فأنزل الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾).

قال السنوسي: (ودلّ هذا الحديثُ على أنّ السورة مكيّة، وأنّ هذا سببُ نزولها)[١].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٢.

المبحث الثاني عشر: الإمام السنوسي الفقيه

تبوّأ الإمام السنوسي منزلة كبيرة، ومكانة رفيعة بين علماء المذهب المالكي.

وآية هذا الذي قرّرته أمران اثنان:

١ ـ مؤلفاته في الفقه: وقد سبق الحديث عنها، فلتراجع في موضعها.

٢ ـ احتفاء فقهاء المذهب المالكي بنقل أقواله وفتاواه في كتبهم الفقهية، والاعتماد عليه في تقرير كثير من أحكام المذهب المالكي، وهذا أمر واضح لكلّ من تتبّع كتب الفقه المالكي، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الفقه المالكي من قول أو فتوى للإمام السنوسي، في القضايا والنوازل الفقهية، بل إنّ بعض فقهاء المذهب يكتفون أحيانا في المسألة بذكر قول السنوسي وحده، إشارة منهم إلى ترجيحهم لرأيه وتصويبهم لقوله.

فقد أورد أقوالَه كلٌّ من الحطاب، والخرشي، والنفراوي، والعدوي، والدسوقي، والصاوي، وعليش، والتسولي، وغيرهم، وبعض هذه الأقوال والفتاوى مستفادة من شرحه على صحيح مسلم.

وفي شرحه على صحيح مسلم يظهر جزء من فقه الإمام السنوسي

واختياراته في المسائل الفقهية، ولكن جرى التنبيه أكثر من مرّة على أنّ هذه الدراسة اقتصرت على الجزء الأول من الكتاب المتضمّن شرح مقدّمة الإمام مسلم وكتاب الإيمان من صحيحه، ومع ذلك، فلم تخل من التقاط بعض أقواله التي ساقها للتعبير عن رأيه الفقهي في بعض المسائل الفقهية، أو نقله لبعض الخلاف بين العلماء في بعض هذه القضايا الفقهية.

وفيما يلي نماذج ممّا عرض له في هذا الجزء الأوّل:

١ ـ فمن ذلك نقله للخلاف بين العلماء في وصول ثواب الصلاة والصوم وقراءة القرآن(١).

٢ ـ ومن ذلك أيضا ما نقله عن النووي في اختلاف العلماء في حكم التطيّب عند الإحرام، وأنّ مذهب الشافعي وكثيرين استحبابه، ومذهب مالك وآخرين كراهيته(٢).

٣ ـ رأيه في الجلوس في الأسواق والطرقات في زمانه.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥. شرح النووي، ١/ ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٣. شرح النووي، ١/ ١٣٣.

تكلّم الأبّي عن الخروج إلى الأسواق والجلوس فيها[١]، فنقل عن ابن رشد أنّه لا خلاف في عدم كراهيته، واستدلّ لذلك بفعل الصحابة والتابعين[٢].

لكنّ السنوسي كان له رأي مغاير، فقد علّق على الكلام السابق بقوله: (يترجّح أو يجب في زمننا ترك الجلوس في الأسواق والطرقات، لكثرة مناكرها وعدم القدرة على تغييرها)[٣].

قلت: فكيف لو رأى السنوسي أسواقنا اليوم، وما انتشر فيها من الفساد؟!.

٤ ـ وفي قوله r : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه .. الخ)، الحديث.

ذكر الإمام الأبّي عن الشيخ ابن عرفة أنّه كان يقول: (يجوز لمن قطعت يده ظلما تركُ المداواة حتى يموت، وإثمُه على قاطعه، والظالم

---

(١) وهذا في شرحه لحديث أبي هريرة، أنّ النبيّ r مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا ... الحديث.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٢١١.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢١١.

أحقّ أن يحمل عليه، ويحتجّ بمسألة عدم إعطاء السلابة شيئا، بخلاف من قطعت يده في حقّ، هذا لا يجوز له ترك المداواة، وإن تركها حتى مات فهو من معنى قتل النفس)(١).

وقد وافقه السنوسي على هذا، وأضاف يشرح كلامه ويبيّن مراده: (يعني أنه كما جاز له أن يمسك ماله عن الظالم ولا يمكنه من الانتفاع به، وإن كان في تمكينه منه صونُ نفسه من القتل وغيره، فكذلك يجوز أن يمسك ماله عن المداواة ونفع الظالم بصرف معصية القتل عنه، وإن كان أيضًا في المداواة صون نفسه من الموت ونحوه، ولا يفرق بأن صون النفس لم يتحقق في تمكين الظالم من المال بخلاف الدواء؛ لأنا نقول كذلك الدواء لا يتحقق معه ذلك)(٢).

٥ ـ نقل الأبّي عن الشيخ ابن عرفة أنّ اللعن في سياق التأديب لا يتناوله الحديث(٣).

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٢١٨.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢١٨.

(٣) يعني حديث ثابت بن الضحاك، مرفوعا: (ليس على الرجل نذر فيما لا يملك، ولعن المؤمن كقتله، ... الخ). الحديث، رواه مسلم. الإيمان/ باب غلظ تحريم قتل الإنسان =

فقال السنوسي موافقا له، وموجّها لكلامه: (يعني لأنه ليس المقصود منه حينئذٍ الدعاء وإنما المراد منه إظهار الغضب والمبالغة في الزجر فهو كقول المتكلم تربت يمينك وثكلتك أمك وقاتله الله ونحوه مما لا يقصد به الدعاء وإنما يقصد به التعجب أو توكيد الكلام ونحوه)[١].

ولكن السنوسي أضاف: (إلا أنه ينبغي للمؤدب أن لا يعود لسانه قبيح الكلام ويحترز من مثل ذلك جهده فإن تأنسه به يجره إلى أن يقصد مدلوله)[٢].

٦ ـ ومن ذلك أيضا أنّ القاضي عياضا عندما جاء إلى ذكر الخلاف الذي أورده مسلم: (تعاد الصلاة من قدر الدرهم)، وبعد أن حكم على الحديث بالبطلان، بدأ بالحديث عن اختلاف العلماء في حكم إزالة النجاسة، هل هي واجبة أم لا؟ وهل هي شرط في صحة الصلاة أم لا؟

=

نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة(١١٠).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٢٠.

واختلافهم في العفو عن يسير النجاسة[١]، فاكتفى السنوسي بالأمر الثالث لأنّه ألصق بالحديث المذكور، ثمّ لمّا تبيّن له بطلان الحديث المذكور أعرض عن الأمر الرابع الذي ذكره القاضي وهو اختلاف من رخّص في يسيره: هل الدرهم قليل أو كثير[٢]؛ لأنّ الكلام في ذلك بعد المعرفة بقيمة الحديث لا معنى له، والله أعلم.

٧ ـ وربّما أخذ الإمام السنوسي من الحديث الذي هو بصدد شرحه دليلا لمذهب الإمام مالك.

ففي حديث عائشة: (فيتحنّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله).

بعد أن شرح الإمام السنوسي هذه الجملة، قال: (وربّما أُخذ منه أنّ من نوى اعتكاف أيامٍ ودخل فيها، وجب عليه إتمامُ المنوي ومواصلتُه، كما هو مذهبُ مالك)[٣].

وفي قول عائشة: (فيتزود لمثلها). قال السنوسي: (.. ويحتمل أن

(١) إكمال المعلم، ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) إكمال المعلم، ١/ ١٣٨. مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٦.

تكون الفاء فصيحة، أي: يرجع إلى خديجة فيقيم عندها، ثم يعزم على تعبد ليالٍ أيضًا مثلِ الأولى فيتزود لذلك، فيكون هذا كآخر قولَيْ مالك وروايةِ ابن نافع أنه لا يخرج لشراء طعام ولا غيرِه، ولا يدخل معتكَفه حتى يُعِدَّ ما يكفيه، وان اعتكف غيرُ مكي جاز له الخروج)[١].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٦.

المبحث الثالث عشر: الإمام السنوسي المربّي

أولى السنوسي الجوانب التربوية المستفادة من الأحاديث اهتماما خاصّا، وهذا طبعا يتلائم ويتواءم مع تربيته الصوفية التي أخذها عن شيوخه، والوسط الصوفي الذي عاشه.

وفيما يلي بعض القضايا التربوية التي نبّه إليها أثناء شرحه:

ليس العلم بكثرة الرواية.

فمن ذلك ما قاله معلّقا على كلام الإمام مسلم في مقدّمته: وحاصل ما أشار إليه مسلم رحمه الله تعالى ورضي عنه أنّ الصحيح القليل أعون على المقصود من الضبط والتفهّم والدراية، بخلاف الكثير، فإنّه يوجب تشتّت البال والسآمة، لا سيما إن قصرت درجته، وبالجملة، فليس العلم بكثرة الرواية. وكثيرا ما اشتغل بعض الناس بمجرّد التكاثر، ففاته خير كثير، حتى مات على أردإ جهل، والعياذ بالله[1].

احترام العلماء والترضي عنهم والثناء عليهم كلّما أتى على ذكرهم

وهذا أمر واضح مشاهد في الكتاب، وهو يدلّ على تواضع هذا العالم

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٨.

الكبير وصدقه وورعه واحترامه للسابقين.

فهو كلّما ذكر الإمام مسلما ترحّم عليه، أو ترضّى عنه، أو دعا له، وربّما جمع كلّ ذلك مرّة واحدة(١)، فمرّة يقول: تغمّده الله تعالى بجميل الرضوان، وأسكنه بفضله فراديس الجنان، ومرّة يقول: رضي الله تعالى عنه، وثالثة يقول: رحمه الله تعالى ورضي عنه، ورابعة يقول: (رضي الله عنه ... وأجزل الله مثوبته).

وقد كثر ثناؤه عليه أثناء التنبيه على الفوائد واللطائف التي ضمّنها الإمام مسلم كتابه.

فمن ذلك قوله: (.. وهذا من أظهر دليل على شدّة ورعه t .. فلله درّه! ما أزكاه من ورع!). ومن ذلك قوله أيضا: (.. لدقّة نظره، وعظيم إتقانه، وشدّة احتياطه، وخوفه من الله تعالى..). ومن ذلك قوله ـ نقلا عن النووي ـ: (وهي مصرّحة بتحقيقه، وشديد ورعه، واحتياطه..)(٢).

ولم يقتصر هذا السلوك على تعامله مع الإمام مسلم، وإنّما كان قاعدة مطّردة مع جميع العلماء، كلّما ذكر واحدا منهم ترحّم عليه، أو ترضّى عنه،

---

(١) انظر: المصدر السابق، ١/ ٣، ١٥، ١٦، ٨، ١٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٠، ٥١.

أو دعا له[١]، لكنّه خصّ الإمام مسلما بالمزيد من ذلك، لأنّه صاحب الكتاب الذي نال شرف الإسهام في شرحه.

وهذا منهج تربوي جديرٌ بأبنائنا ترسّمُ خُطى الإمام مسلم في ذلك والاقتداء به فيه، فلاخير في أمّة يلعن آخرُها أوّلَها، ولا خير في طلاب علم لا يعرفون لمشايخهم وعلمائهم بعضَ الفضل عليهم.

توجيهات تربوية من السنوسي، ونماذج من أسلوبه في شرح معاني الأحاديث

قال: (قوله: وتقرأ السلام، المراد بالسلام التحية بين الناس وهو مما يزرع الود والمحبة في القلوب كما يفعل الإطعام وقد يكون في قلب المحبين ضعن فيزول بالتحية وقد يكون عدو فينقلب بها صديقًا)[٢].

ثمّ قال السنوسي: (وإذا كان هذا في مجرد السلام، فكيف بالطعام حتى قيل: ما وضَع أحدٌ يده في صحفة غيره إلا ذل له. لا يقال: فإذا كان يورث الذل فينبغي أن يجتنب، وذلك مما يقدح في الترغيب في الإطعام المستفاد من الحديث؛ لأنا نقول: مما جُبلت عليه نفوسُ الأكثر قَبولُ ما

(١) انظر على سبيل المثال المواضع الآتية: ١/ ٣، ٥، ٩، ١٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٣٥.

فيه نفع لها، ولا تبالي بما يحصل معه من ذل ونحوه، بل قد تتلذذ بذلك الذل لما اشتمل عليه من المنافع)(١).

ثمّ نبّه الإمام السنوسي على أنّ (الإطعام المرغب فيه هو ما كان لفائدة شرعية من طلب ثواب الله جل وعلا، فلا يبالي حينئذٍ ما أعطى، ولا لمن أعطى، أو دفع عن نفسه وعرضه وماله، أم لا. أما ما لا فائدة له، أو كانت الفائدة غيرَ شرعية، كقصد المباهاة، وتكثير الانتفاع، والثناء الدنيوي، ونحو ذلك، فليس بمقصود من الحديث، بل ربما كان بعضُه مُحرمًا، كالإطعام لبعض اللئام من الظلمة والفساق، ممن يستعين بذلك على فساده ويغريه على أموال الناس، وتبقى لهم سُنَّةً سيئةً في أموال الناس على الدوام).

ثمّ قال: (قوله ﷺ (على من عرفت ومن لم تعرف) ظاهرُ الحديثِ العمومُ فيمن يعقل، ثم يمكن تخصيصه بالمؤمنين؛ لأنهم هم الذين في توادهم وتراحمهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى بعضُه اشتكى كلُّه، ويمكن حملُه على العموم فيتناول الكافر ولو

(١) المصدر السابق، ١/ ١٣٦.

حربيًا عند الاحتياج إلى ذلك لوعظ ونحوه؛ لأنهم أرجى لقبولهم الإسلام:{ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً }. [طه: ٤٤]، { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } الآية [النحل: ١٢٥]، أو يخصص أيضًا بالذمي، إما على رأي من يرى ابتداءهم بالسلام، وإما باعتبار الرد إن ابتدأوا به؛ لأن (تقرأ السلام) يعم الأمرين، ويؤكد العموم: (من عرفت ومن لم تعرف)؛ لأنه يدل على كونه لله سبحانه، لا لتوفية حق المعرفة، كما روى أنه يكون كذلك في آخر الزمان.

ولما كان السلام لا يشق لم يكتف منه إلا بغايته وكلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ لا يحاط بفوائده ينفق فيه ذو السعة في العلم على قدر سعته ومن دون على قدره والكل لم يحصلوا من ذلك البحر الزاخر الذي لا يحاط بأبعاده إلا ما هو في النسبة كنقطة أو أقل منها إلى العالم كله وهنا يدخل أنواع الأطعمة والولائم وتسمية أنواعها وتقسيم ذلك إلى الأحكام الخمسة وكل ذلك مستوعب في الفقه ... ومعنى السلام عليكم: إما الدعاء بالسلامة على المسلم عليه، أي: سلمك الله من الآفات دنيا وأخرى، وإما: الخبر، أي: سلمت مني، فإني مسالم لك لا محارب، وإنما كان علمًا على الأمان؛ لأن العادة بين المتحاربين لا يسلم بعضهم على

بعض، وكانت عادة الجاهلية إن سلموا لم يحاربوا، وعلى هذا لا ينبغي للمسلم أن يغتاب من سلم عليه، ولا أن يتعرض لإذايته حاضرًا ولا غائبًا؛ لأنه مناقض لما أعطاه وأخبر به من الأمان؛ لأن السلام على المعنيين إنشاء والتزام، وقيل المعنى: الله حفيظ عليكم أو رقيب عليكم، فيكون السلام على هذا من أسمائه جل وعلا)[1].

ثمّ أشار إلى الحكمة من اختلاف جوابه r ، فقال: (لما بنى جماعة الأئمة المتقدمين الحديثين على اتحاد السؤال أجابوا بأن اختلاف الجواب لاختلاف الأشخاص والأحوال وقد تقدم كلام ابن بطال فيه ونقله النواوي وغيره أجاب r كلا من السائلين بما رآه أنفع له وأخص به فقد يكون ظهر من أحدهما كبر وانبساط وانقباض عن الناس فأجابه بإطعام الطعام وإفشاء السلام وظهر من الآخر قلة مراعاة ليده ولسانه فأجابه بالجواب الآخر أو يكون عليه الصلاة والسلام تخوف عليهما ذلك أو كانت الحاجة في وقت سؤال كل منهما العامة أمس بما جاوب به)[2].

ومن ذلك ما قاله في الحكمة من استعماله r (ما) التي هي لغير

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٦.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٦.

العاقل غالبا، في قوله r : (ممّا سواهما). فقال السنوسي: (وإنما قال (مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما تنبيها على حقارة ما سوى الله سبحانه ورسوله r ومن في معناه ممن يحب الله تعالى وتنزيلاً له منزلة ما لا يعقل إذ ذاك أصل استعمال ما لأنه مثله في عدم القدرة على جلب المنافع ودفع المضار مطلقًا ففي اللفظ إيماء إلى أنه ينبغي أن يقصر المؤمن حبه على مولانا جل وعز وما كان لأجله وما سواه هباء لا يجدي حبه شيئا. وقال بعضهم: إنما عبر بما دون من ليعم العاقل وغيره؛ لأنها أدخل في العموم فيعم المخلوقات كلها، ورُدَّ بأنه إذا اختلط وغيره فهما سواء، ولذا جاء:{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ }. [الرعد: ١٥]، وجاء:{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ }. [النحل: ٤٩])(١).

ومن ذلك ما نقله عن بعض الشيوخ أنّ مما يُسهِّل التكليفَ بحبّ النبيّ r على النفس وإيثاره على حب الولد والوالد أن يُقدر الإنسان أنه لو رأى ما يؤلم رسولَ الله r لتلقاه عنه بنفسه، وسهل عليه فعلُه، فقد أدى ما عليه منه، وهذا مقام لا بد منه، ووراءه مقامات كثيرة متفاوتة، ثمّ

(١) المصدر السابق، ١/١٤٣.

نقل عن بعض الشافعية أنّه قال: يجب أن يحزن على فقد رسول الله r من الدنيا أكثرَ من الحزن على فقد الأبوين والولد، كما يجب أن يحب أكثرَ من النفس وغيرها، ثمّ قال: (وهذا الذي ذكر هو في الحقيقة من لوازم الأحبية المذكورة في الحديث)[١].

ومن ذلك ما قاله عند شرحه لقول النبيّ r : (وإنّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل)، فبعد أن ذكر الحكمةَ من ذكر النبيّ r لهذه الحالة، قال: (وبهذا تعرف أنه يدخل في معنى الحديث مَن لازم الجلوسَ مع أذناب الناس والجهلة منهم، أو عكف نفسَه على صحبة البهائم للتجارات أو الحِراثة، أو رضيَ لنفسه بملازمة الأسواق ومحالِّ الصخب وكثرة الصياح والتخليط لمجرد أمور الدنيا)[٢].

على الإنسان أن يشتغل بما يخصّه من واجب ونحوه، وترك الاشتغال بكثرة السؤال

في حديث المقداد بن الأسود أنّه سأل النبيّ r ، فقال: (أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني .. الخ)، فاستنبط منه القرطبي جواز

(١) المصدر السابق، ١/١٤٦.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٥٨ ـ ١٥٩.

السؤال عما لم يقع والجواب عنه، ثمّ قال: (وعليه عمل الأئمّة في القديم والحديث، وكرهه بعض السلف، ورأى أنّ اشتغال المجتهد بذلك غلوّ)[1].

ثمّ نقل الأبّي عن ابن المنيّر أنّ مالكا كان لا يجيب في مسألة حتى يسأل، فإن قيل: نزلت، أجاب، وإلاّ أمسك، ويقول: بلغني أنّ المسألة إذا نزلت أعين عليها المتكلّم، وإلاّ خذل المتكلّف، ولذا كان أصل مذهبه إنّما هي أجوبة لا مسائل مرتّبة، ومن ثمّ صعب مذهبه.

ثمّ أضاف الأبّي بعد هذا: (وزاده صعوبة ما اتّسع فيه أهل مذهبه من التفريعات والفروض، حتى إنّهم فرضوا ما يستحيل وقوعه عادة، ...).

ساق السنوسي كلّ هذا الكلام السابق، ثمّ قال بمسحته الإيمانية التربوية: (ولو اشتغل الإنسان بما يخصه من واجب ونحوه، ويتعلم أمراضَ قلبه، وأدويتَها، واتقانَ عقائده، والتفقهَ في معنى القرآن والحديث، لكان أزكى لعمله وأضوأَ لقلبه، لكنَّ النفوسَ الردية وإخوتها من شياطين الإنس والجن لم تترك العقل أن ينفذ لوجه مصلحة، ولا

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٢٠٣.

حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اشتغلنا بك عمّا سواك، واقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، يا أرحم الراحمين!)(١).

حرصه على الدعاء

وممّا يدخل في الجانب التربوي عند السنوسي حرصُه على الدعاء كلّما وجد مناسبة لذلك، وقد تكرّر منه هذا في مواضع كثيرة، وكان من أدعيته: (اللهم اشتغلنا بك عمّا سواك، واقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، يا أرحم الراحمين)، (اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلحنا فيما بقي، حتى نلقاك على أحسن حال، بفضلك وجودك، يا أرحم الراحمين). (نسأل الله سبحانه السلامة من شرّ هذا الزمان وشرّ أهله). (نسأله سبحانه أن يسهل علينا التمتع بجواره ﷺ في حياتنا وبعد مماتنا، مع كمال العافية في الدين والدنيا والآخرة). (نسأل الله الكريم رضاه والجنة لنا، ولأحبابنا، وسائر المسلمين)(٢).

قلت: وإنّها ـ لعمري ـ أدعية مختصرة، ولكنّها من سهام الليل التي لا تخطئ أبدا، بإذن الله.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠٤.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠٤، ٢٥٠، ٢١، ٢٥٥، ٣٨١.

الدعوة إلى العزلة الإيجابية

قال السنوسي: (يؤخذ من تحنث النبي r بغار حراء طلبُ الخلوة للعبادة والعزلةِ عن الناس؛ للاستعانة بها على حضور القلب، والأمن من الرياء والسمعة، وفيها السلامةُ من أكثر أنواع الشر، وقد ينتهي إلى حد الوجوب بحسب الأزمنة والأحوال..)[١].

أقول: ولكنّ الإمام السنوسي رحمه الله تعالى لم يكن يقصد بالعزلة الهروبَ من المجتمع والإخلالَ بالواجب الذي أخذه الله على العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس وإرشادهم، والسعي في حلّ مشكلاتهم وفق الشريعة، وتبصيرهم بأحكام الله المنزّلة إليهم، لكن كان يقصد بالعزلة أمرين اثنين:

الأوّل: البعد عمّا يشين العلم من مخالطة أهل الفساد، أو مشاركتهم في فسادهم، أو التهاون في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

والثاني: أن يكون للعالم أوقات يهرب فيها من ضغط الواقع ويخلو إلى نفسه؛ ليراجع مسيرته، ليعرف مواطن الإحسان والإساءة في مسيرته،

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٨٨..

وينظر في مدى اهتمامه بإصلاح نفسه وتزكيتها، فإنّ هذا أمر قد يغفل عنه الإنسان في خضمّ انشغاله وانصرافه إلى أعماله اليومية الكثيرة، ففي العزلة بالشكل الذي ذكرناه فرصة للمراجعة والتوبة من الذنوب وتجديد النيّة الصالحة في كلّ الأعمال، وهذا الذي كان يفعله الإمام السنوسي، كما رأينا ذلك في سيرته.

ولا شكّ أنّ هذا الأمر هو واجب جميع أفراد المجتمع المسلم، ولكنّ واجب العلماء والدعاة والحكام أكبر وأهمّ، والله أعلم.

الفصل الثالث

اهتمام العلماء بمؤلفات الإمام السنوسي

المبحث الأول: اهتمام العلماء بمؤلفات السنوسي شرحا ونظما واختصارا.

لقد حازت مؤلفات السنوسي عند العلماء قبولا كبيرا وأنزلوها من أنفسهم منزلة عظيمة، لذلك، فلا عجب أن تكثر المؤلفات والمصنفات في شأنها، فلا يحصى كم من شارح لها وناظم، ومختصر لها ومفصّل، ومقيّد حولها الفوائد، وجامع حولها الشوارد والفرائد، وهذا لعمري من أبلغ الأدلّة على قيمة هذا الإمام وقيمة مؤلفاته التي سارت بها الركبان، وصارت حديثا في الزمان والمكان.

وهذه الكتب، بعضها موجود وبعضها مفقود، والموجود منها بعضه مطبوع وبعضه ما زال مخطوطا ينتظر من يخدمه ويخرجه من الظلمات إلى النور.

وقد كان لعقيدته الصغرى المسماة بأم البراهين من ذلك النصيب الأوفر والاهتمام الأكبر، سواء في شرحها ابتداء، أو نظمها، أو التعليقات والحواشي على شرح السنوسي لها.

وفيما يلي ذكر بعض ما جمعته من ذلك، وهو غيض من فيض، وقليل من كثير، وعسى أن يتوفّر الوقت مستقبلا لاستيعاب ذلك واستقصائه.

وقد رتّبت ذلك حسب البلدان، فبدأت بأهل المغرب والأندلس عامّة وما يقرب منهم، ثمّ ثنّيت بأهل المشرق مثل مصر وما بعدها من بلاد المشرق، ورتّبت ذلك كلّه على حروف المعجم.

أمّا علماء الجزائر فقد عقدت لهم مبحثا خاصا، زيادة في الاهتمام، وإظهارا لما بذله أهل الجزائر في خدمة تراث هذا الإمام الجزائري الكبير، فهم أحقّ به وأهله، والأقربون أولى بالمعروف.

أوّلا: أهل المغرب والأندلس:

١. التحفة العزيزة في شرح عقيدة السنوسي، لابن عرضون الشفشاوني: أبو عبدالله محمد بن الحسن بن عرضون، الزجلي، المغربي، المالكي، ولي القضاء بشفشاون، وتوفي بفاس سنة(١٠١٢هـ)[١]. فرغ منها سنة(٩٩١هـ).

٢. تعليق على عقيدة السنوسي، للسملالي: عبدالله بن يعقوب،

(١) شجرة النور، ص١١٣٤. سلوة الأنفاس، ٢/ ٢٦٧. التقاط الدرر، ٤٠. هدية العارفين، ٢/ ٨٧. الأعلام، ٦/ ٨٩.

الجزولي، المغربي، المتوفى سنة(١٠٥٢هـ)[١].

٣. تقاييد على العقيدة الكبرى للسنوسي، لابن عاشر الأندلسي: عبدالواحد بن أحمد، الأنصاري، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، المتوفى سنة(١٠٤٠هـ)[٢].

٤. التقييد على عقيدة السنوسي في علم التوحيد، للشيخ محمد بن عبد القادر، الفاسي، المالكي، المتوفى سنة(١١١٨هـ)[٣].

٥. حاشية على السنوسية الكبرى، للمنجور: أبو العباس أحمد بن علي، المكناسي، الفاسي، المغربي، المتوفى سنة(٩٩٥هـ)[٤].

٦. حاشية على الصغرى للسنوسي، لابن أبي المحاسن الفاسي: أحمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن القصري الفاسي الفقيه المالكي الصوفي المتوفى سنة(١٠١٢هـ)[٥].

---

(١) الأعلام، ٤/ ١٤٦.
(٢) خلاصة الأثر، ٣/ ٩٨.
(٣) إيضاح المكنون، ١/ ٣١٥.
(٤) الأعلام، ١/ ١٨٠. معجم المؤلفين، ٢/ ١٠.
(٥) هدية العارفين، ١/ ٨٢.

٧. حاشية على الصغرى للسنوسي، للشفشاوني: محمد بن علي الشفشاوني، العلمي، الوهابي، المغربي،، المتوفى سنة(١٠٢٧هـ)[١].

٨. حاشية على الكبرى، لليوسي: أبو علي نور الدين الحسن بن مسعود، اليوسي، المتوفى سنة(١١١١هـ)[٢]، من بني يوس: قبيلة من البربر، بالمغرب الأقصى، كان ينعت بغزالي عصره[٣].

٩. حاشية على شرح السنوسي على مختصره في المنطق، للبناني: أبو عبدالله محمد بن الحسن، البناني، الفاسي، المتوفى سنة(١١٩٤هـ)، كان خطيب الضريح الإدريسي بفاس، وإمامه[٤].

١٠. حاشية على شرح السنوسي لعقيدته الصغرى، للسكتاني: أبوالعباس أحمد بن عبدالله بن محمد، السوسي، التونسي، المتوفى

(١) معجم المؤلفين، ١١/١٦. هدية العارفين، ٢/٨٩.

(٢) وفي بعض المصادر: ١١٠٢هـ. انظر: مجلة التاريخ العربي، ١/١٥٣٢١.

(٣) هدية العارفين، ١/١٥٨. موسوعة الأعلام، ١/١٥١. وفي التقاط الدرر، ص٢٥٨ أنّه توفي سنة(١١٠٢هـ).

(٤) مجلة التاريخ العربي، ١/١٥٣٣٤. الأعلام، ٦/٩١. معجم المؤلفين، ٩/٢٢١. موسوعة تراجم الفقهاء، ٢/٢. معجم المطبوعات، ١/٥٨٩.

سنة(١١٩٣هـ)[١].

١١. حاشية على شرح الصغرى للسنوسي، للقصري: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف، الفاسي، المالكي، المتوفى سنة(١٠٣٦هـ). درس بفاس التفسير والحديث[٢].

١٢. حاشية على شرح العقيدة الكبرى للسنوسي، للفهري: عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف، أبو حفص الفهري[٣] الفاسي، المتوفى سنة(١١٨٨هـ). فقيه مالكي، من أهل فاس. مولده ووفاته بها[٤].

١٣. حاشية على شرح المختصر المنطقي للسنوسي، للفهري: عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف، أبو حفص الفهري[٥] الفاسي،

---

(١) الأعلام، ١/١٦٢. معجم المؤلفين، ١/٣٠١.

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٣٧٩. التقاط الدرر، ص٨٥. معجم المؤلفين، ٥/١٩٤.

(٣) كناه في معجم المؤلفين بأبي جعفر، ولم يذكر في نسبته (الفهري).

(٤) الأعلام، ٥/٥٣. معجم المؤلفين، ٧/٢٩٤.

(٥) كناه في معجم المؤلفين بأبي جعفر، ولم يذكر في نسبته (الفهري).

المتوفى سنة(١١٨٨هـ). فقيه مالكي، من أهل فاس. مولده ووفاته بها[١].

١٤. حاشية على شرح أمّ البراهين للسنوسي، للسكتاني: أبو مهدي عيسى بن عبدالرحمن، الرجراجي، المالكي، مفتي مراكش وقاضيها، المتوفى سنة(١٠٦٢هـ)[٢].

١٥. حاشية على مقدمة السنوسي، للغرياني: أبو عبدالله محمد بن علي، الطرابلسي الأصل، التونسي الدار، المتوفى سنة(١١٩٥هـ)[٣].

١٦. شرح السنوسية الصغرى، للتنبكتي: أحمد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المعروف ببابا السوداني، المالكي، المتوفى سنة(١٠٣٢هـ)[٤].

١٧. شرح السنوسية الكبرى للسنوسي، للدراوي: أبو محمد

---

(١) الأعلام، ٥/ ٥٣. معجم المؤلفين، ٧/ ٢٩٤.

(٢) خلاصة الأثر، ٣/ ٢٣٦. التقاط الدرر، ص١٣١. الأعلام، ٥/ ١٠٤. معجم المؤلفين، ٨/ ٢٦. موسوعة الأعلام، ١/ ٤٠٥. هدية العارفين، ١/ ٤٢٩.

(٣) شجرة النور، (رقم: ٣٤٩). فهرس الفهارس، ٢/ ٨٨٥.

(٤) ديوان الإسلام، ص٤. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/ ١٧١. هدية العارفين، ١/ ٨٤.

الحسن بن أحمد، الهداجي، المغربي، المتوفى سنة(١٠٠٦هـ)[١].

١٨. المواهب الربانية في شرح المقدمات السنوسية، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علي البناني، الأندلسي[٢].

١٩. شرح الصغرى للسنوسي، لأحمد بن عمر التنبكتي، جد أحمد بابا التنبكتي.

٢٠. شرح الصغرى للسنوسي، للدراوي: أبو محمد الحسن بن أحمد، الهداجي، المغربي، المتوفى سنة(١٠٠٦هـ)[٣].

٢١. شرح الصغرى للسنوسي، للعبادي: أبو الحسن علي عبدالصادق، الطرابلسي(طرابلس الغرب)، المالكي، العبادي، نسبة للعبائدة، قبيلة من بني سليم، الصوفي، الفقيه، المالكي، المتوفى سنة(١١٣٨هـ)[٤].

---

(١) التقاط الدرر، ص٢٩. وفي هدية العارفين، ١/ ١٥٤ أنّه شرح كبرى السنوسي أيضا.

(٢) والكتاب مطبوع على هامش شرح السنوسي لصغرى الصغرى. مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

(٣) هدية العارفين، ١/ ١٥٤.

(٤) معجم المؤلفين، ٧/ ١٢٢. هدية العارفين، ١/ ٤٠٧.

٢٢. شرح العقيدة الصغرى للسنوسي، للبطاوري: محمد المكي بن محمد بن علي، الشرشالي، أبو حامد، من أهل الرباط، ولد وتوفي بها سنة(١٣٥٥هـ). كان أديبا وقاضيا، ولي قضاء الرباط مدة أحد عشر عاما، وتقلب في وظائف أخرى داخل وخارج المغرب(١).

٢٣. شرح صغرى السنوسي، للسملالي: يِبُورك[كلمة بربرية معناها: مبارك]بن عبدالله بن يعقوب، السملالي، الجزولي، من أهل تازموت، المتوفى سنة(١٠٥٨هـ)(٢).

٢٤. شرح صغرى السنوسي، للملالي: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عمر، الملالي(ت٨٩٨هـ)، نسبة إلى ملاّلة، وهي قرية خارج بجاية، ورد ذكرها في كثير من المصادر. كان الملاّلي من تلاميذ الإمام السنوسي. له: المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، في مناقب شيخه الإمام السنوسي(٣). وقد اختصره ابن مريم(١).

---

(١) الأعلام، ٧/١١٠.

(٢) الأعلام، ٨/١٣٣. راجع ترجمة أبيه، فله أيضا تعليق على عقيدة السنوسي.

(٣) الأعلام، ٥/٣٠١. ونصّ الزركلي في الأعلام: (نسبته إلى بني ملال بالمغرب). فإن =

٢٥. شرح صغرى السنوسي، للهشتوكي: محمد بن المبارك، المراكشي، المغربي، الدرقاوي، المتوفى سنة(١٣١٣هـ)[٢].

٢٦. شرح عقيدة السنوسي، للصالحي: أبو عبدالله محمد بن الحسن بن يوسف، المتوفى سنة(١٠١٢هـ)[٣].

٢٧. شرح على أم البراهين، لابن بري: علي بن بري، السوداني، الفقيه، المتصوّف، المتوفى سنة(١٠٧٣هـ). اشتهر في السودان، ورويت عنه أساطير من تلفيق العامة كزعمهم أنه كان يكتب ليلا، والنور يضيء من أصبعه[٤].

٢٨. شرح على مختصر السنوسي، للسوسي: محمد، السوسي، المنصوري، المتوفى سنة(١١٤٢هـ)، ولي القضاء بسلا[٥].

=

كان يقصد المغرب الأقصى فهو خطأ، والله أعلم.

(١) البستان، ص٢٣٩.

(٢) الأعلام، ٧/١٨.

(٣) معجم المؤلفين، ٩/٢٢٩.

(٤) الأعلام، ٤/٢٦٥. معجم المؤلفين، ٧/٤٣.

(٥) معجم المؤلفين، ١٠/٥٩.

٢٩. شرح مختصر المنطق للسنوسي، للولالي: أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب، الفاسي، المكناسي، المتوفى سنة(١١٢٨هـ)، نسبته إلى بني ولال من قبائل العرب بالمغرب[1].

٣٠. شرح نظم السنوسية، للحسني: بدر الدين محمد بن يوسف بن عبدالرحمن، المغربي، المراكشي، البيباني، محدّث الشام في عصره، المتوفى سنة(١٣٥٤هـ)[2].

٣١. شرحان على صغرى السنوسي، للبوسعيدي: حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل، الدرعي، نسبة إلى درعة، المغربي، المالكي، المتوفى سنة(١١٤٢هـ)، شيخ الطريقة الشاذلية[3].

٣٢. الفتح القدوسي على مختصر السنوسي في المنطق، للهشتوكي: أبو العباس أحمد بن محمد بن داود، المغربي، ويعرف

(١) الأعلام، ١/٢٤١. معجم المؤلفين، ٢/١٥٦. وفي هدية العارفين، ١/٩١: الدلائي.

(٢) الأعلام، ٧/١٥٨. وكان ممّن يحفظ الصحيحين غيبا بأسانيدهما. وله شرح البخاري وشرح البيقونية وشرح القصيدة الغزلية لابن فرح الإشبيلي.

(٣) التقاط الدرر، ص٣٥٤. الأعلام، ٢/٢٥٦.

بالجزولي، المالكي، المتوفى سنة(١١٢٧هـ)، نزل بدرعة (في صحراء المغرب) وأقام في الزاوية الناصرية، وتوفي بها[١].

٣٣. مواهب القدوسي في نظم ونثر شيخنا السنوسي، للشيخ بنبا: أحمد بن محمد التكروري، من علماء السودان الغربي، (كان حيا سنة ١٣١٣هـ)[٢].

٣٤. نظم العقيدة الوسطى للسنوسي وشرحها، للشيخ ابن فودي[٣]: عبد الله بن محمد بن عثمان، الملقب بغُورط، المتوفى

---

(١) الأعلام، ١/٢٤٠.

(٢) معجم المرلفين، ٢/٨٩.

(٣) ينتمي الشيخ عبد الله بن فودي إلى مجموعة من قبائل الفلانيين تسمى التوروذ (توروبي بالفلانية) و (تورنكاوا بالهوسا). وكانت هذه القبيلة تسكن في جبال فوتا تورو وفوتا جالون في منطقة جمهوريتي السنغال وغينيا الحاليتين. ويقال إن نسبهم يتصل بعقبة بن عامر فاتح بلاد المغرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وإذا صح هذا يكون عبد الله قرشيا لأن عقبة رضي الله عنه قرشي صليبة. انظر: مقدّمة محقق كتاب (منظومة مصباح الراوي في علم الحديث) لابن فودي المذكور، ص١١.

سنة(١٢٤٥هـ)[١].

٣٥. نفائس الدرر في حواشي المختصر، لليوسي: أبو علي نور الدين الحسن بن مسعود، اليوسي، المتوفى سنة(١١١١هـ)[٢]، من بني يوس: قبيلة من البربر، بالمغرب الأقصى، كان ينعت بغزالي عصره[٣].

٣٦. الهبة والعطا مختصر شرح السنوسي لعقيدته الوسطى، للبناني: أبو إسحاق إبراهيم بن علي، السرقسطي، الأندلسي، المتوفى سنة(١٠٨٨هـ أو بعدها)[٤]. اختصر فيه شرح السنوسي وأضاف إليه زوائد.

٣٧. هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد، في شرح العقيدة الكبرى، للسنوسي، للشيخ عُلَيْش[٥]: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو

(١) مقدّمة محقق كتاب (منظومة مصباح الراوي في علم الحديث) لابن فودي، ص١٤.

(٢) وفي بعض المصادر: ١١٠٢هـ. انظر: مجلة التاريخ العربي، ١/١٥٣٢١.

(٣) مجلة التاريخ العربي، ١/١٥٣٢١، ١٥٣٣٣. الأعلام، ٢/٢٢٣. هدية العارفين، ١/١٥٨.

(٤) الأعلام، ١/٥٣. معجم المؤلفين، ١/٦٥.

(٥) هذا هو المشهور في ضبطه. وأمّا أهل المغرب فيضبطونه بكسر العين واللام(عِلِيش).

عبد الله، المغربي الأصل، المصري المنشأ والوفاة، الفقيه المالكي، المتوفى سنة(١٢٩٩هـ)، تعلم في الازهر، وولي مشيخة المالكية فيه، ولما كانت ثورة عرابي باشا اتهم بموالاتها، فأخذ من داره، وهو مريض، محمولا لا حراك به، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه[١].

ثانيا: أهل المشرق

٣٨. الألفاظ السنية بشرح المقدمة السنوسية، لأبي الخير محمد الخطيب، (كان حيا سنة ١٢٨٨هـ). فرغ منها سنة(١٢٨٨هـ)[٢].

٣٩. الأنوار الإلهية شرح المقدمة السنوسية، للنابلسي: عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني، الحنفي، الدمشقي، الشهير، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى سنة(١١٤٣هـ)[٣].

٤٠. البدور الجلية في شرح نظم السنوسية، للحسني: بدر

---

(١) معجم المطبوعات، ١/١٠٥٨. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص١٦٩. الأعلام، ١٩/٦.

(٢) معجم المؤلفين، ٩/٣٠٧.

(٣) سلك الدرر، ٣/٣٥. هدية العارفين، ١/٣١٢. إيضاح المكنون، ١/١٣٧. الأعلام، ٤/٣٣. وفي بعض المصادر جعل وفاته سنة(١١٢٦هـ).

الدين، المتوفى سنة(١٣٥٤ هـ ـ١٩٣٥م)[١].

٤١. بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين عن كشف الظنون، للغنيمي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد، الأنصاري، الخزرجي، القاهري، الحنفي، المتوفى سنة(١٠٤٤هـ)[٢]، وهو أوسع الشروح على الإطلاق.

٤٢. التحف السندسية لمن يشتغل بشرح السنوسية، للرحماني: داود بن سليمان بن علوان، المصري، الشافعي، المتوفى سنة(١٠٧٨هـ). فرغ من تأليفها سنة(١٠٦٥هـ) [٣].

٤٣. تقريرات على شرح السنوسية لمؤلفها، للصعيدي: علي بن أحمد العدوي، المالكي، نزيل مصر، المتوفى سنة(١١٨٩هـ)[٤].

---

(١) الدرر اللؤلؤية في النعوت البدرية، للشيخ محمود الرنكوسي، ص ٩، ١٣، ٢٨.

(٢) ديوان الإسلام، ص٦٨. كشف الظنون، ١/ ١٧٠. خلاصة الأثر، ١/ ٣١٣. معجم المؤلفين، ٢/ ١٣٢.

(٣) خلاصة الأثر، ٢/ ١٤٠. هدية العارفين، ١/ ١٩٠. معجم المؤلفين، ٤/ ١٣٧. الأعلام، ٢/ ٣٣٢.

(٤) هدية العارفين، ١/ ٤٠٩.

٤٤. حاشية على السنوسية في العقائد، للدمياطي: محمد بن عيسى بن يوسف، أبوعبدالله، الشافعي، الخلوتي، المتوفى سنة(١١٧٨هـ)[١].

٤٥. حاشية على السنوسية، للعدوي: أحمد بن صالح بن محمد، السباعي، العدوي، الحسني، المالكي، المتوفى سنة(١٢٦٦هـ)[٢].

٤٦. حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي، للباجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد، الشافعي، شيخ الجامع الأزهر، المتوفى سنة(١٢٧٧هـ)[٣].

٤٧. حاشية على شرح السنوسي على أمّ البراهين، لإبراهيم بن عبدالغفار الدسوقي، المتوفى سنة(١٢٢٦هـ). فرغ منها سنة(١٢١٤هـ)[٤].

---

(١) معجم المؤلفين، ١١/١٠٩. عجائب الآثار، ١/١٦٥. هدية العارفين، ٢/١٢٢.

(٢) معجم المؤلفين، ١/٢٥٣.

(٣) الأعلام، ١/٧١. هدية العارفين، ١/٢٢. إيضاح المكنون، ١/٢٦٨.

(٤) معجم المطبوعات، ١/٨٧٥.

٤٨. حاشية على شرح السنوسي على صغراه، للعليمي: ياسين بن زين الدين، الحمصي، الشافعي، نزيل مصر، والمتوفى بها سنة(١٠٦١هـ)(١).

٤٩. حاشية على شرح السنوسي لعقيدته الكبرى، للعكاري: رمضان بن عبدالحق، الحنفي، الدمشقي، المتوفى سنة(١٠٥٦هـ)(٢).

٥٠. حاشية على شرح السنوسية للقيرواني، للشيخ الكوراني: إلياس بن إبراهيم، الكردي، الشافعي، الصوفي، نزيل دمشق، المتوفى سنة(١١٣٨هـ)(٣).

٥١. حاشية على شرح القيرواني على متن السنوسية أم البراهين في التوحيد، للملوي: أحمد بن عبدالفتاح، المجيري، الشافعي، الأزهري، المتوفى سنة(١١٨١هـ)(٤).

---

(١) هدية العارفين، ٢/ ٢١٤. الأعلام، ٨/ ١٣٠.

(٢) الأعلام، ٣/ ٣٣. هدية العارفين، ١/ ١٩٤.

(٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١/ ١٧٣. الأعلام، ٢/ ٨. يوميات شامية، ص١٠٢.

(٤) معجم المؤلفين، ١/ ٢٧٨.

٥٢. حاشية على شرح الهدهدي على أم البراهين، للعدوي: محمد بن عبادة بن بري، المالكي، نسبته إلى (بني عدي) من بلاد الصعيد، المتوفى سنة(١١٩٣هـ)(١).

٥٣. حاشية على شرح الهدهدي على صغرى السنوسي، للصعيدي: علي بن أحمد العدوي، المالكي، نزيل مصر، المتوفى سنة(١١٨٩هـ)(٢).

٥٤. حاشية على شرح الهدهدي للسنوسية في العقائد، للعقباوي: مصطفى بن أحمد المصري، المالكي، الصوفي، المتوفى في سنة(١٢٢١هـ)(٣).

٥٥. حاشية على شرح أم البراهين للدسوقي، للشيخ حسن محمد العطار.

٥٦. حاشية على شرح محمد السنوسي على مقدّمة أم البراهين في

---

(١) الأعلام، ٦/١٨٢.

(٢) هدية العارفين، ١/٤٠٩.

(٣) هدية العارفين، ٢/١٨٥.

العقائد، للدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة، الدسوقي، المالكي، المتوفى سنة(١٢٣٠هـ)، من أهل دسوق بمصر، تعلّم بها، وتوفي بالقاهرة[١].

٥٧. حاشية على شرح الهدهدي لأم البراهين، للشرقاوي: عبدالله بن حجازي، الشرقاوي[٢].

٥٨. حاشية على عقائد السنوسية، للأجهوري: أحمد بن أحمد، الضرير، الأزهري، المتوفى سنة(١٢٩٣هـ)[٣].

٥٩. حاشية على كبرى السنوسي، للدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة، الدسوقي، المالكي[٤].

٦٠. حاشية على مختصر السنوسي في المنطق، للباجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد، الشافعي، شيخ الجامع الأزهر، المتوفى

---

(١) الأعلام، ٦/ ١٧. معجم المؤلفين، ٨/ ٢٩٢. موسوعة الأعلام، ١/ ٢١٧. موسوعة تراجم الفقهاء، ٧/ ٢. حلية البشر، ٣/ ١٢٦٢. هدية العارفين، ٢/ ١٣٤.

(٢) غرائب الاغتراب، ١/ ١٤٢. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص١٦٩.

(٣) معجم المؤلفين، ١/ ١٤٤. هدية العارفين، ١/ ١٠٢.

(٤) حلية البشر، ٣/ ١٢٦٢. هدية العارفين، ٢/ ١٣٤.

سنة(١٢٧٧هـ)[١].

٦١. حاشية على مختصر السنوسي في فن الميزان، للباجوري: إبراهيم بن محمد، المتوفى سنة(١٢٧٦هـ). انتهت إليه رئاسة الجامع الأزهر سنة(١٢٦٣هـ)[٢].

٦٢. الحجة في نظم أمّ البراهين، للحجازي[٣]: محمد بن موسى بن محمد الحسينى، المالكي، المتوفى بمصر بعد سنة(١٠١٥هـ)، من أهل المدينة. فرغ من نظم هذه الأرجوزة سنة(١٠١٥هـ)، وتقع في (٢٢٠) بيتا، أولها: قال محمد هو الحجازى ... الحمد لله على المفاز[٤].

٦٣. الحجة في نظم أم البراهين، للخلوتي: محمد بن أحمد بن على، الهوتي، الحنبلي، الشهير بالخلوتي، المصري، المتوفى

---

(١) الأعلام، ١/ ٧١.

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/ ٧.

(٣) وفي بعض المصادر: الجمازي. انظر: معجم المؤلفين، ١٢/ ٦٧، وجعل وفاته سنة(١٠٦٥هـ). وكذلك في إيضاح المكنون، ١/ ٣٩٣.

(٤) الأعلام، ٧/ ١١٩. هدية العارفين، ٢/ ٩٧.

سنة(١٠٨٨هـ)[١].

٦٤. حاشية على شرح السنوسية الكبرى، للحامدي: إسماعيل بن موسى، المصري، المالكي، المتوفى سنة(١٢٢٦هـ)[٢].

٦٥. الحواشي البهية على شرح الهدهدي للسنوسية، للنماوي: حسين بن محمد بن علي، المصري، المالكي، المتوفى سنة(١٠٦٠هـ)[٣].

٦٦. الدرة الفريدة بشرح العقيدة المسماة بالحفيدة، للسُّجَاعِيّ: أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد البدراوي، الأزهري، الشافعي، المتوفى سنة (١١٩٧هـ)، والسجاعي: نسبة إلى (السُّجَاعِيَّة): قرية من مديرية الغربية بمركز المحلة الكبرى بمصر[٤].

٦٧. ذريعة اليقين على أم البراهين للسنوسي، للجاوي: أبو

---

(١) إيضاح المكنون، ١/٣٩٣.

(٢) معجم المؤلفين، ٢/٢٩٨. الأعلام، ١/٣٢٨.

(٣) معجم المؤلفين، ٤/٥٦. إيضاح المكنون، ١/٤٢٢.

(٤) مجلة جامعة أم القرى، ١٤/١١٦. وانظر نسخه في: فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية، ٣/١٩١، فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل، العدد ٨، ص ٤٣، فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص ٩٣.

المعطي محمد نوير بن عمر بن عربي، النووي، الفقيه، نزيل مصر، المتوفى سنة(١٣١٥هـ) بمكة المكرمة[١].

٦٨. شرح الرسالة السنوسية في أصول الدين، للشيخ الكبير المواهبي: أبوالطيب برهان الدين إبراهيم بم محمود، المتوفى سنة(٩٠٨هـ)[٢].

٦٩. شرح السنوسية، للسكري: عبدالله بن درويش، الركابي، الحنفي، الدمشقي، المتوفى سنة(١٣٢٩هـ)[٣].

٧٠. شرح العقيدة الصغرى للسنوسي، لأبي العباس أحمد بن أقدار، المتكلّم، المتوفى بعد سنة(٩٣٩هـ)[٤].

٧١. شرح المرقص المطرب على السنوسية بفتح الرحمن لأقفال أم البرهان، للبيجري: محمد بن عبدالسلام، (كان حيا سنة ١١٤٩هـ)[٥].

---

(١) هدية العارفين، ٢/ ١٥٥.

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ١/ ٢٧. الأعلام، ١/ ٧٣.

(٣) الأعلام، ٤/ ٨٥.

(٤) معجم المؤلفين، ١/ ١٦٨.

(٥) معجم المؤلفين، ١٠/ ١٦٨. فهرس الفهارس، ١/ ٤٠٠.

٧٢. شرح ديباجة أم البراهين، للأكراشي: سليمان بن طه بن العباس، الحريثي، المتوفى سنة(١١٩٩هـ). نسبته إلى (أكراش) من قرى الدقهلية بمصر. تعلم في القاهرة، وتولى مشيخة القراء بمقام السيدة نفيسة إلى أن توفي[1].

٧٣. شرح عقائد السنوسي، للقاوقجي: أبو المحاسن محمد بن خليل، الطرابلسي (طرابلس الشام)، الشامي، المتوفى سنة(١٣٠٥هـ)[2].

٧٤. شرح على السنوسية، للشويكي: عبدالحليم بن عبدالله، النابلسي، الشافعي، المتوفى سنة(١١٨٥هـ)، بمكة المكرمة[3].

٧٥. شرح على أم البراهين، للهدهدي: محمد بن منصور[4].

٧٦. شرح مختصر السنوسي في المنطق، للأجهوري: عطية الله بن

(١) الأعلام، ٣/١٢٧. هدية العارفين، ١/٢١١.

(٢) هدية العارفين، ٢/١٥٠.

(٣) سلك الدرر، ١/٣٣١. معجم المؤلفين، ٥/٩٥. هدية العارفين، ١/٢٦١. الأعلام، ٣/٢٨٤.

(٤) غرائب الاغتراب، ١/١٤٢.

عطية، البرهاني، القاهري، الشافعي، المتوفى بالقاهرة سنة(١١٩٠هـ)[١].

٧٧. شرح نظم السنوسية، لمحمد بن محمد الأمير،(كان حيا حوالى ١١٧٥هـ) [٢].

٧٨. الفرائد[٣] السنية في شرح المقدمة السنوسية، للخرشي: أبوعبدالله محمد بن عبدالله، الخراشي، المالكي، المتوفى سنة(١١٠١هـ). كان أوّل من تولّى مشيخة الأزهر[٤]، وفي كتابه هذا شرح مقدّمات الإمام السنوسي.

٧٩. اللطائف الأنسية شرح على نظم العقيدة السنوسية، للنابلسي: عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني، الحنفي، الدمشقي، الشهير، صاحب التصانيف الكثيرة، المتوفى سنة(١١٢٦هـ)[٥].

---

(١) سلك الدرر، ٢/٤٧. الأعلام، ٤/٢٣٨.

(٢) معجم المؤلفين، ١١/١٩٣.

(٣) وفي بعض المصادر: الفوائد، ولعلّه تصحيف.

(٤) معجم المؤلفين، ١٠/٢١١. الأعلام، ٦/٢٤٠. هدية العارفين، ٢/١٠٥. إيضاح المكنون، ٢/١٨٢. موسوعة تراجم الفقهاء، ٦/٢.

(٥) سلك الدرر، ١/٣٩٨. هدية العارفين، ١/٣١٤. إيضاح المكنون، ٢/٤٠٣.

٨٠. اللمعة المغنية والفتح المبين لشرح السنوسية أم البراهين، للبلقطري: موسى بن محمد بن بركات البلقطري الأصل، السكندري الموطن والمنشأ، من رجال القرن الحادي عشر[١].

٨١. المطالع السعيدة في شرح القصيدة للسنوسي في العقائد، لأبي عذبة: حسن بن عبد المحسن، المتوفى بعد سنة(١١٧٢ هـ)[٢].

٨٢. المعاني السنية في شرح مقدمة السنوسية في العقائد، للبياي: علي بن حسن، الحنفي، (كان حيا سنة ١١٧٨هـ). فرغ منها سنة(١١٧٨هـ) [٣].

٨٣. النبذة اليسيرة على حاشية القيرواني لشرح السنوسية، للرومي: عبدالله بن عبدالرحمن، الجلوتي، الرومي، المتوفى

(١) إيضاح المكنون، ٢/٤١٢. هدية العارفين، ٢/١٩٨.

(٢) هدية العارفين، ١/١٥٩. الأعلام، ٢/١٩٨.. هكذا هو مذكور في هذه المصادر. وفي معجم المؤلفين، ٣/٢٤٣، ومصادر أخرى: (المطالع السعيدة على متن الحفيدة في التوحيد)، فالله أعلم بالصواب.

(٣) معجم المؤلفين، ٧/٦١. هدية العارفين، ١/٤٠٨. إيضاح المكنون، ٢/٥٠٦.

سنة(١١٦٤هـ). فرغ منها سنة(١١٣٩هـ)[١].

٨٤. نظم أم البراهين، للجمازي: محمد بن موسى، المصري، المتوفى سنة(١٠٦٥هـ)[٢].

٨٥. نظم عقيدة السنوسي الصغرى، ثمّ شرحها، لمغلباي: أحمد بن أبي الغيث، الحنفي، ولد بالمدينة المنورة وأمّ بالمسجد النبوي وخطب به، وتوفي سنة(١١٣٤هـ)، ودفن بالبقيع[٣].

٨٦. نظم متن السنوسية، لمحمد منيب بن هاشم، الجعفري، النابلسي، المتوفى سنة(١٣٤٣هـ)[٤].

٨٧. هداية الراشدين والمسترشدين لحلّ شرح السنوسي على أمّ البراهين، للجوهري: أحمد بن الحسن بن عبدالكريم، الكريمي،

---

(١) معجم المؤلفين، ٦/ ٧٢. هدية العارفين، ١/ ٢٥٠. إيضاح المكنون، ٢/ ٦١٨.

(٢) خلاصة الأثر، ٤/ ٢٣٥.

(٣) هدية العارفين، ١/ ٩٢. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١/ ٥٢. معجم المؤلفين، ٢/ ٤٠.

(٤) معجم المؤلفين، ١٢/ ٥٤.

الخالدي، الأزهري، الشافعي، المتوفى سنة(١١٨٢هـ)[١].

(١) هدية العارفين، ١/ ٩٦. معجم المؤلفين، ١/ ١٨٥.

المبحث الثاني: من اشتغل بشرح كتب السنوسي وشروحها من أهل الجزائر:

لقد أولى علماءُ الجزائر كتبَ السنوسي عناية كبيرة واهتموا بها اهتماما بالغا، فكانت لهم عليها شروح واختصارات، أذكر من ذلك ما وقفت عليه خلال هذه الدراسة المستعجلة، مرتبا على حروف المعجم، وسوف يستمرّ البحث مستقبلا لاستكمال جوانب اهتمام أهل الجزائر بمؤلفات هذا العالم الكبير، الذي شرفت به الجزائر قديما وحديثا.

١. إتحاف المغرى في تكميل شرح الصغرى، للإمام أحمد بن محمد، المَقَّري، التلمساني، المتوفى سنة(١٠٤١هـ)[١].

٢. إرشاد المغرى لاختصار الصغرى، للبوني: أحمد بن محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني، نسبة إلى بونة (وهي عنابة)، المتوفى بعد سنة(١١١٦هـ)[٢].

---

(١) تعريف الخلف، ١/ ٤٨. وانظر أيضا: مقدمة محقق نفح الطيب، ١/ ٨. هدية العارفين، ١/ ٨٥.

(٢) تعريف الخلف، ٢/ ٥٣٠.

٣. تكملة الفوائد في تحرير العقائد، وهو شرح على أمّ البراهين، لأحمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي، الزواوي[١].

٤. حاشية شرح أم البراهين، للإمام أحمد بن محمد، المَقَّري، التلمساني، المتوفى سنة(١٠٤١هـ)[٢].

٥. حاشية على الصغرى، لأبي محمد عبدالقادر بن أحمد، المعروف بابن خدّة[٣].

٦. حاشية على شرح السنوسية(أم البراهين)، للشيخ الإمام الشاوي: أبي زكرياء يحيى بن محمد، النايلي، الملياني، الجزائري، المالكي، المتوفى سنة(١٠٩٦)[٤].

٧. الحاشية على شرح الصغرى، للإمام أبي عثمان سعيد بن إبراهيم، المعروف بقدّورة، الجزائري الدار، التونسي، المتوفى سنة(١٠٦٦هـ). ولي

(١) تعريف الخلف، ١/ ٥٣٤.

(٢) تعريف الخلف، ١/ ٤٨.

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٥٧٠.

(٤) ديوان الإسلام، ص٩٥. الأعلام، ٨/ ١٦٩. معجم المؤلفين، ١٣/ ٢٢٧. هدية العارفين، ٢/ ٢٢٥.

الإفتاء بالجزائر[١].

٨. حاشية على شرح الصغرى، للإمام عمر بن محمد الكماد، القسنطيني، المعروف بالوزّان، المتوفى سنة(٩٦٠هـ)[٢].

٩. حاشية على شرح الصغرى، لمحمد الصالح بن سليمان العيسوي، الزواوي، الرحموني، نسبة إلى أولاد رحمون، من شرفاء العش، في بلد أمشدالة، المتوفى سنة(١٢٤٢هـ).

١٠. حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي، للشاوي: أبو زكرياء يحيى بن محمد، النايلي، الملياني، الجزائري، المالكي، المتوفى سنة(١٠٩٦هـ)، على ظهر السفينة[٣].

١١. حاشية على شرح أم البراهين، للإمام العلاّمة أبي زكرياء يحيى الشاوي، الملياني، المتوفى سنة(١٠٩٦هـ)[٤].

---

(١) معجم المؤلفين، ٤/٢١٩. تعريف الخلف، ١/٦٦. هدية العارفين، ١/٢٠٦.

(٢) تعريف الخلف، ١/٨١.

(٣) خلاصة الأثر، ٤/٤٨٦.

(٤) تعريف الخلف، ١/١٩٢.

١٢. حاشية على صغرى السنوسي، للونيسي: أبو عبدالله محمد فتحا بن أبي الحسن، الونيسي، القسنطيني، المتوفى سنة(١٢٦٠هـ)[١].

١٣. شرح أم البراهين (العقيدة الصغرى)، للإمام محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني[٢].

١٤. شرح عقيدة السنوسي الصغرى، للإمام محمد بن أحمد الموسوم، المتوفى في آخر القرن الثالث عشر الهجري، ودفين قصر البخاري[٣].

١٥. شرح على ديباجة شرح العقيدة المسماة بأم البراهين، للقلعي: أبو الحسن بن عمر القلعي، المغربي، المالكي، المتوفى سنة(١١٩٩). قدم مصر سنة ١١٥٤ هـ، وحضر أشياخ الوقت كالبليدي والملوي والجوهري والصعيدي، وتولى مشيخة رواق المغاربة مرتين أو

---

(١) تعريف الخلف، ٢/٤٩٣. معجم المؤلفين، ١١/١١٨.

(٢) كشف الظنون، ١/١٧٠.

(٣) معجم المؤلفين، ٩/٢٣. تعريف الخلف، ٢/٥١٦.

ثلاثا[١].

١٦. شرح على متن السنوسية، للشيخ العلاّمة معزوز البحري المستغانمي، المتوفى في أواسط القرن الثاني عشر الهجري، وكان مدفنه على جبل مقابل لشاطئ البحر بمستغانم، فلما احتيج إلى الجبل نُقل إلى مقبرة البلد ودفن بطرفها الموالي للبحر وذلك سنة (١٣٠٧هـ). قال الديسي عن شرحه: (وله في هذا الشرح فوائد حسنة رائقة، وتنبيهات مفيدة فائقة)[٢].

١٧. شرح على متن السنوسية، للشيخ مصطفى الرماصي، نسبة إلى رماصة، قرية صغيرة من قرى مستغانم، كان حيا في أوائل القرن الثاني عشر[٣].

١٨. شرح على مختصر الصغرى، لمحمد بن أحمد بن مريم،

(١) عجائب الآثار، للجبرتي، ١/ ٣٠٦. شجرة النور الزكية ص ٣٤٣. ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٦٧. الموسوعة الفقهية، ٤٤/ ١١. موسوعة تراجم الفقهاء، ١/ ٢.

(٢) تعريف الخلف، ٢/ ٥٨٢. معجم المؤلفين، ١٢/ ٣٠٨.

(٣) تعريف الخلف، ٢/ ٥٧٨.

المديوني، صاحب كتاب (البستان في ذكر علماء وصلحاء تلمسان)، (كان حيا سنة ١٠١٤هـ)[١].

١٩. شرح متن السنوسية، لابن الشريف التلمساني: عبدالله بن محمد بن أحمد، التلمساني، المالكي، المتوفى سنة(٧٩٢هـ)، غريقا في البحر، منصرفه من مالقة إلى بلده تلمسان[٢].

٢٠. شروح على صغرى السنوسي، للولاتي، البرتلي، التكروري، المتوفى سنة(١٢١٩هـ)[٣].

٢١. كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد، لابن مريم المديوني السابق (لعلها شرح على عقيدة السنوسي)[٤].

---

(١) تعريف الخلف، ١/ ١٥٥.

(٢) الأعلام، ٤/ ١٢٧. ملاحظة: الظاهر أنّ هناك خطأ في تاريخ الوفاة؛ لأنّ هذا سابق للسنوسي، فكيف يشرح متنه؟! (يراجع). وفي هامش الأعلام: ورد اسمه على شرح السنوسية: عبدالله بن عمر بن محمد.

قلت: فلعلّه غيره، والله أعلم.

(٣) مجلة التاريخ العربي، ١/ ١٤٠٥٨.

(٤) تعريف الخلف، ١/ ١٥٥.

٢٢. المستفيد في عقيدة التوحيد، بل كنز الفوائد في شرح صغرى العقائد، للإمام الفقيه محمد بن أمزيان، المتوفى في حدود القرن الحادي عشر. قال الديسي عن كتابه: (أفاد فيه وأجاد ...) [١].

٢٣. نظم العقيدة الوسطي، للبوني: أحمد بن محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني، نسبة إلى بونة (وهي عنابة)، المتوفى بعد سنة(١١١٦هـ)[٢].

٢٤. نظم صغرى السنوسي، للبوني: أحمد بن محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني، المذكور سابقا[٣].

٢٥. نظم صغرى الصغرى، للبوني: أحمد بن محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني، المذكور سابقا[٤].

٢٦. نظم عقيدة السنوسي السادسة وشرحها، للبوني: أحمد بن

---

(١) إيضاح المكنون، ٢/٣٨٦. معجم المؤلفين، ١٢/١٤. تعريف الخلف، ٢/٣٦٤.

(٢) تعريف الخلف، ٢/٥٣١.

(٣) تعريف الخلف، ٢/٥٢٧.

(٤) تعريف الخلف، ٢/٥٣٠.

محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني، نسبة إلى بونة (وهي عنابة)، المتوفى بعد سنة(١١١٦هـ)[١].

٢٧. نظم عقيدة السنوسي الصغرى، لابن الحاج: أبوالعباس أحمد بن محمد بن عثمان، قاضي بجاية، المتوفى سنة(٩٣٠هـ)[٢]، وهوتلميذ الإمام السنوسي.

٢٨. نظم متن السنوسية، للشيخ العلاّمة معزوز البحري المستغانمي، المذكور سابقا. قال الديسي: (وهو في غاية البسط والبيان، والتحرير والإتقان)[٣].

٢٩. النعم الكبرى بشرح شرح الصغرى، لأحمد بن محمد بن أحمد، التميمي، المسيتي، البوني[٤].

٣٠. نظم صغرى الصغرى، لتلميذ السنوسي أحمد بن محمد

---

(١) معجم المؤلفين، ٢/٧٥. تعريف الخلف، ٢/٥٢٣.

(٢) الأعلام، ١/٢٣٣. معجم المؤلفين، ٢/١٥١. (في البستان أنّه نظم صغرى الصغرى). انظر: البستان، ص١٨.

(٣) تعريف الخلف، ٢/٥٨٣.

(٤) تعريف الخلف، ٢/٥٢٩.

الورنيدي، المعروف بابن الحاج، ومنها هذه الأبيات(١):

وبعــد فــاعلم	نظــم عقيــدة
ممّــا رويتــه عــلى	أبي عبـــــدالله
ابـــن عـــليّ	شـــــــهّر
قـــال وقلـــت	غـــير الـــذي
مـــن نقـــص أو	دعـــا إليـــه

٣١. وأخيرا لا ننسى جهود الإمام أبى زكريا يحيى بن محمد النايلي الشاوي المليـاني المغربي الجزائري، في خدمة عقائد السنوسي وشروحها، فقد جلس للتدريس بالجامع الأزهر، وكان من ضمن ما درّسه هناك كتب الإمام السنوسي في العقيدة وشروحها(٢).

٣٢. وكان الإمام المقّري ـ رحمه الله تعالى ـ يقوم بتدريس العقيدة الصغرى ـ أم البراهين ـ في مصر، وخلال تدريسه لها قام بتأليف منظومته المشهورة: إضاءة الدجنّة بعقائد أهل السنة، ثـمّ شرحها بـالحرمين

---

(١) البستان، ص١٨.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٣/ ٨٢. وقد سبق أن ذكرنا أنّ له حاشية على شرح السنوسية.

الشريفين[١].

(١) وقد طبعت هذه العقيدة بمصر سنة(١٣٠٤هـ) بهامش شرح العقيدة السنوسية للشيخ عليش. انظر: مقدمة محقق نفح الطيب، ١/ ٨.

الباب الثاني

جهود السنوسي في خدمة

الحديث الشريف

الفصل الأوّل

اهتمام السنوسي بالصحيحين

المبحث الأول: اهتمام السنوسي بصحيح البخاري

لقد ظهر اهتمام السنوسي بصحيح البخاري من خلال حرصه على أخذه من أفواه شيوخه، ثمّ تأليف الكتب التي تتناول جوانب من هذا الكتاب شرحا أو نظماً أو اختصاراً.

١ ـ فبالنسبة للأمر الأوّل فقد ورد في ترجمته أنّه أخذ الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن شيخه الإمام عبدالرحمن الثعالبي، وأجاز له ما يجوز له وعنه[١].

٢ ـ وبالنسبة للأمر الثاني: فقد ألّف الإمام السنوسي عدّة كتب حول صحيح البخاري، منها شرحه العجيب الذي ـ للأسف لم يكمله ـ حيث وصل فيه إلى باب: من استبرأ لدينه وعرضه[٢]، ولو قُدّر لهذا الكتاب أن يكمل لكان شرحا يضارع شروح البخاري الأخرى.

ومن مؤلفاته الأخرى على صحيح البخاري:

١ ـ شرحه على صحيح البخاري. وقد وصل فيه إلى باب: من استبرأ

(١) تعريف الخلف، ١/ ١٨٠.

(٢) وهو حديث النعمان بن بشير، مرفوعا: (الحلال بيّن والحرام بين). انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم /باب: من استبرأ لدينه وعرضه.

لدينه.

١ ـ مشكلات البخاري.

٢ ـ مختصر الزركشي على البخاري[1].

وقد ذكر التنبكتي أنّه وقف على شرحه على البخاري، وعلى جملة أخرى من مؤلفاته[2]، وربّما يكون هذا الشرح ما زال حبيسا ـ مع مؤلفاته الأخرى ـ في خزائن العلم في بعض البلاد الإسلامية أو غيرها، وتحتاج إلى الجهد والمال لجمعها وخدمتها وإنقاذها من الضياع، وعسى أن يكون في العمر بقية لتحقيق هذه الأمنية.

المبحث الثاني: اهتمام السنوسي بصحيح مسلم

لم يكن اهتمام الإمام السنوسي بصحيح الإمام مسلم يقلّ عن اهتمامه بصحيح البخاري، فقد حرص على سماعه وأخذه من أفواه الرجال، حيث أخذه عن شيخه الإمام الثعالبي.

وقد أثنى الإمام السنوسي على صحيح الإمام مسلم وقدّمه على صحيح البخاري في غير الصحّة، فقال: (اعلم أنّ كتاب البخاري وإن

(١) نيل الابتهاج، ص٥٧١. تعريف الخلف، ١/١٨٨.

(٢) نيل الابتهاج، ص٥٧٢. تعريف الخلف، ١/١٨٨.

كان أصحَّ وأجلَّ وأكثرَ فوائد من مسلم، فقد اختصّ مسلم رضي الله عنه بلطائف من صنعة الإسناد تجده يتحرّاها، رضي الله تعالى عنه). ثمّ نقل عن الإمام النووي مثالين على ذلك بمناسبة الحديث المذكور[١].

وهذا الذي قرّره الإمام السنوسي هو رأي أهل المغرب عامّة، وليس كما يُظنّ أنّهم يقدّمون صحيحَ مسلم على صحيح البخاري في الأصحية، وهكذا ينضمّ الإمام السنوسي إلى رأي المغاربة في تقديم البخاري على مسلم من حيث الأصحية، وتقديم مسلم على البخاري باعتبار ميزات الترجيح الأخرى[٢].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٠.

(٢) سبق الحديث على هذه المسألة.

الفصل الثاني

مكمّل إكمال الإكمال ومنهج الإمام السنوسي فيه

المبحث الأول: التعريف بالكتاب

يعتبر كتاب مكمّل إكمال الإكمال تلخيصا لكتاب إكمال الإكمال للأبّي، مع إضافة شرح مقدّمة الإمام مسلم التي لم يتعرّض الأبّي لشرحها.

وقد أبان الإمام السنوسي عن ذلك في أوّل شرحه، فقال:(فاختصرت في هذا التقييد المبارك ـ إن شاء الله تعالى ـ معظمَ ما في هذا الشرح الجامع من الفوائد، وضممت إليه كثيرا ممّا أغفله مما هو كالضروري لا كالزائد، وأكملته أيضا بشرح الخطبة، فتمّ النفع ـ والحمد لله تعالى ـ بشرح جميع الكتاب، وجاء بفضل الله تعالى مختصرا يقنع، أو يغني عن جميع الشروح وما فيها من تطويل أو مزيد إطناب، فهو جدير إن شاء الله تعالى أن يسمّى لذلك (بمكمل إكمال الإكمال)، ومقربه على الضعيف ومريد الحاجة دون المسافات الطوال، والله أسأل أن ينفع به دنيا وأخرى، ويجعله لنا من صالحات الأعمال).

وقد كان الإمام الأبّي تركَ شرح مقدّمة الإمام مسلم، وبرّر ذلك بأنّ الإمام مسلما لم يكن يقصدها أصالة، وإنّما جاء الكلام فيها عرضا.

ولكنّ الإمام السنوسي اعترض على كلام الأبّي هذا بقوله:(رحم الله الشيخ الأبّي ونفع به، لقد كان حقّه أن يعتني بشرح المقدّمة التي احتوت

على علوم ومشكل أسماء ولغات تحتاج إلى شرح وضبط أكثر من اعتنائه بشرح التراجم؛ لأنّها ليست من وضع مسلم[1]، ولأنّها غنية عن الشرح غالبا، فتكميل الفائدة بشرح المقدّمة كان أولى).

أقول: وصدق الإمام السنوسي، فقد أفرغ الإمام مسلم في هذه المقدّمة العظيمة كثيراً من قواعد هذا الفنّ، تَشهدُ له بتقدّمه في هذه الصناعة، وتفوّقِه في هذا الشّأن، في ذلك العهد المتقدّم، الذي لم تكن ظهرت فيه قواعدُ علوم الحديث مُدوَّنةً، حتى جعل العلماءُ ما كتبه الإمام الشافعي في رسالته، والإمامُ مسلم في مقدّمته باكورةَ ما سُطِّر ودُوّن في قواعد هذا العلم.

إلاّ أنّ الأبّي رحمه الله كان قد وعد إن أنسأ الله في الأجل وسهّل أن يتكلّم عليها، فلعلّه لم يتح له الوقت لفعل ذلك، رحمه الله وجزاه الله

(١) لا خلاف بين العلماء في أنّ الإمام مسلما لم يبوّب كتابه، ولكن ليس معنى هذا أنّه لم يكن له ترتيب أثناء كتابته، بل هو مرتّب فعلا، وإن لم يظهر ذلك على شكل أبواب. قال ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ في صيانة صحيح مسلم، ص١٠٣: (إنّ مسلما ـ رحمه الله وإيانا ـ رتّب كتابه على الأبواب، فهو مبوّب في الحقيقة، ولكنّه لم يذكر فيه تراجم الأبواب لئلاّ يزداد حجم الكتاب، أو لغير ذلك).

خيرا[١].

المبحث الثاني: بين الأبيّ والسنوسي

يمكن من خلال المقارنة بين شرحي الأبّي والسنوسي أن نسجّل الأمور الآتية:

١ ـ لاشكّ أنّ للمتقدّم فضل السبق في الزمان، وهذه ميزة الأبّي على السنوسي.

٢ ـ رغم أنّ الأبّي قد استوعب شرح الأحاديث وجرى فيها على التفصيل في أغلب الأحيان، إلاّ أنّ الإمام السنوسي أضاف من الزيادات على شرح الأبّي الشيءَ الكثير، سواء ما تعلّق بتراجم الرجال أو ضبط أسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم، أو ما تعلّق بالمعاني المستفادة من متون الأحاديث، أو رفع الإشكال عن بعض نصوصها.

٣ ـ امتاز السنوسي على الأبّي بشرح مقدّمة الإمام مسلم التي تركها الأبيّ، وقد نبّه الإمام السنوسي على أهمية هذه المقدّمة، وانتقد الأبيَّ في عدم شرحه لها، ثمّ قام فتوسّع في شرحها، ووفّى بجميع ما يحتاج إليه، من

(١) انظر: إكمال الإكمال، ١/ ٤٧.

شرح غريبها، وبيان معانيها، وتوضيح ما ذكره الإمام مسلم فيها من قواعد علوم الحديث، والتنبيه على ما ورد فيها من العلوم المختلفة، وتخريج مختصر لما أورده الإمام مسلم من الأحاديث المسندة، وبيان مختصر للرواة المذكورين فيها.

٤ ـ اهتمّ الأبّي والسنوسي بالمباحث اللغوية، لكن ما فعله السنوسي كان أظهر وأوضح، فكثير ممّا تركه الأبّي فلم يعلّق عليه تكفّل السنوسي ببيانه وضبطه، سواء ما تعلّق بضبط الألفاظ، أو بيان اللغات، أو مواقع الجمل والألفاظ من الإعراب، أو غير ذلك من مباحث اللغة التي يعين ضبطها وتوضيحها في فهم نصوص الأحاديث فهما صحيحا.

٥ ـ أضاف الإمام السنوسي إضافات كثيرة وجديدة، نقلها عن شيوخه، أو علماء عصره أو من قبلهم، سواء صرّح بأسمائهم، أو أبهمها لأمرٍ لم يتّضح لي سببه.

٦ ـ نظرا إلى أنّ كلاًّ من الأبّي والسنوسي كان على المذهب الأشعري في العقيدة، فقد حرص كلّ منهما على بيان ذلك في كثير من الأحاديث المتعلّقة بالأسماء والصفات، فذكرا مذهب الأشاعرة في ذلك، والذي يقوم على إثبات أهمّ الصفات وتأويل ما يرد من ذلك ممّا يوهم التشبيه

والتجسيم.

٧ ـ كان الأبّي والسنوسي من علماء المالكية، وقد ظهر مصداق ذلك في كتابيهما من خلال الحرص على نقل أقوال الإمام مالك وأقوال أهل مذهبه كابن القاسم وسحنون وابن عبدالحكم وابن رشد وابن العربي وغيرهم، ولكنهما لم يكتفيا بذلك بل كانا يذكران الخلاف الفقهي في المسألة ويستعرضان أقوال علماء المذاهب الأخرى، تبعا لما ينقله الإمام النووي أو غيره.

٨ ـ امتاز شرح السنوسي بالتركيز والاهتمام بإبراز الجوانب التربوية المستفادة من الأحاديث، بينما قلّ ظهور ذلك عند الأبّي.

٩ ـ لم يتردّد السنوسي ـ كما فعل الأبّي أيضا ـ في التصدّي لمناقشة آراء العلماء وأقوالهم ونقد ما يستحقّ منها وبيان الراجح من ذلك.

١٠ ـ كان الحرص عند السنوسي على بذل الفائدة عند أدنى مناسبة واضحا، حتى لو كان الكلام في قضية مختلفة، ولكنّه يستغلّ ذلك للانطلاق في التنبيه على ما يراه مهمّا من قضايا عقدية أو فقهية أو تربوية.

المبحث الثالث: بعض ما قاله العلماء عن كتاب السنوسي، نثرا وشعرا.

لقي كتاب السنوسي مكمّل إكمال الإكمال قبولا عند كثير من العلماء، وكثر الثناء عليه والتنبيه على ما فيه من الفوائد.

١ ـ قال عنه المَشَدَّالي: (هو من أحسن الشروح وأنفعها)[١].

٢ ـ وقال الديسي رحمه الله: (وفيه نكت حسنة)[٢].

٣ ـ ولمّا ألّف الإمام السنوسي هذا الكتاب مدحه الشيخ محمد بن يحيى التازي بقصيدة طويلة[٣].

المبحث الرابع: موارد السنوسي في كتابه

إضافةً إلى الشروح التي صرّح السنوسي بأنّها ستكون عمدتَه في هذا الشرح، وهي: إكمال المعلم، للقاضي عياض(ت٥٤٤هـ)، والمفهم بشرح تلخيص صحيح مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي(ت٦٥٦هـ)، والمنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي(٦٧٦هـ)، وإكمال الإكمال، للأبّي(ت٨٢٧هـ)[٤]، فقد استمدّ السنوسي مادّة شرحه من

(١) فهرس الفهارس، ٢/ ٩٩٩.

(٢) تعريف الخلف، ١/ ١٨٨.

(٣) المواهب القدسية (مخطوط).

(٤) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣. ويدخل في هذا أيضا المؤلفات التي عزا إليها =

مؤلفات علماء آخرين، وهؤلاء الذين نقل عنهم أعمُّ من أن يكونوا شرّاحا بالمعنى الاصطلاحي للشارح، بل كان بعضهم ممّن ألّف في غريب الحديث، أو ناسخه ومنسوخه، أو في علوم اللغة أو غير ذلك، أو في السيرة، أو في بعض مباحث العقيدة أو علم الكلام، أو التصوّف، أو غير ذلك من أصناف المعرفة الشرعية.

وضمن المجال المحدّد للدراسة، وهو شرح الإمام السنوسي لمقدّمة الإمام مسلم، وكتاب الإيمان من صحيحه، فقد تكلمت في هذا المبحث عن المؤلفات التي استمدّ منها الإمام السنوسي مادّته العلمية، أو العلماء الذين أحال عليهم دون أن يذكر كتبهم، أو الذين عزا إليهم ولكن أبهمهم لأسباب لا أعرفها.

١. **فصول الإمام النووي**: وهي الفصول التي كتبها مقدّمة لشرحه على صحيح مسلم، وقد خصصتها بالذكر ـ رغم أنّها تابعة لشرحه ـ؛ لأنّ الإمام السنوسي استفاد منها في مواضع كثيرة، بل إنّه استورد بعض ما قاله النووي فيها إلى مواضع من شرحه لمقدّمة الإمام مسلم ـ التي تركها

=

هؤلاء الشرّاح، وذكرها السنوسي في شرحه نقلا عنهم.

الأبّي - وإلى مواضع أخرى أثناء اختصاره لشرح الأبّي.

ومن المباحث التي استفادها الإمام السنوسي من هذه الفصول:

* تعريف التدليس وأقسامه وحكم حديث المدلّس وحكم ما في الصحيحين من أحاديث المدلّسين[١].

* الكلام عن مرسل الصحابي، والخلاف حول حجّيته[٢].

وبالجملة، فكثير من المسائل المتعلّقة بمصطلح الحديث وقواعده استفادها الإمام السنوسي من فصول الإمام النووي، إمّا نصّا وإمّا اختصارا.

٢. **علوم الحديث (مقدّمة ابن الصلاح)**: وقد استفاد منها السنوسي كثيرا في ذكر قواعد علوم الحديث ومصطلحاته، وخاصّة أثناء شرحه لمقدّمة الإمام مسلم[٣].

٣. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، للقاضي عياض، والكتاب مشهور عند الخاص والعام، وقد أثنى عليه كثير من العلماء. وقد عزا إليه

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٠. شرح النووي، ١/ ٣٢.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، شرح النووي، ١/ ٢٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ١/ ٦، ٨، ٩، ١٤٩.

الإمام السنوسي في عدّة مواضع.

٤. **مطالع الأنوار على صحيح الآثار**، وهو اختصار ـ مع زيادات ـ لكتاب القاضي عياض السابق، لابن قُرقول: أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقُول الحَمْزي[١]، المري[٢]، ثمّ التلمساني، ثمّ الفاسي، المتوفى سنة(٥٦٩هـ). تلميذ القاضي عياض، وصاحبُ التواليف، قال

---

(١) نسبة إلى حمزة وهو موضع بناحية المسيلة من عمل بجاية. تعريف الخلف، ٢/٢٠.
قال ابن حجر: (قلت: والبلد المذكور يقال لها حَمْزة أشِير، أفاده ابن خلكان).
قال ابن خلكان: (ونسبته الحمزي إلى حمزة آشير، وهي بليدة بإفريقية، مابين بجاية وقلعة بني حماد، كذا ذكر لي جماعة من أهل تلك البلاد،). انظر: وفيات الأعيان، ١/٦٣.
قلت: هي إذاً مدينة أشير المعروفة اليوم بهذا الاسم، وتقع إلى الغرب من مدينة برج بوعريريج(جنوب شرق الجزائر العاصمة)، والله أعلم.
وقد وقعت هذه النسبة مصحفةً ومحرّفةً إلى (الجمري) في المعين فى طبقات المحدثين، ١/٥٣، وإلى (الخمري) في ديوان الإسلام، ص٧٥، وإلى (الحمري) في التدوين في أخبار قزوين، ١/١٥، وإلى (الحموي) في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤/٤٤.

(٢) نسبة إلى المرية( ) بالأندلس، وفيها ولد، سنة(٥٠٥هـ)، وتوفي بفاس، ودفن قريبا من برج الكوكب الذي يقال له اليوم: سيدي علي المزالي. انظر: تعريف الخلف، ٢/٢١.

الذهبي: (كان من أوعية العلم، له كتاب المطالع على الصحيح غزير الفوائد)[١]. وقد لقي كتابه هذا احتفاء من العلماء، حتى عمد بعض علماء المشرق إلى نظمه[٢]، أو تهذيبه[٣].

وقد ذكر البابانى لابن قرقول كتابين: مطالع الأسرار في شرح مشارق الأنوار للقاضي عياض، والثاني: مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح

---

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٥٢٠. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ١/٨٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢/٢٨٥. الوافي بالوفيات، ٢/٢٧٨. وفيات الأعيان، ١/٦٢. الأعلام، ١/٨١.

(٢) وهو محمد بن محمد الموصلي الأصل، البعلي المولد(نسبة إلى بعلبك)، نزيل طرابلس، ثم نزل دمشق، المتوفى سنة(٧٧٤هـ). له لوامع الأنوار نظم مطالع الأنوار. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ٢/٨٣. الوافي بالوفيات، ١/١١٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١/١٧٣. الأعلام، ٧/٣٩. معجم المؤلفين، ١١/٢٣٦.

(٣) وهو محمود بن أحمد بن محمد النور أبو الثناء، الهمذاني الفيومي الأصل الحموي الشافعي، المعروف بابن خطيب الدهشة، صاحب المصباح المنير، المتوفى سنة(٨٣٤هـ). له تهذيب المطالع لترغيب المطالع، ثمّ اختصره وسماه التقريب في علم الغريب. انظر: الضوء اللامع، ٥/٦١. الأعلام، ٧/١٦٢.

ما استغلق من كتب الحديث[١].

وقد درج كثير من العلماء على قولهم: قال صاحب المطالع، دون أن يصرّحوا باسمه، اكتفاء بشهرة نسبة الكتاب إلى صاحبه، وأحيانا كثيرة يعزون إلى ابن قرقول دون أن يذكروا اسم الكتاب؛ لأنّ هذا الكتاب أصبح علما على صاحبه[٢].

قال ابن القاضي المكناسي(ت١٠٢٥هـ): (وقد تكلم فيه بعضهم من جهة كتاب المطالع وهو لابد كتاب مشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل عياض، كان القاضي قد تركه في مبيضته، فاستعارها وجرد منها ما أمكن نقله؛ لاستعمائها[٣] وصعوبتها، ثم نقل الناس من كتابه، قال ابن خاتمة(ت٧٧٠هـ)[٤]: ولم يتصل بنا أنه نسب الكتاب إلى نفسه)[١].

(١) انظر: هدية العارفين، ١/٥.

(٢) بلغت المواضع التي أحال فيها الحافظ ابن حجر على ابن قرقول مصرّحا فيها باسمه ثمانية وثلاثين موضعا. وأمّا المواضع التي عزا فيها إلى صاحب المطالع فقد بلغت خمسة وثلاثين موضعا.

(٣) يعني: لغموضها.

(٤) انظر ترجمته في: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لابن الخطيب، ص٢٣٩. الأعلام، ١/١٧٦. الإحاطة في أخبار غرناطة، ١/٤٠، ٣١٣.

والحقيقة أنّني وجدت مواضع يعترض فيها ابن قرقول على كلام القاضي عياض، فمن ذلك ما نقله النووي في شرحه على صحيح مسلم، قال: (وذكر صاحب مطالع الأنوار قول القاضي ثم قال: (وفي هذا نظر). قال: (وعندى أنه بمعنى المبالغة في البر به والنصيحة له من قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾، أى أبالغ له وأستقصى في النصيحة له والاختيار فيما ألقي إليه من صحيح الآثار)[٢]. وهناك مواضع أخرى[٣].

ووجدت مواضع ينقلها عنه السنوسي من كتابه (المطالع) تكاد تكون مماثلة لما سطّره القاضي عياض في المشارق[٤].

وأحيانا نرى الإمام السنوسي يجمع في النقل في الموضع الواحد بين كتاب القاضي عياض وبين صاحب المطالع، وهذا ـ في نظري ـ مصير منه

=

(١) جذوة الاقتباس، ص٨٨. وانظر: تعريف الخلف، ٢/ ٢٠.

(٢) شرح النووي، ١/ ٨٢. وانظر: مكمل إكمال الإكمال، ١/ ٢٣.

(٣) انظر: تنوير الحوالك، ١/ ٦٣. فتح الباري، ١/ ٨٤. عمدة القارئ، ١٣/ ٤٤٥.

(٤) انظر مثلا ما نقله السنوسي في مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠، وقارنه بما قاله القاضي عياض في مشارق الأنوار، ١/ ٢٤٦.

إلى أنّهما كتابان وليس كتابا واحدا[١].

وأحيانا يقتصر على العزو إلى صاحب المطالع فقط، وهذا يؤكّد المعنى السابق الذي ذكرته[٢].

بل إنّ هذا الأمر نجده أيضا عند الإمام النووي في مواضع كثيرة، بل نراه في أحيان كثيرة يحيل على كتاب المطالع، رغم وجود ذلك في كتاب المشارق، وقد بلغت المواضع التي أحال فيها النووي على صاحب المطالع في شرحه لمقدّمة الإمام مسلم اثني عشر موضعا، سوف نقتصر منها على ما يأتي:

* قال النووي: (وحكى صاحب مطالع الأنوار عن عليّ بن المديني أنّه قال: أهل العراق يفتحون الياء ـ من المسيّب، والد سعيد بن المسيّب ـ وأهل المدينة يكسرونها)[٣]. رغم أنّ هذا الكلام موجود في المشارق أيضا[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ١/ ٢٠، ٢١٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١/ ٢٣٤، ٣٥٩، ٣٦٣.

(٣) شرح النووي، ١/ ١٠٦.

(٤) مشارق الأنوار، ١/ ٧٧٩.

* قال النووي: (قال صاحب المطالع: ليس في الصحيحين والموطّأ غيره - يعني: يحيى بن الجزار - ومن سواه: خزاز أو خراز، بالخاء فيهما)[١]، وهذا الكلام مذكور في المشارق أيضا[٢].

* وقال أيضا: (وأمّا الكوّة فبفتح الكاف، هي اللغة المشهورة، قال صاحب المطالع: وحُكي فيها الضمّ)[٣]، وهذا مذكور في المشارق أيضا[٤].

* وقال أيضا: (وحكى صاحب المطالع وغيره فتح الواو أيضا - في ضبط: الوحاظي)[٥]، وهو موجود في المشارق أيضا[٦]، وفي إكمال المعلم أيضا[٧].

* وقال أيضا: (وحكاها - يعني صفين - صاحب المطالع وغيره من

---

(١) شرح النووي، ١/ ١١١. مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٤.

(٢) مشارق الأنوار، ١/ ٩.

(٣) شرح النووي، ١/ ١١٤. مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥.

(٤) مشارق الأنوار، ١/ ٦٨٣.

(٥) شرح النووي، ١/ ١١٦. مكمل الإكمال، ١/ ٣٦.

(٦) مشارق الأنوار، ٢/ ٦٠٤.

(٧) إكمال المعلم، ١/ ١٥٢.

المتأخرين: صفون بالواو في حال الرفع ...)[١]، وقد ذكر ذلك القاضي عياض في المشارق[٢].

* وقال أيضا عند قول مسلم (وهلمّ جرا): (قال صاحب المطالع: قال ابن الأنباري ... الخ)[٣]، وهو مذكور في المشارق أيضا[٤].

أقول: وجملة القول في هذا الأمر أنّ ابن قرقول أخذ كتاب شيخه القاضي عياض واختصره، وأضاف إليه في مواضعَ أشياءَ استدركها على القاضي عياض أو عارضه فيها، ولم يرد أنّه نسب الكتاب إلى نفسه، وهذا الأمر موجود في تصرفات كثير من الشرّاح، فهذا كلام النووي في مواضع كثيرة هو نفسه كلام القاضي عياض بكثير من ألفاظه، وكذا شرح الأبي على القاضي عياض، وبعدهما السنوسي، فليس في هذا ما يعيب، والله أعلم.

ثمّ قرأت قول حاجي خليفة: (لكن اختصره - يعني مشارق الأنوار -

---

(١) شرح النووي، ١/١١٧.

(٢) مشارق الأنوار، ٢/١٠٠.

(٣) شرح النووي، ١/١٣٨. مكمّل إكمال الإكمال، ١/٤٤.

(٤) مشارق الأنوار، ١/٢٧٩. وانظر: إكمال المعلم، ١/١٨٢.

واستدرك عليه وأصلح فيه أوهاما: الفقيه : أبو إسحاق بن قرقول)[١]، فالحمد لله على فضله.

وقد استمدّ الإمام السنوسي مادّته عن ابن قرقول في مواضع كثيرة[٢].

٥. **الخطيب البغدادي**: وكتب الخطيب التي نقل منه العلماء كثيرة، لكنّ أشهرها: تاريخ بغداد، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، والكفاية في علم الرواية. وقد نقل عنه السنوسي في موضعين، دون أن يحدّد اسم الكتاب[٣].

٦. **الأصمعي**: والأصمعي إمام من أئمّة أهل اللغة، حجّة فيها، ولذلك لا يخلو كتاب من ذكره آرائه وأقواله. وقد نقل عنه السنوسي في موضع واحد[٤].

٧. **الحاكم النيسابوري**: وهو صاحب المستدرك ومعرفة علوم الحديث، وكتابه الثاني كثر النقل عنه بين العلماء، وقد نقل عنه السنوسي

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٧١٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٤، ٧.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٨.

في موضعين[١].

٨. **ابن عبدالبر**: من أشهر كتب الإمام ابن عبدالبر: التمهيد والاستذكار، ومنهما استمدّ العلماء مادّة علمية كبيرة، وقد صرّح السنوسي بالنقل عن التمهيد في موضع واحد، وأبهم الموضع الثاني[٢].

٩. **سيبويه**: وهو الإمام المشهور، له **(الكتاب)**، وهو من موارد العلماء في النقل عن أهل اللغة، وقد نقل عنه السنوسي في موضع واحد[٣].

١٠. **ابن سيده في المحكم**: وقد نقل عنه في موضع واحد[٤].

١١. **الجوهري**: في كتابه الصحاح[٥].

١٢. **ابن السكيت**[٦]: وقد نقل عنه السنوسي في موضعين[٧].

١٣. **ابن قتيبة**: وقد نقل عنه في موضع واحد[١].

---

(١) المصدر السابق، ١/٧، ٨.

(٢) المصدر السابق، ١/٤، ١١.

(٣) المصدر السابق، ١/٥.

(٤) المصدر السابق، ١/١٤٤.

(٥) المصدر السابق، ١/١٦، ١٤٤.

(٦) المصدر السابق، ١/١٣، ١٥.

(٧) المصدر السابق، ١/١٣، ١٥.

١٤. **شرح أحكام عبدالحق الصغرى**، للإمام ابن مرزوق الجد: وعلى هذا الشرح حاشية للإمام ابن مرزوق الحفيد، ومن هذا الشرح والحاشية كان ينقل الإمام السنوسي، وربما اعترض على بعض ما ينقله عنهما[٢].

١٥. **الإمام ابن التين**: له شرح على صحيح البخاري، ومنه استمدّ الإمام السنوسي بعض مادّته العلمية، وقد صرّح بالنقل عنه في أكثر من موضع[٣].

١٦. **الإمام ابن بطال**[٤]: وله شرح على صحيح البخاري، ومنه كان ينقل الإمام السنوسي[٥].

=

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٣٧، ١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٣٠، ١٤٩.

(٤) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام، المتوفى سنة(٤٤٩هـ). كان من أهل العلم، والمعرفة، عُني بالحديث العنايةَ التامة. شرح الصحيح ـ يعني صحيح البخاري ـ في عدة أسفار. سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٧.

(٥) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٨٨، ٢٩٦، ٣٠٥.

١٧. **ابن دهان في شرح الإرشاد**. وقد نقل كلامه مرتضيا له[١].

١٨. **الإمام التقي المقترح**: وهو مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين، أبو الفتح، تقي الدين، المتوفى سنة(٦١٢هـ)، وهو جد القاضي ابن دقيق العيد لأمه[٢]، فقيه شافعي مصري[٣]، وعرف بالمقترح؛ لأنه كان يحفظ المقترح في المصطلح في الجدل، لأبي منصور البروي(ت ٥٦٧هـ). نقل عنه السنوسي في عدّة مواضع[٤].

١٩. **الشيخ الإمام محمد بن مرزوق** ـ المشهور بالحفيد ـ: في حاشيته على شرح جده للأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي[٥]. ويقول

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٣٤، ٣٣٧.

(٢) طبقات السبكي، ٥/١٥٦. كشف الظنون، ١٧٩٣. الأعلام للزركلي، ٧/٢٥٦. وفيات الأعيان، ٤/٢٢٥. تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٨٣. طبقات الشافعية الكبرى، ٨/٢١٣.

(٣) نبّه الإمام العطار في حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٥/٢٤١، إلى أنّه المقصود بقول السنوسي في كبراه ـ يعني السنوسية الكبرى ـ: (قال المقترح..)، ثمّ قال: (وهو بصري بالباء لا بالميم، خلافا لما وقع في بعض حواشي الكبرى).

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٤٣، ٢٤٠.

(٥) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ٢٧٨، ٣٠٠.

عنه السنوسي دائما: (سيدي الشيخ محمد بن مرزوق)[١]، وقد نقل السنوسي عنه من حاشيته على جدّه ابن مرزوق المشهور بالجدّ أو الخطيب.

٢٠. **الفاكهاني**[٢]: وقد نقل عنه من كتابه: شرح العمدة المسمّى: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام[٣].

٢١. **الزمخشري**: وقد نقل عنه من تفسيره على القرآن الكريم المسمّى: تفسير الكشاف[٤].

٢٢. **الإمام عبدالقاهر الجرجاني**، المتوفى سنة(٤٧١هـ): له دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وقد نقل عنه السنوسي في موضع واحد[٥].

٢٣. **صاحب المفتاح**: وهو الإمام أبو يعقوب السكاكي، المتوفى

---

(١) المصدر السابق، ١/١٣٨، ١٣٩، ١٤٧.

(٢) هو عمر بن أبي اليُمْن علي بن أبي النجا سالم بن صدقة، اللخمي المالكي الإسكندري، أبو حفص تاج الدين، عرف بابن الفاكهاني، المتوفى سنة(٧٣٤هـ). انظر: طبقات الأولياء، ١/٩٢. الأعلام، ٥/٥٦.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٩٤.

(٤) المصدر السابق، ١/٢٥٣، ٢٧٧، ٢٨١، ٣٥١، ٣٠٢.

(٥) المصدر السابق، ١/٢٧٨.

سنة(٦٢٦هـ). له كتاب: مفتاح العلوم، ومنه نقل الإمام السنوسي في موضع واحد[١].

٢٤. **الإمام ابن عطية**(ت ٥٤١هـ): في تفسيره المعروف بالمحرر الوجيز. وقد نقل عنه السنوسي في أكثر من موضع[٢].

٢٥. **القرطبي**: وقد نقل الإمام السنوسي عنه من كتاب التذكرة، ومن تفسيره[٣].

٢٦. **الإمام الطيبي**[٤]: صاحب شرح مشكاة المصابيح، ومنه كان الإمام السنوسي ينقل[٥]، وقد يقول أحيانا: قال شارح المصابيح[٦]،

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧٧، ٢٨١.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٤٦، ٢٧٧، ٣٤٤.

(٤) هو الإمام الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، المتوفى سنة (٧٤٣هـ)، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من كتبه: الخلاصة في معرفة الحديث، وشرح الكشاف، وشرح مشكاة المصابيح. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/ ٢١٧. الأعلام للزركلي، ٢/ ٢٥٦.

(٥) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ٢٤٩، ٢٥٣(م)، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٨.

(٦) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٢.

وأحيانا يعزو بعض روايات الحديث إلى المصابيح(١).

٢٧. **السهيلي**: في كتابه: الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، وقد نقل منه السنوسي في مواضع كثيرة، فيما يتعلّق بقضايا السيرة النبوية(٢)، وقد ذكرنا سابقا أنّ للإمام السنوسي مختصراً على هذا الكتاب(٣).

٢٨. **الخطابي**: وهو صاحب أوّل شرح على صحيح البخاري، وهو المسمّى **(أعلام الحديث)**. وقد نقل عنه الإمام السنوسي في موضع واحد(٤).

٢٩. **مسند الطيالسي**: وقد عزا إليه حديثين عن ابن مسعود، ذكرهما للاستدلال على عموم النهي عن الإذاية، سواء كان كافرا أو حيوانا(٥).

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧٤، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) انظر: مبحث: مؤلفات الإمام السنوسي.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٤.

(٥) المصدر السابق، ١/ ١٣٩.

٣٠. **المازري**: وهو صاحب المعلم الذي أكمله الإمام القاضي عياض، والذي يعتبر الحلقة الأولى في سلسلة شروح المغاربية لصحيح مسلم. وقد نقل عنه الإمام السنوسي في موضعين[١].

٣١. **الإمام الفقيه ابن بزيزة**: وهو أبو القاسم عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي، التميمي، التونسي، المعروف بابن بزيزة، المتوفى سنة(٦٦٢هـ). من تآليفه: الإسعاد في شرح الارشاد، مصالح الأفهام في شرح كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، تفسير القرآن، وشرح التلقين[٢]. نقل عنه السنوسي في موضع واحد[٣].

٣٢. وفي كثير من الأحيان ينقل الإمام السنوسي أقوالا لعلماء بصيغ مبهمة، كأن يقول:

ـ وأجيب بأوجه ذكرها ابن الصلاح[٤]. وقال أهل اللغة. قال بعض

---

(١) المصدر السابق، ١/١٧٤، ٣٣٢.

(٢) معجم المؤلفين، ٥/٢٣٩.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٤٦.

(٤) المصدر السابق، ١/٩، ١٠، ٢٨١، ١١، ٣٠٢، ٣٠٥، ١٣٨، ١٤٨، ٢٥٣، ٢٩٣، ٣٠٢، ١٤٦، ٢٧٣، ١٤٠، ١٤٩، ٢٧٣، ١٤٦، ١٤٠، ٢٧٢، ٢٧٢، ٢٩١، ٢٩٢، ١٤١، ٢٨٢، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٦(م)، ١٤٩(م)، ٢٩٢، ٢٧٤(م)، ٢٧٧، ٢٨١،
=

علماء المعاني. وأجيب بأنّه. وقيل. ولفظ غيره. قال بعضهم. وقال بعضهم. فقال بعضهم. واعترض بعضهم. واعترض عليه. قال بعض الشافعية. ولذا قال بعض العلماء. ما ذكره بعض الشيوخ. ولهذا رأينا بعض شيوخنا الأكابر رضي الله عنهم. وردّه بعض الشيوخ. وقرّره بعض الشيوخ. وقرّر بعض الشيوخ. قال بعض الشيوخ. واعترضه بعض الشيوخ. وأشار بعض الشيوخ. وأورد بعض المشايخ. وقول بعض الشيوخ. وقال غيره. وقال بعض المحققين. قال بعضُ الحذاق. ورأيتُ لبعض المتأخرين.

وهكذا نرى كيف تنوّعت مصادر الإمام السنوسي، فشملت مؤلفاتِ العقيدة، وكتبَ شروح الحديث والتفسير واللغة وغيرها، وفي هذا دلالةٌ أخرى على علم هذا الإمام واطّلاعه الواسع على كتب العلماء في زمانه.

=

٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣. ٢٨٠. ٢٨٠. ٢٧٨. ٢٧٨. ١٤٠، ١٤٩، ٣٠٥. ٢٥٢. ٢٧٤. ١٤. (رتّبت هذه الأرقام حسب ورود الألفاظ المذكورة أعلاه، فيرجى مراعاة ذلك).

المبحث الخامس: منهج الإمام السنوسي في كتابه

سمّى الإمام السنوسي كتابَه مختصرا[(١)]، وعلى هذا فلا يؤخذ عليه إن ترك مواضع من صحيح مسلم لم يعلّق عليها، أو مرّ على مواضع بقليل من الكلام، فكلّ ذلك من مقاصد هذا الكتاب.

ولكن رغم ذلك فإنّ الميزة الكبيرة لهذا الشرح أنّه جمع فيه مؤلفه كلام شرّاح صحيح مسلم، بما يحصل به بيان المقصود بشكل أوضح، وبالتالي كان كتابه هذا جامعا لما تفرّق في هذه الكتب من المعاني والمقاصد، وقد صرّح الإمام السنوسي بأنّ مختصره هذا يقنع أو يغني عن جميع الشروح وما فيها من تطويل أو مزيد إطناب[(٢)].

وقد اقتصرتُ في هذه الدراسة على مقدّمة الإمام مسلم ثمّ كتاب الإيمان من صحيحه؛ لأنّ من المتعذّر إقامةَ هذه الدراسة لكلّ الكتاب الذي يبلغ سبع مجلدات (طبعا شرح الأبي وشرح السنوسي عليه)، وقد تكشّفت لنا بوضوح طريقة الإمام السنوسي ومنهجه في شرح الحديث النبوي الشريف وسعة علمه واطلاعه فيما يتعلّق به من قواعد الرواية

---

(١) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣،

(٢) انظر: المصدر السابق، ١/٣.

والدراية.

وأجزم أنّه لو أمكننا أن نعمّم الدراسة على الكتاب كلّه، لظهرت لنا جوانب أخرى من علم الإمام السنوسي ونظراته العميقة في فهم معاني الأحاديث النبوية وما يتعلّق بها.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة عيّنة على منهج الإمام السنوسي، ثمّ نواةً لدراسة كاملة تشمل الكتاب كلّه، بحول الله وقوّته.

المطلب الأول: توظيفه الآيات القرآنية في شرح معاني الأحاديث النبوية

لقد حفل شرح السنوسي بالآيات القرآنية التي يوردها في معرض الاستشهاد على شرح الحديث وبيان معناه، أو للاستدلال على ما استفاده من معاني الأحاديث وأحكامها المختلفة، أو الاحتجاج بها على شرح ألفاظ الحديث، وهذا أمر يظهر جليا واضحا في شرحه في مواضع لا تعدّ ولا تحصى، وقد أمكنني حصرُ ما ذكر منها في المقدمة وكتاب الإيمان، ثمّ ذكرتها في فهرس الآيات، طلبا للاختصار.

ومن خلال تتبّعنا لاستدلال الإمام السنوسي بالقرآن الكريم تبيّن لنا تمكّن هذا الإمام من تفسير القرآن الكريم، ونجاحه في توظيفه في بيان

المعاني التي يستنبطها أثناء شرح الأحاديث، أو مناقشته لبعض الآراء والأقوال، ولا غرو فهو مفسّر ذو باع طويل، ومؤلفاته في التفسير تشهد له بذلك.

المطلب الثاني: الاهتمام بتوضيح ما يشكل من كلام الإمام مسلم، أو غيره

١ ـ فمن ذلك ما ذكره عند قول الإمام مسلم: (أن لو عزم لي عليه)، فقال: (قوله: عزم بضم العين، وظاهر أنّ الفاعل المسند إليه العزم في الأصل هو الله تعالى، وتعقّب بأنّه لا يسند العزم إلى الله تعالى، إذ المتبادر من العزم حصول خاطر تصميم في الذهن لم يكن قبل. قلت: ولهذا فسّروه بالجزم بعد التردّد، وهذا محال في حقّه عزّ وجلّ.

وأجيب بأنّ المراد: لو سهّل لي سبيل العزم وخلق في قدرة عليه. قلت: فيكون مجازا من باب التعبير بالمسبب عن السبب، فإنّ العزم ناشئ عن خلق الله تعالى ومسبّب له. وقيل: هو عبارة عن الإرادة، فيكون المعنى: لو أراد الله لي ذلك. وقيل معناه المراد: لو ألزمت، فإنّ العزيمة بمعنى

اللزوم)[١].

٢ ـ في حديث النبيّ r: (أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا .. الخ)، الحديث[٢].

قال النووي رحمه الله: (وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد فى النار؛ فإن إخوة يوسف r جمعوا هذه الخصالَ)[٣].

قال الأبّي: (لم يزل الشيوخ في القديم والحديث ينكرون عليه هذا التمثيل وأنّه لا يليق بورعه، مع أنّه لم تضق الحال في التمثيل،...)[٤].

ثمّ ذكر الأبّي أنّ عطاء بلغه أنّ الحسن البصري قال: (من كانت فيه ثلاث لم نتحرّج أن نسمّيه منافقا)، فقال: (ما تقول في إخوة يوسف؟ أليس أنّهم حدّثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وأؤتموا فخانوا؟).

قال الأبّي: (وكأنّه أنكر على الحسن، وأنت تعرف أنّ هذا الإنكار لا

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: خصال المنافق(٨٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢/ ٤٦.

(٤) إكمال الإكمال، ١/ ١٦٧.

يتوجّه على الحسن؛ لأنّه تقدّم أنّ المراد: وغلبن عليه، وإخوة يوسف إنّما كانت منهم ندرة ولم يصرّوا عليها)[١].

فقال السنوسي: (مع كونها كانت في الصغر وقبل البلوغ على ما ورد، والله أعلم)[٢].

المطلب الثالث: الإشارة إلى بعض القضايا الخلافية بشكل مختصر:

١ ـ في قول ورقة: (لم يأت رجل بمثل ما جئت به).

قال السنوسي: (دليل على أنّ الرسول لا يكون إلاّ رجلا، ولم يثبت أنّ امرأة أرسلت، واختلف: هل نبّئت أم لا)[٣].

٢ ـ استدلّت عائشة رضي الله عنها بقوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾.[الشورى: ٥١]، على نفي رؤية النبيّ r ربّه ليلة الإسراء.

استعرض السنوسيُّ بعضَ كلام العلماء في بيان وجه تمسّك عائشة بهذه الآية، ثمّ أضاف يقول: (قد يقال: وجه تمسكها بهذه الآية أنها

(١) إكمال الإكمال، ١/١٦٧.

(٢) إكمال الإكمال، ١/١٦٨.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٩٦.

فهمتْ أن السبب فيها منع الكلام شفاهًا عجز البشر وضعفهم عن رؤية ذاته جلّ وعز، بدليل تعليق الحصر فيها على البشر وذكر كان معه، ووصفه جلّ وعلا بكونه عليا، أي: ما كان للبشر الضعيف أن يقوى على سماع كلام الله تعالى في غير الأوجه الثلاثة، إنه على أن يراه البشر ما داموا على ضعفهم حكيم حتى أوصل كلامه إلى أنبيائه في الأوجه الثلاثة، وإذا كان هذا هو السبب في امتناع الكلام شفاهًا كان بعينه هو المانع من الرؤية، فتكون الآية على هذا نظيرَ قوله تعالى لموسى عليه السلام: **{ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}**، [الأعراف: ١٤٣]، أي: لا تقوى على ذلك في الدنيا، فإن الجبل مع مزيد قوته إذا لم يقو على ذلك فأنت أحرى، وقد قيل: إنّ الجبل إنما صار دكا من مجرد ظهور صفة له من صفات الجلال، ولم يرَ الذات العلية، والله أعلم)[1].

المطلب الرابع: إعراضه عن التفاصيل التي لا تدعو إليها الحاجة.

تبع الإمام السنوسيُّ الأبيَّ وغيرَه في ترك التفصيل في مباحث علم الكلام، والإحالة على كتب الكلام.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٢٨.

فعندما علّق الإمام الأبي على قوله r : (لقد وفق هذا) بقوله: (رأى بعضهم أنّ تفسير التوفيق بذلك لا يجري على مذهب الأشعرية في أنّ القدرة الحادثة لا تؤثّر ... والردّ على هذا القائل محلّه كتب الكلام ..)[١]. فقد نقل الإمام السنوسي كلام الأبّي هذا ولم يزد عليه[٢]، وكأنّه يرى أنّ الدخول في تفاصيل من النوع ممّا لا يجدي كثيرا، والله أعلم.

المطلب الخامس: الاهتمام بذكر فوائد الحديث.

لا شكّ أنّ الغاية الكبرى والثمرة النهائية من شرح الأحاديث هو استخراج فوائدها، سواء كانت حكما من الأحكام الشرعية الفقهية، أو كانت فائدة من الفوائد العلمية أو التربوية أو غير ذلك.

ولهذا رأينا الإمام السنوسي يحرص كثيرا على الوقوف ـ أو التنبيه ـ على ما يستفاد من الحديث، والاستطراد أحيانا في توضيح هذه الفوائد أو الأحكام، وربّما فصّل كلام العلماء وبيّن خلافهم في بعض الأحكام.

وفيما يأتي ذكر لنماذج من هذا الاهتمام من الإمام السنوسي رحمه الله تعالى.

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٨٤.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٨٤.

١ ـ قال عند ذكر حديث النهي عن اتخاذ الروح غرضا: (وفائدةُ الحديث النهيُ عن قتل الحيوان لغير منفعة، والعبث بقتله، وفيه مع ذلك إفساد المال)[١].

٢ ـ ولمّا جاء إلى حديث: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ... الخ)، وقصّة اختلاف الصحابة في قتال مانعي الزكاة .. الخ، قال: (وفي الحديث فوائد من الفقه: ففيه حجّة لقتال أهل البغي والتأويل، وفيه الرجوع عن الرأي لظهور الحق، وعدم تخطئة أحد المتناظرين الآخر؛ لأنّ عمر لم يخطئ أبا بكر، وإنّما احتجّ عليه.

وفيه أنّ الإجماع لا ينعقد مع مخالفة الواحد، خلافا لبعضهم[٢]، وإنّ اتفاق أهل العصر عقب اختلافهم إجماع)[٣].

ثمّ نقل عن الإمام الأبّي أنّ فعل الإمام إذا لم يعلم له مخالف هي مسألة إذا أفتى فيها واحد وسكت الباقون، ولها ثلاث صور:

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٥. إكمال المعلم، ١/ ١٥١.

(٢) وهما الخياط والرازي.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠٩. وقيّده ابن الحاجب بما إذا لم يستقرّ خلاف، كإجماع الصحابة على خلافة أبي بكر بعد اختلافهم، وأمّا بعد استقراره ففيه خلاف.

الأولى: ألاّ تشتهر فتياه لأهل عصره، فليس بإجماع ولا حجّة.

الثانية: أن تشتهر وتتكرّر وتتوالى عليها الأزمنة، فإجماع وحجّة، وهذا كعمل الصحابة بخبر الواحد والقياس.

الثالثة: أن تشتهر ولا تتكرّر، فقال الشافعي: ليس بإجماع ولا حجّة، وقال أحمد: إجماع وحجّة، وقال الجبائي: إجماع بشرط انقراض العصر، وقال ابنه: حجّة لا إجماع، وقال ابن أبي هريرة: إجماع في الفتوى دون الحكم[1].

٣ ـ وفي الحديث: حث على ترك أذى المسلمين بكل مؤذ، جِماعه بحسن الخلق مع العالَم، كما فسّر به الحسن الأبرار[2].

٤ ـ يؤخذ من الحديث[3] أن الصفح وترك المؤاخذة أولى من المطالبة والمعاقبة[4].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠٩. وانظر: إكمال الإكمال، ١/ ١٠٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤٠.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل(٥٧، ٥٨، ٥٩).

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٠.

٥ ـ في قوله r : (ما أنا بقارئ)[١]. قال السنوسي: (فيه أيضًا بيان أن السنة في حق من سئل عما لم يعلم، يصرح بعدم الدراية ولا يأنف من ذلك ولهذا قال مالك t [٢]: جُنة العالم: لا أدري، فإذا أخطأها أصيبت منه المقاتل[٣].

٦ ـ في قوله r : (لقد خشيت على نفسي). قال السنوسي: (يدل على أنَّ من نزلت به ملمة أنَّ له أن يشارك فيها من يثق بنصحه ورأيه ولا ينافي ذلك التوكل. ويستحب لمن ذكر له ذلك تيسير الأمر وتهوينه على صاحب القضية كما فعلت خديجة رضي الله عنها.

٧ ـ في قول عائشة رضي الله عنها: (تحمل الكلّ، وتكسب المعدوم،

---

(١) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٣١).

(٢) عزى هذه الجملةَ إلى الإمام مالك كلّ من ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري، ١/ ٢٠٩، وابن المنيّر في المتواري على أبواب البخاري، ص٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٨/ ٣٦٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٧٧. وعزاها الإمام الغزالي في الإحياء، ١/ ٧٤، والزمخشري في ربيع الأبرار، ٤/ ١٦٣، إلى ابن مسعود، t . وعزاها أبونعيم الأصبهاني في أخبان أصبهان، ٥/ ١٤٧، إلى مالك، عن شيخه محمد بن عجلان.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨١.

وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ). بعد أنّ ساق الإمام السنوسي معاني هذه الجمل، قال: (وفي هذا دلالة أن مكارم الأخلاق تقي مصارعَ السوء، وفيه مدح الإنسان في وجهه للحاجة إليه، وفي بعض الأحوال، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة، وفيه أعظمُ دليل على كمال عقل خديجة، وجزالةِ رأيها، وعظيم فقهها رضي الله عنها)[١].

٨ ـ في غط جبريل عليه السلام للنبي ﷺ إشارة إلى أن نيل معالي الأمور لا يكون إلا بالصبر على ما يكره الإنسان تحمل المشاق العظيمة بحسب تلك المعالي سنة الله تعالى في عباده[٢].

٩ ـ في قول عائشة لورقة بن نوفل: (أي ابن عم![٣] اسمع من ابن أخيك .. الخ).

قال السنوسي: (وفي عدولها رضي الله عنها عن حكاية أمر النبي ﷺ

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٨٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٩٠.

(٣) هكذا هي في مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩١، والموجود في صحيح مسلم في هذا الموضع من الحديث: (أي عم!)، وفي بداية الحديث: (وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها). والظاهر أنّه وقع زيادة (ابن) خطأً؛ لأنّ كلام السنوسي بغيرها مستقيم، والله أعلم.

مع معرفتها به إلى أن أحالت عليه حسن أدب، لا سيما في حق النساء، لاستعظام تقدمهن بنقل الكلام الذي يمكن ممن حضر من الرجال مطلقًا، فكيف بصاحب القضية الذي هو أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، ومن أوتي جوامع الكلم، وتستحي الألسنة اللُّسْنُ أن تتفوه بكلمة عند حضوره الرفيع المعظم r وشرف وكرم. ويحتمل أن يكون إحالةً عليه لتتلذذ بسماع الحكاية من فيه ثانيًا، أو للاحتياط؛ لاحتمال التقصير في النقل، وأيضًا فقرائن الأحوال عند سماع القضية من صاحبها لها أثر عظيم في زيادة فهم السامع، ولهذا رأينا بعض شيوخنا الأكابر رضي الله عنهم يزجر من ينقل له سؤال سائر مع حضوره، ومن هذا المعنى اشتراطُ أهل المذهب في النقل عن الشاهد تعذر السماع منه، وقوّوه مع ذلك باشتراط أن ينقل عنه اثنان فأكثر)(١).

١٠ ـ تكلّم الإمام السنوسي عن الحكمة من فترة الوحي هذه المدة، فذكر أنه يحتمل أن تكون لما أريد التصريح للنبي r بالبعث إلى الخلق والأمر بالإنذار في الثانية ولهذا أنزل فيها: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ**﴾.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩١.

[المدثّر: ١، ٢]، وكان هذا أشقَّ عليه بكثير مما استعظمه أولاً من الغط بغار حراء أخر عنه الوحي مع ما ذاق من عظيم لذته حتى كمل اشتياقه إليه، واستسهل كلَّ مشقة دون نيله، إذ أعظمُ ما يخافه الإنسان ذهابُ حياته، وقد استسهل ذلك صلوات الله وسلامه عليه في جنب ما ذاق من لذة الوحي والتقريب بالمعرفة إلى حضرة الجلال الذي لا يملك الصبرَ دُونه، ولا تستطيع الروح أن تتأخر في الجسد عن ذلك الكمال، فلهذا كان r يَهم ـ لما بعُد عنه الاجتماعُ مع الملأ الأعلى المُنهين إليه روحَ روحه، وهو كلام حبيبه ومالكه الرب المُنعم ـ أن يلقي نفسه من شواهق الجبال؛ استعجالاً للقاء الرفيق الأعلى، ورؤية ذلك الجمال العديم المثال، وصار روحُه الكريم ينشد بلسان الحال الذي هو أفصحُ من لسان المقال:

هـواي مـع الركـب   جنيـب وجـثماني

وقد يحمله على ذلك r ما ألقاه إليه جبريل عليه السلام في السورة الأولى من قوله جلّ وعلا: **{ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى }**. [العلق: ٨]، وفهم أن ذلك بعد الموت فكان يستعجل ذلك اللقاء الشريف، ولهذا تبدى له حينئذٍ جبريل وصرح له بالمقصود، فقال أنت رسول الله الملك المعبود أي ليس بينك وبين لقاء الملك الحبيب إلا أداء رسالته، فترى ما لم يعط لأحد

من بعيد أو قريب، ولهذا لما نزل قوله تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي }. [المائدة: ٣]، بكى أبو بكر ط وفهم أن النبي r تقبض روحه، ولعل تأخير جبريل عليه السلام عنه r بعد أن صرح له بالرسالة ليرى: هل يسليه بعضَ التسلي عمّا هو فيه من عظيم الاشتياق إدراكُ ما في الرسالة إلى جميع الناس من وجوه المشاق، فما نقص ذلك من شوقه، بل عظم وزاد؛ لأن ذلك التصريح حقق له كريمَ منزلته عند مولاه، إذ جعله واسطةً بينه وبين العباد، فصار يستعجل أمر الرسالة استعجال الوسائل، ويتلذذ بما فيها من المشقات؛ لأن بالفراغ منها يتصل بغاية المراد.. فلما كمل استعدادُه r لحمل أعباء رسالة مولانا المُقدِّم المؤخِّر، جاء جبريل عليه السلام مُنهيًا إليه قولَ مولاه جلّ وعلا:{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }. [المدثّر: ١، ٢، ٣].

قلت: وهذا الذي قررته في حكمة تأخير الوحي شيء ظهر لي بحسب الحال، وهو غير بعيد المناسبة، والله أعلم في المقال(١).

١١ ـ وفي جلوس الملك على الكرسي، لا سيما وهو مرتفع بين السماء

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

والأرض بحيث لا يحتاج إلى ارتفاع على كرسي، دليل على جلوس العلماء للتعليم على الكرسي ليستمع الناس، وليكونوا على السواء في مواجهته والأخذ عنه لا سيما إن كثروا، ومن ثمَّ شُرع المنبرُ في الجُمع والأعياد ومحل الخطب، والمَلَك وإن كان مستغنيًا عن الكرسي بإمكان ثبوته دونَه في الهواء، كما ثبت معه فيه، لكنه تعليم.

١٢ ـ وفي الحديث أيضا إشارة إلى التزام المعلم التؤدة والوقار والهيئة الحسنة كما كان مالك رضي الله عنه يلتزم الجلوس على المنصة حين يجلس للتحديث متجملاً متطيبًا.

١٣ ـ وفي الحديث أيضا إشارة إلى التحريض على التزام العلم؛ فإنه يوصل صاحبَه إلى المراقي العلية من الكراسي والمنابر ونحوِها في الدنيا والآخرة، وهو على نمط ما تقدم في حكمة الفترة، أي: إن صبرتَ على مشاق التعلم من غيرك ارتفعتَ إلى مثل هذا المقام لتعلِّم غيرَك.

ثمّ أشار الإمام السنوسي لتأكيد قوله إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الجمعة[1]، عن أبي رفاعة قلت للنبي r وهو يخطب: رجل غريب

(١) صحيح مسلم. كتاب الجمعة / باب: حديث التعليم في الخطبة(رقم: ١٤٥٠).

يسأل عن دينه، فأقبل عليَّ، وأتي بكرسي حسبتُ قوائمَه من حديد، فقعد عليه يعلمني، ثم أتى خطبته)[١].

١٤ ـ في قول النبيّ r لجبريل: (ما المسؤول عنها بأعلم السائل)[٢]. قال السنوسي: (وقد تكون الفائدة في العدول إلى المذكور التنبيهَ على أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرِهما إذا سئل عمّا لا يعلم أن يصرح بعدم علمه من غير تلعثم، ويكون المرادُ على هذا بالمسئول نفسَه r، وفيه على هذا مبالغةٌ في التواضع حيث يقول[٣] ما المسئول عنها بأعلم من السائل فيها، بل أطلق؛ لئلا يقتضي التقييدُ بالظرف بحسب مفهومه أنه أعلمُ منه في غير هذا، فكره أن يشافه السائلَ بمثل هذا، لما جُبِلَ عليه من كريم الخلق r)[٤].

المطلب السادس: اختصار بعض ما يورده النووي من أسماء المجرّحين أو المعدّلين، والاكتفاء بأهمّهم أو ببعضهم.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠١.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٦٩.

(٣) الصواب أن يقال: حيث لم يقل .... الخ.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٧٠.

قد يكون في كلام الشرّاح السابقين مثلِ النووي أو غيره بعضُ الطول والتفصيلِ في أحوال الرواة جرحا وتعديلا، فيعمد السنوسي إلى التقليل، والاكتفاء بالمختصر المفيد من ذلك.

ومن أمثلة ذلك أنّ الإمام النووي رحمه الله تعالى قال عن أبي عقيل يحيى بن المتوكّل: (وقد ضعفه يحيى بن معين، وعلي بن المدينى، وعمرو بن علي، وعثمان بن سعيد الدارمى، وابن عمار، والنسائى)[١]، فاختصر السنوسي ذلك بقوله: (وقد ضعّفه يحيى بن معين وعلي بن المديني والنسائي وجماعة)[٢].

المطلب السابع: اهتمامه بتقييد ما يفهم من الإطلاق في الأحاديث أو أقوال الصحابة والتابعين:

قد يكون في بعض الأحاديث النبوية أو في كلام الصحابة أو التابعين ما يفهم منه الإطلاق، فيحرص الإمام السنوسي على التنبيه على أنّ هذا الإطلاق غير مراد، وأنّ التقييد هنا متحتّم لازم.

١ ـ فمن ذلك ما قاله تعليقا على حديث عائشة رضي الله عنها: (أمرنا

(١) شرح النووي، ١/ ٩١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)[١].

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه. كتاب الأدب/باب: في تنزيل النّاس منازلهم(٥/١٧٣)، والبيهقي في سننه. كتاب الآداب/باب: قيام الرّجل لأخيه (١٢٦-١٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٧٩)، وأبو يعلى في مسنده (٨/٢٤٦)، ومدار هذا الحديث على يحي بن اليمان العجلي، يرويه عن سفيان الثّوري، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن ميمون بن أبي شبيب، أنّ عائشة......الحديث. وقد اختلُف في إدراك ميمون لعائشة وسماعِه منها، فقد قال أبوداود عقب إيراده لهذا الحديث:(ميمون لم يدرك عائشة)، ولكنّ ابنَ الصّلاح ردّ قولَ أبي داود هذا في كتاب: الصّيانة، ص٨٤، وقد وافقه على ذلك كثيرٌ من المحدّثين، كالحاكم، وابن خزيمة، والنّووي، والسّيوطي، والسّخاوي، وسبط ابن العجمي، والعجلوني، والزّرقاني، وغيرهم، بين مصحّح ومحسّن. وهذا هو الرّاجح، لأنّ ميمون بن أبي شبيب قد عاصر عائشة، ولقاؤه بها ممكنٌ للسّماع منها، وهو غيرُ متّهم بالتّدليس على الصّحيح، وقد سمع من المغيرة بن شعبة، والمغيرة توفي قبل عائشة بسبع سنين، والله أعلم.

ثمّ إنّ للحديث شواهدَ ومتابعاتٍ ترفعُه إلى درجة الصّحّة، والله أعلم. انظر: هامش مقدّمة الإكمال(ص١٦٠-١٦٦)، للمحقّق الفاضل الدكتور/حسين شواط، فقد استوعب الكلامَ على هذا الحديث.

قال القاضي عياض:(ومعنى الحديث بيّنٌ في إيتاء كلّ ذي حقّ حقّه، وتبليغِه منزلتَه في كلّ باب، كما احتجّ به مسلم في تطبيق الرواة، وتعريف مراتبهم، ومزيةِ بعضهم على بعض، إلاّ ما ساوى الله ـ عزّ وجلّ ـ بينهم فيه من الحدود والحقوق). مقدّمة إكمال
=

قال السنوسي: إلاّ ما قام الدليل على وجوب التسوية فيه، كالحدود والقصاص وشبه ذلك.

قلت: صدق الإمام السنوسي رحمه الله، فإنّه تقييد مهمّ، قد وقع الإخلال به كثيرا بين المسلمين.

٢ ـ وعند حديث: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، قال السنوسي: (وممّا ينبغي أن يقيّد به الحديثان ـ يعني حديث البخاري، وهذا الحديث الذي زاد في جامع الترمذي والنسائي ـ أن يقال: إلاّ بحقّها، وهو ظاهر)(١).

المطلب الثامن: تنبيهه على الاختلاف المنهجي بين البخاري ومسلم.

١ـ فمن ذلك مثلا ما قاله عند قول مسلم (مؤلفة)، قال: (أي مجموعة

=

المعلم (ص١٦٧ ـ ١٦٨).

قال القرطبي:(ومعنى هذا الحديث: الحضّ على مراعاة مقادير النّاس ومراتبهم ومناصبهم، فيعامل كلّ أحد بما يليق بحاله، وبما يلائم منصبه في الدّين والعلم، والشّرف، والمرتبة، فإنّ الله تعالى قد رتّب عبيده وخلقه، وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه، وقد قال رسول الله ﷺ :(خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٠.

على وجه لا يدخل فيه ما ليس بحديث، كاستنباط فقه، أو نقل آراء العلماء، أو عاضد من كتاب، أو أثر، كما فعل البخاري رضي الله تعالى عنه)[(١)].

٢ ـ عند قول الإمام مسلم: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل يعني ابن علية: أشار السنوسي رحمه الله إلى أنّ هذه النسبة لم يسمعها الإمام من شيخه، ولكنه احتاج إلى التعريف بالراوي المبهم، فاستعمل هذا الأسلوب؛ احترازا من الكذب، ثمّ قال: (وقد أكثر البخاري ومسلم رضي الله عنهما من هذا الاحتياط، إلاّ أنّ البخاري كثيرا ما يقول: هو ابن فلان، ومسلم كثيرا ما يقول: يعني ابن فلان، وكلاهما سواء)[(٢)].

ثمّ نقل عن النووي أنّه قال: (ليس للراوى أن يزيد فى نسب غير شيخه ولا صفته على ما سمعه من شيخه لئلا يكون كاذبا على شيخه، فإن أراد تعريفَه وإيضاحَه وزوالَ اللبس المتطرق إليه لمشابهة غيره فطريقُه أن يقول: قال حدثنى فلان يعنى ابن فلان، أو الفلان، أو هو ابن فلان،

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٦.

أو الفلاني، أو نحوه ذلك، فهذا جائز حسن)[١].

المطلب التاسع: التنبيه على اختلاف الروايات بين البخاري ومسلم وبين كتّاب السيرة الآخرين

فمن ذلك أنّ الإمام مسلما روى حديث بدء الوحي، وفيه قول ورقة بن نوفل: (حين يخرجك قومك ... الخ)[٢]، فبيّن الإمام السنوسي أنّ هذه رواية البخاري أيضا[٣]، وأنّ الذي في السيرة أنّ ورقة قال للنبيّ r: (ليكذبنّك)، و(ليؤذنك)، و(ليخرجنّك)[٤].

المطلب العاشر: ينقل اعتراض المعترضين على الإمام مسلم، ثمّ يورد جواب العلماء السابقين على ذلك، ولا يعلّق بشيء، إشارة إلى ارتضائه لهذا الجواب.

١ ـ من ذلك قوله: عاب عائبون على مسلم روايته في صحيحه عن

(١) النصّ في شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٣١).

(٣) صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي/ باب: (حديث رقم: ٣). كتاب التعبير/باب: أول ما بدئ به رسول الله r من الوحي: الرؤيا الصالحة(٦٩٨٢).

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٤. وفي الروض الأنف، ١/ ٤٠٠: (وَلَتُكَذّبَنّهْ، وَلَتُؤْذَيَنّهْ، وَلَتُخْرَجَنّهْ وَلَتُقَاتَلَنَّهْ).

جماعة من الضعفاء والمتوسّطين الواقعين في الطبقة الثانية الذين ليسوا على شرط الصحيح. وأجيب بأوجه، ذكرها ابن الصلاح رضي الله عنه.

الأول: أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره ثقة عنده، ولا يقال: الجرح مقدّم؛ لأنّ ذلك حيث يكون الجرح مفسّر السبب.

الثاني: أن يكون ذلك واقعا في المتابعات والشواهد، لا في الأصول.

الثالث: أن يكون ضعف الضعيف الذي احتجّ به طرأ بعد أخذه منه.

الرابع: أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده، وهو عنده من رواية الثقات نازل، فيقتصر على العالي ولا يطوّل بإضافة النازل إليه مكتفيا بمعرفة أهل الشأن بذلك(١).

٢ ـ ومن ذلك أيضا قوله: قد ينكر على مسلم بأنّ عادة أهل العلم إذا ذكروا جماعة في مثل هذا السياق قدّموا أجلّهم مرتبة، فيقدّمون الصحابي على التابعي، والتابعي على تابعه، وهنا عكس مسلم، فإنّ إسماعيل بن أبي خالد تابعي مشهور رأى أنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وسمع عبدالله بن أبي أوفى وغيره من الصحابة، وأمّا الأعمش فرأى أنس بن مالك

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩.

فقط، وأمّا منصور بن المعتمر فليس هو بتابعي، وإنّما هو من تابعي التابعين.

ثمّ قال السنوسي: وأجيب بأنّه ليس المراد هنا التنبيه على مراتبهم، فلا حجر في ترتيبهم، ويحتمل أن يكون قدّم منصورا لرجحانه في ديانته وعبادته، وإن كان غيره من الثلاثة راجحا على غيره، لكن منصور أرجحهم. ثم ساق أقوال العلماء في بيان رجحان منصور على غيره(١).

المطلب الحادي عشر: اهتمامه بتخريج الحديث من مظانه الأخرى:

وقد تجلّى ذلك في أوّل حديث أورده مستدلاّ به لقول الإمام مسلم: الحمد لله، فقال: بدأ رضي الله عنه بالحمد؛ لما رواه أبوداود والنسائي عن أبي هريرة ط، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلّ كلام لا يبتدأ فيه بحمد الله فهو أجذم)، وفي ابن ماجه: (لا يبتدأ فيه بالحمد فهو أقطع)، وروي: (بذكر الله)، و(ببسم الله الرحمن الرحيم)، وهو في صحيحي أبي عوانة وابن حبان(٢).

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣. والحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٦/ ١٢٧)، من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة، مرفوعا، وابن حبان في صحيحه(١/ ١٧٣)، =

ثمّ ظهر ذلك أكثرَ وضوحا في تخريج الأحاديث التي أوردها الإمام مسلم للاستدلال بها على مذهبه، فاختصر السنوسي كلام القاضي عياض والنووي في تخريجها من مظانها(١).

المطلب الثاني عشر: التنبيه على ما يقع من التصحيف في بعض ألفاظ الحديث، أو في كلام الإمام مسلم نفسه.

١ ـ فمن ذلك مثلا ما قاله عند قول الإمام مسلم في المقدّمة: **(وللذي سألت)**: هو باللام الجارة، خبر عن قوله: عاقبة محمودة، وكثيرا ما يوجد

=

ورواه أبو داود في سننه، بلفظ:(كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم). قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي r مرسلا. ورواه ابن ماجة(١ / ٦١٠)، ولفظه عنده:(كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع).

قلت: وحصرُ الاستدلال في هذه المسألة على هذا الحديث فيه نظر، بل قد يكون ذلك لفعل النبيّ r في بدء خطبه ونحوها بالحمد، وما جرت به عادةُ العلماء في ذلك. والله أعلم.

وخلاصة معنى هذا الحديث ونحوِه أنّ الذي لا يبدأ حديثه بذكر الله والثناء عليه، فإنّ كلامَه سيكون قليلَ البركة، لا يظهر نفعُه، ولا يتحقّق أثرُه، سواء كان في حصول الثواب عند الله عزّ وجلّ، أو في ظهور ثمرته عند سامعيه، والله أعلم.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١ / ٤٤ ـ ٤٦.

في النسخ مُصحَّفا بحذف لام الجرّ[١].

٢ ـ ومن ذلك أيضا قوله: (وفي بعض النسخ الاقتصار على الطريق الثاني وهو خطأ، والله أعلم، كما أنّ التبويب الذي يوجد في بعض النسخ قبل ذكر الطريق الثاني فاسد)[٢].

٣ ـ ومن ذلك ما وقع لعبد القدوس من التصحيف في سند حديث ومتنه[٣].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤.

(٣) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا). وقد رواه ـ على الصواب ـ: الإمام مسلم. كتاب الصيد/ باب: النهي عن صبر البهائم، والترمذي. كتاب الصيد/ باب: ما جاء في كراهية أكل المصبورة، والنسائي. كتاب الضحايا/ باب: النهي عن المجثّمة، وابن ماجة. كتاب الذبائح/ باب: النهي عن صبر البهائم وعن المُثلة، وأحمد في مسنده (١/ ٢١٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٤٠، ٣٤٥، ٢/ ٨٦)، كلّهم عن ابن عباس، مرفوعا، وفي بعضها عن ابن عمر، مرفوعا.

ومعناه: النهي عن أن يتّخذ الحيوان الذي فيه روح هدفا للرمي، فيرمى إليه بالنشاب وغيره، وهذه عادة كانت تفعلها العرب كثيرا، قال القاضي عياض: (وهذا مثل نهيه ﷺ عن قتل المصبورة والمجثّمة، وهي ذات الروح من الطير، وغيره، أي: تحبس فيرمى عليها =

قال السنوسي: (المراد بهذا الحديث المذكور بيانُ تصحيف عبدالقدوس وغباوتِه واختلالِ ضبطه، وحصولِ الوهم في إسناده ومتنه؛ فإنّه قال: سويد بن عقْلة بالعين المهملة والقاف المفتوحتين، وهو تصحيف ظاهر، وإنّما هو غفَلة بالغين المعجمة والفاء المفتوحتين. وأمّا المتن فقال: الرَوح، بفتح الراء، وعرْضا بالعين المهملة وإسكان الراء، وهو تصحيف قبيح وخطأ صريح، وصوابه الرُّوح بضم الراء، وغرضا بالغين المعجمة والراء المفتوحتين، ومعناه نهى أن يتّخذ الحيوان الذي فيه الروح غرضا أي: هدفا للرمي، فيرمى إليه بالنشاب وغيره)(١).

٤ ـ وقع في حديث عند الإمام مسلم ما يمكن أن يعدّ تصحيفا وتغييرا، ليس من الإمام مسلم، بل من رواة الصحيح، ففي نصّ الحديث: (نحن نجيء يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أيّ ذلك فوق الناس)(٢).

وقد بيّن القاضي عياض التصحيف الذي وقع في هذا المكان، ونقله

=

) . مقدمة إكمال المعلم(ص٢٨٠).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥. إكمال المعلم، ١/ ١٥٢. شرح النووي، ١/ ١١٣.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها(رقم:٢٧٨).

عنه الأبيّ، وحرص السنوسي على ذكره، وبيّن أنّ الصواب في هذه الجملة: (ونحن يوم القيامة على كوم)، ثمّ ذكر روايات أخرى لهذا الحديث تدلّ على التصحيف الذي وقع فيه، ثمّ قال: (فهذا كلّه يبيّن ما تغيّر من الحديث، وأنّه كان امتحى هذا الحرف وأظلم على الراوي، فعبّر عنه بكذا وكذا، وفسّره بقوله: أي فوق الناس، وكتبه عليه: انظر، فكتب النقلةُ الجميعَ ونسقوه بمتن الحديث)[١].

المطلب الثالث عشر: التنبيه على المصطلحات التي وافق فيها الإمام مسلم جمهور العلماء.

فمن ذلك ـ مثلا ـ قوله: (واستعمل مسلم الأثر فيما رفع إلى النبيّ r ، وهو موافق لاصطلاح الجمهور في أنّ الأثر هو المروي كان عن رسول الله r أو عن صحابي، ومنهم من خصّه بالثاني)[٢].

المطلب الرابع عشر: الحكم على الأحاديث التي يذكرها أثناء الشرح،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٥١. وانظر: إكمال المعلم، ١/٥٧٦، وإكمال الإكمال، ١/٣٥١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٤. وهم بعض علماء خراسان، كما ذكر ذلك ابن الصلاح وغيره.

إمّا باجتهاده هو، وإمّا نقلا عن علماء الحديث.

١ ـ فقد نقل عن الإمام النووي حكمه على حديث أبي هريرة t ، مرفوعا: (تعاد الصلاة من قدر الدرهم)، يعني من الدم[1].

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٩. شرح النووي، ١/٩٦.

قلت: يريد الحديث الذي رواه روح هذا، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، يرفعه:(تعاد الصلاة من قدر الدرهم). وقد أخرج هذا الحديثَ كلٌّ من الدارقطني في سننه. كتاب الصلاة/ باب: قدر النجاسة التي تبطل الصلاة(١/٤٠١)، والبيهقي في سننه الكبرى(٢/٤٠٤)، وابن عدي في الكامل(٣/٩٩٨)، والعقيلي في الضعفاء(٢/٥٦)، وابن الجوزي في الموضوعات(٢/٧٦)، من الطريق المذكور. وهو عند ابن عدي في الكامل(٧/٥٠٧)، والخطيب في تاريخ بغداد(٩/٣٣٠)، من طريق نوح بن أبي مريم، الجامع، عن يزيد بن أبي زياد، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، مرفوعا.

وهذا الحديث لا ينهض على قدمين، فقد حكم كلّ من البخاري، والقاضي عياض، وأبي حاتم، وغيرهم ببطلانه؛ لأنّ في إسناده روح بن غطيف، وقد اتفق العلماء على ترك حديثه. انظر: التاريخ الكبير(٣/٣٠٨)، ميزان الاعتدال(٢/٦٠)، اللسان(٢/٤٦٧)، شرح النووي على مسلم(١/٥٧). وفي سنده الثاني: نوح بن أبي مريم، وهو متهم بالكذب والوضع. انظر: تلخيص الحبير(١/٢٧٨).

والحديث مذكور في كتب الأحاديث الموضوعة: تنزيه الشريعة لابن عراق(٢/٦٦)، الفوائد المجموعة للشوكاني(ص٦)، وغيرهما. قال أبو عيسى الترمذي في سننه(١/٢٥٤):(=

٢ ـ ونقل عن القاضي عياض أيضا حكمه على حديث العطارة، وأنّه حديث طويل غير صحيح، ذكره ابن وضاح بكماله[1].

=

وقد اختلف أهل العلم في الدم يكون على الثوب فيصلي فيه قبل أن يغسله، قال بعض أهل العلم من التابعين: إذا كان الدم مقدار الدرهم فلم يغسله وصلى فيه أعاد الصلاة، وقال بعضهم: إذا كان الدم أكثر من قدر الدرهم أعاد الصلاة، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك ولم يوجب بعض أهل العلم من التابعين وغيرهم عليه الإعادة، وإن كان أكثر من قدر الدرهم وبه يقول أحمد وإسحاق وقال الشافعي يجب عليه الغسل وإن كان أقل من قدر الدرهم وشدد في ذلك).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٤. إكمال المعلم، ١/ ١٥٠.

قلت: والمقصود بحديث العطارة، هو ما رواه زياد بن ميمون، عن أنس، أنّ امرأة يقال لها الحولاء، عطارة، كانت بالمدينة، فدخلت على عائشة رضي الله عنها، وذكرت خبرها مع زوجها، وأنّ النّبيّ r ذكر لها في فضل الزوج.

وهو حديث طويل، غير صحيح، ذكره ابن وضّاح بكماله، في كتاب القطعان له، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات(٢/ ٢٧٠)، وقال:(قال الدارقطني: باطل)، وهو عند ابن الأثير في أسد الغابة(٥/ ٤٣٢)، وابن حجر في الإصابة(٤/ ٢٧٠)، وقال:(سند هذا الحديث واه جدّا، وقد ذكره البزار، وقال: زياد الثقفي، راويه، بصري، متروك).

ويقال: إنّ هذه العطارة هي الحولاء بنت تويت، المذكورة في غير هذا الحديث.

قلت: أمّا كونها هي بنت تويت، المذكورة في غير هذا الحديث، فإنّ كتب التراجم ميّزت بينهما، حيث إنّ العطّارة هي صاحبة هذا الحديث، وترجمتها في الإصابة(٤/ ٢٧٠)، أسد

=

المطلب الخامس عشر: التنبيه على ما في أسانيد الإمام مسلم من اللطائف الإسنادية

لقد تعدّدت جوانب عبقرية الإمام مسلم رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح، وحرص العلماء على إبرازها وإظهارها، وكان منها تلك اللطائف العلمية، سواء ما تعلّق منها بالسند، أو بالمتن.

وكان الإمام السنوسي حريصا ـ رغم توخّيه الاختصار ـ على جمع هذه اللطائف من كتب السابقين، ثمّ زاد عليها أشياء من عنده.

وفيما يلي ذكر لهذه اللطائف التي وجدتها في شرح الإمام السنوسي لمقدّمة الإمام مسلم وكتاب الإيمان، ولو تمّ تتبّع ما في الكتاب كلّه لتوفّر من ذلك الشيء الكثير، وعسى أن أوفّق مستقبلا إلى جمع ذلك، بإذن الله تعالى.

ـ رواية التابعين بعضهم عن بعض، واتفاق الرواة في النسب

١ ـ من ذلك مثلا قوله عن إسنادين من أسانيد الإمام مسلم في

=

الغابة(٥/ ٤٣٢)، أمّا بنت تويت، فهي المسمّاة: الحولاء بنت تويت بن حبيب، القرشية، الأسدية، صحابية، عرف عنها كثرة العبادة، وترجمتها في: الإستيعاب(٤/ ٢٦٩)، الإصابة(٤/ ٢٩٦)، أسد الغابة(٥/ ٤٣٢).

مقدّمته: (واعلم أنّ هذين الإسنادين فيهما لطيفتان:

الأولى: أنّ رواتهما كلّهم كوفيون، إلاّ شعبة، فإنّه واسطي، ثمّ بصري.

الثانية: أنّ في كلّ واحد من الإسنادين تابعيا روى عن تابعي. في الأول: الحكم عن عبدالرحمن، وفي الثاني: حبيب عن ميمون)[١].

٢ ـ قوله ـ نقلا عن النووي ـ: (وهذا الإسناد اجتمع فيه طرفتان من لطائف الإسناد، إحداهما: أنّ إسناده كوفيّ كلّه. والثانية: أنّ فيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض، وهو[٢]: الأعمش والمسيّب وعامر، وهذه فائدة نفيسة، قلَّ أن يجتمع فى إسنادٍ هاتان اللطيفتان)[٣].

٣ ـ رجال هذا الإسناد كلّهم كوفيون[٤].

٤ ـ هذه الرواية اجتمع فيها أربعة من التابعين، يروي بعضهم عن بعض، أوّلهم يحيى بن أبي كثير، وهو من أغرب لطائف الإسناد[٥].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٥.

(٢) هكذا بالأصل، والصواب: وَهُمْ.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٠. وهو في شرح النووي، ١/٧٧.

(٤) المصدر السابق، ١/٢٩. شرح النووي، ١/٩٨.

(٥) المصدر السابق، ١/٤٣. شرح النووي، ١/١٣٥.

٧ ـ وهذا الإسناد فيه من اللطائف أربعة من التابعين يروي بعضهم عن بعض[١].

٢ ـ رجال أسانيد هذا الباب الثلاثة كلّهم كوفيون[٢].

٣ ـ هذه الأسانيد رجالها كلّهم بصريون، وهذا الاتفاق في غاية من الحسن[٣].

٤ ـ ورجال الإسنادين الأولين كلّهم أئمّة مصريون جلّة[٤].

ـ رواية الأكابر عن الأصاغر

١ ـ وفيه لطيفة أخرى، وهي رواية الأكابر عن الأصاغر، فإنّ أبا سلمة من كبار التابعين، وعمر بن عبدالعزيز t من أصاغرهم سنا وطبقة، وإن كان من كبارهم علما وقدرا ودينا وورعا وزهدا وغير ذلك[٥].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٥٩.

(٤) المصدر السابق، ١/ ١٤١.

(٥) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٣. شرح النووي، ١/ ١٣٦.

٢ ـ وقال عن تميم الداري عن الجساسة، وأنّ رسول الله r حدّث به عنه، قال السنوسي: (وهذه منقبة شريفة لتميم، وتدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر)[١].

المطلب السادس عشر: نماذج من جمع السنوسي بين شرح القاضي عياض والنووي لمعاني الأحاديث:

يعمد الإمام السنوسي رحمه الله تعالى أحيانا إلى الجمع بين أكثر من شرح في الموضع الواحد، بغية جمع المعاني الواردة في الحديث.

فمن ذلك ما ذكره عند قول عبدالله بن عمرو بن العاص: (إنّ في البحر شياطين مسجونة، أوثقها سليمان بن داود، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا)، فقد نقل ما قاله الإمام النووي في ذلك، ثمّ قال: (ويحتمل أن يراد بالقرآن ما يجمعونه ويأتون به، إذ أصل القرآن الجمع، وكلّ شيء جمعته فقد قرأته)[٢]. وهذا المعنى الثاني ذكره القاضي عياض في كتابه[٣].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٦. شرح النووي، ١/ ١٤٢.
(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢١.
(٣) مقدّمة إكمال المعلم، ص٢١٢.

المطلب السابع عشر: نماذج من زيادات السنوسي على شرح السابقين لمعاني الأحاديث

كثيرة هي المعاني والفوائد التي أضافها الإمام السنوسي على شروح السابقين، وهي تدلّ على سعة علم هذا الإمام، فقد كان يغوص في أعماق الألفاظ فيستخرج دررا من المعاني التي لم يسبق إليها، أو يتوسّع في المعاني التي ذكرها الشرّاح قبله.

لم يكن الإمام السنوسي مجرّد جامع لكلام الشرّاح السابقين، بل إنّه كان يتخيّر من كلامهم المختصر المفيد، وربّما يقتصر عليه إذا رآه وافيا بالحاجة، وربّما استطرد في شرح ألفاظ الحديث واستخراج كثير من المعاني التي لم يذكرها الأبّي والسابقون، خاصّة فيما يتعلّق بالجانب التربوي الذي كان الإمام السنوسي يوليه العناية الكبرى باعتباره ثمرة شرح الأحاديث ومعرفة معانيها والأحكام التي دلّت عليها.

ونظرا لأهمية هذه المسألة وكونها علامة ظاهرة دالّة على علم السنوسي، فقد جهدت في جمع ما قاله من ذلك في شرح المقدّمة وكتاب الإيمان، فاجتمع عندي من ذلك الشيء الكثير، حرصت على إثباته في هذا المبحث، مع حذف ما لا يحتاج إليه من ذلك، وربّما نقلت بعضه إلى

مباحث أخرى بحسب الحاجة والمناسبة.

١ ـ عند قول ابن عباس: (فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث)، نقل السنوسي ما قاله القاضي عياض والنووي في معنى الصعب والذلول، ثمّ قال: (يحتمل أن يكون المراد: تركنا حفظه وقبوله من الناس، ويحتمل أن يكون المراد: إفادته ونشره).

ثمّ قال: (فإن قلتَ: وأيّ مناسبة في تركه إفادة الحديث ونشره لعدم محافظة غيره، بل قد يقال: المناسبُ عكسُه: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾. [الأنبياء: ١٨]، قلتُ: وجه المناسبة فيه أنّه خاف أن يزاد عليه أو ينقص، فلم ير أمينا لحمل الحق على وجهه، (ولا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها)، وإذا قال هذا ابنُ عباس رضي الله عنهما في ذلك الزمان العظيم البركة، فكيف حال هذا الزمان الذي فاض فيه على البسيطة عبابُ الشر وأهلِه، والله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله)[1].

قلت: إذا قال الإمام السنوسي وهو في القرن التاسع الهجري، فما

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٢.

عسانا أن نقول عن هذا العصر الذي عمّ فيه الكذب وطمّ، وأصبحت له أبواق طويلة الأعناق، يحميها الدستور والقانون!، وإلى الله المشتكى.

٢ ـ ذكر القرطبي أنّ الحكمة من تركه r ذكر الصوم والحج في حديث معاذ هو أنّه إنّما قصد بيان الآكد بالنسبة إليهم في ذلك الوقت، وهي عادته r [(١)].

فأضاف السنوسي قائلا: (قلت: إذعانهم لهذا المذكور في حديث معاذ يستلزم إذعانهم لما بقي من شرائع الإسلام)[(٢)].

٣ ـ قال السنوسي بمناسبة الحديث عن الحكمة من تركه r ذكرَ الصوم والحج في حديث معاذ المشهور: (قلت: ولذلك أخذ منه أنّ الوتر ليس بواجب؛ لأنّ بعث معاذ إنّما كان بعد مشروعية الوتر، فلو شرع بصفة الوجوب لذكر)[(٣)].

٤ ـ في حديث عبادة بن الصامت، مرفوعا: (من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله.... وأنّ الجنة حق، وأنّ النّار حق، أدخله الله من أيّ أبواب الجنة

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ١٠٠.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠٠.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٠٠.

الثمانية شاء)[١]. تكلّم السنوسي عن الحكمة من ذكر الجنة والنار في الحديث، فقال: (ولعل فائدة ذكر الجنة والنار أيضًا التخلص من عقائد الدهرية ومن يقول بنفي المعاد البدني لأنه قد قال به بعض من يعد نفسه من المسلمين وليس منهم وعطف جمل وأن عيسى إلى آخره شبه عطف خاص على عام اعتناء بشأنها لما عرض فيها من الجهالات، ولأن استحضار الجزئيات في ضمن كلياتها واللوازم الخفية عند حضور ملزوماتها مما يحتاج إلى زيادة تنبه ودقة نظر، وإلا فذكر كلمتي الشهادة مع تحقق معناهما على ما يجب يتضمن جميع ذلك، وقد قدمنا في حديث جبريل عليه السلام وجه دخول عقائد الإيمان كلها في كلمتي الشهادة، وبالله تعالى التوفيق)[٢].

٥ ـ أشار الإمام الأبّي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنّ حديث عبادة بن الصامت لا يتعارض مع حديث: (إنّ في الجنة بابا يقال له الريان، لا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا(٤١).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١١٨.

يدخله إلاّ الصائمون)[١]؛ لأنّه يقتضي أنّ هذا القائل لو أراد الدخول منه لم يُمَكَّن؛ لأنّه لا يلزم من التخيير الدخولُ، فإنّه قد يخيّر، ولا يخلق الله تعالى عنده إيثار الدخول منه[٢].

قال السنوسي: (ويحتمل عندي أن يقال أن ببركة هذا الذكر ـ مع تكيف الباطن بمعناه المقتضى غالبًا تكيف الجوارح بالعمل بمقتضاه ـ يستحق صاحبه الدخولَ من أبواب الجنة الثمانية؛ لتوفيق الله تعالى له للاتصاف في الدنيا بأعمالها ببركة ذلك الذكر والعمل به، ولا ينافي ذلك قولَه: (على ما كان من عمل)[٣]؛ لاحتمال أن يكون المراد على ما كان من عمل فيما مضى قبل مقالته، أو يقال إنه لما كانت العبادات كلها موقوفًا صحتُها وقَبولُها على الإيمان، وكان هذا الذكر وافيًا به على أتم وجه، كان قائلُ هذا الذكر مستيقنا له قد صحح أصلَ العبادة، وحاز مفتاحها الذي لا ينفتح أبوابُ قبولها الموصلِ إلى الدخول من أبواب الجنة الثمانية إلا به،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام/باب: فضل الصيام(١٩٤٧).

(٢) إكمال الإكمال، ١/١١٨ ـ ١١٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا(٤١).

فقد انفتحت له بحسب الاستعداد لها بما معه من الإيمان، ولم يبق له إلا ولوجُها بتحريك ظاهره وباطنه في طرقها، وبهذا قال: (على ما كان من عمل)، إشارةً إلى أنه برئ من الكفر المحبِط لكل عمل، وكل ما دونَه غيرُ محبط، خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئاً)[١].

٦ ـ وعند حديث: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٢]، قال السنوسي: (ويتعلق بهذا الحديث ما يتعلق بهذه الأمثلة من الخلاف فيها هل هي مجملة أم مبينة وهل الاستثناء من النفي إثبات لأنه في معنى لا مسلم إلا من سلم المسلمون من كذا. وحمله على ظاهره من غير تقدير لا يصح فلا بد من تقدير معطوفات ثلاثة: واحد على المسلمين، والثاني على مسلم، والثالث على لسانه ويده، أي المسلم من سلم المسلمون ومن في حكمهم من يده ولسانه وجميع أعضائه مما يمكن أن يؤذي به حتى قلبه فإنه منهي عن الحقد والحسد للمسلمين، والبغض والغيبة بالقلب، والتلذذ بتصور معايبهم واستجلاب حديث النفس والسرور بها،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٩.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل(٥٧، ٥٨، ٥٩).

وإضمار الشر لهم، وما يناسب ذلك من صفات القلب؛ أي وكان متصفًا بما لا بد منه في تحقيق أصل الإسلام من التصديق والشهادتين ونحوهما وهذا هو المعطوف الثالث على مسلم.

وقد يقال يستغنى عن تقديره؛ لأنه إذا كان المراد المسلم الكامل استغنى عن تقدير المصحح إذ لا كمال إلا لما صح، ثم حصره على هذا التقدير إنما هو بالنسبة إلى تلك الإذايات، وأما بالنسبة إلى شعبة إيصال النفع فمن يطعم ويسلم على من عرف وجهل انتهى.

قلت: لا يحتاج إلى تقدير هذه المعطوفات كلها لما تقدم من استلزام المذكور في الحديث لما لم يذكر، وتقدير ما ذكر لفظًا مما يفوت بلاغة الكلام ومحاسنه والله أعلم.

٧ـ في الحكمة من تخصيص المسلم والمؤمن في الحديثين

قال السنوسي: (وأما تخصيص المسلم والمؤمن في الحديثين بما ذكر معهما، فقال بعضهم: يمكن أن يقال: تخصص المسلم بالأمرين لظهورهما وفرعيتهما كالإسلام، ولجريانهما مجرى الحاجيات، وتخصص المؤمن بالأمرين لتأصلهما وضروريتهما كالإيمان وخفاء التصرف فيهما؛ لأن خيانة الأمانة خفيٌّ، فخصص بالإيمان الخفي، وهذا إذا حمل الأمران مع

المسلم على ما دون النفس دون المال وإلا فيتقاربان.

وقد يقال: إنّ الأولى لما يخص الإنسان في نفسه والثاني لما يطلب منه وإن جعلت الجملتان إلى أحكام شعبة التروك كانتا أو كل منهما نصفَ أحكام الإيمان، والنصف الآخرُ الأفعال، وإن جعل المسلم والمؤمن شاملاً لظالم نفسه أو غيره تناولتا الفعل والترك، تناولتا ـ أو كل منهما ـ جميع أحكام الإيمان، وهذا وجهُ عَدِّ عياض حديثَ المسلم من جوامع كلمه r ومحاسنه، وهكذا هو كلامه r لمن تأمل، وإذا كان جميع الأحكام داخلاً في هذا الحديث، فما عسى أن يعد من تفاصيله)[1].

٨ ـ تحدّث الإمام السنوسي عن الحكمة من قوله r: (حتى يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه)، ولم يقل: حتى يفعل بأخيه ما يفعل بنفسه، فقال: (لوجوه:

منها: أنّ المحبّة في السبب الأقوى في الحمل على الفعل؛ لأنّ من أحبّ شيئا حبّا صادقا لا يصدّه شيء عن فعله.. فكأنّه r أرشد إلى ضابط الفعل والحامل عليه على وجه العموم، إلاّ لعارض.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤١.

ومنها: أنّ ذكر الفعل لا يغني عن المحبّة؛ لأنّه قد يفعل تكرّها، ولامتثال الأمر خاصّة، وهو على الوجه قد يوجب أشدَّ البغض أو يزيد فيه، فيؤدّي إلى خلاف المقصود، بخلاف المحبّة فإنّها تغني عن الفعل لحصوله معها، مع حصول المقصود من الألفة والتوادّ بين المؤمنين على أكمل وجه.

ومنها: أنّ الفعل أشقّ على النفس من المحبّة، فكان التصريح باشتراطه في الإيمان يوجب النفرة عنه، فنبّه طبيب الأطبّاء وحكيم الحكماء r على ما يحصّل المقصود وتقبله النفوس.

ومنها: أنّ الفعل لا يحسن أن يكون ضابطا؛ لأنّه كثيرا ما يفعل الإنسان بنفسه أمورا يكرهها؛ لاسترقاق نفسه له، وأسر شهوته إياه، أو لغير ذلك من الإكراه ونحوه، بخلاف المحبّة فإنّها مطردة منضبطة.

ومنها غير ذلك، ممّا لا ينحصر، والله سبحانه وتعالى أعلم)[١].

٩ ـ في قوله النبيّ r : (عند أصول أذناب الإبل..)، قال السنوسي: (فائدة ذكر هذا الظرف تصوير هذه الحالة المستهجنة والإشارة إلى منافاتها

(١) المصدر السابق، ١/ ١٥٠.

لارتياض النفس بحسن أدلة الشريعة وفهم أسرارها الحامل على لين القلب واتعاظه؛ لوقوف هذه الأمور على ملازمة مجالس الفقه والحكمة ومخالطة أرباب الصدور والعلماء العاملين، واكتساب محاسن أخلاقهم بملازمة صحبتهم وترك أضدادهم وما يوجب البعد عن مجالستهم من الأشغال الدنيوية والحرف المشغلة عن كل خير وأين هذا ممن عكف نفسه على صحبة حيوان بهيمي ورضى لنفسه أن تكون ملازمة لذنبها).

ثمّ قال: (وبهذا تعرف أنه يدخل في معنى الحديث من لازم الجلوس مع أذناب الناس والجهلة منهم، أو عكف نفسه على صحبة البهائم للتجارات أو الحراثة أو رضى لنفسه بملازمة الأسواق ومحال الصخب وكثرة الصياح والتخليط لمجرد أمور الدنيا والله تعالى أعلم)[١].

١٠ ـ في قوله r : (وقذف المحصنات)[٢]، قال الأبّي: (وكذا قذف المحصنين، فهو كقوله: من أعتق شركا له في عبد)[٣]، فقال السنوسي: (وقد يكون مسمى المحصنات مقصودًا؛ لأن المعرة في حقهم أكثر

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان الكبائر وأكبرها(١٢٩).

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ١٩٩.

وأشمل، والمحصنات هنا العفائف)(١).

١١ ـ أشار الإمام السنوسي إلى أنّ النبيّ r قيد حب المسلم لغيره بأن يكون لله خالصا، في قوله: (وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله)، ولم يقيّد حبّ رسول الله r أن يكون لله.

ثمّ قال: (والجواب من أوجه:

أحدها: لما كانت محبة الرسول r من حيث كونه رسولاً لا تكون إلا لله جل وعلا وقد رتب الحكم عليهما فيما سبق وترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته من باب الإيماء لم يشترط فيها أن لا يحبه إلا الله تعالى لأنه تحصيل الحاصل.

ثانيها: أن مطلق حب الرسول r يجر في الغالب إلى التصديق به، وذوق حلاوة الإيمان؛ لأن المحب ينقاد إلى محبوبه في غالب الأحيان ومحبه r بإطلاق لا يخلو من نفع، ولو ببعض التخفيف من عذاب النيران إذا كان من أهل الكفران، ويدل عليه حديث أبي طالب وأبي لهب عمَّيْه(٢)، فترك هذا الشرط من حبه r ترغيبًا للخلق في محبته الموجبة لكل

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٩٩.

(٢) المقصود بذلك ما أخبره عنه r من أنّه وجد عمّه أبا طالب في النار فأخرجه إلى =

الخير أو بعضه.

ثالثها: أن الذي ذكر من حبه ﷺ هو المقام الأعلى منه، وهو الميل إليه وإيثاره على كل شيء سواه، حتى على نفس المحب؛ لدخوله في عموم ما سواهما، وذلك مستلزم ـ والله تعالى أعلم ـ لحصول أعلى مراتب الإيمان.

رابعها: أن ذكر محبته ﷺ مع محبة الله عز وجل، ثم إضافته إليه، إضافة تشعر بعظيم منزلته عنده، ثم الجمع بينهما في ضمير واحد يدل على أن حبه من معنى حب الله تعالى، وأنه لأجله، فأغنى ذلك عن ذكر الشرط، ولما انتفت هذه المعاني الأربعة في حب غيره ﷺ، شرط في الانتفاع الأخروي بذلك الحب أن لا يكون إلا لله تعالى، ولذا قيل: المرء ولم يقل المؤمن أو المطيع ونحوه من الأوصاف المناسبة؛ لأن ذلك يدل على كون الحب لله تعالى بالإيماء)[1].

١٢ ـ ثمّ تحدّث السنوسي عن وجه كون كراهية العودة إلى الكفر موجبةً لحصول حلاوة الإيمان، فقال: (وجه كون هذه الكراهية مُوجبةً

=
ضحضاح منها، وأنّ عمّه أبا لهب يخفّف عنه كلّ يوم اثنين بسبب فرحه بمولده ﷺ ، والخبران مشهوران.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٤.

لحصول حلاوة الإيمان أنها نتيجة حصول اليقين، فإن الكفر سبب الخلود في النيران، فالمؤمن يكرهه كما يكره النار لملازمته إياها، فصار لقوة اليقين يتخيل أن الدخول في الكفر دخول في النار، فكرهه كراهيتَها، وإذا فعل هذا في الكفر فعله في سائر المعاصي؛ لمشاركتها له في السببية؛ لاستحقاق النار، وما يفرق به من احتمال العفو مقابل باحتمال عدمه، والعاقل يفر بمجرد احتمال الوقوع في أدنى شيء من المعاطب الدنيوية، فكيف باحتمال الوقوع في هول الآخرة وعذابها الذي لا طاقة لمخلوق عليه، إن أريد بالكفر الكفر المقابل لأصل الإيمان، وأما إن أريد به كفر النعم وعدم القيام بشكرها ـ وهو الظاهر ـ تناول حينئذٍ بلفظه جميع المعاصي. والمراد بالعودة في الكفر مطلق الصيرورة والتلبس، تقدم اتصافه به أم لا، كما أشار إليه النووي، ومن استعماله فيما لم يتقدم فيه الاتصاف قولُه تعالى: **{أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}**.[الأعراف: ٨٨، إبراهيم: ١٣]، ويحتمل أن يكون في الآية من باب التغليب، وأن الخطاب للرسل مع أممهم الذين تقدم لهم الاتصاف بالكفر)(١).

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤٥.

١٣ ـ ومن ذلك ما نقله عن النووي أنّه قال: (وقال بعض الأصحاب: الحديث والله أعلم في أمر الدنيا، وأمّا أمر الآخرة فالله سبحانه وتعالى يقول:﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.[المطففون: ٢٦])(١).

ثمّ قال السنوسي: (قال بعض الشيوخ: ولا بأس به، إلاّ أنّ التنافس لا يستلزم إرادة الأفضلية والترجيح؛ لاحتمال أن يكون بالمساواة)(٢).

١٤ ـ في قوله r : (ولا يهلك على الله إلاّ هالك)(٣).

قال السنوسي: (الظاهر أن (على) بمعنى (مع)، على حذف مضاف، أي: مع فضل الله إلا هالك، ونكتة التعبير بعلى التنبيهُ على ضعف العباد، وأنهم لا يستطيعون لأنفسهم النهوضَ إلى شيء، لكنه تعالى تفضل بالهداية، وإكمال العقل، ودفع الموانع أولاً، ثم تفضل مع ذلك بتضعيف الثواب والمن يعلى الدرجات ثانيًا، فقد حمل بفضله المؤن كلها في ذلك،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤٩.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب(١٨٧).

وبالغ في رفقه بالسير بالعباد في مراشدهم، بحيث لا يهلك على هذا الفضل المركوب الهني السهل بحسب الظاهر إلا هالك، وجعل هذا الفضل مركوبًا لكل عاقل لركوبه على أسبابه العادية من العقل وغيره من أسباب الهدايات، وتمكنه منها، ثم مع ذلك يسقط على ظهرها، ويهلك من سبق عليه من الله جلّ وعلا الشقاء، فكأنه ملتبس بالهلاك حينئذٍ، والهلاك الواقع لا يمكن رفعه، وهذا نكتة التعبير باسم الفاعل الذي هو هالك للمبالغة في جعله ملتبسًا بالهلاك)[١].

١٥ ـ في قوله ﷺ: (حتى تصير على قلبين .. الخ)، الحديث[٢].

قال السنوسي: (والضمير في (تصير) للقلوب، أي: تصير القلوب على نوعين: أحدهما أبيض صلت لاتَزلزل عقائدُه لواردة الفتن، ولا يتضرر بها في دينه؛ لتحقق عرفانه ورسوخ إيقانه في تمييز الباطل من الحق، والبدعة من السنة، فلم يكن مأسورا بالتقليد، ولا منخدعًا بالعوائد الفاسدة التي درج عليها الأكثر، ولهذا ضرب له المثل بالصفا؛

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٣٧.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين (٢٠٧).

لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان، ولم تدخلها لون آخر، سيما النوع الذي ضرب به المثل، فإنه أبدًا على البياض الخالص الذي لا تشوبه كدرة، والنوع الآخر على ضد هذه الأوصاف يتزلزل لأقل فتنة، وينخدع بأقل حالة فاسدة، وهذا حال العام والخاص في هذا الزمان، إلا من حفظ من النادر جدًا)(١).

١٦ ـ في قوله r : (كالكوز مجخيّا)، قال السنوسي: (كأنّ القلب باتباع الهوى انكب إلى الأرض فزال ما فيه، واحتجبت عنه غيوث الأنوار السماوية، وصارت إذا وردت عليه إنما ترد على ظاهره، وتظل ذاهبة حتى لا ينتفع بها، كالإناء المنكب على وجهه، إذا ورد عليه مطر ونحوه. قال تعالى في معنى ذلك:**{ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا }** إلى **{ وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ }**. [الأعراف: ١٧٦])(٢).

١٧ ـ في قوله r : (إلاّ ما أشرب من هواه)، قال السنوسي في بيان معناه: (قال بعضهم: يعني لا يعرف القلب إلا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية. قال الطيبي: ولعله أراد أنه من باب تأكيد

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٥٣.

الذم بما يشبه المدح، أي ليس فيه خير إلا هذا، وهذا ليس بخير، فيلزم منه أن لا يكون فيه خيرٌ البتةَ)(١).

١٨ ـ في قوله r : (إنّ الإيمان ليأرز إلى المدينة ... الخ)، الحديث(٢)، قال السنوسي: (المعنى أن الإيمان أولاً وآخرًا بهذه الصفة؛ لأن كل ثابت الإيمان منشرح الصدر، لا بد له في الغالب من المدينة، إما مهاجرًا مستوطنًا، وإما متشوقًا متعلمًا، أو زائرًا أهلَها من الصحابة فمن يعدهم من العلماء الذين هم سرج الأمة إلى هلم جرا، نسأله سبحانه أن يسهل علينا التمتع بجواره r في حياتنا وبعد مماتنا، مع كمال العافية في الدين والدنيا والآخرة)(٣).

١٩ ـ في قوله r : (ثلاثة يُؤتَون أجورَهم مرتين)،

قال السنوسي: (تخصيص الثلاثة بالذكر؛ لأن جمع كل واحد منهم بين الأمرين المذكورين له في غاية الصعوبة، ولهذا كان وجود هذه الثلاثة

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٥٣.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين(٢١٠).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥٥.

نادرًا)[١].

٢٠ ـ في حديث بدء الوحي، قالت عائشة رضي الله عنها: (أوّل ما بدئ به رسول الله r من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم .. الخ)[٢]. وفي رواية: (الرؤيا الصالحة)، ثمّ في الحديث بعد ذلك: (فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح).

قال السنوسي: (هذا مما يقوي تفسير الرؤيا الصالحة بالصادقة، ويكون من العطف التفسيري، وفلق الصبح هو انصداع الفجر وتبين النهار من الليل، ولهذا يقال: فرق أيضًا؛ لانفراقهما)[٣].

ثمّ تحدّث السنوسي عن وجه الشبه بين فلق الصبح وبين رؤيا النبيّ r ، فذكر أنّه يحتمل أمورا:

أحدهما: أن يكون معناه وضوح الرؤيا حين يراها وهو قائم كوضوح فلق الصبح لا تخليط فيها كما في رؤيا غيره، بل يراها في النوم، كما يراها في اليقظة، وفاعل (جاءت) على هذا ضميرُ الرؤيا، وفي ذكر الصبح مع

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٦٣.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بدء الوحي إلى رسول الله r (٢٣١).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧١.

الفلق توكيدُ التشبيه.

الثاني: أن يكون في وضوح مطابقة المناسبة لمثالها الواقع في اليقظة، أي: لا شك أن ما وقع في اليقظة مثل المرئي في النوم، كما لا شك في فلق الصبح.

الثالث: أن يكون في صدقها وعدم التخلف عنها وهو قريب من الذي قبله، وفاعل (جاءت) فيهما على حذف مضاف، أي: مثالها وصدقها من مجاز الحذف. و(مثل) حال، أو خبر (جاءت) من أخوات كان إن لم يكن موقوفًا على السماع، في نحو: ما جاءت حاجتك، والمعنى: إلا صارت، أي: مآل أمرها مثل فلق الصبح.

ثمّ نبّه إلى الحكمة من العدول عن التشبيه بضوء الشمس - وهو أقوى - إلى التشبيه بفلق الصبح، فأوضح أنّ هناك جملةً من المناسبات التي اقتضت ذلك، منها:

- أن الرؤيا ابتداء أنوار النبوة، فكانت كالفلق الذي هو ابتداء ضياء النهار.
- أنه نور تتبين به الأشياء من غير إذاية شعاع ولا حر، ويسهل تناوله، حتى قيل: إن ضوء الجنة كضوء الإسفار، بخلاف الشمس، وهذا

كما وجه به وصفه r بكونه سراجًا منيرًا.

- أنه أول تمييز نور الحق من ظلمة الباطل، كما أن الفلق أولُ بياض النهار من سواد الليل.

- الإشارة إلى النعمة العظمى والرحمة الكبرى، وهي الإخراج من سواد الكفر، والتخلص من حيرة الخبط في ظلمة الجهل إلى نور الإيمان والهداية إلى الصراط المستقيم.

- التنبيه على شرف رؤياه r ، والاعتناء بها، كما اعتني بهذا الوقت، حتى جعل محلاً للصلاة الوسطى والمواهب الجسام، وناديًا للملإ الأعلى والملائكة الكرام صلوات الله وسلامه على نبينا، وعلى سائر النبيين، والملائكة أجمعين. قال تعالى:{ **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** }. [الإسراء: ٧٨]، وفي الحديث الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر)[١].

- الإشارة إلى نموّ أنوار المعارف بعد رؤياه r ، حاز فيه التيقظ من

---

(١) رواه البخاري. كتاب مواقيت الصلاة/باب: فضل صلاة العصر(٥٥٥)، ومواضع أخرى(رقم: ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦). ومسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما(٦٣٢).

رقدة الغفلات، والتنبه مما استرسلت فيه النفس من لذيذ الشهوات، والنهوض لإجابة الله ورسوله، وحل عقدة الشيطان؛ بتطهير الظاهر والباطن؛ باتباعه r في مفعوله ومقوله[١].

٢١ ـ في قول عائشة رضي الله عنها: (ثمّ حبّب إليه الخلاء).

قال السنوسي: (أسند (حبب) إلى المفعول اختصارًا؛ للعلم بأن لا فاعل إلا الله جل وعلا، وإنما لم يقل (أحبَّ الخلاءَ) ـ وإن كان أخصر ـ لما في الأول من التنبيه على عظيم اعتناء الله تعالى به، في تخصيصه بأشرف مقام من الانقطاع إليه بالعبادة، وعدم الخوض فيما عليه طباع أهل الأرض في ذلك الزمان، فاعتناؤه جل وعلا بنبيه صلوات الله وسلامه عليه هو الذي خلصه من طباع أبناء جنسه من المخلوقات، حتى لم تكن له همة إلا في طاعته جل وعلا، والتقرب إليه بلذيذ المناجاة، لاسيما إن قلنا إنَّ خلوه للعبادة بغار حراء كان قبل الإيحاء إليه كما هو ظاهر كلام أهل الأصول، ففيه من القرابة وعظيم التشريف له r ما لا يخفى، وعلى هذا يكون العطف بـ(ثم) لترتيب الأخبار، لا للمهلة في الزمان، وأتى

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٢.

بـ(ثم) للتنبيه على تفاوت ما بين هذا المقام والمقام الأول؛ لأن المقام الأول وقع فيه الإيحاء نومًا، وهذا المقام وقع فيه الإيحاء يقظة)[١].

المطلب الثامن عشر: التفصيل في المسائل الأصولية التي يتعرّض لها

اهتمّ الإمام السنوسي رحمه الله تعالى بالقضايا الأصولية وبسط الكلام فيها بقدر ما يحقّق الفائدة، وشارك في مناقشة بعض مسائلها، وأدلى بدلوه في الاستدلال للرأي الذي يختاره من أقوال العلماء.

والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر بعضا منها:

١ ـ تحدّث الإمام السنوسي عن اختلاف الأصوليين: هل كان r متعبدًا قبل البعث بشرع أم لا، وعلى المنع هل عقلاً أو نقلاً، وعلى الثبوت هل بشرع نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أو ما ثبت أنه شرع من غير تعيين أقوال، ثمّ قال: (والمختار أنه متعبد بعد البعث بما لم ينسخ وقيل لا، واختاره بعضهم، كما اختار في المسئلة الأولى الوقف.

وقال بعض الحذاق: الصواب فيما قبل البعث أن يضبط متعبِّد بكسر

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

الباء؛ إذ لم يكلف قبل البعث، وفيما بعده بفتحها(متعبَّد).

قال بعض الشيوخ: وهذا يتم على ثبوت الفترة وتخصيص الشرائع بأهلها، وأما على نفيها على ما اختار ابنُ عطية وغيره، وأن التكليف بالأصول باق من لدن آدم إلى يوم القيامة وبآخر ما لم ينسخ من الشرائع، فيصح الفتح، بل متعين؛ للإجماع على أنه لا يقدم على فعل إلا بعلم الحكم فيه، وخلافه معصية؛ لأن الأحكام شرعية لا عقلية، وهم معصومون شرعًا، وإجماعًا عند قوم وعقلاً عند آخرين، والمسألة أصلية لا تختلف فيها الشرائع، فليس إلا الفسخُ فيما بعد، وفيما قبل أيضًا)[1].

٢ ـ وتكلّم الإمام السنوسي رحمه الله أيضا على إيمان الرسل، فبيّن أنّ قوما ذهبوا إلى أنّه بالتكليف، ثمّ قال: (يظهر من كلام عياض أنه بإلهام، وهو الظاهر؛ لا سيما في حق نبينا r ؛ لتناسي أمر الشرائع في ذلك الزمان، ولم يكن منها البعض إلا عند الأفراد من الأحبار والرهبان، ولم يُعلم له r مخالطةٌ لأحد ممن ينسب إلى ذلك، ولا كان يتطلب ذلك ويبحث عن أهله، كما روي عن سلمان الفارسي[2] وقس بن ساعدة وغيرهما، ولا كان

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٤.

(٢) انظر رحلة سلمان الفارسي في طلب الإيمان النور في كتب سير الصحابة رضي الله =

يعرف الكتابة حتى يقال: لعله استغنى ببعض الكتب عن تطلع ما عند أهلها: **{ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ }**. [العنكبوت: ٤٨]، بل أغناه مولانا الكريم جل وعلا عن جميع ذلك، وفطره من أول مرة خَلقًا وخُلقًا على غاية الكمال، وجعله نورًا كلَّه، وشمسًا لامعة، فلا مطمع أن تحل بساحته ظلماتُ الجهل ووساوسُ أهل الضلال، وقد روي أنه حين وضعته أمه خرّ ساجدًا لله جلّ وعلا، وشخص ببصره إلى السماء، والأمر في ذلك بحر يغرق في أدناه عقول البشر، على أن معرفته جلّ وعلا والإيمان وهو التصديق تابع لها تدركها العقول، ولا تتوقف في حصولها على الشرع المنقول، ومن تولى الرب جلّ وعلا في مبدإ الأمر سياسته، وزين بأنواع الكمالات علانيته وسريرته، وطهر من الصفات البشرية في أول النشأة باطنه الزكي الكريم بماء الحضرة المرفعة ماء النعيم، وملأ قلبه الشريف وعروقَه إيمانًا وحكمة، وختم على تلك الذخائر والنفائس بخاتم مالك الملك[1]، فما أعظمَه

=

عنهم.

(١) إشارة إلى قصّة شقّ صدره ﷺ، وهي ثابتة الأسانيد والمتون، نقلتها كتب الحديث والسيرة الصحيحة.

وأعزَّ ختمَه! أتُرى! يحتاج بعدها في الهداية والمعرفة إلى شيء، وقد صار له الإيمان والحكمة المشتملة على ما لا يعلمه إلا الله، من أنواع المعارف، كالطبيعة الجسمانية، وصار في ذلك كالملائكة الذين قوام ذواتهم بذكر الله تعالى وعبادته، فباطنه صلوات الله وسلامه عليه ملكي، وظاهره بشري، ولعل قولَه في حديث الوصال: (أبيت يطعمني ربي ويسقيني)[١]، إشارةٌ إلى ذلك، ولهذا لم يكن ارتياحُه r إلا لعبادة ربه، وكان بها قوامُ ذاته: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[٢]، (أرحنا بها يا بلال)[٣]، وبالجملة فالمسألة مبسوطة في علم الأصول، وقد أومأنا إلى نكتة لم يفصحوا بها، وبالله سبحانه التوفيق)[٤].

---

(١) رواه البخاري. كتاب الصوم / باب التنكيل لمن أكثر الوصال،(١٩٦٥)، ومواضع أخرى(١٩٦٦ ، ٦٨٥١ ، ٧٢٤٢ ، ٧٢٩٩). ومسلم. كتاب الصيام / باب النهي عن الوصال في الصوم(١١٠٥).

(٢) رواه النسائي. كتاب عشرة النساء/باب: حب النساء(٣٩٤٠)، وأحمد في مسنده، ٣/٢٨٥. قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير سلام أبي المنذر فهو صدوق حسن الحديث).

(٣) رواه أبوداود. كتاب الأدب / باب: في صلاة العتمة(٤٣٣٣).

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٧٣ ـ ٢٧٥.

٣ ـ استدلّ الإمام السنوسي بقول عائشة: (فجاءه الملك فقال: اقرأ)[(١)]، على ما ذهب إليه الأشعري من صحة تكليف ما لا يطاق ووقوعه إن كانت هذه السورة أول ما نزل من القرآن ولم ينزل قبلها شيء)، ثمّ قال السنوسي: (ولقائل أن يقول القرآن لما جاء به جبريل عليه السلام وهو معه فتعلمه منه ممكن وليس محالاً لذاته ولا لغيره وهذا هو الإمكان المشترط في التكليف).

٤ ـ ذكر الإمام السنوسي أنّ أهل الأصول اختلفوا في الناسخ قبل تبليغه عليه الصلاة والسلام هل يثبت حكمه أم لا، قال: (ومختار ابن الحاجب وغيرِهِ ثبوتُه، والنبي r مع جبريل عليه السلام كالأمة مع النبي r ، ولأن الوجوب إذا ثبت شرعًا لم يشترط علم المكلف به، بل تمكنه من العلم به).

قال السنوسي: (وفيه نظر بين، فإن الفرض أنَّ الأمر للفور ولا تراخي فيه أصلاً، فلا تمكن من العلم ولا من التعلم، وقد يقال إن الأمر للتراخي أو لا يقتضي فورًا ولا تراخيًا وهو مختار ابن الحاجب، أو إنما

(١) صحيح مسلم. الإيمان / باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٦٠).

أمره أن يقرأ في المستقبل ما يلقيه إليه بعد إسماعه إياه وفراغه، ومن هنا يقال: ليس تأخيرُ البيان عن وقت الحاجة الممتنع إلا عند مُجوِّز تكليفَ ما لا يطلق، بل إلى وقت الحاجة الجائز عند الأكثر، أو لا تأخير فيه أصلاً؛ لاتصال الوقت وقربه.

وأما إن كان نزل شيء من القرآن قبل هذه السورة فيحتمل صرف الأمر إليه، ويكون تكليفًا بالممكن، أي أعرض عليَّ ما حصل لك من القرآن، ويحتمل أن يكون أمرًا بقراءته ما يقرئه الآن، وهو اقرأ باسم ربك وهو الظاهر؛ لأنه الذي ثبت آخرا، فيعود البحث السابق)[١].

٥ ـ في قول عائشة رضي الله عنها: (قبل أن يرجع إلى أهله).

قال السنوسي: (هو معمول ليتحنث ومعناه أن تعبده هنالك الليالي كان متصلاً لم يتخلله رجوع إلى أهله حتى يستكملها بالعبادة ويحتمل أن يكون حالاً من فاعل يتحنث أي مقيمًا فيها مواصلاً للعبادة قبل. ومن الليالي أي متصلة أو مكملة أو صفة لها؛ لأن تعريفها باللام الجنسية، أو يتعلق بمحذوف أي يواصلها قبل)[٢].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧٦.

٦ ـ في قول عائشة: (ثم يرجع إلى خديجة).

قال السنوسي: (يحتمل أن تكون هي التي كنَّت عنها أولاً بالأهل، ويحتمل أن تكون أخص منهم، وتكون عينت هنا خديجة رضي الله عنها لأن حمل زاده لم يكن إلا من عندها والرجوع أولاً كان لها ولغيرها، فلذلك عبرت هناك بالأهل).

قلت: قد يطلق الأهل في اللغة ويراد به الزوج فقط، قال الخليل: أهل الرجل زَوْجُه[1]، لذلك قد يكون المعنى واحدا، وممّا يؤكّده أنّه لم يكن لرسول الله r في ذلك الوقت إلاّ خديجة، والله أعلم.

٧ ـ في قول عائشة: (فيتزود لمثلها).

قال السنوسي: (يحتمل أن يكون رجوعه r لها للزاد فتكون الفاء سببية وقوّة الكلام تعطى أنه لم يقض وطره من الليالي التي نواها؛ لأنه إنما رجع للزاد لما فرغ فيؤخذ منه خروج المعتكف لحوائجه من طعام وغيره. لا يقال يرد هذا الوجه قولها أولاً ويتزود لذلك فإن ظاهره التزود لجميعها فهذه غيبة أخرى ويؤيده أيضًا قولها لمثلها وإلا كانت تقول

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٥٠. المحيط في اللغة، ١/ ٣٢٠.

لباقيها لأنا نقول قد تكون الإشارة بذلك لمطلق الغيبة أو التعبد. سلمنا أن الإشارة للجميع لكن بحسب اعتقاده ثم قد يخرج الأمر على خلافه أو يكون لم يقدر على حمل جملة ما أعد لجميعها فحمل ما يقدر عليه منها ثم رجع بعد فراغه لحمل باقيها ويكون معنى لمثلها أي لمثل باقيها ويحتمل أن تكون الفاء فصيحة أي يرجع إلى خديجة فيقيم عندها ثم يعزم على تعبد ليال أيضًا مثل الأولى فيتزود لذلك)[١].

٨ ـ في قوله: (فغطّني حتى بلغ مني الجهد).

قال السنوسي: (واختلف في سبب غط الملك للنبي r ، وأحسن ما قيل فيه أنه فعل ذلك به إشغالاً له عن الالتفات إلى شيء من الدنيا، أو ليتفرغ ويستعد لعظيم ما جاء به ... وكون الغط ثلاثًا إشارة إلى استحباب تكرير التنبيه ثلاثًا حتى استدل به بعضهم على جواز تأديب المعلم ثلاثًا ... على أنا إنما ذكرنا الاستدلال بتلك القضية على سبيل التقوية والتأكيد لمقتضى دليل العصمة، وللتنبيه على أن جزئيات قضاياه وأحواله الكريمة قبل النبوة وبعدها متعاضدة في الدلالة على نزاهته r

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٦.

من كل نقص، وتحلَيه بغاية الكمال، وأنَّ من أضاف إلى ساحته المطهرة الرفيعة نقصًا فهو في أقصى ما يكون من الغباوة والمعاندة والضلال[(١)].

٩ ـ في قوله r : (ما أنا بقارئ) ثلاث مرّات.

نقل الإمام السنوسي عن أبي شامة أنّه قال: (يحمل قوله أولاً ما أنا بقارئ على الامتناع وثانيًا على الأخبار بالنفي المحض وثالثًا على الاستفهام ويؤيده أنَّ في بعض الروايات في الثالثة كيف أقرأ).

قال السنوسي: (واعترضه بعض الشيوخ بأنَّ في الحمل على الامتناع نظرًا إذ لا تصح منه مخالفة للعصمة لا سيما مع ثبوت أنه سبق هذا الوحي المنامي وأن نبوته تقررت ولو سلم أن هذا أولها لامتنعت أيضًا؛ لأنه يحصل له العلم الضروري بأنه ملك جاء بأمر الله لا شيطان وإلا ما تثبت النبوة ولا يعارض هذا قوله بعد: (لقد خشيت على نفسي)، لما سيذكر في تفسيره، وتبعد أيضًا ولو على القول بأنه لا يعلمه إلا بالمعجزة يريها إياه كهو مع غيره، وأن المخالفة قبل علم الرسالة لا تضر؛ لأن مختار كثير امتناع المخالفة منهم قبل النبوة أو عدم وقوعها، وأشار بعض

(١) الظاهر أنّ هناك سقطا في هذا الموضع، وهو جواب لو، فتأمّل.

الشيوخ إلى احتمال أن يكون سبب الغط الإشارة إلى أن من طلبه الشرع بأمر ولم يعلمه فاللائق به أن يحتال في تعلمه لا أن يعتذر عن ترك الامتثال بنفي العلم لا سيما والتكليف بالمحال جائز.

قلت: وهذا إنما يتم على أن المقصود بـ(ما أنا بقارئ) النفي لا الاستفهام، وفيه مع ذلك نظر؛ لثبوت الغط مع صريح الاستفهام في المرة الثالثة على ما ثبت في بعض الروايات من قوله فيها: (كيف اقرأ) .

وقد يقال: إن قوله r : (ما أنا بقارئ)، وإن دل بالمطابقة على نفي العلم بالقراءة، فالمقصود له التزامًا طلب العلم بها، على حد قولك: أنا عطشان، لما علم من تعطش النفوس إلى تحصيل علم ما لم تعلم، لا سيما نفسه الزكية r ، ولا سيما بالنسبة إلى ما يرد من مولاه جل وعلا بواسطة المعلم الأكبر جبريل عليه السلام، فكيف لا تكاد النفوس أن تموت شوقًا إلى ذلك، وقد حمل عظيم الشوق إلى ذلك نبينا r عند فترة الوحي وغيبة جبريل عنه ما صار به يعمد بذاته الكريمة ونفسه الزكية العظيمة إلى شواهق الجبال ليلقى نفسه منها، فيظهر له عند ذلك جبريل عليه السلام ليسكن عليه بعض ما يجده من توقد الشوق، ويقول له أنت رسول الله

حقًا[(١)].

١٠ ـ في قوله r : (فغطّني)، يعني جبريل عليه السلام.

قال السنوسي: (وأما غط جبريل عليه السلام له r فيحتمل أن يكون ظهر له بقرائن الأحوال عظيم اشتياق النبي r إلى علم ما طلب منه لشدة حرصه قبل ذلك على ما يقر به من مولاه جلّ وعلا ولذلك كان يلازم الخلوة للعبادة ويستوحش من الخلق فكيف يكون شوقه الآن عندما ظهرت له مخايل التقريب. وبلوغ الأمنية بوصل الحبيب)[(٢)].

١١ ـ في قوله: (إقرأ باسم ربك).

قال السنوسي: (وحاصل الأمر: أن الذي أكرمك بنعمة الخلق، ثم بنعمة العلم العظمى، هو متولي أمورك، وناصرك على أعدائك، فلازم القراءة والعلم، والعبادة المقربة، ولا تهتم بأمر عدوك المستطيل عليك بأهل ناديه، فلئن دعاهم عليك لندعون الزبانية الذين زبنى واحد منهم يهلك الأرض ومن عليها، فكيف بجمع منهم، فلا تطعه؛ فإنه بعصيانه إياك مبعد منا، واسجد لنا أنت، ومنا فاقترب، ودُم على دعائك إلينا،

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١.

متوكلاً علينا، فالمتوكل علينا مكفى، ولما أشير له في هذه السورة إلى هذا المعنى؛ لأنها أول ابتداء الرسالة ظاهر، وكان مظهرها عادة يخاف من المبلغ إليهم، سيما من يناصبه، أرشد إلى ما يكفيه أمر الخلق وهو الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه، ولا يثمر ذلك إلا ملازمة العلم والعمل)(١).

١٢ ـ في قوله r : (لقد خشيت على نفسي).

قال السنوسي: (ومعنى قوله r لقد خشيت على نفسي أي أن تهلك أو تقارب من شدة ما تلقاه من المشاق عند تلقيها الوحي وما يعتر بها من الكرب عند ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى خفت أن لا أقوم بأعباء ما كلفته من الرسالة والتبليغ لما على في تلقيه من المشقة، وفي إلقائه للناس أيضًا فأقصر فأعاقب، وهذا خوف من الله جلّ وعلا وهو محمود، وكان هذا القول منه صلوات الله وسلامه عليه في ابتداء الأمر وقبل أن يعلم أن أمره يتم ويكمل به وله الدين:{ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** }. [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وقد علمت مشقة ابتداء الأمور لا سيما هذا الأمر العظيم الذي

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٨١ ـ ٢٨٣.

كلف به النبي r من تعليم العلوم وإيصالها دقيقة كانت أو جليلة لكل عاقل عربي كان أو عجمي غبي كان أو فطن متواضع أو متكبر قريب كان أو بعيد ذكر أو أنثى حر أو عبد جن أو إنس على وجه لا يؤثر في ذلك أحدًا على أحد ولا يضجر لجفاء أجلافهم وسوء آداب جهالهم، ثم لم يكتف منه بذلك حتى طلب منه أن يحمل الناس كلهم عن الخروج عن المألوف وما هو أعظم عندهم من أنفسهم من أديانهم واعتقاداتهم الفاسدة التي ربوا عليها خلفًا عن سلف ولو بأن يباشر بنفسه الكريمة وبمن معه من المؤمنين قتالهم الذي ربما يؤدي إلى أن تصل بعض الإذايات إلى ذاته المرفعة ويفجع بقتل بعض ناصريه من أقاربه ومن معه، فانظر هذا الأمر العظيم الذي لا يحوم حوله إلا من اعتنى بتأييده الرب الرؤف الرحيم لو عرض على أهل السموات والأرضين على ما هي عليه من القوة لما استطاعت أن تثبت له وأنى لها الثبات وقد أشفقت مما دون ذلك بكثير: { **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ**}، الآية[الأحزاب: ٧٢]).

١٣ ـ في قول عائشة رضي الله عنها: (وتعين على نوائب الحق ...)، الحديث.

قال السنوسي: (قيل معناه تعين الملهوف على ما أصابه من النوائب التي يحق على حماة الحقيقة المعاونة فيها). ثمّ تحدّث عن وجه الترتيب في هذه الجمل فبيّن أنّها: (جاءت بها على حسب ما تقتضيه السنة من مراعاة الأقرب فالأقرب، فبدأت بإحسانه إلى الرحم وحمل كلهم إن كان هو المراد وإذا حمل كلهم مع تكرره عادة فأحرى كل غيرهم لتكرره بالنسبة إليهم ويحتمل أن يكون المراد كل غيرهم وإذا حمله من بعض الأجانب فكل رحمه أحرى ويحتمل أن يكون المراد الجميع وهو أبين ثم بإكساب المعدم من الجيران الأجانب في النسب وأهل مدينته ثم بإكرام الضيف الذي لا يكون من أهل البلد غالبًا، ثم بالإعانة على نوائب الحق الشاملة للجميع)[١].

١٤ ـ قول عائشة عن ورقة بن نوفل: (وكان شيخا كبيرا قد عمي).

قال السنوسي: (هي جملة وكدت تحقق العلم وزيادة العقل بطول التجارب وكثرة ممارسة العلم وأهله)[٢].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

١٥ ـ في قول عائشة لورقة بن نوفل: (أي ابن عم![١] اسمع من ابن أخيك .. الخ).

قال السنوسي: (هو حقيقة فإنه ورقة بن نوفل بن أسد وهي خديجة خويلد بن أسد وقولها في الأول يا عم مجاز للاحترام ومراعاة الأدب في خطاب الصغير الكبير فيكون وقع منها الخطابان (قلت) قالت رضي الله عنها من ابن أخيك ولم تقل من محمد؛ تلطفا منها فيما يوجب إقباله عليه بجميع فكره وكمال نصحه، إذ جعلته عمًّا لها والعم أحد الأبوين ولهذا تلطف هو أيضًا فيما يزيل الوحشة عن النبي r حتى لا يكتم عنه من أمره شيئا بأن قال له يا ابن أخي ماذا ترى ولم يقل له: يا محمد)[٢].

١٦ ـ في قول ورقة بن نوفل: (ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك فقال النبي r : أو مخرجي هم).

---

(١) هكذا هي في مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٩١، والموجود في صحيح مسلم في هذا الموضع من الحديث: (أي عم!)، وفي بداية الحديث: (وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها). والظاهر أنّه وقع زيادة (ابن) خطأً؛ لأنّ كلام السنوسي بغيرها مستقيم، والله أعلم.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٩١.

قال السنوسي: (هذا تدلٌّ منه في التمني؛ كأنه رأى ما تمناه أولاً مستحيلاً عادة، فانتقل إلى تمني ما هو داخل في الأماكن وهو استمرار الحياة على حالته التي هو عليها، وجعله متمني وإن كان الأصل في المتمني أن يكون غير ممكن؛ لأن الإنسان عرضة للموت في كل وقت ولا سيما مثله ممن طعن في السن فكأنه انتقل من تمني كمال النصرة إلى تمني أدناه وهو الرأي والتحريض على اتباعه ولما كان ما تمنى له الشباب أمرًا عظيمًا كالقتال ونحوه أبهمه بقوله فيها للتنبيه على عظمته وللتبقية على رسول الله r أن لا يحزنه، ولما كان الإخراج أقل مفسدة عينه ليوطن نفسه عليه فتخفف مشقته عند الوقوع كما قرر في قوله تعالى:**{ سَيَقُولُ السُّفَهَاء }**. [البقرة: ١٤٢]، و**{ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ }**. [الفتح: ١٦]، و**{ لَتُبْلَوُنَّ }**. [آل عمران: ١٨٦]).

ثمّ نقل عن غيره أنّه يحتمل أن يكون الاستفهام للتعجب استعظامًا وفرحًا وسرورًا بما أكرمه الله به من الإذاية في ذاته بالإخراج من وطنه الذي هو شقيق الموت، أو استعظامًا لظلم قومه له بمثل ذلك وهو قد أتاهم بما هو شرف لهم وعز الدنيا والآخرة. قال: وخرج من هذا أنه إنما راجعه في الإخراج لتصريحه له به بخلاف ما أبهمه أولاً بقوله فيها فإنه لم

يدر ما هو حتى يشق عليه فيراجعه فيه.

قال السنوسي متعقّبا: (وهذا إنما يستقيم على ما في البخاري من عدم التصريح بغير الإخراج والذي في السيرة أنه صرح له قبل ذلك بقوله ليكذبنك وليؤذنك ولم يراجعه في واحد منهما كما حكيناه عن السهيلي قبل هذا حتى قال وليخرجنك، فقال أو مخرجي هم، وأيضًا لو كان الاستعظام لمباشرة قومه له بالإخراج لكان حق ضمير (هم) أن يلي همزة الاستفهام فيقول: أو هم مخرجي)[1].

١٧ ـ قول ورقة بن نوفل: (نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى).

قال السنوسي: (عدل ورقة على أن يقول له هم معادوك وإن كان أخف من التصريح له بالإخراج باحتماله أن لا ينتهي إليه؛ لئلا يتوهم كون ذلك خاصًا به فتكثر مشقته، وهو قد فهم عنه استعظام أمر لإخراج فلم يصرح له بعد باسمه وكني عنه بالمعاداة؛ لأنها تؤول غالبًا إلى فرار أحد الفريقين من صاحبه، ثم أتى به على وجه عام له ولغيره؛ ليكون

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

أخف عليه باحتمال تخصصها بمن عداه، وأن قياس ورقة إياه على غيره في ذلك قد يخطئ، ثم إن رجح العموم ولم يخطئ القياس، ففي شمول المشقة له ولغيره ممن هو على طريقته تسلية له تخفف عن بعض المشقة)[١].

١٨ ـ قول ورقة بن نوفل: (وإن يدركني يومك).

قال السنوسي: (الذي في السيرة: إن أدرك ذلك اليوم)[٢]، ثمّ نقل عن السهيلي أنّه قال: (والقياس ما في الصحيح؛ لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده، كما جاء: (أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي)[٣]. قال: ورأيت ابن اسحاق أيضًا وجهها بأن المعنى إنْ أرَ ذلك اليوم، فسمى رؤيتَه إدراكًا، وفي التنزيل: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾. [الأنعام: ١٠٣]، أي لا نراه على أحد القولين. وقوله: مؤزرًا من الأزر وهو القوة والعون أي: إن يدركني يوم حاجتك

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٩٦.

(٣) ذكره السهيلي في الروض الأنف، ١/ ٤٠٠. وعنه العراقي في طرح التثريب، ٥/ ٢١٩، ولم يتكلّم عليه بشيء، والعيني في عمدة القارئ، ١/ ١٤٤.

إلى نصري أنصرك نصرًا مؤزرًا، أي: مقوي منه بما يمكنه من عدة أو عدد أوهمه أو دعاء ان لم يمكن غيرها)[١].

١٩ ـ قوله: (وفتر الوحي).

قال السنوسي: (الظاهر ان هذه الجملة معطوفة على جملة (ثم لم ينشب)، ومعناها تأخر نزول الوحي وبطؤ على النبي r عن المدة التي نزل فيها اقرأ باسم ربك، وإنما لم تقل عائشة رضي الله عنها وانقطع لأنه عاد ... ويصح عطف فتر على توفى على الانتهاء والواو للجمع)[٢].

٢٠ ـ قوله: (بينا أمشي سمعت صوتا من السماء ..)[٣].

قال السنوسي: (والصوت الذي سمعه من جهة السماء هو نداء الملك إياه يا رسول الله أو يا محمد أو نحوه، وفاء فرفعت للتعقيب والتسبيب، وفاء فإذا للتعقيب خاصة وهي عاطفة للجملة الاسمية على الفعلية، وقيل زائدة لازمة، وقيل كالتي في جواب الشرط، وإذا للمفاجأة وفيها الخلاف السابق. قال بعض الشيوخ: ومن يراها حرفًا أظنُّه يجعلها مؤكِدة

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٩٧.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بدء الوحي إلى رسول الله r (١٦١).

لمعنى الفاء، ولا يظهر لها غيره، ونقله ابن مالك عن الأخفش. ومعنى المفاجأة: وقوع الأمر بالحضرة أول كل شيء، وهذا معنى فاء التعقيب بلا مزيد)[١].

٢١ ـ قول عائشة: (ولو كان محمد r كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآيةَ: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾. [الأحزاب: ٣٧])[٢].

نقل السنوسي ما حرّره في بيان معنى هذا الكلام، نقلا عن القاضي عياض، ثمّ قال: (وقد طهر قلبه وملئ حكمة وإيمانًا واتصل بالملأ الأعلى ورأى عجائب السموات وما فوقها وسمع كلام الله ورآه على الصحيح وخاض الجنة طولاً وعرضًا كيف يأنس إلى شيء من الدنيا الدنية وأنسه r بما أنس به منها إنما هو لاشتماله على تحصيل رضا مولاه جلّ وعز وامتثال أمره لا لغرض دنيوي أو هوى نفسي وما أشد جرأة من يخوض

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠١.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾، وهل رأى النبي r ربه ليلة الإسراء(١٧٧).

في أمر فيه عطبه بحيث لا جبر له)[١].

٢٢ ـ في قوله r : (أنا سيد الناس)[٢].

قال السنوسي: (أمره الله تعالى أن يقول هذا نصيحة للأمة ليعرفوا حقه r فيحبوه ويعظموه ويمتثلوا أمره ويتقربوا إليه بالصلاة عليه والمدح له، وإعمال المطي في زيارة قبره r والاغتباط بذلك، وكثرة حمد الله تعالى على التوفيق لاتباعه، فيكثر بذلك ثوابهم وترفع درجاتهم، ويتخلصوا بذلك من أهوال الدنيا والآخرة، والسيد الفائق قومه المفزوع إليه في الشدائد، وخص يوم القيامة وإن كان سيدهم أيضًا في الدنيا لخلوص ذلك اليوم له بلا منازع؛ لأن آدم عليه السلام وجميع أولاده تحت لوائه r)[٣].

المطلب التاسع عشر: اهتمام السنوسي ببيان العام والخاص في الأحاديث والآثار وأقوال العلماء.

١ ـ نقل السنوسي عن النووي أنّ قوله r : (بين الرجل وبين الشرك

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٢٩.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/ باب أدني أهل الجنة منزلة فيها(١٩٤).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٦٣.

والكفر ترك الصلاة)[١]، هو من عطف العام على الخاص؛ لأنّ الكفر أعمّ من الشرك[٢].

٢ ـ في قول الله تعالى لنبيّه r : (ليس ذاك لك، أو ليس ذاك إليك)[٣].

قال السنوسي: (معنى ليس ذلك إليك: ليس إخراج من معه إلا كلمة التوحيد إليك وإنما الذي يفعل ذلك أنا تعظيمًا لاسمي وإجلالاً لتوحيدي وهو مخصص لعموم قوله r في حديث أبي هريرة: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله)[٤]، ويحتمل أن يجري على عمومه، ويحتمل على حال ومقام آخر)[٥].

٣ ـ في قول الإمام مسلم في المقدّمة: (وعلى جميع النبيين والمرسلين)، قال السنوسي: (عطف المرسلين على النبيين عطف خاص على عام؛ للتشريف لهم، ويحتمل أن يكون لإدخال المرسلين من الملائكة؛ كجبريل

(١) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة(٨٢).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٩٠.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(١٩٣).

(٤) رواه البخاري. العلم/ باب الحرص على الحديث(٩٩). وكذلك(٦٥٧٠).

(٥) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٦٢.

وميكائيل عليهما السلام، فإنّ الملك يقال فيه: رسول، ولا يقال فيه نبيّ، بناء على أنّ بين النبيّ والرسول عموما وخصوصا من وجه).

٤ ـ في قول الإمام مسلم في المقدّمة: (في سنن الدين وأحكامه)، قال السنوسي: (من عطف العام على الخاص؛ إذ السنن من أحكام الدين...)(١).

٥ ـ العام الذي لم يخصص

وذلك في قوله تعالى:﴿ **وربّك فكبّر**﴾. قال السنوسي: (وهو هنا شرط عام غير مخصوص بشيء، بل عام في جميع الأحوال يدل على أمره بالتزام ذلك في جميعها. قال الزمخشري: كأنه قيل: ما كان فلا تدع تكبيره، يعني: أي شيء وقع أو كنت فيه)(٢).

المطلب العشرون: طريقته في إثارة الأسئلة حول بعض المعاني التي أوردها النووي أو غيره

من الطرق التي اتّبعها السنوسي في شرحه إثارةُ الأسئلة حول ما ينقله عن الشرّاح السابقين، كالنووي أو غيره، ثمّ يبادر إلى الجواب عن ذلك،

(١) المصدر السابق، ١/ ٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٠٢.

ممّا يزيد المعنى وضوحا في ذهن القارئ.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عند قول مسلم: (إياك والشناعةَ في الحديث)، فقد نقل عن القاضي عياض أنّ المراد بذلك التحذير من أن يحدث بالأحاديث المنكرة التي يشنع على صاحبها وينكر، ويقبح حال صاحبها فيكذب ويستراب في روايته، فتسقط منزلته ويذلّ في نفسه[١].

ثمّ قال: (قلت: وانظر هذا هل هو خاص بما لا يعتقد صحته، أو وإن اعتقدها، إذا كان يرى أنّه لا يقبل منه ويردّ في وجهه؛ لأنّه يضع من نفسه بغير فائدة، والثاني أظهر، ويدلّ عليه أثر ابن مسعود)[٢].

---

(١) انظر كلام القاضي في إكمال المعلم، ١/ ١١٨.

(٢) انظر مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠. والأثر الذي أشار إليه السنوسي هو ما رواه مسلم في مقدّمته بسنده، عن ابن مسعود، قال: (ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلاّ كان لبعضهم فتنة).

قلت: وهذا الأثر رواه أيضا العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياضة وغيرهم عن ابن عباس مرفوعا: (ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم)، ورواه الديلمي أيضا من طريق حماد بن خالد عن ابن عباس رفعه: (لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا ما تحمله عقولهم فيكون فتنة عليهم)، فكان ابن عباس يخفي أشياء من حديثه ويفشيها إلى أهل العلم، وللديلمي أيضا عن ابن عباس رفعه:
=

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله عند قوله r : (ثمّ أتيت بالبراق). فقد نقل قول ابن بطال في سبب ما ورد أنّ البراق شمس ـ أي نفر ـ لما ركبه النبيّ r ، وعلّل ذلك لبعد عهده بالأنبياء عليهم السلام وطول الفترة بين النبيّ r وبين عيسى عليه السلام، ثمّ نقل السنوسي قولا آخر في ذلك لم يعيّن قائله، مفاده أنّ البراق شمس نشاطا وفرحا بركوب النبيّ r عليه، فصار يلعب، فيقبل ويدبر، ولم يضبط نفسه من شدّة الفرح والسرور.

ثمّ قال السنوسي: (فإن قلت: يرده قول جبريل أبمحمد تفعل هذا

=

(يا ابن عباس لا تحدث قوما حديثا لا تحتمله عقولهم)، وروى البيهقي في الشّعب عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا: (إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم ويشق عليهم).

وفي معناه تماما ما رواه البخاري في صحيحه معلّقا في باب: من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية ألاّ يفهموا، من حديث عليّ t ، قال: (حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله). وزاد في رواية: (ودعوا ما ينكرون)، أي: يشتبه عليهم فهمه.

قال ابن حجر: (وفيه دليل على أنّ المتشابه لا ينبغي أن يذكر أمام العامّة)، ثمّ ذكر قول ابن مسعود السابق. فتح الباري، ١ /٢٢٤.

وقال الخطيبُ: (ويجتنب أيضًا ـ يعني المحدّث ـ في روايته للعلوم أحاديث الرُّخَص، وما شجرَ بين الصَّحابة، والإسرائيليات).

فإنه يدل على أنه لم يعرفه؟ قلت: هو من باب تنزيل العالم بالخبر منزلة الجاهل به؛ لعدم جريه على موجب العلم كما يقال لمن رُبِّي بسيء الأدب على أبيه: أبأبيك تفعل هذا؟! فإن قلت: سلمنا ذلك، لكن لو كان شموسه فرحًا وسرورًا بركوب النبي r لكان ذلك تعظيمًا له فلا يناسبه زجر جبريل له عن ذلك ولا قوله ما ركبك أكرم على الله منه. قلت: إن من البر عقوقًا، أمره أن يضبط نفسه ويراعي مقام الهيبة وحسن الأدب ويلتفت إلى عظيم جلالة من فعل معه ذلك ولهذا أرفض عرقًا عند ذلك وقد قيل في سبب شموسه غير هذا وهذا أحسن ما قيل وفي صفة البراق أقوال أحسنها أن وجهه كوجه إنسان وصدره ياقوتة حمراء وظهره درة بيضاء وعليه رحل من رحال الجنة وله جناحان يطير بهما كالبرق)(١).

المطلب الحادي والعشرون: إيراده جوابا محتملا في المسألة عن غيره، ثمّ استبعاده وردّه بالدليل العقلي

يورد الإمام السنوسي أحيانا جوابا محتملا، نقلا عن غيره من العلماء السابقين، ثمّ لا يرتضيه، بل يستبعده، مستخدما في ذلك الدليل العقلي.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٥

ومن ذلك ـ مثلا ـ أنّه وقف عند قول ابن عباس: (والله ما قضى عليّ بهذا إلاّ أن يكون ضلّ)، ثمّ نقل ما قاله عياض والنووي في بيان معنى هذا القول(١)، وأنّ المراد به تعليق القضاء به على أمر مستحيل وهو ضلال عليّ t ، وقد علم أنّ عليّا كان هاديا مهديا، فلا يمكن أن يكون قضى بهذا. ثمّ قال السنوسي: (ويحتمل أن يكون ضلّ بمعنى أخطأ أو نسي وهو بعيد، إذ لم يؤلف من عليّ t الخطأ ولا النسيان في مثل هذا)(٢).

وهذا القول الذي استبعده السنوسي قاله القاضي عياض في جواب آخر له في تفسير الضلال الوارد في كلام ابن عباس.

أقول: وتفسير القاضي الذي استبعده السنوسي له وجاهته، سيما وأنّه قد استدلّ له بقول موسى في القرآن الكريم: ﴿ **فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ** ﴾.[الشعراء: ٢٠]، يعني من المخطئين أو الناسين. ولاشكّ أنّ مضمون ما ردّه ابن عباس ونفاه عن عليّ هو قضايا فقهية اجتهادية، يصيب الرأي فيها ويخطئ، ولسنا ممّن يقول بعصمة أحد غير الأنبياء

---

(١) انظر: إكمال المعلم، ١/ ١٢٢. شرح النووي، ١/ ٨٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٣.

عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني والعشرون: حرصه واهتمامه بذكر الخلاف بين الشرّاح في ضبط الألفاظ التي يترتّب عليها تغيّر في المعنى.

لا شكّ أنّ لاختلاف ضبط الألفاظ أثرا كبيرا في تغيّر المعنى، والعلماء يختلفون في ذلك، ومن هنا كان الاهتمام بذكر هذا النوع من الخلاف بين العلماء أمرا مهمّا جدا، وفي مواضع كثيرة من مقدّمة الإمام مسلم وكتاب الإيمان ظهر حرص الإمام السنوسي واضحا في إيراد هذا النوع من الخلاف، واستعراض كيفيات ضبط الألفاظ؛ رعاية منه لنقل كلّ المعاني التي يمكن استخراجها من نصوص الأحاديث والآثار.

وهنا أمثلة من ذلك:

١ ـ فمن ذلك أنّه ذكر ما نقله مسلم عن ابن أبي مليكة، قال: (كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابا ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا

أختار له الأمور اختيارا وأخفي عنه ...)[١].

فقد استعرض الإمام السنوسي الخلاف في ضبط (يخفي عني ... وأخفي عنه)، هل هي بالخاء المعجمة أم بالحاء المهملة، فالذي نقله القاضي عياض عن جميع شيوخه أنّه بالحاء المهملة، إلاّ أبا محمد الخشني، فإنّه قرأهما عليه ـ يعني في الموضعين ـ بالخاء المعجمة، ثمّ ذكر أنّ أبا بحر حكى عن شيخه القاضي أبي الوليد الكناني (في كتاب السنوسي: الكتاني، بالتاء، وهو تصحيف)، أنّ صوابه بالمعجمة، وقد رجّح القاضي عياض رواية مشايخه، وفسّرها: أي أمسك عني من حديثك، ولا تكثر عليّ[٢]، ثمّ ذكر لها معنى آخر على هذه الرواية[٣].

ثمّ نقل السنوسي عن النووي أن صاحب المطالع وافق القاضي عياضا في ضبط هذا اللفظ، ولكنّه اعترض عليه في تفسير معناه، ورجّح أنّه بمعنى المبالغة في البرّ به والنصيحة له، من قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾. [مريم: ٤٧].

---

(١) مقدّمة صحيح مسلم، ١ / ٢٨.

(٢) انظر: إكمال المعلم، ١ /١٢١. مشارق الأنوار، ١ /٤٠٨.

(٣) إكمال المعلم، ١ /١٢٢.

ثمّ ختم السنوسي كلامه بأنّ ابن الصلاح اختار رواية الخاء المعجمة (يخفي - أخفي)، وأنّ النووي صحّح هذا القول، وذكر أنّ هذا هو الموجود في معظم الأصول الموجودة بهذه البلاد[(١)].

قلت: ويفهم من ختام السنوسي لهذه المسألة بهذا الشكل أنّه يميل إلى رأي ابن الصلاح والنووي، بدليل أنّه ضبط نسخته عليها، والله أعلم.

المطلب الثالث والعشرون: نقله لبعض كلام النووي أو غيره من موضع إلى آخر يرى أنّه أنسب لذكره وأليق به.

يقوم الإمام السنوسي أحيانا بنقل كلام النووي - أو غيره - من موضع إلى آخر يراه أليق به وأنسب لذكره، وقد يكون ذلك تقديما أو تأخيرا، رعاية لحصول الفائدة بشكل أفضل.

ومن أمثلة ذلك أنّ الإمام النووي ذكر السبب الذي يدعو الثقات إلى الرواية عن الضعفاء والكذابين وغيرهم، وذلك في ختام باب: الكشف عن معايب الرواة[(٢)].

ولكنّ السنوسي رحمه الله أخذ كلام النووي واختصره، ثمّ ذكره قبل

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٣. وشرح النووي، ١/ ٨٣.

(٢) شرح النووي، ١/ ١٢٤.

ذلك بكثير جوابا على إشكال يتعلّق برواية الشعبي عن الحارث الأعور، فقد رأى أنّ الموضع هنا أنسب لذكر هذا الجواب[١]، وهي المناسبة نفسها التي ذكر فيها القاضي عياض هذا الجواب[٢].

المطلب الرابع والعشرون: تكريره الكلامَ عن مسائل في أكثر من موضع إذا المكان يناسب ذلك ويقتضيه

هناك من المباحث التي يمكن أن يكرّر ذكرها إذا كان الأمر يقتضي ذلك، ولا يعدّ هذا أمرا مذموما، إذا ظهرت فائدته، وحصحصت منفعته، والفائدة والمنفعة هنا هي تذكير القارئ بجملة من القواعد المتعلّقة بالحديث، التي ربّما غابت عن ذهنه؛ لبعد العهد بها في الموضع السابق، فيعيدها الإمام السنوسي تحقيقا لهذه المصلحة.

فمن ذلك أنّه تحدّث في بداية شرحه عن جملة من قواعد مصطلح الحديث، مثل المرفوع والموقوف والمقطوع[٣]، ثمّ عاد في موضع آخر عند حديث الإمام مسلم عن الإسناد المعنعن، فقال: فائدة: في بيان

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩.

(٢) إكمال المعلم، ١/ ١٤٠.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥.

اصطلاحات في أسماء الحديث يحتاج إليها، وقد ذكرناها فيما سبق، ولكن هذا الموضع يليق بذكرها أيضا[1].

المطلب الخامس والعشرون: نقله من فصول الإمام النووي ما يراه مناسبا للموضع ولو لم يذكره النووي فيه.

لقد استفاد الإمام السنوسي رحمه الله من الفصول التي كتبها الإمام النووي رحمه الله مقدّمةً على شرحه لصحيح مسلم، وهي فصول تتعلّق ببيان كثير من قواعد علوم الحديث وبيان منهج الإمام مسلم في صحيحه، وغير ذلك من المهمّات، فكان الإمام السنوسي يختار منها ما يراه مناسبا للموضع الذي هو فيه أثناء الشرح فيذكر ما يتعلّق به من هذه القواعد، حتى ولو لم يذكره الإمام النووي في الموضع نفسه من شرحه.

فمن ذلك ـ مثلا ـ أنّ الإمام السنوسي نقل كلام النووي في حقيقة الخلاف في الإسناد المعنعن، ثمّ لخّص بعض كلامه بعد ذلك، ثمّ نقل كلامه أيضا في الخلاف في المؤنّن أيضا، وأوضح أنّ الصواب أنّه ـ مثل المعنعن ـ محمول على الإتصال، بشرط عدم التدليس.

(١) المصدر السابق، ١/ ٤١.

ثمّ لمّا رأى الكلام عن حقيقة التدليس مناسبا ـ بل ضروريا ـ نقل من فصول الإمام النووي تعريف التدليس وأقسامه وحكمه، وحكم أحاديث الرواة المدلّسين في الصحيحين، فقال: (التدليس قسمان: ...)[1].

المطلب السادس والعشرون: جوابه عمّا يظهر من الإشكالات على أسانيد صحيح مسلم.

يقع في مؤلفات أئمّة الحديث بعض الإشكالات المتعلّقة بالرواة، أو بطريقة ورود الإسناد، أو صيغ التحمّل والأداء، أو في متون الأحاديث، ممّا يستدعي من الشرّاح الاهتمام بإزالة هذا النوع من الإشكال الذي ربّما يكون في حقيقته لطيفة من لطائف الأسانيد، أو جزءا من منهج الإمام المصنّف، لكنّه قد يخفى على غيره.

وفي صحيح الإمام مسلم من ذلك قدر غير قليل، وقف عنده الشرّاح محاولين إزالة ما يمكن أن يقع من التباس في فهمه، وتصريفه على وجهه الصحيح، وربّما وقع بعضهم في الغلط بسبب ذلك.

واختصارا سوف أذكر هنا ـ على سبيل المثال ـ أمرا واحدا ممّا تعرّض له

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٩ ـ ٤٠. انظر: شرح النووي، ١/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

الإمام السنوسي وحرص على توضيحه.

فمن الأسانيد التي أشكلت على بعض العلماء، بل ووقع فيها الغلط لبعض الحفّاظ منهم ما أخرجه الإمام مسلم، قال: حدثني محمد بن بكار البصرى حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج، ح، وحدثنى محمد بن رافع ـ واللفظ له ـ حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال: أخبرنى أبو قزعة أن أبا نضرة أخبره وحسنا أخبرهما أن أبا سعيد الخدري أخبره أن وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله r قالوا: يا نبي الله! جعلنا الله فداءك! ماذا يصلح لنا من الأشربة، فقال: (لا تشربوا في النقير). قالوا: يا نبي الله! جعلنا الله فداءك! أوتدرى ما النقير؟ قال: (نعم الجذع ينقر وسطه ولا في الدباء ولا في الحنتمة، وعليكم بالموكى)[(١)].

قال السنوسي ـ مختصرا كلامَ النووي في هذه المسألة ـ: (هذا الإسناد معدود من المشكلات، وقد اضطربت فيه أقوال الأئمّة، وأخطأ فيه جماعات من كبار الحفاظ، والصواب فيه ما بسطه وأوضحه الإمام الحافظ أبو موسى الأصبهاني في الجزء الذي جمعه فيه، وما أحسنه وأجوده! وقد

(١) صحيح مسلم. الإيمان / باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه(١٨).

لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، فقال: هذا الإسناد أحد المعضلات، ولإعضاله وقع فيه تغييرات[1] من جماعة واهمة. فمن ذلك رواية أبي نعيم الأصبهاني في مستخرجه على كتاب مسلم بإسناده أخبرني أبو قزعة أن أبا نضرة وحسنا أخبرهما أن أبا سعيد الخدري أخبره، وهذا يلزم منه أن يكون أبو قزعة هو الذي أخبر أبا نضرة وحسنا عن أبى سعيد، وليس كذلك. ومن ذلك أن أبا علي الغساني صاحب تقييد المهمل قال: صوابه: عن أبي قزعة، أنّ أبا نضرة وحسنا أخبراه، أنّ أبا سعيد أخبره، والأصل: أخبرهما، لكن أفرد الضمير لموضع الإرسال؛ فإنّ الحسن هو البصري، ولم يلق أبا سعيد، وبهذا اللفظ أخرجه ابن السكن في مصنفه، وأظنّه من إصلاحه، وبنحوه أيضا أخرجه البزار في مصنفه الكبير، قال: عن أبي قزعة، حدثنا أبونضرة وحسن، عن أبي سعيد. قال: وصوّب المازري وعياض قول الغساني، وشأن المازري تقليده - يعني الغساني - فيما يرجع لعلم الإسناد، وهذه كلّها تكلّفات لا يحتاج إليها، والصواب ما ذكره مسلم، وبلفظه خرّجه ابن حنبل، عن روح بن عبادة، عن ابن جريح.

(١) في شرح النووي، ١/ ١٩٣: تعبيرات.

وموضع خطأ الأولين اعتقادُهم أنّ حسنا هو البصري، وليس كذلك، وإنّما هو الحسن بن مسلم بن يناق؛ لأنّ الثقة سلمة بن شبيب أخرجه بلفظ مسلم، وعيّن الحسن أنّه ابنُ مسلم، فقال: عن ابن جريج ، قال: أخبرني أبو قزعة، أنّ أبا نضرة وحسن بن مسلم أخبرهما أنّ أبا سعيد أخبره. ومعنى هذا الكلام أنّ أبا نضرة أخبر أبا قزعة والحسن بن مسلم، وكرّر قوله: أخبرهما؛ تأكيدا، كما يقال: جاءني زيد وعمرو جاآني، فقال: كذا وكذا)(١).

المطلب السابع والعشرون: تنبيهه على عِظَم بعض الأحاديث وأهميتِها وبيانِ كونها من جوامع كلمه ﷺ.

ومن أمثلة ذلك هذه المواضع:

١ ـ قال: (هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنّه ﷺ جمع فيه ما يَخرج به عن جميع ملل الكفر، على اختلاف عقائدهم وتباعدها)(٢).

٢ ـ في حديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩٧ ـ ٩٨. وقارن بشرح النووي، ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١١٧.

قال السنوسي: (وقد عُدَّ هذا الحديثُ من جوامع كَلِمِه r، وكلّه جوامع)[١].

٣ ـ في حديث: (قل آمنت بالله ثمّ استقم)، ذكر الأبّي أنّ هذا الحديث من جوامع كلمه r، فعلّق السنوسي بقوله: (كان من جوامعه؛ لأنّه أجمل فيه ما فصّله في ثلاث وعشرين سنة أو عشرين على الخلاف، كم بقي بعد البعثة؟)[٢].

٤ ـ وقال أيضاً: (وكلامُ من أوتي جوامع الكلم r لا يحاط بفوائده ينفق فيه ذو السعة في العلم على قدر سعته ومن دون على قدره، والكل لم يحصلوا من ذلك البحر الزاخر الذي لا يحاط بأبعاده إلا ما هو في النسبة كنقطة أو أقل منها إلى العالم كله، وهنا يدخل أنواع الأطعمة والولائم وتسمية أنواعها وتقسيم ذلك إلى الأحكام الخمسة، وكل ذلك مُسْتَوْعَبٌ في الفقه)[٣].

المطلب الثامن والعشرون: استخدامه المنطقَ في مناقشة بعض القضايا

(١) المصدر السابق، ١/١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ١/١٣٤.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٣٦.

العقدية وغيرها.

يعتبر السنوسي رابعَ أربعة من علماء المغرب الأوسط (الجزائر)، الذين كان لهم اشتغال بعلم المنطق، ولهم فيه شهرة ومؤلفات[1]، بل إنّ مؤلفاتهم شرّقت وغرّبت، وكان للعلماء عليها حواشٍ وشروح، وقد سبق أن عرضنا مؤلفاتِ الإمام السنوسي وجهودَه في خدمة هذا العلم وفكِّ رموزه وفتحِ ما استغلق منه، لذلك لا عجب أن يكون تمكّن السنوسي من أدوات المنطق ظاهرا واضحا في كثير من مناقشاته وردوده على غيره.

واختصارا سوف أعرض هنا لبعض المسائل التي استخدم الإمام السنوسي قواعدَ المنطق في عرضها وشرحها.

١ - حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل المشهور.

نقل الإمام الأبّي عن البغوي أنّ الإسلام اسم للأركان الخمسة

(١) والثلاثة الآخرون هم: أحمد بن أحمد التلمساني، المتوفى (كان حيا بعد سنة(٨٣٠هـ)، ومحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، المتوفى سنة(٨٤٢هـ)، وأبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأخضري، البسكري، المتوفى سنة(٩٨٣هـ). انظر: معجم المؤلفين، ١/ ١٥٠. الأعلام، ٣/ ٣٣١. مجلة التاريخ العربي، ١/ ٥٣١٢.

وللتصديق؛ لأنّ الله تعالى رضي الإسلام دينا، وهو لا يرضى عملا دون تصديق القلب، ثمّ اعترض عليه بأنّه لا يلزم من كون الله تعالى لا يرضى الإسلام دون التصديق بالقلب أن يكون التصديق من الإسلام؛ لاحتمال أن يكون شرطا فيه، وهو تعالى لا يرضى عملا دون شرطه، والشرط خارج عن الماهية[١].

وقد انطلق الإمام السنوسي من هذا الاختلاف بين الرجلين، لينبّه على أنّ (اعتراض الأبي على البغوي في جعله التصديقَ حدًا لحقيقة الإسلام إنما هو بفساد طرد الحد من حيث إن الحد موجود في هذه الخمسة عارية عن التصديق، والمحدود الذي هو الإسلام لم يوجد فيها وإلا لوجد لازمه وهو كونه مرضيًا به، واللازم منتف بإجماع فالملزوم مثله.

ثمَّ قال: (وينتظم الدليل من الشكل الثاني هكذا: كل إسلام فهو دين مرضي، ولا شيء من هذه الأعمال المذكورة دون تصديق القلب بدين مرضي، ينتج: لا شيء من الإسلام شرعًا بهذه الأعمال المذكورة دون تصديق القلب. وتمشية جواب الأبي على هذا أنه يقول لا نسلم كلية

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٦١.

الصغرى أن كل إسلام شرعًا فهو دين مرضي بل المرضي بعضه وهو ما حصل شرطه الذي هو التصديق القلبي فتكون النتيجة جزئية سالبة وهي أن بعض الإسلام ليس هذه الأعمال العارية من تصديق القلب ونحن نقول بموجبها وادعاؤكم كلية الصغرى اعتمادًا على دخول التصديق القلبي في مسمى الإسلام الشرعي من باب المصادرة على المطلوب.

وللبغوي أن يجيب بأنها ليست مصادرة؛ لأن دليلنا قوله تعالى:{ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**}. [المائدة: ٣]، فعلق الرضا على حقيقة الإسلام فلو لم يدخل فيها التصديق للزم الإضمار وهو على خلاف الأصل فقد دلَّ عليه تفسير الإسلام في حديث جبريل عليه السلام. أجاب عنه البغوي بأن المفسر في حديث جبريل عليه السلام إسلام مخصوص وهو الإسلام بحسب الظاهر وما يعد به الشخص في الدنيا من المسلمين ويحكم له بأحكامهم وليس تأويلكم الآية جمعًا بينها وبين الحديث بأولى من تأويلنا للحديث جمعا بينه وبين الآية، ويترجح تأويلنا بأن الإسلام بالمعنى الذي ذكرناه هو الذي استمر عليه عرفُ أهل الشرع، وذلك أن الإسلام لا يطلقونه إلا باعتبار الجمع بين التصديق

القلبي والنطق اللساني، فإن انفرد النطق عن التصديق سموه نفاقًا لا إسلامًا.

فإن قلتَ: هل يرد كونه حدًا بأنه لم يحتو على الجنس والفصل. قلتُ: لا يرد بذلك؛ لأن الجنس والفصل إنما يركب منهما الحد في المركبات العقلية أما المادية فلا يشترط فيها ذلك، ويصح أن يجعل التعريف من الرسم ويكون الإسلام هو الانقياد للشرع والمذكورات لوازم له.

فإن قلتَ: لا يصح أن يكون رسمًا لأنّ (ما) إذا سئل بها عن الكلي إنما يجاب بالحد. قلتُ: يجعل السؤال عن الحقيقة والجواب بذكر لوازمها وخواصها على طريق الأسلوب الحكيم.

ولقائل أن يقول بعد فتح هذا الطريق - أعني طريق الأسلوب الحكيم - إن جبريل عليه السلام سأل عن حقيقة الإسلام الأصلي الذي هو مرادف للإيمان فأجابه النبي r ببيان حقيقة الإسلام الكامل أو بيان لوازمه اعتناء بهذه الأركان وتنبيهًا على أن من لم يحافظ على هذه الأركان وإن حصل أصل الإسلام كان إسلامه ليس بإسلام ويخشى عليه الانسلال منه أصلاً، وهذا التأويل حسن ويكون هو نكتة الإطناب في هذا الجواب بذكر المسند إليه والعدول عن مقتضى الظاهر في التعبير

بالضمير إلى التعبير بالاسم الظاهر فقال الإسلام أن تشهد ولم يقل هو أن تشهد أو يحذف المسند إليه رأسًا كما فعل في باقي الأجوبة.

وحاصل الفرق أن المسند إليه في باقي الأجوبة وهو الإيمان والإحسان قد اتحد معناه سؤالاً وجوابًا، والمسند إليه في الجواب الأول وهو الإسلام قد اختلف معناه باعتبار السؤال والجواب؛ لأنه في السؤال المراد به الإسلام لا يقيد بالكمال، والمراد به في الجواب الإسلام المقيد بالكمال.

فإن قلتَ: غاية التعبير بالاسم الظاهر هنا أنه عادة للمعرفة والمعرفة إذا أعيدت فهي الأولى بعينها بخلاف النكرة على ما قيل في قوله: **{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}**. [الشرح: ٥، ٦].

قلتُ: إنما ذلك حيث لا قرينة تدل على المغايرة، وهنا وجدت قرينة تدل على ذلك وهي استعمال الإطناب بذكر المسند إليه اسمًا ظاهرًا في هذا الجواب دون غيره.

وأيضًا فهنا دليل منفصل يدل على أن المراد بالإسلام في الجواب الإسلام الكامل وهو أن الجمهور لا يشترطون في ثبوت أصل الإسلام الجمعَ بين تلك الأركان.

فإن قلتَ: النبي r أوتي جوامعَ الكلم فاقتصر على الأهم؛ ليسهل حفظه ويستخف العمل به لقلة عدده، فإذا قام المكلف به على ما يجب كان ضامنًا للوفاء بجميع الحقوق، فأدرج خصال الإيمان كلها في كلمة الشهادة[١].

ثمّ قال الأبي: (فإن قلتَ: جَعْلُ الإسلام اسمًا للخمسة يوجب ألا يكون مسلمًا إلا من فعل الجميع، وليس الأمر كذلك لحديث: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)[٢]، فجعل النطق بالشهادتين وحده كافيًا؛ لأن لا إله إلا الله كنايةٌ عنهما، وعند الشافعية: من قال لا إله إلا الله هو مسلم، ويطالب بالأخرى، فإن أبى منها قُتِل، ولهم قول آخر: أنه لا يقتل، وعند المالكية: من صلى ثم أبى الإسلامَ، قال الأكثر: يقتل. قلت: فرق بين النظر في الشيء من حيث بيانُ حقيقته وبين النظر فيه من حيث معرفةُ ما

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٢. وهذه الجملة الأخيرة التي بدأها الإمام السنوسي بقوله: (فإن قلتَ) لا يوجد لها جواب أو تعقيب فيما بعد، فكأنّه سقط من المطبوع، والله أعلم.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: ابن حبان في صحيحه، ١/ ٢٩٨، والحاكم في المستدرك، ٤/ ٢٧٩، وصححه، ووافقه الذهبي .

يجزئ منه، فما يجزئ منه حُكْمٌ من أحكامه، والأحكام جعلية، فيجوز أن يُعرِّف الشرع حقيقةً ويجعلَ بعض أجزائها بمنزلتها في الحكم، كما هنا: عرف الإسلام بأنه فعل الأركان، ثم جعل أحدَها كافيًا في دخول الجنة)(١).

قال السنوسي: (ولا يخفى ضعف هذا الجواب وعدمُ ملاقاته للسؤال؛ لأن الإيراد إنما هو كون المحدود الذي هو الإسلام صادقًا على ما لم يصدق عليه الحد، وذلك يوجب فساد طرده ضرورة، وإنما يحسن جوابه لو كان الثابت لبعض تلك الأركان المفسر بها الإسلام حكمًا من أحكامه مع نفي اسمه عنه، فيقال حينئذٍ: لا يلزم من اشتراك شيئين في حكمٍ اتحادُ حقيقتيهما؛ لجواز اشتراك المتباينات في لازم واحد ذاتي، فكيف بالخارجي، ومنه الأحكام الشرعية لأنها جعلية)(٢).

٢ ـ في بيان المراد من الحياء في حديث عمران بن حصين، مرفوعا: (الحياء لا يأتي إلاّ بخير).

ذهب الإمام الأبّي إلى أنّه عام مخصوص إن جعلت الأداة في الحياء

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٦٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٢.

للعموم، وإن لم تجعل فالقضية في الحديث مهملة[١]، والمهملة في قوة الجزئية، ولا تناقض بين جزئيتين، فالمعنى بعض الحياء لا يأتي إلاّ بخير، وبعض الحياء لا خير فيه، وهذا البعض تعرفه من الكلام على الحديث الذي يأتي بعده[٢].

وقد تعقّب الإمام السنوسيُّ الأبّيَّ، فقال: (الظاهر أنّ (أل) في الحياء للعموم، وأنّ القضية كلية لا مهملة، ويدلّ عليه تأكيد الخبر بـ(كلّه) على ما في بعض طرق مسلم[٣]، وادّعاء التخصيص مع التأكيد (بكل) غير مستقيم عند الجمهور، والمراد بالحياء الشرعي أو الحقيقي، وهو ما فسّره ابن الصلاح، فلا يرد على القضية الكلية نقض حتى يفتقر إلى التخصيص)[٤].

---

(١) كان في أصل كتاب الأبي: (وإن لم تجعل فالحديث قضية مهملة). وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ١٣٢. ومراد بالحديث الذي يأتي بعده ما جاء في الرواية الثانية لهذا الحديث أنّ بشير بن كعب قال لعمران بن حصين: إنّا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أنّ منه سكينة ووقارا لله، ومنه ضعف، فغضب عمران ... الخ.

(٣) انظر: الحديث المذكور نفسه.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٣.

قلت: يلاحظ هنا دقّة الإمام السنوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في تعقّب الأبّي، حيث لم يفته أن يستدرك عليه ما فاته من الألفاظ الواردة في روايات الإمام مسلم.

٣ ـ زيادة الإيمان ونقصانه.

وفي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه استعرض الإمام السنوسي رحمه الله تعالى أقوال العلماء في ذلك، وأنّها ترجع إلى خمسة أقوال وليس أربعة كما ذكر الأبّي ـ نقلا عن الآمدي ـ منتقدا ما وقع من القصور في كلام الأبّي رحمه الله تعالى.

قال: (إيمان الله تعالى المدلول عليه باسمه المؤمن هو تصديقه نفسه ورسله بقوله الصدق، فهو راجع إلى كلامه القديم، وكلامه القديم لا يزيد ولا ينقص بإجماعٍ بين أهل السنة؛ لأنه لو زاد لكان الزائد معه حادثًا، والباري جل وعلا لا يتصف بصفة حادثة، ولو نقص لكان ما انتقص منه انعدم، والقديم يستحيل انعدامه، فلزم أيضًا أن يكون ما انتقص حادثًا.

وأيضًا: لو قيل: الزيادة والنقصان، سواء حصلا أو لم يحصلا، لكان حادثًا لافتقاره إلى مخصص خصصه بما هو عليه، دون أن يكون أزيد أو

أنقص.

وإذا عرفت أن الإيمان المنسوب إلى الله تعالى بهذا المعنى لا يقبل الزيادة ولا النقصان إجماعًا، وظاهر كلام الآمدي أنه من محال الخلاف(١)، وجب أن يُتأول كلامُه: إما بأن يكون ذكره لكلام الله تعالى في القول الثالث والرابع لتحقيق الحكم في جميع ما صدق عليه الإيمان، لا لأن إيمان الله من محال الخلاف، وإنما المقصود بالخلاف غيرُه، وإما بأن يكون من محال الخلاف، ويكون معنى إيمانه تعالى على القول بقبوله الزيادة والنقصان تصديقَه لرسله مثلاً بالمعجزات ونحوها من أفعاله، ولا شك أنه بهذا المعنى يقبل الزيادة والنقصان لرجوعه إلى فعله القابل لذلك، والقائل بالمنع، وإن كان يسلم الزيادة والنقصان بهذا المعنى لكن قد يمنع تفسير إيمانه تعالى به، فلهذا منع إطلاق النقص والزيادة، ويقول بصحة تفسيره بهذا المعنى، لكن منع الإطلاق لإيهام اللفظ ما لا يصلح، وهو قبول إيمانه تعالى الزيادةَ والنقصَ مطلقًا، كما نمنع من إطلاق ألفاظ موهمة وإن صحت ببعض الاعتبارات، وكان حق الآمدي ألا يطلق

(١) أي: ممّا اختلف فيه العلماء في قبوله الزيادةَ أو النقصان.

الخلاف، لإيهامه أنه معنوي في الإيمان مطلقًا.

وقد عرفت بهذا أنه في حقه تعالى لا يصح أن يكون إلا في مجرد إطلاق لفظ الزيادة والنقصان على إيمانه تعالى، أما باعتبار المعنى فليس فيه خلاف؛ لأنه إن فسر إيمانه بتصديقه بكلامه القديم فإجماع أهل السنة أنه لا يقبل زيادةً ولا نقصانًا في نفسه، وإن فسّر بتصديقه لنفسه، أو لرسله بأفعاله، فلا خلاف أنه يقبل)[١].

ثمّ قال السنوسي: (ويرحم الله الشيخَ الأبي! ما كان أحقَّه أن لا يقتصر على مجرد النقل لكلام الآمدي، بل كان حقُّه أن يزيل اللبسَ الواقعَ فيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وبالجملة فالحاصل من الخلاف في المسئلة بنقل الآمدي وبالقول المحكي عن مالك: خمسةُ أقوال)[٢].

المطلب التاسع والعشرون: ترجيحه لكلام الأبي وتوجيهه له.

---

(١) في المطبوع في هذا الموضع: حرف (ط) يعني: القرطبي، وهو خطأ؛ لأنّ القرطبي متقدّم على الأبي كثيرا، فكيف يمكن أن يعترض المتقدّم على المتأخّر؟ والصواب أنّه من كلام السنوسي، وأنّ حرف (ط) هنا مقحم، والله أعلم.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٦ ـ ٦٧.

يعمد الإمام السنوسي أحيانا إلى ارتضاء كلام الأبّي، ثمّ لا يكتفي بذلك، بل يعمل على توجيهه، زيادة في توضيحه.

١ ـ فمن ذلك ـ مثلا ـ أنّ الإمام الأبّي تكلّم عن معنى الذوق الوارد في قوله r : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا ...)، الحديث، فذكر أنّ الذوق إنّما هو مبدأ الفعل إذا استعمل في المحسوسات كذوق الطعام، أمّا إذا استعمل في المعاني كما هنا فإنّما هو كناية عن كمال الإدراك(١).

قال السنوسي: (وجه كون الذوق كنايةً عن كمال الإدراك إذا استعمل في المعاني إبرازُه في صورة ما برز للعيان، حتى تعلّق به الحس الظاهر والتذّت به النفس والجوارح، وقد يكون في التعبير بالذوق دون الشبع مثلا التنبيهُ على أنّ هذا القدر من الاستحلاء وإن اقتضى ما اقتضى فليس هو غاية المقصود الذي يجب أن يقف العبدُ عنده، بل هو مبدأ للترقي في المقامات، وشدّة الشوق إلى نيل ذروة الكمالات، والحرص على الشبع ممّا دل على عظيم شرف أعاليه ذوق البدايات)(٢).

٢ ـ ومن ذلك أنّه ذكر ما قاله القاضي عياض من أنّ المحبة هي ميل

---

(١) إكمال الإكمال، ١ /١٢٩.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /١٢٩.

المحبّ إلى ما يوافقه، وأنّه يصحّ الميل إلى النبيّ r ، ويتنزّه الله تعالى عن أن يميل أو يمال إليه، فمعنى محبّة العبد ربّه طاعته له.

ثمّ ثنّى السنوسي بقول الأبيّ في ردّه على القاضي عياض: (الطاعة ثمرة المحبّة، ولا يفسّر الشيء بثمرته، ولا يمتنع تفسير محبّة العبد لله بالميل حقيقة، والذي يتنزّه الله سبحانه عنه إنّما هو الميل إليه في الحسّ؛ لإشعاره بالجهة والمكان، وليست المحبة في الحس، وإنّما هي ميل القلب، وميل القلب إلى الشيء إيثاره له، ولا يمتنع أن يتعلّق ذلك به تعالى، كما يتعلّق العلم به الآن، والرؤية في الآخرة)[١].

وقد مال السنوسي رحمه الله إلى رأي الإمام الأبي، فقال: (ما سلكه القاضي عياض هو مذهب إمام الحرمين وما سلكه الأبّي هو مختار المقترح[٢]، وهو التحقيق والله أعلم)[٣].

٣ ـ في قوله r : (ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثمّ

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٣.

(٢) يعني الإمام تقيّ الدين مظفر بن عبدالله، المعروف بالمقترح(ت٦١٢هـ)، في كتابه: شرح الإرشاد في أصول الدين.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٣.

أدّبها فأحسن أدبها، ثمّ أعتقها وتزوّجها، فله أجران)[١].

ذهب الأبّي رحمه الله تعالى إلى أنّ الأجرين يشملان عتقَها وزواجَها، وظاهرُ الحديث حتى لو جعل عتقَها صداقَها، وصحّ أنّه r أعتق صفية، وجعل عتقَها صداقَها[٢]، فجعله مالكُ من خصائصه r، وعمّمه الشافعيُّ[٣].

قال السنوسي: (يتم ما ذكره الأبي من تعيين أحد الأمرين لحصول الأجرين أن نقول: ضابطه ما تعظم فيه المشقة، فيكون محل الأجرين في الكتابي إيمانَه بالنبي r، لا إيمانه بنبيه فيما سبق.

فإن قلت: لا يظهر أن أحدهما أشقُّ من الآخر، بل قد يكون إيمانه بالنبي r أسهلَ؛ لسبق ما يحمل عليه وهو الإيمان بنبيه المبين صفته r قال تعالى: **{الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}** الآية

(١) صحيح مسلم. الإيمان/ باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته(١٥٤).

(٢) رواه البخاري. النكاح/ باب: من جعل عتق الأمة صداقها(٥٠٨٦). ومسلم. النكاح/ باب: فضيلة إعتاقه أمتَه ثم يتزوجها(١٣٦٥).

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٤.

[الأعراف: ١٥٧].

قلت: كان إيمانُه بالنبي r أشقَّ؛ لأن أقلَ ما فيه انتصابُه بذلك لعداوة أحبائه، ومهاجرة أهله وأقاربه، ووسْمه عندهم برفض دينه الحق دين نبيه، وبهذا يجاب عن ادّعاء مشاركةِ من آمن من غير أهل الكتاب لهم في ذلك، فإنهم ليس لهم دين حتى تركوه، وإنما هم في ذلك كالبهائم.

وكان محلُّ الأجرين في حق العبد أداءَه حقَّ الله تعالى؛ لما فيه من كبير المشقة؛ لوجود ما ينافره وهو حق السيد، ولهذا أسقط سبحانه بفضله عن العبد بعضَ الواجبات كالحج والجمعة.

فإن قلتَ: وقد يُعكس أيضًا، لأن المزاحمة كائنة من الجانبين.

قلتُ: طاعة السيد الباعثُ عليها لا يتوقف على الإيمان، ولهذا تصدر من الكافر والمؤمن؛ لأن لها بواعثَ من جهة السيد، أما أداء طاعة الله تعالى على وجهها، سيما في حال هذا المزاحم القوي، فلا يَحمل عليه إلا محضُ الإيمان.

وكان محلُّ الأجرين في السيد المعتق التزوجَ؛ لأن أكثرَ الناس يستنكف

عن تزوج المعتَقة استنكافَهم عن تزوج الأمة، والله تعالى أعلم)[(١)].

المطلب الثلاثون: اهتمامه بتأويل الأحاديث التي يدلّ ظاهرها على أمر غير صحيح.

هناك أحاديث عدّة رواها الإمام مسلم ـ وغيرُه ـ في كتاب الإيمان، ربّما يوهم ظاهرها أمرا مخالفا لما ورد في النصوص الأخرى، أو لما استقر عليه جمهورُ العلماء في بعض مسائل العقيدة، لذلك اهتمّ علماء الحديث كالقاضي عياض والنووي وغيرِهما بهذه الأحاديث وسَعَوْا إلى تأويلها التأويلَ الصحيحَ الذي لا يتعارض مع نصوص الشريعة الأخرى، وقد حرص الإمام السنوسي رحمه الله على هذا الجانب في شرحه، فنقل كلامَ العلماء في ذلك، وزاد عليه من التوضيح والتفسير ما يزيد المسألة وضوحاً وجلاءً.

١ ـ فمن ذلك ما نقله عن الخطابي في بيان المراد من قوله r : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[(٢)]، فقد بيّن الخطابي أنّ معناه المسلم الممدوح هو من هذه صفته، لا على أنَّ مَنْ انتفت عنه هذه الصفةُ ممن قد

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٤.

(٢) سبق تخريجه(ص: ١٧١).

دخل في الإسلام ليس بمسلم، أو خارج عن الأمة، وإنما هو نحو: الناسُ العربُ، والمالُ الإبلُ، أي: أفضلُها، ويُنفَى اسم الشيء ويراد نفيُ الكمال، كما يقال لمن لم يتقن عمله: ما صنع شيئاً، أي مُتقَنًا، لا نفيَ الصنعة فإنه صانع بالاسم، لا بالإتقان(١).

ثمّ قال السنوسي: (قال بعضهم: تقدير الصفة بالكمال أولى من تقديرها بالممدوح؛ لاحتياجه إلى صفة أخرى، أي: مدحًا كاملاً، والإلزام أن من لم يتصف بهذه الصفة من المسلمين ليس بممدوح بإطلاق، وليس كذلك، بل هو ممدوح حتى باعتبار إسلامه، وإن ذُمَّ من ناحية أخرى)(٢).

ثمّ أوضح السنوسي الحكمةَ من تخصيص اليد واللسان بالذكر، فقال: (وإنما خص اليد واللسان بالذكر لأن أكثر الإذايات منهما خصوصًا اللسان فالسلامة منهما لا شك أنها مستلزمة للسلامة من سائر الأعضاء، وهذا من جوامع كلمه r وفصيحه ومحاسنه)(٣).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٣٨.
(٢) المصدر السابق، ١/١٣٨.
(٣) المصدر السابق، ١/١٣٨.

ثمّ نقل عن بعض الشيوخ أنّ الظاهر أن الحصر في مثل هذا الحديث إنما هو نسبي واعتباري مثل الحصر في: لا صلاة إلا بطهور، ولا علم إلا بحياة، ولا علم إلا ما نفع، ونحوها، فإن ظاهرها ثبوتُ هذه الأشياء بمجرد ثبوت هذا الوصف.

ولكنّه لم يرتض هذا الجواب فردّه قائلا: (وليس كذلك، بل المراد المبالغة بأن هذا الوصف هو المعتَدُّ به دون غيره مجازًا، أو التنبيهُ على أنه آكَدُ الأوصاف المعتبرة في تحقق هذه الأشياء)[١].

٢ ـ وفي قوله r : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، نبّه الإمام السنوسي رحمه الله تعالى إلى أنّ معنى الحديث عند أهل السنة الإيمانُ الأكملُ أو الأفضلُ[٢]، وقد نقل هذا المعنى عن ابن بطال في موضع آخر[٣].

ثمّ قال السنوسي: (والحديث لا بد فيه من تقديرات، وإلا فُهم منه

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٣٨.
(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤٧.
(٣) المصدر السابق، ١/ ١٤٩.

غيرُ المراد)[١]، ثـمّ شرع في توضيح هـذه المسألة في ثلاثة مواضع مـن الحديث، فقال:

الموضع الأول: في قوله: (لأخيه)؛ لأنه لما تعذر قصره على أخ النسب تعين تقدير، صفة تعمه وغيرَه، أي المؤمن إن فسّر الخير بما زاد على الإيمان من الصفات الدينية والدنيوية وهذا أولى.

الموضع الثاني: في قوله r : (ما يحبّ)، أي: مثل ما، على حذف مضاف، ولو لم يقدر ذلك لأدى إلى معنى أن المرء لا يحب لنفسه شيئًا؛ إذ الذي يحب لنفسه هو بعينه الذي يحب لغيره، وذلك لا يصح أن يكون لهما؛ لاستحالة كون الشيء الواحد في الوقت الواحد في محلين، فتعين صرفُه لأخيه.

الموضع الثالث: في قوله r : (ما يحب لنفسه)، عبر بالنفس لأنها أعز شيء على الإنسان، ولا بد من تقييده بما يليق بأخيه شرعًا من مصلحة دنيوية مباحة أو أخروية، وإلا فقد يحب الإنسان لنفسه شهوةً لا تحل، فلا ينبغي أن يحب مثلها لأخيه.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤٧.

الموضع الرابع: وهو ليس من نصّ الحديث، ولكنّه شيء نقله الإمام السنوسي عن الشيخ سيدي محمد بن مرزوق أنّه قال: يزاد في الحديث: وذلك مع غير تضايق الحقوق، مثل أن يكون مع المكلف ما يحيى به نفسه فقط، أو يستر به عورته فقط، فإنه يجب عليه أن يبدأ بنفسه، قبل ابنه وأبيه وأخيه، فضلاً عن الأجانب، هذا مقتضى أصول الشريعة، نحو: (ابدأ بنفسك)[١]، وقوله r للذي قال له عندي دينار: (تصدق به على نفسك)، الحديث[٢]، وقوله: (كفى بالمرء إنما أن يضيع من يقوت)[٣]. فإن قلت: إنما الحديث: أن يحب له ما يحب لنفسه، لا أن يفعل له ما يفعل لنفسه. قلت: وإن لم يستلزم الحبُّ الفعلَ، لكن جوازَه يستلزم جوازَه، ولما لم يجز الفعل في هذا المقام لم تجز محبته، عملاً بمقتضى عكس النقيض الموافق، وهذا البحث يشبه ما قيل إن همه r على من تخلف عن الجماعة دليل على فرضيتها عينًا، وجواز العقوبة بالمال، فإنه اعترض بأنَّه هَمَّ ولم يفعل، وأجيب بأنه لا يهم إلا بما يجوز. إن قلتَ: قوله تعالى:{ وَيُؤْثِرُونَ

(١) رواه مسلم. الزكاة/ باب الإبتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة(٩٩٧).

(٢) رواه أبو داود. الزكاة/ باب فى صلة الرحم(١٦٩٣).

(٣) رواه أبوداود. الزكاة/ باب فى صلة الرحم(١٦٩٤).

عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }. [الحشر: ٩]، دل على الجواز بل على الندب ولذلك مُدِحُوا. قلت: لم تبلغ حالتُهم ما ذُكِر من الخوف على النفس، بل معهم احتمالٌ لما فعلوه، وإنما هو شاق عليهم لفقرهم، ولذا قيل: خصاصة ولم يقل موت أو نحوه، انتهى).

قال السنوسي معلّقا على ما نقله عن ابن مرزوق: (إذا كان المعنى: مثل ما يحب لنفسه، لم يرد شيء مما ذكر؛ لاقتضائه عدم التكليف بالمزاحمة فيما حصل للنفس)[١].

المطلب الحادي والثلاثون: دفعه ما يتوهّم من المعاني غير الصحيحة.

قال السنوسي: (وليس معنى الحديث ما يتوهم أنه خشيَ أن يكون ما ظهر له شيطان يؤذيه وأن ذلك من عند غير الله فإنه r معصوم من ذلك قبل النبوة فكيف يُظَنُّ به ذلك بعد حصول اليقين له بما خلق له من العلم الضروري أو غيره بأن الآتي إليه ملك جاءه من الله بوحي؟ كلا)[٢].

ثمّ نقل عن السهيلي أقوالا للعلماء في تفسير هذه الخشية التي أصابت

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٨٥.

النبيّ r)[١].

المطلب الثاني والثلاثون: إعراضه عن التفاصيل عندما لا تدعو الحاجة إليها.

تبع الإمام السنوسي الأبيَّ وغيرَه في تركه التفصيلَ في مباحث علم الكلام، والإحالة على كتب علم الكلام.

فعندما علّق الإمام الأبي على قوله r : (لقد وفق هذا) بقوله: (رأى بعضهم أنّ تفسير التوفيق بذلك لا يجري على مذهب الأشعرية في أنّ القدرة الحادثة لا تؤثّر ... والردّ على هذا القائل محلّه كتب الكلام ..)[٢].

فقد نقل الإمام السنوسي كلام الأبّي هذا ولم يزد عليه[٣]، وكأنّه يرى أنّ الدخول في تفاصيل من النوع ممّا لا يجدي كثيرا، والله أعلم.

المطلب الثالث والثلاثون: تفصيله لكلام العلماء عندما يحتاج الأمر إلى تفصيل أكثر.

١ ـ في قوله r : (ما أنا بقارئ). ذهب الأبّي إلى أنّ الأظهر أنّ (ما)

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥. وانظر: الروض الأنف، ١/ ٤٠٠.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٨٤.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٨٤.

نافية، بدليل زيادة الباء في خبرها، أي: لست متّصفا بالقراءة حتى تطلب مني، وقيل: استفهامية، ولكنّه استبعده[١].

قال السنوسي: (قد قدمنا في ذلك، وأورد بعض المشايخ على النفي إشكالاً من جهة علم المعاني فقال: قد تقرر في المعاني أن تقديم المسند إليه المعرَّف يفيد تخصيصَه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي واسم الفاعل الماضي في هذا كالفعل، فقوله r ما أنا بقارئ يقتضي أن هناك قارئًا غيرَه وهو باطل، فإن القرآن عليه أنزل فكيف يوجد عند غيره من الإنس قبل نزوله عليه؟ هذا إن حُمل على إرادة قراءة القرآن ولا بد من ذلك؛ لأن ما أمره به هو الذي ظهر آخراً .

وأجاب الشيخ العلامة سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن هذا الإشكال بأن ما نافية وما ذكروه إنما هو إذا كان الخبر فعلاً، وما في الحديث اسمُ فاعل ولا يلحق به قياسًا؛ لظهور الفرق من وجوه، ولئن سُلِّم، فيمكن أن يقال: أراد: ما أنا بقارئ قرآنًا ولا غيرَه من الكتب السماوية وغيرِها، كقوله تعالى:**{ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ }**.

---

(١) انظر: إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٧.

[العنكبوت: ٤٨]، فأجاب بنفي عموم ما يقرؤه كالعلم الوارد على سبب، ولا شك أن هناك من الإنس غيرِه من يقرأ بعضَ الكتب، ويمكن أن يقال: أراد بالغير المفهومِ للقارئ جبريلَ عليه السلام؛ لأنه الذي نزل به عليه انتهى.

قلت: التقييد بالفعل مما يفهم من كلام الشيخ عبد القاهر، وإن لم يصرح به، وصاحب المفتاح قائل بالحصر فيما إذا كان الخبر من المشتقات نحو:**{ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ }**. [هود: ٩١]، وعليه جاء الإشكال وجوابه عنه بقصد العموم في النفي، فيفيد ثبوت نقيضه للغير وهو البعض، فبناء منه على أن الثابت للغير في التخصيص عند تقدم المسند إليه المعروف مواليًا لحرف النفي النقيض، ولا شك أن نقيض الكلية السالبة جزئية موجبة والتحقيقُ خلافُه، وأنَّ ما نُفِيَ عن المسند إليه على سبيل التخصيص هو بعينه يثبت للغير، إن عامًا فعام، وإن خاصًا فخاص، وقد صرّح بذلك الشيخ عبد القاهر، وهو الحق الذي لا شك فيه، ولهذا حكموا بالخُلف وعدمِ الصحة في قول القائل: ما أنا رأيت أحدًا أو ما قلت شعرًا قط أو ما أنا أكلت شيئاً ونحو ذلك؛ لاقتضائه أن يكون إنسان غير المتكلم قد رأى كلَّ أحد من الناس وقال كلَّ شعر في

الدنيا وأكل كلَّ شيء يؤكل، وذلك معلوم البطلان، فعلى هذا لو كان المراد: ما أنا بقارئ قرآنا ولا غيرَه من الكتب السماوية ولا غيرَها لاقتضى ذلك أن إنسانًا غيرَه قرأ جميَع ذلك وهو محال عادة، على أنَّ في كلامه في هذا الجواب مع هذا الذي سبق الآن تناقضًا لأن أول كلامه يصرح بأن المراد في الحديث عموم السلب وآخر كلامه يقتضي أن المراد سلبُ العموم لقوله: فأجاب بنفي عموم ما يقرؤه، وظاهر أن الثاني نقيض الأول؛ لأن الأول كلي والثاني جزئي.

وأما تخصيصه في الجواب الأخير الغير بجبريل عليه السلام فتكلف لا يحتاج إليه، وكذا قوله أول الكلام الصحيح أن ما نافية بناءً على أن أول ما نزل قرأ وإنه لا يصح عليه إلا النفي، وقد سبق ما فيه.

ثمَّ قال السنوسي: (والحق في الجواب على تقدير إرادة النفي وقصد التخصيص أن المراد بقارئ المتصف بمطلق القراءة من غير قصد إلى تعلقه بمفعول لا خاص ولا عام، بل استعمل في ذلك كاستعمال اللازم وهو مهيع شائع في الأفعال وما في معناها، فكان المراد ما أنا بشخص يقال له قارئ حتى تطلب منه القراءة، ولا شك أن ثَمَّ من الناس غيرِه من يتصف بهذا الوصف في ذلك الزمان فضلاً عمّا قبله كورقة بن نوفل

وأحبار اليهود والرهبان وغيرِهم، وهذا بمثابة من طلب منه أن يجيب في مسئلة وليس أهلاً للجواب فيقول لست بعالم، أي: لست ممن يتصف بهذا الوصف حتى أسأل عن هذه المسئلة، ولا قصدَ له في تعلق العلم بمفعول)(١).

المطلب الرابع والثلاثون: اهتمامه بذكر الخلاف بين العلماء في شرح ألفاظ الحديث، واستعراض ردود العلماء بعضهم على بعض

فمن ذلك ما نقله عن أبي الزناد أنّه قال في قوله r : (حتى يحب ...) إنّ ظاهره التساوي، وحقيقته التفضيل، فإنّ الإنسان يحبّ أن يكون أفضل الناس، فإذا أحبّ لأخيه مثله فقد دخل في جملة المفضولين، ألا ترى أنّ الإنسان يحبّ أن ينتصف من أخيه حقّه ومظلمته، فإذا كمل إيمانه وكانت لأخيه عنده مظلمة أو حقّ بادر إلى إنصافه من نفسه وآثر الحقّ، وإن كان عليه فيه بعضُ المشقّة(٢).

ثمّ نقل السنوسي اعتراضَ البعض على قول أبي الزناد هذا، فقال: (واعترض بعضُهم قولَ أبي الزناد السابق فقال: وقولُ أبي الزناد: ظاهرُ

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٩.

الحديث المساواةُ وحقيقتُه التفضيلُ ـ وتقرير القاضي عياض عليه ـ فيه نظر؛ إذ المرادُ الزجرُ عن هذه الإرادة؛ لأنّ المقصودَ الحثُّ على التواضع، فلا يحبّ أن يكون أفضلَ من غيره، فهو مستلزِم للمساواة)(١).

ثمّ نقل السنوسي عن الشيخ سيدي محمد بن مرزوق أنّه قال في توجيه قول أبي الزناد والردّ على من اعترض عليه: (كأنّه توهّم أنّ أبا الزناد يرى أنّ محبّته أن يكون أفضلَ مأمورٌ بها مطلوبةٌ من الحديث، فلهذا اعترض، وليس كذلك، وإنّما أراد أبو الزناد أنّ الإنسان بطبعه يحبّ أن يكون أفضلَ من غيره، فقيل له: إنّما تؤمن إذا أحببت مثلَ ذلك لأخيك حتى تساويَه في ذلك، لكن لما تزاحم الأفضلُ اختصّ به الأخ، وهذا لا يخرج عن مقصد الحديث من التواضع، بل يدلّ عليه أحرى؛ لأنّ محبّته أن يكون دون أخيه أدخلُ في التواضع من محبّته مساواتَه)(٢).

المطلب الخامس والثلاثون: اهتمامه بتوضيح المجمل من كلام العلماء.

قال في توضيح كلامٍ للشيخ محمد بن عرفة: (وقول الإمام يلزم أن لا يوجدَ ما نحن فيه، يعني لأنه متوقف على فراغ ما لا نهاية له قبله،

---

(١) المصدر السابق، ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ١/١٥٠.

وهومحال، والموقوف على المحال محال، ويمثلونه بقائل قال لآخر: لا أعطيك في وقت كذا درهمًا، ولا أعطيك درهمًا قبله حتى أعطيك درهمًا قبله، وهكذا إلى ما لا نهاية له، فإن إعطاء الدرهم الموعود به في وقت كذا محال؛ لتوقفه على دراهمَ قبله مترتبة لا نهاية لها)[1].

المطلب السادس والثلاثون: اهتمامه بالجمع بين أقوال العلماء في المسألة.

من ذلك ما ذكره العلماء في مدّة انقطاع الوحي بعد المرّة الأولى، حيث جعلها بعضُهم ثلاث سنين، وجعلها بعضهم سنتين ونصفا، بناء على ما جاء في بعض الأحاديث المسندة، ومن هنا اختلف النقل في مدّة النبوة قبل الهجرة، فمنهم من يقول: عشر سنين(كما روي عن أنس بن مالك)، ومنهم من يقول: ثلاث عشرة سنة (وهو المروي عن ابن عباس).

وقد ذكر الإمام السنوسي وجهين للجمع بين هذين القولين، نقلا عن السهيلي:

الأوّل: أنّ من عدّ بداية الوحي من حين حمي الوحي وتتابع، فتكون

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٤٠.

عشر سنين، وأمّا من عدّ الفترة التي انقطع فيها الوحي مع ما قبلها وهي ابتداء الرؤيا الصادقة، وهي ستة أشهر، فيكون المجموع ثلاث عشرة سنة، كما قال ابن عباس.

الثاني: ورد عن الشعبي أنّه قال: (وكّل إسرائيل بنبوّة النبيّ r ثلاث سنين، ثمّ جاء جبريل بالقرآن).

قال السنوسي ـ نقلا عن السهيلي ـ: (وقد قدمنا هذا الحديث ورواه أبو عمر في كتاب الاستيعاب وإذا صح أيضًا فهو وجه الجمع بين الحديثين)(١).

المطلب السابع والثلاثون: انفراده باستخراج بعض المعاني لم أرها عند غيره.

في قوله r : (ينام النومة) قال السنوسي: (ومعنى قوله (ينام النومة) ـ والله تعالى أعلم ـ يغفل عن تعظيم أمر الله تعالى بأداء الأمانة وشدة عقوبة المخالفة وتراكم أهوال الآخرة التي تذوب لمجرد سماع أدنى شيء منها القلوبُ، فكيف يكون الحال في مشاهدتها وانتشاب القلب

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٢٩٧ ـ ٢٩٨.

والجوارح في مخالب دواهيها، غفلة حق لها أن تسمى لثقلها وتمكنها من العقل حتى غاب عن مراشده وعما تفاقم أمره النومةَ المعروفةَ بالثقل وتغييب العقل والحواس، وليس هو من أهل التقوى الدائمي الانتباه والتيقظ في أمر دينهم، وقصارى الأمر أن يصيبهم من الغفلة ما هو في عدم استيلائه على العقل بشبه السِّنة فيطردونه على الفور بنور عقولهم، ولا يتركونه للتمكن منهم حتى تصيبهم بسببه آفة، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾. [الأعراف: ٢٠١]، ثم إنّ ذلك الغافلَ مع معرفته بما أفسد بتلك الغفلة العظيمة، لم يحمله ذلك على دوام التيقظ وكمال التحرز والترس، بل بالتوبة النصوح حتى لا يقع في مثل تلك الغفلة، بل عاد هو إلى مثل تلك الغفلة وأشدَّ منها، والمؤمن لا يُلدغ في دينه من جُحر مرتين، وبالله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلحنا فيما بقى، حتى نلقاك على أحسن حال، بفضلك وجودك، يا أرحمَ الراحمين)[١].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٥٠.

المطلب الثامن والثلاثون: ذكره لأقوال العلماء في المسئلة، ثمّ بيان الراجح منها

من ذلك أنّه استعرض خلافَ العلماء في رؤية النبيّ r ربَّه ليلةَ الإسراء، بين مُنكر ومُثبت، من الصحابة والتابعين، وذكر أنّه مذهبُ الأشعري وجماعةٍ من أصحابه، وبعضُهم توقّف في المسألة.

وقد لخّص السنوسي خلافَ العلماء في هذه المسألة في أربعة أقوال، ثم قال: (وأصحها أنه رأى ربَّه، والدنو والتدلي إن كان بين النبي r وبين ربه جلّ وعز فمؤول؛ لاستحالة التخصيص بالجهة والانتقال في الأحياز على المولى جلّ وعلا، وإن كان بينه وبين غيره فهو على ظاهره)[١].

المطلب التاسع والثلاثون: تصدّيه لشرح كلام الأبّي إذا كان يحتاج إلى زيادة توضيح.

فمن ذلك أنّ الأبّي شرح قوله r : (فيأتيهم في أدنى صورة من التي رأوه فيها... الخ)، الحديث[٢]، وكان ممّا قاله في توضيح ذلك: (.. وأنت لا يخفى عليك أنّ كلامهم هذا ظاهر في أنّهم حملوه على أنّه الله تعالى،

(١) المصدر السابق، ١/٣٢٧.

(٢) صحيح مسلم. الإيمان/باب: معرفة طريق الرؤية(١٨٣).

ويبعد؛ لاستعاذتهم منه، حتى إنّ بعضهم كاد أن ينقلب، ولم يكن لهذا البعض رسوخ العلماء، ولا ثبات العارفين، ولعلّهم المقلّدة، ولذا قبل اعتقادُهم الانقلابَ)[١].

فأضاف السنوسي يوضّح كلام الأبّي: (يعني أن قوله حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب معناه كاد أن يرجع عن اعتقاده أن هذه الصورة ليست الله تعالى لما ظهر عليها من سمات الحدوث إلى اعتقاد أنها الله تعالى لما ظهر عليها من صفات الجمال والعظمة، لأنه لم يرسخ في قلبه استحالة الجسمية إلا بمجرد التقليب القابل للانقلاب والتبدل لا سيما في تلك الفتن الهائلة، أما من اعتقد التجسيم ونحوه ومات عليه من عامة المؤمنين فإنه لا ينجو من شر هذه الفتنة ويهلك مع الهالكين إلا أن يغفر الله تعالى، هذا كلُّه إذا قلنا إن إيمان المقلد صحيح، وأما ان قلنا بعدمه فيكون البعض الذي كان أن ينقلب هو ممن عرف العقائد بأدلتها لكن لم يكن له رسوخ في الإحاطة بوجودها ودفع الشُّبَه الواردة عليها، وبالجملة فإتقان علم التوحيد عُدَّةٌ عظيمة لكل هول من أهوال الآخرة، والله المستعان)[٢].

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٤٣.

المطلب الأربعون: تأييده لكلام النووي والاستدلال له.

نبّه النووي رحمه الله إلى أنّه قد يُتوهّم من هذا الحديث أنّ المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين، وقد ذهب إلى هذا طائفةٌ، قال: (وهذا الذى قالوه باطل، بل لا يراه المنافقون باجماع من يُعتدُّ به من علماء المسلمين)[١].

فوافقه السنوسي على ذلك، وقال مستدلاّ له: (هو من باب إسناد الحكم إلى المجموع، فيُكتفى فيه بالبعض بإثبات الرؤية للجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون، يَصدق برؤية البعض وهم المؤمنون)[٢].

المطلب الحادي والأربعون: ذكره لجملة احتمالات في المراد من الحديث، ثمّ ترجيح أحدها.

في قوله r : (فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر)[٣].

قال السنوسي: (يحتمل أن يكون من باب نفي الصفة للدلالة على نفي الموصوف، أو من باب نفي الصفة فقط، فعلى الأول: لا عين هنالك ولا

---

(١) شرح النووي، ٣/٢٨.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٤٤.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(١٨٩).

رؤية ولا أذن ولا سماع ولا قلب ولا خطور، وعلى الثاني: المنفي الرؤيةُ والسماع والخطور فقط، وهذا الثاني أرجحُ)[(١)].

ثمّ نقل عن الطيبي أنّه قال: (وإنما خُصَّ هذا الأخيرُ بذكر البشر دون القرينتين السابقتين؛ لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم، ويهتمون بشأنه، ويخطرونه ببالهم، بخلاف الملائكة، والحديث كالتفصيل للآية؛ فإنها نفت العلمَ، والحديثُ نفىَ طرفَ حصوله)[(٢)].

المطلب الثاني والأربعون: إعراضه أحيانا عن التفاصيل، والإحالة على الأبّي أو القاضي عياض.

١ ـ فمن ذلك مثلا أنّه ذكر المقام المحمود، وأنّ الأحاديثَ اختلفت فيه، ثمّ قال: (وذكر جابرُ في هذا الحديث أنّه خروج العصاة بشفاعته r ، وقيل غيرُ ذلك، انظر الإكمال)[(٣)].

٢ ـ وفي بيان أقوال العلماء في حقيقة الخطايا التي نسبها الأنبياء إلى

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥١.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٥٣. ولا أدري هل يريد إكمال المعلم لعياض، أو إكمال الإكمال للأبّي، فكلاهما ذكر في المسألة أقوالا.

أنفسهم، فقد ذكر من ذلك قولاً واحداً، ثمّ قال: (انظر بقيتَها في الإكمال وإكماله للأبي رحمه الله تعالى)[١].

المطلب الثالث والأربعون: اكتفاؤه أحيانا بما ذكره الأبّي من شرح للحديث، ولا يزيد عليها شيئا.

يرى السنوسي أحيانا أنّ كلام الإمام الأبّي يفي بالغرض، مع كونه في غاية الاختصار، فلذلك يتركه، وربّما يختصر بعضه، ولكن لا يزيد عليه.

١ ـ ومن أمثلة ذلك ما ذكره الأبّي في خطرات النفس، هل يؤاخذ الإنسان بها أم لا[٢].

٢ ـ ومنها حديثُه عن قول الاستثناء في الإيمان[٣].

٣ ـ فصّل الإمام الأبّي الكلامَ في تعريف الكبيرة وذَكَرَ خلافَ العلماء في تعريفها وعددِها، والفرقِ بينها وبين الصغائر، وغيرِ ذلك، فاكتفى الإمام السنوسي بذلك، ولخّص بعض كلام الأبّي ولم يزد عليه[٤].

---

(١) المصدر السابق، ١/٣٥٦. انظر: إكمال المعلم، ١/٥٧٤. إكمال الإكمال، ١/٣٥٥.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٣٦.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٥٧.

(٤) المصدر السابق، ١/١٩٥.

المطلب الرابع والأربعون: إحالاته على كتبه الأخرى

فمن ذلك أنّه تحدّث عن قوله r على لسان إبراهيم: (... ولكن ائتوا موسى الذي كلّمه الله)[(١)]، وذكر أنّ أهل السنة لم يختلفوا في حمل هذا على ظاهره من أنّه كلّمه حقيقة بكلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت لتأكيده بالمصدر، وبعد أن أورد مناقشةً بين العلماء في هذه المسألة، قال: (وقد استوفينا الكلامَ على الآية إيرادا وجواباً في شرحنا على العقيدة التي وضعناها في علم التوحيد، فانظره إن شئت)[(٢)].

المطلب الخامس والأربعون: تصحيحه لاستدلال القرطبي.

في قوله r : (إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة)[(٣)].

قال القرطبي: (هذا المرجو محقّق الحصول لقوله تعالى:﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾. [الضحى: ٥]، ولحديث: (إنّا سنرضيك في أمّتك)، وإنّما قال r : أرجو، أدبا ووقوفا مع العبودية)[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم. الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(١٩٣).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥٧.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة(٢٢١).

(٤) المفهم، للقرطبي، ١/ ٤٧٢.

وقد تعّقبه الأبّي بأنّ المحقَّق إنّما هو دخولُ الأمّة، وكونُهم الشطرَ غيرُه، فلا يمتنع أن يكون الرجاءُ على بابه[1].

وقد ارتضى السنوسي تعقّبَ الأبّي على القرطبي، وزاده توضيحا وشرحا، ثمّ عاد ليقول: (ولقائل أن يقول: إنه لما أُعلم r بكثرة أتباعه وبلوغِ أمته من الكثرة ما نسبتُه من مؤمني سائر الأمم النصفُ أو الثلثان، على ما في حديث آخر، كان حصولُ تلك النسبة الموجودة لازمًا لإرضاء الله تعالى له في جميع أمته، فلو انتفى حصولُ تلك النسبة لانتفى لإرضاء ملزومها، ويكونُ الحديث من باب الكناية للتعبير فيه باللازم المساوي وإرادة ملزومه، فصح استدلالُ القرطبي على حصول المرجو من النسبة بالآية والحديث على إرجائه r في هذا لا يكون إلا عن دليل قطعي، أو كالقطعي، وإنما عَبر بالرجاء؛ لئلا يتكلَ الناس، والله تعالى أعلم)[2].

المطلب السادس والأربعون: اقتصاره في النقل عن القاضي عياض والنووي وغيرهما على الفائدة المتعلّقة بالحديث.

فمن ذلك ـ مثلا ـ أنّ القاضي عياضا عندما جاء إلى ذكر الخلاف حول

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٨٣.

الحديث الذي أورده مسلم: (تعاد الصلاة من قدر الدرهم)، وبعد أن حكم على الحديث بالبطلان، بدأ بالحديث عن اختلاف العلماء في حكم إزالة النجاسة، هل هي واجبة أم لا؟ وهل هي شرط في صحة الصلاة أم لا؟ واختلافهم في العفو عن يسير النجاسة[١]، فاكتفى السنوسي بالأمر الثالث لأنّه ألصق بالحديث المذكور، ثمّ لّما تبيّن له بطلان الحديث المذكور أعرض عن الأمر الرابع الذي ذكره القاضي وهو اختلاف من رخّص في يسيره: هل الدرهم قليل أو كثير[٢]؛ لأنّ الكلام في ذلك بعد المعرفة بقيمة الحديث لا معنى له، والله أعلم.

المطلب السابع والأربعون: قيامه بتوضيح المعاني التي أغفلها مَن سبقه من الشرّاح.

فمن ذلك ـ مثلا ـ أنّ الإمامين عياضا والنووي تركا التعليق على قول عبدالله بن المبارك: (لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبدالله بن محرر، لاخترت أن ألقاه، ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرةٌ أحبَّ إلي

(١) إكمال المعلم، ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) إكمال المعلم، ١/ ١٣٨. مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩.

منه)[١].

فقال السنوسي: (ومعنى هذا الكلام: لو خيّرت بين أن أدخل الجنّة قبل أن ألقى عبدالله بن محرر، وبين أن أتأخّر حتى ألقاه، لاخترت أن أتأخّر حتى ألقاه)[٢].

المطلب الثامن والأربعون: ثناؤه الكبير على من سبقه من الشراح كالقاضي عياض وغيره

من ذلك أنّ القاضي عياضا رحمه الله ذكر جملة وافرة من المسائل والقواعد المتعلّقة بهذا الباب، فترك السنوسي ذكرها، ولكنّه قال: (وانظر كلام القاضي عياض في هذا المحلّ، فقد أتقن هذا الفصل إتقانا عجيبا رحمه الله ورضي عنه)[٣].

أقول: وهذا الثناء أيضا يستحقّه الإمام النووي رحمه الله، فقد عقد في الموضع نفسه فصلا أتى فيه على شرح جملة من كلام القاضي وأضاف إليه

---

(١) صحيح مسلم، ١/ ١٢.
(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٨.
(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٩. وقد سبقه بهذا الثناء الإمام النووي في الموضع نفسه من شرحه، ١/ ١٢٦.

نفائس وفوائد، رحم الله الجميع.

المطلب التاسع والأربعون: اعتماده أحيانا على التفسير الإشاري لبعض الآيات.

فمن ذلك ـ مثلا ـ ما نقله عن بعض الشيوخ من الإشارات في قسم الله جل وعلا بالفجر والضحى والليل وما معها من السور فقال: (إن الله تعالى أقسم بالفجر، ولعله إشارةٌ إلى ابتداء نور نبوته r، ثم تزايد مدة بقائه في مكة، ولم يبلغ إلى أن يظهر فيها كالضحى لاستيلاء أهل الكفر، ولولا كونُه r والمؤمنون فيهم لأُهلكوا لمخالفتهم ما هو كفلق الصبح من الحق، ولهذا عقبت السورة بالبلد، وهو فيه، وسُلِّيَ r عمّا شقَّ عليه من مخالفتهم بسبق القضاء، فخلق الإنسان في كبد ومنه مقاساة مشقة الوحي، ثم لما تكامل ضوء النبوة كضوء الضحى حين هاجر إلى المدينة، وتمكن من إقامة الدين كإقامة النهار أقسم بالشمس وضحاها، إشارة لذلك، والقمر إذا تلاها إشارة إلى أنوار الخلفاء وسائر الصحابة والتابعين والعلماء الآخذين عنهم، رضي الله عن جميعهم، حتى انتشر دين الإسلام في الأقطار، كانتشار النهار، فأقسم بالنهار إذا جلاها، وجاء والليل إذا يغشاها إشارة إلى نقص الدين بعد الكمال بدخول ظلمة

الابتداع كغشيان الليل ضوء الشمس الذي كان متمكنًا حتى يعود الأمر إلى ما كان: (بدا الإسلام غريبًا وسيعود كما بدا)، ولهذا بكى عمر وأبو بكر رضي الله عنهما حين نزل:{**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** }. [المائدة: ٣]، وقالا: ليس بعد الكمال إلا النقصان، ولذلك خُلِقَ هذا العالم { **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ** }. [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣]، { **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** }. [الأعراف: ٥٤، الرعد: ٣]، { **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**}. [الأعراف: ٥٤]، ونتيجة هذا الأمر ومقصودُه جوابُ القسم:{ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** }. [الشمس: ١٠]، وهذا المعنى الذي لاح لي من سورة والفجر كأنه لما قرب الختم أشير إلى ضبط معاني القرآن والدين من حين ابتدائه إلى انتهائه كالفذلكة والنتيجة وضبط الأمور وتقربيها لمن رزق الفهم، وهو مطرد إلى آخر الجنة والناس، فتتبعه توفق إلى الاطلاع عليه إن شاء الله تعالى. ومن ضوابطه وهو الإشارة إلى المآل: إذا زلزلت وخاتمتها(١).

قلت: وهذا معنى في غاية الجمال والعمق، وهو ثمرة للإدمان على التفكّر في كتاب الله واستخراج أسراره، وهي دعوة لطلاب العلم

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

والباحثين عن أسرار القرآن أن يشمروا عن ساعد الجدّ، ويسألوا الله أن يوفقهم ويفتح عليهم من علومه اللدنية، ومعارفه العلوية.

المطلب الخمسون: إشارته إلى بعض المسائل الطبية.

لقد ذكرنا سابقا أنّ للإمام السنوسي أكثرَ من كتاب في الطبّ، وهذا يعني أنّ له إلماما بهذا العلم، ولا بدّ أن يظهر في مؤلفاته الأخرى ما يشير إلى هذا الجانب من شخصيته، لذلك حرصت على البحث في شرحه هذا (في المجال المحدّد للبحث، وهو الجزء الأول من الكتاب) على معرفة بعض إشارته إلى المسائل الطبية، فوجدت من ذلك ما ذكره عند قول عائشة رضي الله عنها: (فرجع بها رسول الله r يرجف فؤاده)[(١)].

وبعد أنّ فسّر الإمام السنوسي ذلك بأنّه r رجع إلى أهله، يخفق قلبه، ويضطرب جسده من شدة الخوف، أشار إلى سبب هذا الرجف الذي أصابه r ، فقال(والسبب في هذا الرجف أن الفزع يذهب بحرارة البدن الباطنة وتفر أمامه متفرقة في مسام صحة الظاهر فيعقبها البرد فتأتي الرعدة فطلب r التدثر ليتدفأ فترجع إليه الحرارة، أو كأنه لقرب رؤية ما

(١) صحيح مسلم. الإيمان/ باب: بدء الوحي إلى رسول الله r (١٦٠).

أفزعه مشاهد له في الحال بتصوره، وشأن الإنسان عند رؤية ما يفزع تغميض عينيه وتغطية رأسه وبدنه غيبة عن ذلك المحسوس، ويؤيده ما في السير: (فرأيت جبريل في الأفق فجعلت أصرف بصري عنه).

ثمّ قال:و(اعتر ُ ض على ما ذكرناه من سبب التدثر أولاً بأنه قد يعارضه ما في التفسير من قوله: (دثروني وصبوا عليَّ ماء باردًا)، وذو البرد لا يطلب صبَّ الماء.

وأجيب بأنه إذا كان سببُ البرد تفرقَ الحرارة إلى سطح البدن، يكون صبُّ الماء ردًا لها إلى الباطن؛ لأنها تفر أمام البارد للضدية، فتعود إلى مكانها، فتسكن الرعدة)[1].

المطلب الحادي والخمسون: مناقشة بعض ما أورده السنوسي تبعا لغيره

فمن ذلك ما قاله عبد الله بن عثمان بن جبلة، لعبد الله بن المبارك، في شأن سليمان بن الحجَّاجِ[2]: انظُر مَا وَضَعتَ فِي يَدِكَ مِنهُ[1].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٣.

(٢) سليمان بن الحجاج الطائفي، الغالب على حديثه الوهم. الضعفاء الكبير، ٢/ ١٢٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٢/ ١٩٨. وأورد ابن حجر هذا القول في ترجمته، =

فقد نقل السنوسي عن النووي أنّه قال: (ضبطناه بفتح التاء من وضعت ولا يمتنع ضمها وهو مدح وثناء على سليمان بن الحجاج)[٢].

قلت: وهذا غريب منهما، رحمهما الله، لأنّ المفهوم من ذلك الذّمّ لا المدح، خاصّة، وأنّ سليمان هذا طعن فيه العلماء، حيث قال فيه العقيلي:(الغالب على حديثه الوهم(، أمّا الذهبي، فقال:(لا يعرف)، فكيف يمدح من يكون هذا حالُه؟![٣]، والله أعلم.

المطلب الثاني والخمسون: ما وقع من التصحيف عند السنوسي.

لقد أبى الله العصمة إلاّ لأنبيائه ورسله، فالخطأ لا يسلم منه أحد من بني البشر مهما بلغ شأنه في العلم، والأمثلة على ذلك كثيرة من سيرة الأئمّة الكبار كالبخاري ومسلم وشعبة وغيرهم.

=

والظاهر من سياقه عنده أنّه جرح وليس مدحا، والله أعلم. انظر: لسان الميزان، ١/٤٥١.

(١) صحيح مسلم، ١/١٢.

(٢) شرح النووي، ١/٩٧.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال(٢/١٩٨)، المغني في الضعفاء(١/٢٧٨)، الضعفاء الكبير(٢/١٢٣).

ولهذا فلا عجب أن نجد في كلام السنوسي - رحمه الله - بعض التصحيف الذي وقع له، ممّا يجب التنبيه عليه، حتى لا يحمل عنه خطأ، وكلّ ذلك لا ينقص من قدره ولا قدر كتابه قُلامةَ ظفر، رحمه الله تعالى.

١ - فمن ذلك أنّه قال: عوف بن أبي حميلة، بفتح الحاء المهملة، وكسر الميم، يعرف بعوف الأعرابي، ولم يكن أعرابيا(١).

هكذا ضبطه السنوسي - بالكلمات -، والصواب أنّه بالجيم المعجمة، هكذا ذكره العلماء في كتبهم وضبطوه(٢).

٢ - قوله: والنخعي بفتح النون وإسكان الخاء(٣).

قلتُ: والصواب أنّه بفتح الخاء، نسبة إلى نخع، وهي قبيلة باليمن.

٣ - ضبط كدام - والد مسعر بن كدام - بفتح الكاف(٤).

قلت: والصواب الذي لم يذكر العلماء غيره أنّه بكسر الكاف: كِدام،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١.

(٢) هكذا في جميع مصادر ترجمته، إلاّ في المعرفة والتاريخ للفسوي، ٣/ ٢١٥، فقد ورد فيه: عوف بن أبي حميلة، وهو تصحيف.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٢.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٢٤.

وتخفيف الدال، ولم أر في شيء من الكتب مَن ضبطها بفتح الكاف، والله أعلم.

٤ ـ في ترجمة حرام بن عثمان، قال السنوسي: (وأمّا حرار (هكذا!) بن عثمان الذي قال فيه مالك: ليس هو بثقة، فهو بفتح الحاء وتشديد الراء الأولى وتخفيف الثانية، قال البخاري: هو أنصاري سلمي منكر الحديث)[١].

أقول: فضبْطُه لهذا الاسم غيرُ صحيح أبدا، والصواب الصحيح قطعا أنّه حرام بن عثمان، وهو الموجود في أصل صحيح مسلم[٢]، وهو المذكور عند النووي في شرحه، وهو الذي قال فيه الإمام البخاري: (هو أنصاري سلمي منكر الحديث)، وترجمته في كثير من كتب الرجال، وأقوال الأئمّة فيه مشهورة[٣].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٧.

(٢) مقدّمة صحيح مسلم، ١/ صحيح مسلم، ١/ ١٢.

(٣) انظر: التاريخ الكبير، ٣/ ١٠١. تاريخ بغداد، ٣/ ٤٩٣. الجرح والتعديل، ٣/ ٢٨٢. ضعفاء العقيلي، ١/ ٣٢١. وهو الذي قال الشافعي في شأنه: (الحديث عن حرام حرام).

٥ ـ قال الإمام السنوسي عن أبي معبد[١]: (هو مولى ابن عباس، واسمه أبوناقذ، بالنون والقاف والذال المعجمة ..)[٢]. وقد تبع في ذلك الإمامَ الأبّيَّ[٣]، رغم أنّ الإمام النووي ضبطها بشكل واضح، فقال: (وأما أبو معبد فاسمه نافذ بالنون والفاء والذال المعجمة، وهو مولى بن عباس)[٤].

وقد ضبطها كذلك ابن حجر فقال: (نافذ بفاء ومعجمة، أبو معبد، مولى ابن عباس المكي)[٥].

وقول السنوسي: (اسمه أبوناقذ خطأ آخر، والصواب: نافذ، وهو اسمه).

٦ ـ نقل السنوسي عن النووي قوله: (فيفرط في النطق)، والصواب: (الحفظ)[٦].

---

(١) صحيح مسلم. الإيمان / باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام(١٩).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٩٨.

(٣) إكمال الإكمال، ١ /٩٨.

(٤) شرح النووي، ١ /١٩٦.

(٥) تقريب التهذيب، ٢ /٥٥٨.

(٦) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /١٢٨. وانظر شرح النووي، ١ /٢٤٥.

٧ ـ ومن ذلك قول السنوسي: عمرو بن سوّاد، بتشديد الواو وآخره دال، ومنهم من يخفّف الواو، ومنهم من يقوله بتشديد الواو والراء[١].

فقوله: (بتشديد الواو والراء) يعني (سوّار) تصحيف، فلا يوجد في كتب التراجم من ضبطه هكذا، والله أعلم.

المطلب الثالث والخمسون: ما وقع من الأخطاء في النسخة المطبوعة.

الكتاني: هكذا ورد في مكمّل الإكمال للسنوسي[٢]، وهو تصحيف وصوابه: الكناني، بنونين، وهو أبو الوليد هشام بن أحمد، المعروف بالوقشي(ت٤٨٩هـ)، فقيه محدّث، إمام في اللغة والأدب، وحافظ للسنن واسماء الرواة، وعالم بأصول الاعتقاد وأصول الفقه، وإليه كانت الرحلة في وقته[٣].

المطلب الرابع والخمسون: مواضع اختلف فيها نقل السنوسي عن القاضي عياض عما هو في نسخ إكمال المعلم الأخرى.

نقل السنوسي عن القاضي عياض أنّه قال: (ما جاء عنه ـ يعني من

(١) المصدر السابق، ١/١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٣.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير، ٢١٩. الصلة، ٢/٦٥٤. بغية الملتمس، ٤٨٥.

الحديث عن النبي r ـ موافقا لكتاب الله، وما عرف من سنّته، غيرَ مخالف لشريعته، ولا تُحُقِّق أنّه قاله بلفظه فيصدّق به، أي بمعناه لا بلفظه، إذ قد صحّ من أصول الشريعة أنّه لا يصدّق به؛ لاحتمال أنّه قاله بغير هذا اللفظ، ولا يكذّب به؛ إذ قد يحتمل أنّه قاله)[1].

ولدى مقارنة هذا النقل بما في إكمال المعلم، في النسخة التي حقّقها الدكتور الفاضل حسين شواط، وكذلك نسخة المحقق الفاضل يحيى إسماعيل، وجدت الجملة الأخيرة بهذا الشكل: (... إذ قد صحّ من أصول الشريعة أنّه قاله بغير هذا اللفظ ...)[2].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنّ الصواب ما نقله السنوسي في نسخته، ويظهر ذلك بقليل من التأمّل، ولم أر عند المحققين الفاضلين أدنى إشارة إلى ذلك، والله أعلم.

المطلب الخامس والخمسون: نقله لبعض الأقوال الضعيفة في المسألة.

وجدت للإمام السنوسي بعضَ الأقوال التي ينقلها في شرح الحديث خلاف ما عليه جمهور العلماء.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧.

(٢) مقدّمة إكمال المعلم، ص٢٤٧. إكمال المعلم، ١/ ١٣٦.

فمن ذلك ما وقع له في قول عائشة للنبيّ r لدى رجوعه من غار حراء: (.. وتكسب المعدوم..).

فقد ضبطه على وزن: (تَضْرِبُ)، ثمّ فسّره، فقال: (أي: تقدر على كسب الشيء الذي يكون معدومًا، وتحتاج إلى تحصيله لمعرفتك بطرق الاكتساب، فمدحته بما يستلزم كمالَ العقل الذي هو أشرفُ شيء منّ به سبحانه وتعالى..)، ثمّ أفاض الإمام السنوسي في بيان قيمة الكسب، وأنّه عنوان على الرجولة الكاملة)(١).

قلت: وما ذهب إليه الإمام السنوسي رحمه الله من تفسير هذا اللفظ هو خلاف ما قرّره أكثر الشرّاح، فقد ذكر الإمام النووي رحمه الله أنّ قول عائشة: (تكسب)، ضُبِطَ بفتح التاء وضمّها، والصحيح من ذلك الأوّل، ومعناه في هذه الحالة: تكسب غيرك المالَ المعدومَ، أى: تعطيه إياه تبرعا، فحذف أحد المفعولين، وقيل: معناه تعطي الناس مالايجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، وأما رواية الفتح، فقيل: معناها كمعنى الضم(٢).

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٨٧.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٠١.

وأمّا المعنى الذي ذكره السنوسي فقد ذهب إليه بعضهم، ولكنّ النووي ردّ ذلك واعتبره خطأ، فقال: (وهذا القول حكاه القاضي عن ثابت صاحب الدلائل وهو ضعيف أو غلط، وأيُّ معنى لهذا القول فى هذا الموطن؟، إلا أنه يمكن تصحيحه بأن يضم إليه زيادة فيكون معناه: تكسب المالَ العظيمَ الذى يعجز عنه غيرُك، ثم تجود به فى وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وقِرَى الضيف والإعانة على نوائب الحق فهذا هو الصواب فى هذا الحرف)[١].

قلت: والغريب أنّ الإمام السنوسي عاد فنقل القولَ الأوّلَ عن بعض الشيوخ، في سياق شرحه لقول عائشة: (وتعين على نوائب الحق)، ولم يتعقّبه بشيء، فلعلّه رجع عن قوله الآخر، والله أعلم[٢].

المطلب السادس والخمسون: بعض ما وقع عند السنوسي من الأوهام

فمن ذلك أنّ الإمام مسلما قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير، حدثنا أبي ووكيع، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله، قال وكيع: قال رسول الله r ، وقال ابن نمير: سمعت رسول الله r ، يقول: (من مات

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٢٨٧.

يشرك بالله شيئا دخل النار)، وقلت[١]: ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.

فقد وقع للإمام السنوسي هنا وهم عجيب، حيث ظنّ أنّ وكيعا وابن نمير صحابيان ـ أو هكذا يظهر من عبارته ـ، فقال: (قوله في السند: قال وكيع قال رسول الله r ، وقال ابن نمير: سمعت ... هذا احتياط من مسلم t ، فبيّن أنّ أحد الصحابيين وهو ابن نمير قال: سمعت رسول الله r ، ولا إشكال في اتصاله، وقال الآخر وهو وكيع: قال رسول الله r ، فقال الأكثر: هو متصل، وقيل: مرسل)[٢].

هكذا قال السنوسي! وهو خطأ واضح، فوكيع وابن نمير ليسا من التابعين، فضلا عن أن يكونا من الصحابة، إذ هما من شيوخ شيوخ مسلم، فبينهما وبين الصحابة رجلان في السند: الأعمش عن شقيق، وإنّما المقصود أنّ في رواية وكيع أنّ عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله r ، بينما في رواية ابن نمير أنّ عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله r ، فالاختلاف هو في الصيغة التي استعملها عبدالله بن مسعود في رواية هذا

---

(١) القائل هو عبدالله بن مسعود، t .

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

الحديث عن النبيّ r .

وأمّا ما قاله السنوسي بعد ذلك من صحّة اتصال مرسل الصحابة، فهو رأي الجمهور، وهو الصحيح.

المطلب السابع والخمسون: بعض ما نقله السنوسي ممّا يستوجب التوقفَ والنظرَ في نسبة المذاهب إلى أصحابها.

من ذلك نسبته الإمام مسلما إلى القول بحجية المرسل، فقد قال: (وذهب مسلم رحمه الله وجماعة إلى الاحتجاج به ..)(١).

وعزو هذا المذهب إلى الإمام مسلم لم أر من صرّح به، وهو مخالف لما أورده الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه، حكايةً عن مخالفه، قال: (والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجّة)(٢).

والشاهد من هذا أنّ الإمام مسلما حكى هذا القولَ ولم يعترض عليه ولم يردّه، مصيراً منه إلى اعتقاد صحّته.

فإذا كان الإمام السنوسي قد فهم من كلام الإمام مسلم أنّه يردّ ما حكاه هذا المخالف، فليس في الكلام ما يدلّ على ذلك، كلّ ما في الأمر أنّه ذكر ما

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٢.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ١٢.

حكاه المخالف له واعتبره مقدّمةً بنى عليها كلامه بعد ذلك، والله أعلم.

المطلب الثامن والخمسون: تركه لبعض الأحاديث بدون تخريج

لقد تبع الإمامُ السنوسي الإمامَ الأبّي في ذكر بعض الأحاديث، ولكنّه لم يخرّجها، وممّا وجدته من ذلك في الجزء الأوّل:

١ ـ حديث: (إنّ الله أخفى ثلاثا في ثلاث)[١]، وهو ليس حديثا أصلا، وإنّما هو من كلام ذي النون[٢].

٢ ـ حديث أنّ الله أحيا للنبيّ ﷺ أبويه فآمنا به[٣]، وهو حديث مال

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٩٤.

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير، ٢/٢٧٢، من طريق يوسف بن الحسين، قال: سمعت أبا الحسن يحيى بن الحسين القاهري يقول: قدمت مصر، فجئت إلى حلقة ذي النون فرآني وفيّ استظهارٌ على الحاضرين، فقال لي: (لا تفعل؛ فإن الله تعالى أخفى ثلاثا في ثلاث: أخفى غضبه في معصيته، وأخفى رضاه في طاعته، وأخفى ولايته في عباده، فلا تحقرنَّ شيئا من معاصيه، فلعله أن يكون فيه غضبه، ولا تحقرن شيئا من طاعته، فلعله يكون فيه رضاؤه، ولا تحقرن أحدا من خلق الله، فلعله أن يكون وليا من أوليائه).

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٦٩.

السيوطي إلى تصحيحه، ولكن أكثر العلماء على خلاف ذلك[1].

٣ ـ حديث: (حجوا قبل أن يمنع البر جانبه)[2]. وهو حديث موضوع، كما نبّه إلى ذلك علماء الحديث[3].

٤ ـ حديث: (موت الفجأة راحة المؤمن وأخذة أسف على الفاجر)[4]. وهو حديث ضعيف جدا[5].

٥ ـ حديث: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، ... الخ)،

---

(١) انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي، ٣/٣١٠. سبل الهدى والرشاد، ١/٢٥٤، ٢/١٢٤.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٢٦.

(٣) أورده الرازي في تفسيره، ٤/٣١٩، والنيسابوري في تفسيره، ٢/٣١٧، والزمخشري في الكشاف، ١/٣٠٢، ونصّه: (حجوا قبل أن لا تحجوا ، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه). والحديث بهذا اللفظ لا أصل له، وقد عزاه السخاوي إلى الزمخشري في الكشاف، وأورد قبله حديث: (حجوا قبل أن لا تحجوا)، ثمّ بيّن أنّ فيه مجهولين. انظر: المقاصد الحسنة، ص ٣٠٠.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٢٦.

(٥) قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١/٤٢٤: (رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه قصة، وفيه عبيد الله بن الوليد الرصافي وهو متروك). وانظر أيضا: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ص ٢٩٥.

الحديث[١]، والحديث صحيح[٢].

٦ ـ حديث: (لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات)[٣]، وهو حديث أورده هناد بن السري والفاكهاني، ولم أجده عند غيرهما، والله أعلم[٤].

المطلب التاسع والخمسون: ما سقط من إكمال المعلم، وهو مذكور عند النووي والسنوسي

سقط من أصل إكمال المعلم ما أسنده عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، وقد ذكره النووي والسنوسي[٥]، وبيّنا أنّ المراد بذلك حديث تميم الداري، مرفوعا: (الدين النصيحة ...)[٦]. وهو مذكور في مقدّمة

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٢٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٣٤١، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٦٩.

(٤) رواه هناد بن السري في الزهد، ٣/ ٢٥٩، والفاكهاني في أخبار مكة، ٥/ ١٢٣.

(٥) شرح النووي، ١/ ١٤١. مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٦.

(٦) صحيح مسلم. الإيمان/ باب بيان أن الدين النصيحة(٥٥)، وعلّقه البخاري في كتاب الإيمان/ باب: قول النبى r : (الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

مسلم بعد النعمان بن أبي عياش، وقبل سليمان بن يسار(١)، وقد فاتَ المحققين الفاضلين لإكمال المعلم فلم ينبّها على ذلك، رغم أنّ الدكتور يحيى إسماعيل أثبت مقدّمة الإمام مسلم كاملة، وفيها هذا الحديث في الموضع المذكور(٢).

أمّا الإمام الأبّي فلم يتعرّض لذلك؛ لأنّه لم يتعرّض لشرح مقدّمة الإمام مسلم أصلا.

المطلب الستون: مواضع وقع فيها سقط في كتاب السنوسي.

في كتاب السنوسي مواضع يشتبه أن يكون وقع فيها سقط، ويتبيّن ذلك من خلال المقارنة مع شرح النووي رحمه الله، وليس ذلك من باب الاختصار، لأنّ ما سقط في الموضع من الضروري، ولذلك اعتبرنا ذلك نوعا من السقط.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ قَوْلُ السنوسي: (ووقع في الأصول: بني الإسلام على خمسة أركان

---

(١) صحيح مسلم، ١/١٢.

(٢) انظر: إكمال المعلم بتحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، ومقدّمة إكمال المعلم بفوائد مسلم، بتحقيق الدكتور حسين شواط.

أو أشياء ونحو ذلك، والثانية بتأويل خمس خصال أو دعائم أو قواعد ونحو ذلك).

وعبارة النووي في شرحه: (وأما ضبط ألفاظ المتن فوقع فى الأصول: بني الإسلام على خمسة، في الطريق الأول والرابع بالهاء فيها وفى الثاني والثالث خمس بلا هاء، وفى بعض الأصول المعتمدة في الرابع بلا هاء وكلاهما صحيح والمراد برواية الهاء خمسة أركان أو أشياء أو نحو ذلك وبرواية حذف الهاء خمس خصال أو دعائم أو قواعد أو نحو ذلك والله أعلم)[١].

فمن خلال المقارنة بين الموضعين يمكن ملاحظة ما سقط من النص عند الإمام السنوسي، والله أعلم.

(١) شرح النووي، ١/ ١٧٨.

الفصل الثالث

استدراكات السنوسي

وتعقّباته ونماذج من اختياراته

إنّ جزءا كبيراً من شخصية الإمام السنوسي رحمه الله تعالى تظهر من خلال مناقشاته للعلماء وردوده عليهم، فهو لم يكن في نقله عنهم حاطبَ ليل، يأخذ كلّ شيء، وإنّما كان ينقل نقلَ مُحقّق مُتثبّت، يستعمل عقلَه ونظرَه في كلّ ذلك، فإذا كان في بعض هذه النقول ما يحتاج إلى مناقشة بادر إلى مناقشته، وتصويب ما يراه صواباً في المسألة، كائنا من كان صاحبُ هذا القول، ولكن بأدب رفيع، وعفّة قلم ولسان، وتواضع جمّ شكّل جزءاً مشرقاً من مناقبه الكثيرة.

ثمّ هناك جملة من الآراء التي اختارها الإمام السنوسي، وهي تؤكّد ما ذكرناه من استقلاليته في التفكير وعدم متابعته لغيره.

وفيما يلي نماذج من تعقّباته للعلماء، ابتداءً بالإمام مسلم، ثمّ القاضي عياض والنووي، ومرورا بالقرطبي وغيره، وانتهاء إلى الأبّي الذي جعل كتابَه حاشيةً على كتابه، ثمّ أمثلة من اختياراته في بعض مسائل الخلاف.

المبحث الأوّل: استدراكات السنوسي وتعقّباته

أوّلا: استدراكه وتعقّبه بعض أقوال الإمام مسلم.

قال: وقد بقي على مسلم رحمه الله تعالى أن يشفع الصلاة بالتسليم عليه r ؛ لأنّ الله أمر بها معه(١).

قلت: وهذا حقّ، فقد ذكر الإمام ابن الصلاح أنّ العلماء كرهوا الاقتصار على الصلاة دون السلام، بل الأولى الجمع بينهما عند ذكره r (٢).

الثاني: تعقّبه للقاضي عياض

١ ـ فمن ذلك تعليقه على قول مسلم: (وأضرابهم) بعد أن ساق كلامَ أهل اللغة في هذا اللفظ وأن أضراب جمعُ ضَرْبٍ، ثمّ قال: (وبهذا تعرف أنّ قول القاضي عياض في لفظ مسلم: إن صوابه: ضربائهم، ليس بشيء)(٣).

قلت: وقد تبع السنوسيُّ في هذا الإمامَ النوويَّ، فقد ذكر ذلك في شرحه على صحيح مسلم.

قلت: الحقّ مع السنوسي في الاعتراض على القاضي عياض في

(١) مكمل إكمال الإكمال، ١/ ٣.

(٢) انظر: علوم الحديث، لابن الصلاح، ص٣٩.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠.

تخطئته الإمام مسلما، لكن معنى ضريب وضرب واحد وهو المثيل والشبيه والنظير، وكلاهما ورد استعماله في العربية، ومن هنا فإنّ وصف السنوسي قول عياض أنّه لا شيء فيه نظر أيضا، والله أعلم.

٢ ـ في قوله r : (نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم ... الخ)، الحديث[١]، ذهب القاضي إلى التفريق بين علم اليقين، وعلم الدليل، وذكر أنّ علم اليقين لا يقبل التشكيك، وعلم الدليل يقبله، وأنّ إبراهيم في سؤاله لم يسأل ليزيل شكّا، ولكنّه سأل ليزداد يقينا، وأنّ إطلاق النبيّ r للفظ الشكّ إنّما من باب التجوّز.

وقد تعقّبه السنوسي فقال: (وفيه نظر؛ فإنّ العلم مطلقًا لا يقبل التشكيك، ضروريًا كان، أو نظريًا، ما دام حاصلاً، وإنما الفرق أن علمَ العيان ونحوَه من الضروريات لما كان سريعَ الحصول بنفس ذكر متعلَّقه، لم يقبل خطراتِ التشكيك؛ لاستلزامه ذكرَ المتعلق المستلزم حضورَ العلم الضروري به، وعلمُ الدليل قد يكون بطيء الحضور عند ذكر متعلقه لا سيما إن كان وجهُ الدليل خفيًا، فمن ثَمَّ

---

(١) صحيح مسلم. الإيمان / باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة(٢١٦)، وكتاب الفضائل / باب: من فضائل إبراهيم الخليل r (٤٣٦٩).

قبل خطراتِ التشكيك حتى تُدفع بتذكره، على أنّ علمَ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم متوالٍ، فلا يقبل خطراتِ شك ولا تشكيك، والله تعالى أعلم)(١).

ثمّ تعجّب الإمام السنوسي كيف أنّ الأبّي لم يتصدّ للردّ على كلام القاضي، ثمّ التمس له عذرا فقال: (ولعله فهمه على وجه لا يَرِدُ عليه ما ذكرنا، وبالجملة فكلام القاضي ذلك في حق الأنبياء فيه وحشة لا تنبغي من مثله، والله تعالى أعلم)(٢).

٣ ـ قال القاضي عياض في قوله ﷺ : (فيُشار إليهم: ألا تردون .. الخ)، الحديث(٣): (هو من مكر الله سبحانه بالكافرين).

قال السنوسي: (عبارة وحشة صدرت من غير تأمّل)(٤)، ثمّ نقل عن الأبّي اعتراضَه على القاضي عياض بقوله: (نسبة المكر إلى الله سبحانه إنّما تجوز في مجاز المقابلة، كقوله تعالى:﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٥٨.

(٣) صحيح مسلم. الإيمان/باب: معرفة طريق الرؤية(١٨٣).

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٤٢.

الله ﴾. [آل عمران: ٥٤])[١].

قلت: ها هنا أمور:

الأوّل: أنّ هذه الجملة غير موجودة عند القاضي عياض في الموضع المذكور، فلا أدري موضعَها من كتابه.

الثاني: أنّ القاضي نفسه يعرف هذه القاعدة وقد نقلها عن الإمام المازري في حديث: (أتسخر بي، وأنت الملك؟)[٢].

الثالث: أنّ هذه اللفظة وردت في غير المقابلة، كقوله تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾. [الأعراف/٩٩].

والذي أعرفه أنّ الذي لا يجوز من ذلك هو اشتقاق الاسم من هذه الصفة، فلا يقال: المكار، أو الماكر، لأنّ أسماء الله توقيفية، فلا يطلق عليه من الأسماء إلاّ ما سمّى به نفسه أو سمّاه به رسوله r ؛ دفعا للوقع في المحذور، والله أعلم، والمسألة موضع خلاف يسير، ليس هذا موضعَ بسطه.

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٤٢.

(٢) انظر: إكمال المعلم، ١/ ٥٥٨.

٤ ـ في قوله r : (قالوا يا ربنا فارقنا الناسَ في الدنيا أفقرَ ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ...).

ذهب القاضي عياض رحمه الله تعالى إلى أنّ هذه الرواية عند مسلم وقع فيها تغيير وتقديم وتأخير، وأنّ رواية البخاري: (قالوا ربنا فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليه اليوم)، وهو أشبه بالصواب، ثمّ بيّن أنّ معناه: فارقناهم في معبوداتهم ولم نصاحبهم، ونحن اليوم أحوج إلى ربنا(١).

قال الأبّي: (وأنت لا يخفى عليك أنّ ما في مسلم أبينُ في معنى المقصود)(٢).

وقد أيّد السنوسي ما ذهب إليه الأبّي، وتعجّب هو كذلك من صنيع القاضي عياض في شرحه لهذه الجملة من الحديث، فقال: (فقولهم يا ربنا فارقنا الناس ابتداء دعاء منهم لربهم الحقيقي وإعراض منهم عن هذه الصورة الظاهرة، لا أنهم قصدوا بذلك خطابها، كيف وهم قد استعاذوا منها، وقولهم فارقنا الناس إلى

(١) انظر: المصدر السابق، ١/ ٥٤٧.
(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٣٤٣.

آخره أي في الدنيا، والمعنى كما أشار إليه الأبي).

ثمّ قال: (ويدخل في هذا المعنى كلُّ مَن هجر وطنَه وقرابتَه لحج أو جهاد أو قراءة علم نافع يقصد به وجه الله تعالى، ورضي بالغربة والفقر ابتغاء رضوان الله تعالى، وكذلك من ترك كلَّ من حادَّ الله تعالى وعصاه من سلطان فما دونه، وغيَّر عليه المنكرَ بما يقدر عليه، ولو بمجرد عدم إظهار البِشْر له، وتَحمَّل المشقةَ في ذلك، وإن كان يوجب ذلك عليه ضيقًا في دنياه ومعاشه، وهذا المعنى ظاهرٌ في هذا الحديث، لا شك في حسنه، والعجبُ من القاضي كيف أنكر ما رواه مسلم مع شدة ظهوره)[١].

٥ ـ ومن ذلك أيضاً أنّ القاضي عياضا رحمه الله تعالى قال: (وليس عذابُ قتلة عيسى ويحيى بن زكرياء عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء كغيرهم من الكفار)[٢].

فقال السنوسي: (وما ذكر عياض من قتل عيسى عليه السلام

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٤٣.

(٢) إكمال المعلم، ١/ ٥٩٧. إكمال الإكمال، ١/ ٣٧٥.

وهم، والصحيح أنّه لم يمت)(١).

قلت: لعلّ مقصودَ القاضي عياض بقتلة عيسى من دبّروا قتله وسعوا في ذلك، فسمّاهم قتلة باعتبار مقصودهم، وإن لم يحصل ذلك، والله أعلم.

٦ ـ قول عائشة للنبيّ ﷺ: (والله لا يخزيك الله).

قال السنوسي: (أي: لا يفضحك، بل يثبتك ويقويك لحمل أعباء النبوة التي خشيت الضعف فيها، وللقاضي هنا كلام غير حسن، مع منافرته لما تقدّم)(٢).

ولما رجعت إلى إكمال المعلم وجدت القاضي قال في هذا الموضع: (ومعنى (يخزيك): يفضحك ويهينك. بل يثبّتك حتى لا ينسب إليك كذب فيما قلته، ولا يسلّط عليك شيطان بتخبطه الذي حذرته)(٣).

قلت: والملاحظ أنّ الإمام السنوسي ـ رحمه الله ـ كان يتوفّر على

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٧٦.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٨٥.

(٣) إكمال المعلم، ١/ ٤٨٥.

حسّ رفيع نحو الأنبياء عليهم السلام، فلم يقبل من القاضي هذا الكلامَ الذي رأى أنّه لا يليق بحقّ الأنبياء عليهم، وإن كان الأمر لا يستحقّ هذا التعنيف من الإمام السنوسي رحمه الله، والله أعلم[١].

٧ ـ في قوله: (ثمّ حمي الوحي بعدُ وتتابع).

قال السنوسي: (وتتابع ـ ويروى: وتواتر ـ أي توالي في النزول على حال كثرته ولم تكن كثرة منقطعة، فهو من الاحتراس، وليس بمعنى واحد كما أشعر به كلامُ بعضهم كعياض)[٢].

الثالث: تعقّبه للنووي

نقل الإمام السنوسي عن النووي تعريفه لمرسل الصحابي وأنّه روايتُه ما لم يدركه[٣]، أو لم يحضره[١]، ثمّ قال النووي: (كقول

---

(١) قال الملالي في المواهب القدسية: (.. وكان .. معظّما لجانب النبوّة غاية، لا يعارضه أحد إلاّ أفحمه). وانظر: نيل الابتهاج، ص٥٦٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٣.

(٣) وذلك بأن كان صغيرا لا يميّز، فلا يصحّ تحمّله، لأنّ من شرط صحّة السماعِ التمييزَ، فإذا لم يكن الولد مميّزا فلا يصحّ سماعه، ولا تحديد لسنّ التمييز عند المحققين من العلماء؛ لأنّه أمر يختلف، ولكنّ الكثير من العلماء جعلوا أقلّه خمس سنين، لحديث محمود بن الربيع: (عقلت من رسول الله r مجّة .....).

عائشة رضي الله عنها: أوّل ما بدئ به رسول الله r من الوحي الرؤيا الصالحة...)، ثمّ بيّن أنّ مذهب الشافعي وجمهور العلماء أنّه يحتجّ به، خلافا لمن ردّ ذلك إلاّ بشرط أن يقول إنّه لا يروي إلاّ عن صحابي[٢].

وقد تعقّب الإمام السنوسي تمثيل النووي بحديث عائشة، فقال: (قلت: وفي جعلهم قولَ عائشة هذا من باب المرسل نظر؛ لاحتمال أن تكون سمعته من قول النبيّ r ، ويترجَّحُ ذلك؛ إذ لا مانعَ منه، فلا يكون مرسَلا كغيره)[٣].

ثمّ اعتذر السنوسي للنووي وغيرِه في ذكر هذا المثال بأنّ مرادهم أنّه في حكم المرسل لمّا لم يتحقّق سماعُها له من النبيّ r ، بناءً على

=

(١) وذلك بأن كان غائبا مسافرا، أو لم يحضر مجلس النبيّ r ؛ ذلك أنّ الصحابة y لم يكونوا جميعا يحضرون مجالس رسول الله r ، وذلك بسبب أشغالهم وأسفارهم وغير ذلك، قال البراء بن عازب t : (ليس كلنا ......).

(٢) شرح النووي، ١/ ٢٩.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٢.

التمسّك بالأقلّ، وأنّ الاتصال لا يثبت إلاّ باليقين وما يقرب منه[١].

الرابع: تعقّبه للقرطبي

نقل الإمام الأبي عن القرطبي في تفسير قول يحيى بن يعمر: (فاكتنفته أنا وصاحبي)، قال: (مشيا معه مشيَ المتأدّب مع من يُعَظِّمّ؛ لأنّهما لو مشيا أمامه منعاه المشيَ، ولو مشيا من جهة واحدة كلّفاه النظرَ إليهما)[٢].

قال السنوسي: (إنّما يتكلّف النظرَ إليهما لو كان يكلّمانه معا، بل الظاهرُ أنّهما اكتنفاه، ولم يكونا من جهة واحدة؛ لئلاّ يفوتَ المتطرّفَ منهما سماعُ صوته لبعده)[٣].

الخامس: تعقّبه لابن الحاجب

ذكر الإمام السنوسي أنّ أهل الأصول اختلفوا في الناسخ قبل تبليغه عليه الصلاة والسلام هل يثبت حكمُه أم لا، وأنّ مختار ابنِ الحاجب وغيرِه ثبوتُه، والنبي r مع جبريل عليه السلام كالأمة مع

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٤٢.

(٢) إكمال الإكمال، ١/٥٢.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٥٢ ـ ٥٣.

النبي r ، ولأن الوجوب إذا ثبت شرعًا لم يُشترط علمُ المكلف به، بل تمكنُه من العلم به).

قال السنوسي، متعقّبا كلام ابن الحاجب: (وفيه نظر بيِّنٌ، فإن الفرض أنَّ الأمر للفور ولا تراخي فيه أصلاً، فلا تمكُّن من العلم ولا من التعلم، وقد يقال إن الأمر للتراخي أو لا يقتضي فورًا ولا تراخيًا وهو مختار ابنِ الحاجب، أو إنما أمره أن يقرأ في المستقبل ما يلقيه إليه بعد إسماعه إياه وفراغِه، ومن هنا يقال: ليس تأخيرُ البيان عن وقت الحاجة الممتنعِ إلا عند مُجوِّز تكليفَ ما لا يطلق، بل إلى وقت الحاجة الجائزِ عند الأكثر، أو لا تأخيرَ فيه أصلاً؛ لاتصال الوقت وقربِه)[١].

السادس: تعقّبه لأبي محمد الجويني

ما نقله عن إمام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني من أنّ المتعمّد للكذب على رسول الله r كافر. قال السنوسي: (وهو بعيد)[٢].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٧٧.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٧.

السابع: تعقّبه للإمام ابن مرزوق الجد.

ذهب الإمام ابن مرزوق الجد (المشهور بالخطيب) إلى أنّ قوله r: (لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه...) الخ، أنّ المراد بأخيه: الإنسانُ، فيتناول الكافرَ والمؤمنَ، لأنّ من الواجباتِ محبّةَ الإيمان لكلّ أحد، كما وجبت محبّةُ ما يستتبعه الإيمان من الطاعات أيضا؛ إذ لا فرق، وإنّما محبّةُ ذلك للمؤمن على سبيل التأكّد والترجيح لتحصيله الإيمان، وأمّا الوجوب ففي حقّ الجميع.

وقد تعقّب الإمام السنوسيُّ رأيَ ابن مرزوق هذا، ورجّح أنّه خاصّ بالمؤمن، ثمّ استدلّ لذلك من وجوه:

الأوّل: أنّ في بعض روايات هذا الحديث وصفَ الأخ بالمسلم[1].

(١) رواه أحمد في مسنده، ٣/٢٥١، أنس عن النبي r، قال: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من الخير). ورواه البزار، من حديث عن أنس كنت جالساً ورجل عند النبي r، فقال رسول الله r: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه). قال أنس: فخرجت أنا والرجل إلى السوق، فإذا سلعة تباع فساومته فقال: بثلاثين، فنظر الرجل، فقال: قد أخذتها بأربعين، فقال صاحبها: ما يحملك على هذا وأنا أعطيكها بأقل من =

الثـاني: أنّ الأخ إذا أطلـق في الـشرع في مثـل هـذا لا يتبـادر إلى الذهن منه إلا أخ الإيمان كيف والله سبحانه إنما أثبت الأخـوة بـين المـؤمنين فقـال تعـالى:{ إِنَّـمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْـوَةٌ}.[الحجـرات: ١٠]، ومفهوم الوصف أنّ غيرَ المؤمنين ليس بأخ، وأما مفهوم الحصر هنا فلا ينفعُنا؛ لأنه إنما يقتـضي قـصرَ المـؤمنين عـلى الإخـوة عـلى سـبيل المبالغة، حتى كأنهم لا وصفَ لهم سواها.

الثالث: أنَّ الحديثَ إنما سيق لتأكيد الـشفقة والرحمـة والتواضـع والنصرة، وكمالِ المؤازرة على كل خير، ومنعِ رؤية الـشفوف، ولهـذا ذَكَرَ لفظَ الأخ المُوجب لذلك كلِّه، وهذه الأوصافُ كلُّها إنما تُطلب في حق المؤمنين؛ إذ هـم الـذين كالبنيـان يَـشدُّ بعـضُهم بعـضًا، وأمـا الكافرون فالمطلوبُ في حقهم ضدُّ ذلك، والتسمية لهـم شرعًـا إنـما

=

هذا؟! ثم نظر أيضاً فقال: قد أخذتها بخمسين. فقال صاحبها: ما يحملك على هذا وأنا أعطيكها بأقل من هذا؟ قـال: إني سـمعت رسـول الله ﷺ، يقـول: (لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وأنـا أرى أنـه صـالح بخمـسين. قـال في مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائـد، ١/ ٥١: (رواه البـزار ورجالـه رجـال الصحيح).

هو بلفظ العداوة ونحوِها، مما هو منافٍ للمقصود بلفظ الأخ في الحديث، وقد قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً }** الآية [المائدة: ٥٧]، فذكر ما يحرك القلوبَ ويُهيِّجُ غضبَها ويحمي حميةَ ذوي التهمة، للمبالغة في عداوة الكافرين، والسعي في إهلاكهم وإذلالهم بقدر الإمكان، وقال تعالى في الثناء على قوم: **{ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ }**. [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء }**. [الممتحنة: ١]، والقرآن والسنة مملوآن بمثل هذا، مما هو كالمنافي لمعنى الأخوة، حتى إن الشرع قطع بين المؤمن وذي نسبه من الكفار ـ وإن كان أقربَ الناس إليه كولده وأبيه ـ بعضَ أحكام النسب من الميراث ونحوه، وأما بغضُنا للكفر وشدةُ حبنا للإيمان؛ فمن أجل ذلك انقطعت الأخوة بيننا وبين الكفار، وكيف تثبت الأخوة والمواصلة بيننا وبين مَن اتخذ مع مولانا شريكًا، وخرق حجابَ الهيبة بعبادة مخلوق دونه لا يملك نفعًا ولا ضرًا، وكذَّب خواصَّه جل وعلا من خلقه، الذين بعثهم رحمة ونعمة لا يُقدر على شكرها، وأفاض بهم أنوارَ المعارف،

وأنواعَ الخيرات دنيا وأخرى، صلوات الله وسلامُه على جميعهم.

وبهذا يظهر أنه لا يُحتاج إلى تقدير وصف المؤمن أو المسلم في الحديث؛ لأن لفظ أخ غلب عُرفًا عليهما(١).

قلت: لكن الذي يعكّر قليلا على الوجه الأول الذي ذكره الإمام السنوسي هو ورود ذكر الجار بدل الأخ في رواية الإمام المسلم، والجار قد يكون مسلماً، وقد يكون كافراً، ممّا يؤيّد قولَ الإمام ابن مرزوق رحمه الله.

ولا شكّ أنّ المؤمن يتّسع قلبُه لحبّ الخير لجميع الناس، خاصّة إذا فُسّر الخيرُ في الحديث بالإيمان والهداية والطاعة، والمؤمن يحبّ الخيرَ للكفار؛ لهذا فهو يؤدّي واجبَه في دعوتهم إلى هذا الدين، حتى يشاركوه هذا الخيرَ الذي أنعم الله به عليه، وما لا يَتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب، فإذا كانت الدعوةُ إلى الله واجبةً، وهي لا تتحقّق في المؤمن إلاّ إذا أحبّ الإيمانَ والهداية والطاعة للكفار، فيصبح هذا الحبّ واجبا، ولعلّ هذا هو المعنى الذي قصده الإمام ابنُ مرزوق

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٤٧ ـ ١٤٨.

الجد رحمه الله، وعلى هذا، فلا تعارض بينه وبين الإمام السنوسي، والله أعلم.

الثامن: تعقّبه لابن مرزوق الحفيد.

١ ـ من ذلك أنّه نقل عن الإمام ابن مرزوق الجد من كتابه شرح أحكام عبدالحق الصغرى أنّ العلماء اختلفوا في (أل) الواردة في حديث: (المسلم من سلم المسلمون ...)، وفي أمثالها: هل تؤذن بالحصر أم لا؟ نحو: الشجاع عليّ، والكريم حاتم، أو لا تفيده هنا، لما سبق ورآه بعضُ المرجئة فقال: إن المسلم إذا لم يؤذِ بالجارحتين حصل له ما يحصل لكامل الإسلام وإن لم يأت بما افترُض عليه، وهو باطل؛ لأنه إن أُعْمِلَ ظاهرُ الحديث كان من لم يؤذ بهما مسلماً وإن لم يوحِّد وهو كفر صُراح.

وفيه أيضًا: قيل إن ظاهره أن الإذاية المحذورة تختص بالمسلم، فلا حجر في إذاية الكافر ذميًا أو غيرَه، ولا في إذاية الحيوان البهيمي.

وقد ردّ ابنُ مرزوق هذا الكلام، ثمّ قال: (الحديث خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، وأيضًا فهو مبني على اعتبار مفهوم الصفة

وفيه خلاف، ولم يعتبره كثير من الأكابر، وقد دلت الأدلة الشرعية على تحريم إذاية الذمي، وعلى المنع من تعذيب الحيوان بغير ما شُرِعَ فيه من النفع، حتى قال الحسن البصري رحمه الله: الأبرار الذين لا يؤذون الذر والنمل[1]، وعنه أيضًا: الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر، ولا تؤذ حيًا فلا يؤذيك حي، فحفظ وصيتَه بعضُهم، فكان يتحاشى قتلَ الهوام، فقتل يومًا عقرباً فضربته أخرى في الحين، وفي الحديث: (قرصت نملة نبيًا فأحرق قريتها فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة فأحرقت أمة تسبح؟)[2].

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود، أنَّ رسول الله r نزل منزلاً فانطلق لحاجة، فجاء وقد أوقد رجل على قرية نمل، إما في شجر وإما في الأرض، فقال رسول الله r : (أطفئها! أطفئها!)[3].

---

(١) أورده ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري، ١/٣٨.

(٢) رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير/ باب(١٥٢)، (حديث ٣٠١٩)، ومسلم. كتاب السلام/ باب النهي عن قتل النمل(٢٢٤١).

(٣) مسند الطيالسي، ص٤٦. ورواه أحمد في مسنده، ٦/٣٠٧. قال شعيب =

وفيه عنه[1]: كنا مع رسول الله r في سفر فدخل رجل غيضة وأخرج بيض حمرة، فجاءت الحمرة تدب على رسول الله r ، فقال: (أيكم فجع هذه؟! فقال رجل: أنا أخذت بيضها. فقال: رُدَّه رُدَّه، رحمةً لها)[2].

ثمّ أردف السنوسيُّ كلامَ ابن مرزوق الجد بكلام حفيده، وأنّه قال في هذا الموضع: (ويُجاب أيضًا عمّا اقتضاه المفهوم بأنه جواب سؤال كما يأتي في الجمع إن شاء الله، ومن شرط العمل بالمفهوم أن لا يكون جوابًا، قال: وترتيب هذا مع أجوبة الجد أن يقال: لا اعتبار لهذا المفهوم؛ لأنه في جواب سؤال مقدر هنا للتصريح به عند مسلم، سلمنا، لكنه خرج مخرج الأغلب، سلمنا، لكنه مفهوم صفة مختلف فيه، سلمنا، لكن عارضته أدلة ظاهرة صريحة أقوى منه، وما ذُكر في الممتنع من قتل الهوام لا بد من تأويله بما لم يُؤذن في قتله، وما لم يجب أو يرغب فيه، وما ذُكر في العقرب لعلها كانت بمكان لا

=

الأرنؤوط: (حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف).

(١) مسند الطيالسي، ص٤٤. ورواه الإمام أحمد في مسنده، ٦/ ٣٨٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٩.

يُظن فيه مضرتُها، وفيه نظر بعد).

وقد تعقّب السنوسي كلامَ الحفيد، فقال: (جوابُه عن اعتبار المفهوم بأنه جواب سؤالٍ غيرُ مسلَّم؛ لأنّ ذلك حيث يقع السؤال عن نفس ما يقتضي المفهوم، كما لو سئل النبي r عن حكم الغنم السائمة مثلاً، فقال: في الغنم السائمة الزكاةُ، فلا يقتضي نفيَها عن غير السائمة؛ لظهور فائدة لذكرها سوى إفادة المفهوم، أما ما اقتضى المفهومَ في الحديث وهو (المسلمون) فاعل سلِم، فلم يقع سؤال عنه، فحكمُه في المفهوم كغيره، وإنما يُجاب بما أجاب به الجد رحمه الله من أنه خرج مخرج الغالب، إذ الأغلب أن سببَ الإذاية المخالطةُ، وغالب من يخالطه المسلمُ المسلمون مثلُه، فنبَّه على التحرز من إذايتهم التي قربت أسبابها.

يُزاد: ولأن كف الأذى عن إخوته المسلمين أولى، فذكر الوصفَ كالباعث على ترك الإذاية، ولأن الكفار بصدد أن يُقاتَلوا، وإن كان فيهم من يجب الكفُّ عنه، ولأنّ الشرع قد طلب في حق أهل الذمة ما هو من جنس الإذاية، من ترك الإعراض عنهم بالسلامة عند

الملاقات[١]، وإلجائهم إلى أضيق الطرقات، ومنعهم من إظهار صورة رفعة بين المسلمين، ويكفي من الإذاية في حقهم أداؤُهم الجزيةَ للمسلمين عن يد وهم صاغرون)[٢].

٢ ـ تحدّث الإمام ابن مرزوق الحفيد عن الحكمة من فتور الوحي مدّة، فقال: (كأنه قيل له: إن كانت الغطات الثلاثة تشق عليك في جنب ما حصل لك من العلم في لحظة حتى رجعت إلى التأنس بأهلك، وقلت زملوني، فقد أرحتك من مشقة الغطات والشدائد التي لا ينفك التعلم عنها عادة بكل غطة سنة، فاختر لنفسك، إما مشقة الغطات مع التعلم، وإما راحة السنين مع الجهل: **{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ}**. [غافر: ٨٥]، **{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}**. [مريم: ١٢]، **{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ}** إلى **{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ}**. [الأعراف: ١٤٥]، وهي إشارة أخرى إلى أن

---

(١) المعنى أنّه قد ورد في الشريعة ما يجيز للمسلم عدمَ إلقاء السلام على الكافر، والمسألة خلافية بين السلف ومن بعدهم، وقد حرّرها الإمام ابن عبدالبر في التمهيد، ١٧/ ٩١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٩.

الصبر على مشقة التعلم في الزمن اليسير وهو زمن العمر القصير مُفضٍ إلى الرَّوح الكثير والنعيم الكبير في دار لا موت فيها ولا تغيير: **{ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}** إلى: **{ لُغُوبٌ }**. [فاطر: ٣٥]).

قال السنوسي: (ما أشار إليه هذا الشيخُ حسنٌ، إن كان المرادُ بقوله r لقد خشيت على نفسي أي الهلاك من عظم الملك وشدته، وإن المختار فيه غيرُ ذلك مما قدمناه، إلا أنه إن فَهم عظم أمر الغط عليه من قوله r زملوني فبَعُدَ ذلك؛ إنما هو لألم بدني لا مدخل للقلب فيه، وقد قاله أيضًا بعد هذا الاشتياق العظيم الذي كاد أن يهلك به نفسَه حتى نزل قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}**. [المدثّر: ١]، وما قدمناه نحن في ذلك هو أنسبُ للمقام، والله أعلم)(١).

التاسع: استدراك السنوسي على الطيبي

ذهب الطيبي إلى أنّ (ثمّ) في قوله r : (ثمّ ينام النومة)، للتراخي في الرتبة، وهي نقيضة (ثمّ) في قوله: (ثمّ علموا القرآن،

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٠٠.

ثمّ علموا من السنة)[١]، كما أن علمَ القرآن والسنة يزيد أصلَ الأمانة في القلوب ويُرْبيها، كذلك ينقص استمرارُ رفع الأمانة وقبضها من أثرها، فإنّ أثر المجل المشبه بالنفاطة التي ليس فيها شيءٌ أبلغُ في الخلق من أثر الوكت[٢].

وقد استدرك السنوسي على الطيبي أنّ هذه الرواية الذي ذكرها لا توجد في مسلم، وإنّما هي رواية المصابيح، أمّا الذي في مسلم: (ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة)، ثمّ قال: (فالعطف بـ(ثمّ) إنما وقع عند مسلم في قوله: ثم نزل القرآن، ووقع العطف بالفاء فيما بعده، لكن الذي يجري في رواية ثم علموا يجري مثله في رواية: ثم نزل)[٣].

العاشر: تعقّبه للسهيلي

(١) هكذا في شرح السنوسي، في حين أنّ نصّ الحديث عند مسلم: (ثمّ نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ...)، وعلى هذا فلا وجه لكلام الطيبي أصلا، والله أعلم.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٥٠.

ذهب السهيليُّ إلى أنّ ورقة بن نوفل ذكر موسى دون عيسى[١] - وإن كان أقرب -؛ لأنّه تنصّر، والنصارى لا تقول: عيسى نبيّ يأتيه جبريل، بل هو عندهم أقنومٌ من الثلاثة، لكنَّ ورقة آمن بمحمد r ورآه في المنام، وعليه ثيابٌ بِيض[٢].

وقد أورد الإمام السنوسي جملة من أقوال المشايخ في الردّ على قول السهيلي هذا[٣].

الحادي عشر: تعقّبه للشيخ محمد بن عرفة.

ذهب الشيخ ابن عرفة بأنّ الفعل في سياق النفي كالنكرة في سياقه، فيعمّ كلَّ إدراك[٤].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (وفيه نظر؛ لأنه إذا كان الإدراك بمعنى

---

(١) وذلك عندما أخبره النبيّ r بما وقع له في غار حراء، فقد قال له: (هذا الناموس الذي أنزل على موسى r).

(٢) انظر: الروض الأنف، ص٤٠٠.

(٣) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٩٢.

(٤) قال هذا بمناسبة استدلال عائشة رضي الله عنها بقوله تعالى: :{ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ }. [الأنعام: ١٠٣] ، على نفي أن يكون رسول الله r قد رأى ربّه حقيقة.

الإحاطة، فلا يعم النفيُ إلا آحاده بذلك المعنى)[١].

الثاني عشر: تعقّبه لبعض الشيوخ دون أن يذكر أسماءهم.

أحيانا يتعقّب الإمام السنوسي بعض الأقوال دون أن يحدّد القائل، بل يكتفي بقوله: قال بعض الشيوخ.

ومن ذلك ما ذكره عن السهيلي من أنّ رسول الله r لما صعد جبل ثبير قال هذا الجبل: اهبط عني يا رسول الله، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذّب بالنار، فقال غار حراء: إليّ يا رسول الله[٢].

قال السنوسي: قال بعض الشيوخ: يعني أنّ هذا كان حين هاجر النبيّ r إلى المدينة، وأنّه الغار الذي كمن فيه حتى تأتّى له السفر.

ثمّ قال: (وفيه نظر؛ لأنّ البخاري قال: غار ثور، وهو المناسب لطريق المدينة)[٣].

قلت: لم أر وجها لاعتراض السنوسي رحمه الله؛ لأنّ غار ثور

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٣٢٨.

(٢) الروض الأنف، ١ /٣٩٨.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٢٧٤.

يقع إلى الجنوب من مكّة المكرّمة، وغار حراء بينها وبين عرفة، أي: إلى الجنوب الشرقي منه، فأين وجهُ الاعتراض، وكلّ منهما غيرُ مناسب لطريق المدينة، ولكنّ النبيّ r تعمّد أن يأخذ طريق الجنوب زيادة في التعمية على قريش، والله أعلم.

الثالث عشر: تعقّبه للمازري.

أورد الإمام السنوسي عبارةً للإمام المازري يدلّ ظاهرها على أنّه يرى أنّ لفظة (التعبّد) الواردة في تفسير قول عائشة(يتحنّث) هي من كلام الإمام مسلم، يعني أنّ الإمام مسلما هو الذي أدرجها من كلامه.

قال السنوسي: (وهو بعيد؛ لأنّ البخاري قبل مسلم، وقد نقلها كذلك)[1].

قلت: استدلال السنوسي ـ رحمه الله ـ غير قويّ؛ لأن مسلماً اشترك مع البخاري في رواية هذا الحديث من الطريق نفسه، والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٧٤.

الرابع عشر: تعقّبه لعزّ الدين بن عبدالسلام.

من القضايا التي دار فيها بين العلماء نقاش واسع إمكانيةُ إزالة التعارض الواقع بين الحديثين:

الحديث الأول: (من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما).

الحديث الثاني: في قصّة الخطيب الذي قال: من يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِهما فقد غوى، فقال له النبيّ r: (بئس خطيبُ القوم أنت! قل: ومن يعص الله ورسوله)(١).

من الإجابات التي ذكرها العلماء في هذه المسألة ما قاله الإمام عزالدين بن عبدالسلام رحمه الله تعالى، فقد أجاب بأنّ منصب الخطيب قابل للزلل، فتثنية الضمير توهم أنّه سوّى بينهما(٢).

وقد تعقّب السنوسيُّ كلامَ عزالدين، فقال: (ويُعترض على جواب عز الدين بأن التوهم، وإن انتفى في حق الرسول r، فلم ينتف في حق السامعين، فكان الرسولُ r أولى بالأفراد؛ لأن لفظَه حجةٌ بخلاف الخطيب، ولأنه يجب الاقتداءُ به r، فكان ينبغي

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/٦١.

(٢) إكمال الإكمال، ١/١٤٢. مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٤٢.

استعمالُ الجمع بينهما في ضمير واحد، اقتداءً به r ، وهذا يكرُّ على الأصل بالإبطال).

ثمّ ذكر السنوسي أنّ الشيخ محمد بن مرزوق (يعني الحفيد) اعترض على جواب آخرَ ذكره شُرّاح الحديث خلاصتُه أنّ كلامه r جملةٌ واحدة، فإيقاعُ الظاهرِ فيها موقعُ المضمَر مرجوحٌ، وكلامُ الخطيب جملتان، وخلاصةُ اعتراض الشيخ محمد بن مرزوق هو أنّه لا فرقَ بين الجملة والجملتين.

ولكنّ السنوسيَّ قال عن اعتراضه: (وفيه نظر؛ فإن مراد المجيب بذلك أن قول الخطيب جملتان كل منهما مستقل، والمقام مقام زيادة البيان، فالإتيان في الجملة الثانية بالضمير يوجب توقفَ فهمه على الجملة الأولى ويحوج إليها، والاعتناء بمعنى تلك الجملة أوجبَ أن تكون على وجه يكون سماعُها بمجردها كافيًا في فهم معناها، ومثله ما قاله علماء المعاني في قوله تعالى:**{ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ }**. [الإسراء: ١٠٥]، و:**{ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ }**. [الإخلاص: ١، ٢]، ولم يقل: وبه نزل، وهو الصمد.

وأما كلامُ الرسول r فهو جملة واحدة يحتاج بعضها إلى بعض،

وإن لم يكن ضميرٌ، فالتعبير بالاسم الظاهر في محل الضمير لا يرفع توقفَ فهم ما هو فيه على ما قبله، فلم يكن للعدول عن مقتضى الظاهر ـ وهو الإتيان بالضمير ـ وجهٌ)(١).

الخامس عشر: اعتراضات السنوسي على الأبي وتعقباته عليه

لما كان شرح السنوسي قائماً على اختصار شرح الأبّي، لذلك كان نصيبه من الاعتراضات والتعقّبات أكثر من غيره، ويظهر من خلال ذلك شخصية الإمام السنوسي واستقلاله برأيه ونظره في المسائل، وفيما يلي عرض لأهمّ هذه الاعتراضات والتعقّبات:

١ ـ أوّل اعتراض للسنوسي على الأبي كان في بداية الكتاب، عندما أكّد على ضرورة قراءة الترجمة وضبطها، فقال: (ثمّ لتعرف أنّ الأَوْلى بالقارئ أن يُصرّح بقراءة الترجمة، فيقول: كتاب كذا، أمّا أوّلا: فلأنّها جزءٌ من ذلك التصنيف، ويَتأكّد ذلك في مريد الرواية، وأمّا ثانيا: فلأنّها تفتقر إلى البيان كغيرها)(٢).

قال السنوسي: (قلت: هذا صحيح في التراجم التي وضعها

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٤٨.

مؤلفُ الكتاب كتراجم البخاري ونحوِه، أمّا مثلُ تراجم كتاب مسلم هذا فقد لا يسلّم فيها ما ذَكر؛ لأنّها ليست من وضع مسلم، حتى يَصدُق عليها أنّها جزء من الكتاب ويطالبَ القارئَ بقراءتها، وإنّما هي من وضع المشايخ، ولهذا تجدُ الاختلافَ فيها كثيرا بحسب اختلاف اختياراتهم، فلا ينهض فيها ما ذكره، والله أعلم)[(١)].

٢ ـ تكلّم الأبي على السبب الدافع للإمام مسلم على البدء ـ بعد المقدّمة ـ بكتاب الإيمان، وقال في الأخير: (وأنسبُ ما تُوجَّهُ به بدايةُ مسلم بكتاب الإيمان أن يقال: رأى الإيمانَ شرطاً في التكليف، والأصلُ تقديمُ الشرط. فإن قلتَ: لا يَصدق أنّه ابتدأ بكتاب الإيمان؛ لأنّه كتب قبلَه عدّةَ أوراق. قلتُ: المعتبَر في البداية إنّما هو بالنسبة إلى ما قصد الواضعُ فيه، والمقصودُ له بالذات إنّما هو كتابُ الإيمان فما بعده، والكلامُ في تلك الأوراق إنّما هو بالعرض)[(٢)].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (رحم الله الشيخَ الأبيَّ ونفع به! لقد كان حقُّه أن يَعتني بشرح المقدّمة التي احتوت على علومٍ ومشكلِ أسماءٍ

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٤٩ ـ ٥٠.

ولغاتٍ تحتاج إلى شرح وضبط، أكثرَ من اعتنائه بشرح التراجم؛ لأنّها ليست من وضع مسلم، ولأنّها غنيَّةٌ عن الشرح غالباً، فتكميلُ الفائدة بشرح المقدّمة كان أولى، والله أعلم)(١).

قلت: صدق الإمام السنوسي رحمه الله، فقد أودع الإمام مسلم في هذه المقدّمة علوما وقواعدَ ومعارفَ لا غنى لطالب العلم عنها، إضافةً إلى ما فيها من لطائفَ إسنادية ومعلوماتٍ عن أحوال جملة من الرواة.

٣ـ قال الأبي: (فبالبصرة على الأول في موضع الحال من معبد، وهو على الثاني بدل من القدر)(٢).

قال السنوسي: (قلت: بل الظاهر أنّه على الثاني متعلّق بقال، لا على معنى البدلية، والباءُ ظرفية، والتقدير: أوّلُ من قال في البصرة بالقدر معبدٌ، ويصحّ أن يكون حالاً من القدر، أو وصفاً له؛ لأنّ (أل) في القدر جنسية، وأمّا البدلية فأبعدُ ما يكون، وغايةُ ما يُحاوَل في توجيهها أن يُقدَّر هناك مضافٌ قبل البصرة، أي: بقدر البصرة،

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤٩.
(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٥١.

أي المنشأ فيها، أي ليس هو أوّلَ من قال بالقدر بإطلاق، بل أوّلُ من قال بالقدر الذي هو قدر البصرة، وفيه مع هذا تعقّبٌ، والله تعالى أعلم)[١].

قلت: هذه الدقائقُ التي يغوص فيها الإمام السنوسي والتفاصيلُ التي يذكرها تدلّ دلالة واضحة على علوّ كعبه في علوم اللغة وتمكّنِه من ناصيتها، وهو أمر نشاهده في جميع صفحات هذا الشرح المبارك.

٤ ـ ذهب الأبيُّ إلى جواز المذاكرة في الطريق ـ استدلالاً بالخبر المذكور[٢] ـ، ثمّ أشار إلى أنّ ما ورد أنّ قاضي المدينة سأل مالكا عن حديث وهو ماشٍ، فأمر به إلى السجن، فقيل: إنّه القاضي! فقال: (القاضي أحقُّ أن يُؤدَّب)، أنّه خبر غيرُ ثابت[٣].

ولكنّ الإمام السنوسي قال: (قلت: وإن ثبت، فلا ينافي مقتضى

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٢.

(٢) المراد بذلك سؤال يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن لابن عمر، خارج المسجد.

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ٥٣. والخبر أورده القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ١/ ٤٨.

ما ذكر؛ إذ لعلّه إنّما أدّبه لكون الطريق الذي سأله فيه لا يليقُ أن يُذكَر فيه الحديثُ لقذَر ونحوِه، أو لكونه قد أعدَّ وقتا ومجلساً مخصوصين للحديث، فسؤالُه عن الحديث في غيرهما يدلّ على عدم الاهتبال بشأنه)(١).

قلت: قد أحسن الإمامُ الأبيُّ في حكمه بعدم ثبوت هذا الخبر، فهل كان مالك حاكماً على المدينة حتى يملك أن يعاقب قاضيَها !؟

ثمّ هل يستحقّ هذا الفعلُ أصلاً أن يُعاقب عليه صاحبُه بالسجن؟!

أما المعنى الذي قرره الإمام السنوسي فهو صحيح، فلا شك أنه من الأدب أن يُحترم حديثُ رسول الله ﷺ ويُنزّه عما لا يليق به، والله أعلم.

٥ ــ قال الأبي: (.. فاللغات خمس، روي الحديث منها بالأولين)(٢).

قال السنوسي: (قلتُ: قوله: رُوي الحديثُ منها بالأولين، مع

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٥٣.

(٢) إكمال الإكمال، ١/٥٤.

تصريح عياض بأنّه رُوي بغيرهما ظاهرُ الوهم.

فإن قلتَ: لعلّ اللفظَ: رَوى، بفتح الراء على الإسناد للفاعل، والضميرُ يعود على عياض، فيكون عياض إنّما روى الحديث عن شيوخه بالأولين، وباقي الروايات لغيره.

قلتُ: قد صرّح عياض بأنّه رواه بالثلاث الأُوَل، وما رجّح به: يتفقرون ـ بتقديم الفاء ـ موجود أيضا في رواية: يتقعّرون ـ بالقاف والعين)[1].

٦ ـ قال الأبّي متعقّبا كلامَ النووي رحمه الله: (ولو استدلّ على كفرهم بكونه جعل الإيمانَ بالقدر جزءاً من الإيمان لكان أبينَ؛ لأنّ الشيءَ ينتفي بانتفاء جُزئه ..)[2].

قال السنوسي متعقّبا: (قلت: وفيه نظر؛ لأنّ الآية تقتضي حصرَ مانع القبول في الكفر، فينتفي أن يكون ما دونه من المعاصي مانعاً من القَبول، وإلاّ بطُل الحصرُ، فقولُه إنّ الآية من الأوّل وهْم، وإنّما الأولى في الجواب أن يقال: إنّ الآية لم تقتصر على حصر المانع في

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٤.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٥٩.

الكفر فقط، بل جعلت من المانع ما دونه، كإتيان الصلاة بكسل، والإنفاق بغير نيّة، وحينئذ يؤخذ من الآية أنّ المعاصي التي هي دون الكفر تمنع من القَبول، لا يقال تلك المعاصي إنّما منعت لانضمامها إلى الكفر، فلا يلزم أن تُمنع مُفردة عنه؛ لأنّا نقول الظاهر أنّها موانع.

وقد يجاب على تقدير أنّ الآية دلّت على انحصار مانع القبول في الكفر، أن يقال إنّما ذلك باعتبار قوم مخصوصين، فلا يقتضي انحصارَه في ذلك باعتبار غيرهم، وهو ضعيف إذ هو مانع واحد مستقلّ، لا مانع مركّب، إذ الكفر وحده مانع من القبول لا يتوقّف على انضمام غيره إليه، والله تعالى أعلم)[١].

٧ ـ في حديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)، قال الأبّي: (هو من خطاب(صنعة) التهييج، أي من صفة المؤمن، لا أنّه شرط حقيقة)[٢].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (ما ذكَره ظاهرٌ إن قلنا بخطاب الكفار بالفروع، وأمّا إن قلنا بعدم الخطاب بها، فقد يقال إنّه شرط على

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ١٥١.

الحقيقة، بناء على أنّ المراد بالخير المأمور بقوله: ما زاد على كلمتي الإيمان، وبالشرّ المأمور بالصمت عنه: ما زاد على كلمات الكفر، وأمّا إن أريد ما هو أعمّ، فلا يكون حينئذ شرطاً على الحقيقة)[١].

٨ ـ ذهب الإمام الأبّي إلى أنّ السبب الذي جعل جبريلَ ينادي رسولَ الله r باسمه (يا محمد!) أنّ جبريل جاء معلِّما ولم يأت متعلّما، ولذلك كان له على رسول الله r دالّة[٢] الشيخِ المعلِّم[٣].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (إنّما تصحّ الدالّة لو كان خاليا معه، أمّا مع حضور الناس فلا يصحّ أن يخاطبه إلاّ بما يَسوغ لهم أن يخاطبوه به، لا سيما وقد جاء في هذه القصّة (ليعلّمهم دينهم)، فكيف يصحّ أن يصدر منه ما ينافي ذلك، فالأصحّ في الاعتذار ما سبق[٤]، أو يقال: كان هذا قبل منعِ ندائه r بمثل ذلك، قبل نزول قوله تعالى: ﴿

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥١.

(٢) الدّالّة: ما تدلّ به على حميمك، والدالة: ممّن يدلّ على من له عنده منزلة، شبه جراءة منه.

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ٦٠، ٦١.

(٤) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦١.

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾، الآية. [النور: ٦٣])[١].

٩ ـ ذهب الإمام الأبّي إلى أنّه يُستفاد من قوله: (وذكر له رسول الله **r** الزكاة ..) صحّةُ نقل الحديث بالمعنى؛ لأنّه لمّا نسي عينَ اللفظ قال: وذكر له رسول الله **r** الزكاة، كما يقول بعضُ الرواة: أو كما قال[٢].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (قلت: وفيه نظر؛ لأنّ من قال: ذكر فلان كذا، واقتصر، لا يَصدق عليه أنّه نقل كلامَه، لا لفظا، ولا معنى، والله أعلم)[٣].

١٠ ـ ذهب الأبي ـ تبعا للقاضي عياض ـ إلى قول غريب يقتضي أنّ الجهاد لم يُشرع إلاّ بعد فتح مكّة، وهو خلاف المشهور والمعروف.

وهذه نصُّ كلام القاضي عياض في إكمال المعلم: (والجهاد بعدُ لم يكن فُرِض، لأنّ فرضَه العام نزل في سورة براءة، سنة ثمان بعد

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٦١.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٧٩.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٧٩.

الفتح، بل نبّههم على أداء خُمس ما يأخذونه منهم)[١].

وقد تابعه الأبّي على ذلك، فأخذ كلامَه في موضعين، مُستدلاّ به على موضع الشاهد، وممّا قاله: (.. لأنّ الجهاد لم يكن حينئذ فُرِضَ .. ولم يَقصد عدَّ الجهاد؛ لأنّه لم يكن حينئذ فُرِضَ..)[٢].

وقد تعقّب الإمام السنوسيُّ الأبيَّ في ذلك، فقال: (قلت: انظر قولَه: لأنّ الجهاد لم يكن حينئذ فُرِضَ، مع أنّ قدوم وفد عبدالقيس على ما ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى كان عام ثمانية، وفرضُ الجهاد كان بأثر الهجرة، وتعيّنُ الخمس كان في غزوة بدر، ولعلّه وهْمٌ منه رحمه الله تعالى، ووقع للقاضي فيما يأتي مثلُ هذا الوهم، والله أعلم بمراد الجميع)[٣].

---

(١) إكمال المعلم، ١/٢٢٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/٩٠، ٩٣.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٩٠.

وانظر إلى هذا التذييل اللطيف التي ختم به السنوسي كلامه، والذي يدلّ على ورعه واحترامه للعلماء وتقديره لهم، والتماس الأعذار لهم، فلعلّهم يقصدون معنى غير الذي ظهر من كلامهم.

قلت: وربّما يكون هذا صحيحا بالنسبة للقاضي عياض، فإنّ المتأمّل في عبارته =

ولّما تعقّب الأبي كلاماً للقاضي عياض، بأنّه يوجب أن يكون أداءُ الخمس ركنا، وهو نصّ في أنّ الجهاد حينئذ لم يكن فُرِضَ، ساق الإمامُ السنوسي كلامَ الأبيّ هذا، ثمّ تعقّبه بقوله: (قلت: كونُ أداء الخمس ركنا لا ينافي أن يكون الجهاد غيرَ مفترض[١] حينئذ؛ لاحتمال أن يكون الجهاد غيرَ فرْض، لكن إذا وقع وأخذ به المسلمون مالا للكفار لزم تخميسُه، كما لو وقع اليوم جهادٌ غيرُ واجب، اللهمّ إلاّ أن يثبت أنّ حكمَ التخميس لم يُشرع إلاّ بعد أن فُرض الجهاد، فيصحّ ما ذُكر)[٢].

١١ ـ استدلّ القاضي عياض رحمه الله بقول أبي هريرة t : (حتى ملأ القوم أزودتهم) على أنّ تكثير القليل من أعلام نبوّته r

---

=

يلاحظ أنّه قال: (.. لأنّ فرضه العام)، فلعلّه يقصد أنّ الجهاد مرّ بأكثر من مرحلة، كانت الأولى منها بعد الهجرة، ثمّ تكاملت أحكامه بعد فتح مكّة، وأصبح فرضاً عامّا على كلّ مسلم، والله أعلم.

أمّا بالنسبة للأبي فقد نقل كلام القاضي واختصر بعض ألفاظه، فأصبح كلامه أبعدَ عن التأويل، والله أعلم.

(١) هكذا! ولعلّ الصواب: مفترضا، بحذف (غير)، والله أعلم.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩٤.

المتواترة[١]، ثمّ قال: (وقد استوفينا أحاديثه في الشفا[٢]. وأيضا فإنّ خبر الصحابي بحضرة ملئهم، عن واقع شاهده الجميع ولم ينكروه، مع أنّهم لا يقرّون على منكر، يتنزّل منزلة التواتر؛ لأنّ سكوتهم كالنطق)[٣].

فتعقّبه الأبّي في موضعين، قال في الأول: (إلاّ أنّ الفرق بينه وبين المتواتر أنّ التواتر يفيد العلم بنفسه، والخبر المذكور يفيده بالعادة)[٤].

وقال في الثاني: (ثمّ الأظهر في التكثير أنّه إنّما وقع في النوع المقتات غالبا، وكان الشيخ[٥] يختار أنّ التكثير وقع في الجميع، ولا يظهر؛ لأنّ غير المقتات كالنوى إنّما يحتاج إليه عند الضرورة، وقد

---

(١) انظر: إكمال المعلم، ١/ ٢٥٧.

(٢) انظر: الشفا بحقوق المصطفى للقاضي عياض، ١/ ٢٩١ - ٢٩٧.

(٣) هذا مختصر كلام القاضي عياض الذي ذكره الأبّي. وانظر نصّ كلام القاضي في إكمال المعلم، ١/ ٢٥٧.

(٤) إكمال الإكمال، ١/ ١١٥.

(٥) يعني شيخه ابن عرفة رحمه الله تعالى، وقد تقدمت ترجمته.

ارتفعت)[١].

وقد تعقّب السنوسيُّ الأبّيَّ في الموضعين أيضا، فقال في الأول: (وفيه نظر، بل كلاهما عادي، إلاّ أنّ الأوّلَ يفيده بغير واسطة استدلال، والثاني بواسطة الاستدلال بالقرائن، فإن أراد الأبّيُّ هذا المعنى فحسن، إلاّ أنّ لفظه لا ينبئ عنه)[٢].

وقال في الثاني: (قوله: إنّما يُحتاج إليه عند الضرورة، كأنّه قصَرَ الحاجة في النوى على مصّه عند الضرورة، وكأنّه لا فائدة له إلاّ ذلك، وقد تكون الفائدة فيه هنا التكثير من الخارق وعلامة النبوّة، أو إعدادهم لعلف رواحلهم، وقول مجاهد: وذو النوى بنواه يدلّ على أنّ التكثير وقع في الجميع كما ذكر عن الشيخ ابن عرفة، وقد يحتمل أنّ فائدة إحضار النوى أنّه صار بدعوته r تمرا كغيره.

والفرق بين هذا الاحتمال والاحتمال الذي اختاره الأبّي ظاهر، وهو أقربُ من احتماله من حيث إنّه ظهرت به الفائدةُ لإحضار ذي النوى نواه، بخلاف احتماله، ولا ينافي هذا الاحتمالَ قولُه في

(١) إكمال الإكمال، ١/ ١١٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٥.

الحديث: وما كانوا يصنعون بالنواة، قال: يمصّونه ويشربون عليه الماء؛ لأنّ المراد بقوله: يمصونه حكايةُ ما مضى من فعلهم)[١].

١٢ ـ ذهب الأبّي رحمه الله إلى أنّ قوله r لعمر: (نعم) هو من النسخ قبل الفعل؛ لأنّ إذنه الأوّل إباحة، والإباحة حكم شرعي، فرفعُها نسخٌ[٢].

فتعقّبه السنوسي رحمه الله بقوله: (وفيه نظر؛ لأنّ الإباحة أوّلا إنّما كانت للضرورة، وقد ارتفعت بما ظهر من البركة، وارتفاعُ الحكمِ لارتفاع سببه ليس بنسخ)[٣].

١٣ ــ ذهب الإمام الأبّي رحمه الله إلى أنّه لا يشترط في داخل الإسلام النطقُ بلفظة أشهد، ولا التعبيرُ بالنفي والإثبات، فلو قال: الله واحد، ومحمد رسول الله كفى[٤].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (في قوله: لا يشترط في داخل الإسلام

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٦.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ١١٧.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٧.

(٤) إكمال الإكمال، ١/ ١١٧.

التعبير بالنفي والإثبات نظر؛ لأنّ المحلّ محلُّ تعبّد، فلا يُعدل عمّا نصّ عليه الشرع، حتى قال بعض العلماء: من قدّم وأخّر في كلمتي الشهادة، فقال ـ مثلا ـ: محمد رسول الله، لا إله إلاّ الله لم يقبل منه، وما قاله هو الظاهر لما سبق، وإن كان للشافعية في ذلك خلافٌ)(١).

١٤ ـ ذهب الإمام الأبّي إلى أنّ تفسير جبريل للإحسان بما ذكر هو من تفسير الشيء بسببه.

فتعقّبه السنوسي بقول: (قوله: هو من تفسير الشيء بسببه ينافي قوله: هو سؤال عن الحقيقة ليعلمها الحاضرون).

ثمّ أضاف جوابا آخر فقال: (وقد يجاب بأن جوابه ﷺ جاء على طريق الأسلوب الحكيم، فتلقى السؤال بغير ما اقتضى سؤاله من بيان الحقيقة تنبيهًا على أن حقيقة الإحسان من باب المشكك ومراتبه واضحة لكن الشأن بيان ما يحمل عليه الاتصاف بأعلاها أو أدناها.

فإن قلتَ: كان ينبغي على هذا أن لا يسأل جبريل عليه السلام

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٧.

عن الحقيقة بل عن سبب تحصيلها. قلتُ: يحتمل أنه سأل عنها ليظهر بالعدول في الجواب عنها إلى بيان سببها الاعتناءُ بمعرفة السبب، ألا تراه كيف قال: أخبرني ما الساعة، أي ما الساعة المخصوصة التي تنقرض فيها الدنيا مع معرفته بأنه لا يعلم وقتَها على التعيين إلا الله تعالى، ولهذا قال له النبي r : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ثم بين له أشراطها، ولو سأل جبريل عليه السلام عن أشراطها من أول مرة لفاتت هذه الفائدة، وهو أنه لا يجليها لوقتها إلا الله تعالى)[١].

١٥ ـ اعترض الأبّي على القاضي عياض في جعله الإحسان قسما ثالثا، فقال: (في جعل الإحسان قسما ثالثا نظر؛ لأنّه فسّره بالإخلاص، والإخلاص شرط العمل أو صفته، وشرط الشيء وصفته ليسا بقسمين له، ولاشتمال الأقسام الثلاثة على ما ذكر قصر السؤال عليها)[٢].

فقال السنوسي: (وفي نظره نظر؛ لأن الضمير في قول القاضي

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٦٨ ـ ٦٩.

عياض وأقسامه الثلاثة يعود على الحديث لا على العمل. سلمنا عوده على العمل، لكن المراد مطلق العمل المطلوب من المكلف، ولا شك أن الإحسان أحدُ أقسامه وإنما يمتنع جعل شرط الشيء أو صفته قسمًا منه حيث يؤخذ الشرط أو الصفة بالإضافة إلى ذلك الشيء الذي هو شرط أو صفة له، فأما إذا أخذ باعتبار أنه من أعمال المكلف فلا)[١].

١٦ ـ ذهب الإمام الأبّي إلى أنّ قول النبيّ r لجبريل: (ما المسؤول عنها بأعلم السائل)، أنّ الأصل أن يقول له: لا علم لي ولا لك ولا لأحد بها، ولكنّه عدل عن ذلك إلى الجواب المذكور؛ ليعمّ كلّ سائل ومسؤول[٢].

قال السنوسي: (لو قال: عدل إلى المذكور فإذا فرض استواؤهما في علم شيء لم يكن لسؤال أحدهما الآخر عنه فائدة لكان حسنا[٣].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٦٩.

(٣) ربّما يمكن أن يقال: إنّ ما ذكره السنوسي هو نكتة أخرى غير التي ذكر الأبّي، وعندئذ فلا تزاحم ولا تعارض بينهما.

وأما قوله: ليعم كل سائل ومسئول، فهذه الفائدة في الأصل المعدول عنه مع زيادته لشموله السائل والمسئول وغيرهما.

وقد تكون الفائدةُ في العدول إلى المذكور التنبيهَ على أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عمّا لا يعلمُ أن يصرح بعدم علمه من غير تلعثم، ويكون المراد على هذا بالمسئول نفسه r ، وفيه على هذا مبالغة في التواضع حيث يقول[١] ما المسئول عنها بأعلم من السائل فيها، بل أطلق لئلا يقتضي التقييد بالظرف بحسب مفهومه أنه أعلم منه في غير هذا فكره أن يشافه السائل بمثل هذا، لما جبل عليه من كريم الخلق r ، لا سيما مع ما لاح من كون هذا السائل ليس على صفة من جهل، والله تعالى أعلم)[٢].

١٧ ـ في حديث أركان الإسلام، أورد الإمام مسلم حديث ابن عمر: (بني الإسلام على خمس: على أن يوحّد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان والحج)، فقال رجل: الحج وصيام رمضان، قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول

(١) الصواب أن يقال: حيث لم يقل .... الخ.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٧٠.

الله r .

علّل القاضي فعل ابن عمر في هذا الترتيب، بأنّه راعى التاريخ في النزول، فجاء بالفرائض على نسقها، لأنّ فرض الحج متأخّر[١].

وذهب النووي إلى جوابين آخرين، فقال: (أو لأنّه فهم أنّ الرجل أنكر أن يكون الحديث روي بتقديم رمضان، فقال: لا تنكر! كذا سمعته من رسول الله r ، وليس في هذا نفي لسماعه على الوجه الآخر. ويحتمل أن ابن عمر سمعه بالوجهين في مرّتين كما ذكرنا، ثمّ لما ورد عليه الرجل نسي الوجه الذي ردّه، فأنكره)[٢].

ذهب الأبّي إلى ردّ رأي القاضي عياض المذكور، فقال: (ولا يصحّ أيضا التوجيه بأنّه راعى التاريخ في النزول؛ فإنّه إنّما علّل بالسماع من رسول الله r ، فلا تلغى العلّة المنصوصة، وتعتبر المستنبطة، وفرض الصوم نزل سنة اثنتين، وفرض الحج سنة تسع على الصحيح، وقيل: سنة خمس)[٣].

(١) إكمال المعلم، ١/ ٢٢٦.
(٢) شرح النووي، ١/ ١٧٨.
(٣) إكمال الإكمال، ١/ ٨٦.

فتعقّبه الإمام السنوسي بأنّ الجواب الذي اختاره هو عين الجواب الأول للنووي، وأمّا ردُّه لجواب القاضي عياض ففيه نظر، قال: (فإنّ القاضي عياضا رحمه الله تعالى إنما أجاب به تفريعا على أن يكون رأى ابنُ عمر رضي الله عنهما جوازَ نقل الحديث بالمعنى، فلا يصلح عليه إنكار المرادف بمجرد سماع مرادفه، بل لا بد من زيادة معنى توجب التزام ما سمع، وهو الذي قصده القاضي عياض، والله تعالى أعلم)[(١)].

١٨ ـ نقل الإمام الأبّي عن الإمام القرطبي أنّ حديث معاذ احتج به من قال: أوّل الواجبات الإقرار، قال الأبّي: (ولا يصحّ؛ لأنّ هذا الدعاء هو الذي يقدّم بين يدي القتال، وقد اختلف في وجوب تقديمه، والحديث دليل عليه)[(٢)].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (أنه قصد تقرير جواب القرطبي والأظهر في التعبير عن مقصده أن تقدم الإقرار إنما هو شرط بالنسبة إلى ما يتناوله الحكم؛ لأنه مظنة حصول مدلوله بالقلب

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٩٨.

وهو التصديق التابع للمعرفة؛ لأن الحكام إنما يتعلقون بالظواهر والمظنات التي يطلعون عليها، وأما كونُ النظر ونحوه مما يحصل المعرفةَ أولَ الواجبات فذلك باعتبار النظر إلى الواجب في نفسه وفيما بين العبد وبين ربه قاتله أحد أو لم يقاتله)[1].

١٩ ـ ذكر القاضي عياض أنّ قوله r : (فإن هم أطاعوك)، يَحتجّ به مَن راعى عدمَ خطاب الكفار بالفروع؛ لأنّه لم يخاطبهم بها إلاّ بعد الإيمان، ويجيب الآخر بأنّه إنّما قدّم الإيمان؛ لأنّه آكد، كما قدّم الصلاة على الزكاة[2].

وقد ضعّف الإمام الأبّي ما قاله القاضي عياض، فقال: (تقديم الإيمان جيء به على صورة تقديم الشرط، وتقديم الصلاة إنّما هو تقديم نسق، فليس التقديمان سواء، وعلى أنّه شرط أداء فيكون معنى افترض: طالبهم بالامتثال)[3].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٩٩. وانظر نصّ كلام القاضي عياض في إكمال المعلم، ١/ ٢٣٩.

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ٩٩.

فقال السنوسي متعقّبا لهذا الكلام: (قصد ـ يعني الأبّي ـ بأول كلامه تضعيفَ الجواب الذي ذكر عياض، ولا يخفى وهمه؛ لأن مراد المجيب بتقديم الصلاة على الزكاة إنما هو في هذا الحديث نفسه أعني حديث معاذ لا في موضع آخر، كحديث جبريل، ونحوُه قولُه تعالى:{ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** }. [البقرة: ٤٣]، ولا شك أن صورة تقديم الصلاة على الزكاة في حديث معاذ مساوية لصورة تقديم الإيمان على ما ذكر معه.

وأما تأويله (افترض) تفريعًا على أن الإيمانَ شرطُ أداء فطالبهم بالامتثال فلا يخفى أيضًا ضعفه؛ لأن المؤخر عن الإيمان الإعلامُ بالافتراض لا وجودُه، فلا ينافي أن يكون متقدمًا على حصول الإيمان منهم، وهو ظاهر)(١).

٢٠ ـ ذكر الأبّي رحمه الله تعالى أنّ الفرق بين النصيحة والمنكر أنّ شرطَ لزوم النصيحة أمنُ الناصح على نفسه وعلمُه أنّه يقبل منه، بخلاف المنكر فلا يشترط ذلك في تغييره(٢).

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩٩.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ١٦٣.

فتعقّبه السنوسي بقوله: (أما الأمن على النفس فشرط فيهما، وأما العلم بالقبول فلعل الفرق بين اشتراطه في النصيحة دون تغيير المنكر تحقق التلبس بالمفسدة في المنكر فلا يسع السكوت عن تغييره باحتمال عدم القبول المحتمل للصدق والكذب، بخلاف النصيحة فإن المفسدة لم يقطع فيها بالوقوع فكانت أخف، والله تعالى أعلم)(١).

٢١ ـ في قوله r : (إنّ الله جميل يحبّ الجمال)، ذكر القاضي عياض اختلاف العلماء هل يسمّى سبحانه بما ورد من طريق الآحاد، وذكر أنّ حجّة المانعين أنّ التسمية ترجع إلى اعتقاد ما يجب له وما يستحيل عليه، ويجوز في حقّه، والمطلوب في ذلك القطع، وحجّة المجيزين أنّ الدعاء بالاسم والذكر به عمل، والعمل يكفي في طريقه الظنّ، ثمّ رجّح القاضي عياض الرأيَ الثاني، وزاد له دليلا آخر وهو قولُه تعالى:﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾. [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٦٣.

أمّا الأبّي فقد رجّح رأيَ المانعين، واحتجّ بأنّ الذكر بالاسم والدعاء به فرعُ اعتقاد معناه، والمطلوب فيه القطعُ.

فتعقّبه السنوسي مصوّبا رأي القاضي ومن معه، فقال: (وقد يقال: العقل يستقل في الاعتقاد، فلم يبق إلا العمل، فالصواب الجواز)(١).

٢٢ ـ تعقّب الأبّي فيما نقله عن القاضي عياض، فقال: (العلة عند القاضي مركبة من كونها غموسًا مع ما فيها من تغيير حكم الشرع إلى آخره لا أن كونها غموسًا مستقل بهذا الوعيد، والله تعالى أعلم)(٢).

٢٣ ـ علّل الأبّي قوله r : (ويفيض المال .. الخ)، الحديث، إمّا لأنّ الأرض حينئذ تلقي أفلاذ كبدها، أو لضربه الجزية على الجميع، أو لنزول البركة ورفع الظلم بعدل الإمام، أو لقلّة الرغبة فيه؛ لقصر الآمال؛ لعلم الناس أنّ الساعة اقتربت؛ لأنّ نزوله من

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٤١.

أشراطها[١].

ثمّ نقل الأبّي عن الشيخ محمد بن عرفة أنّه كان يقول: (إذا أفضت الحال في المال إلى أن لا يقبله أحد لا تسقط الزكاة)[٢].

ثمّ قال الأبّي: (وعلى ما تقدّم للنواوي من نسخ الجزية حينئذ لا يبعد أن تكون الزكاة كذلك، وهو في الزكاة أبين؛ لأنّها إنّما شرعت لإرفاق الضعفاء. فإن قلتَ: إنّما سقط قبول الجزية لنسخها بما تقدّم. قلت: وهذه أيضا كذلك؛ لقوله: (لتتركنّ القلاص فلا يسعى عليها أحد)[٣].

وقد تعقّب السنوسي ما قرّره الأبّي فقال: (كأنَّ الأبي تأول معناه على ما قال صاحبُ المطالع فيه، وذلك التأويل عند النواوي باطل[٤] ولو سلم لم يكن فيه دليل على إسقاط الزكاة، بل إنما يدل

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٦.

(٣) إكمال الإكمال، ١/ ١٦٧.

(٤) في شرح النووي، ٢/ ١٩٢: (وقال القاضي عياض وصاحب المطالع رحمهما الله: معنى لا يسعى عليها أي: لا تطلب زكاتها؛ اذ لا يوجد من يقبلها، وهذا تأويل باطل من وجوه كثيرة تفهم من هذا الحديث وغيره، بل الصواب ما =

على عدم بعث السعاة إليها، أو كونها لا يطلبها أحد من الناس، وذلك لا يسقط الوجوب، كيف والشيخ ابن عرفة رأى الوجوب فيما هو أخص من هذا وهو كون الزكاة لا يقبلها أحد فاعتراض الأبي عليه بذلك اعتراض بارد من المصادرة على المطلوب.

فإن قلت: لا يظهر لوجوب الزكاة أثر إذ كان لا يقبلها أحد. قلتُ: يظهر أثره في تمييز نصيب الزكاة من المال عند الحول وحفظه كالوديعة، إلى أن يأتي له مستحق، أو يرث الله الأرض ومن عليها)(1).

٢٤ ـ حديث أنّ رسول الله r مرّ بوادي الأزرق، فقال: أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق ...الخ، الحديث. أورد الإمام الأبّي إشكالا في التفريق بين جواب الصحابة لرسول الله r هنا، والعادة أنّهم يقولون: الله ورسوله أعلم، ثمّ أجاب بأنّ ذلك في الأمور العلمية، وهذا خبر عن محسوس.

=

قدمناه).

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٧.

ثمّ أورد اعتراضا آخر على كلامه، وهو أنّ رسول الله r سألهم في حديث آخر: (أي بلد هذا؟ .. أيّ شهر هذا)، وكان جوابهم: البلد الحرام والشهر الحرام، وهذا أمر محسوس، فبقي الإشكال.

فقال الأبيّ: (ذلك استجلاب لما عسى أن يخبرهم بما لا يعلمون)(١).

ولكنّ الإمام السنوسي تعقّبه في هذا، بأنّه جواب بما هو مشترك بين المحلين فيحتاج إلى الفرق، ثمّ قال: (وقد يفرق بأن السؤال في حديث (أي بلد هذا) سؤال عن واضح لكل أحد فتحقق السامعون أن المقصود منه شيء آخر مما جهلوه فحسن جوابهم بما يقتضي الأدب ويستمطر الفائدة وهو قولهم الله ورسوله أعلم.

وأما وادي الأزرق فلم يتحققوا علمه به فتمسكوا بظاهر السؤال وامتثلوا في الجواب مقتضاه. لا يقال: فيرجع هذا إلى أنه استفهام حقيقة لا استنطاق؛ لأنا نقول لا يرجع إليه إذ لا منافاة بين كون السؤال استنطاقًا بحسب قصد المتكلم واستفهامًا بحسب حمل

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٢٠.

المخاطب)[١].

٢٥ ـ بعض تعقّبات السنوسي للأبّي ممَّا يتعلّق بالجانب اللغوي وبيان معاني الألفاظ.

ومن ذلك تعقّبه له في شرح قوله r : (ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم ... الخ)، الحديث، فقد ذهب الأبّي رحمه الله تعالى إلى أنّ هذا من أفعال المقاربة، واللام فيها جواب قسم محذوف، ثمّ قال: (وهي هنا بمعنى المضي، أي: لقد قرب؛ لأنّ القسم عليها وهي مستقبل لا يفيد؛ لأنّ كلّ مستقبل لا بدّ أن يقرب)[٢].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (وفيه نظر؛ لأن ذلك فيما علم استقباله، وهنا لم يعلم استقبال نزول عيسى عليه السلام إلا من قوله r ، فالقسم يفيد تحقيق نزوله في المستقبل، وعبر عن ذلك بما ذكر)[٣].

٢٦ ـ في قوله r : (لا أملك لكم من الله شيئا).

ذهب الأبّي إلى أنّ معناه: لا تتكلوا على قرابتي، فإنّي لا أقدر على

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٢٠.
(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٥.
(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٥.

دفع مكروه يريده الله تعالى بكم[١].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (وتقييد الأبي هذا المكروه بأنه في الدنيا فيه نظر أو لا يصح، لأن المقصود التخويف بعذاب الآخرة وأهوالها إن لم يمتثلوا أوامره)[٢].

ولّما ذكر السنوسي قوله r : (غير أنّ لكم رحما سأبلّها ببلالها)، قال: (وهذا هو الذي ينبغي أن يقيد بالدنيا، أي: لا أقدر أن أرد عنكم من عذاب الآخرة شيئا، وإنما أقدر أن أصل رحمكم بما يليق بكم والله تعالى أعلم)[٣].

٢٧ ـ حديث: (أخرج بعث النار ... فاشتدّ ذلك عليهم ـ يعني على الصحابة ـ، وقالوا: وأيُّنا ذلك الرجلُ ... الخ)، الحديث.

ذكر الأبّي أنّ الصحابة فهموا أنّ ذلك بالنسبة إلى كلّ أمّة، أي الناجي من كلّ أمّة واحدٌ من ألف، فقالوا: وأيّنا ذلك الرجل الواحد، فبشّرهم بأنّه ليس المراد، وإنّما المراد بيان قلّة أهل الجنّة

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٧٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٧٣.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٧٣.

بالنسبة إلى أهل النار من بني آدم، لا من كلّ أهلها، هذا هو الظاهر، أعني أنّ النسبة المذكورة في أحاديث الباب إنّما في نوع الإنسان. ثمّ إن أريد يأجوج ومأجوج فقط، فأهل الجنّة في أهل النار منهم عشر عشر العشر، وإن أريد بها يأجوج ومأجوج ومن شاركهما فالنسبة أدنى بأضعاف، وأمّا نسبة الأمّة من بني آدم فتقدّم أنّها كالشعرة المذكورة[1].

قال السنوسي: (يظهر أن هذا الكلام غير محقق؛ فإن الخطاب في قوله r : (ومنكم رجل) إن كان غيرَ خاص بهذه الأمة بل هو عام لهم ولجميع من شاركهم في دخول الجنة لزم ما ذكره الأبي من أن نسبة أهل الجنة إن أخذت من يأجوج ومأجوج فقط كانت عشر عشر العشر؛ لأن كل رجل من أهل الجنة يقابله حينئذٍ ألف من يأجوج ومأجوج، ونسبة واحد من ألف عشرُ عشر العشر، فيلزم أن تكون نسبة المجموع إلى المجموع كذلك، وأما إن أخذت النسبة من جميع من يدخل النار فلا شك أن النسبة أدنى من الأولى

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

بأضعاف، هذا ما ظهر في تقرير كلام الأبي رحمه الله تعالى، ويرد عليه ...)[١].

٢٨ ـ قال الأبّي: (وما يجري على ألسنة العوام من قولهم: نعله الله، بتقديم النون، ليس بلعن؛ لأنّه من النعال)[٢].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (وفيه نظر؛ لأنه لفظ عرفي وُضع عرفًا لما وضع له اللعن لغة، أو المقصود به عرفًا ما يقصد باللعن لغة وإن وقع اللحن في اللفظ، والقصد له أثر في نقل الألفاظ كما هو المختار في الطلاق إذا قال لزوجته اسقيني الماء وقصد به الطلاق)[٣].

٢٩ ـ في قول الصحابة عن الرجل: (ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان)، فقال رسول الله r : (أما إنّه من أهل النار)، هذا الحديث يعارض ما ثبت عنه r : (أنتم شهداء الأرض في أرضه)[٤].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ٢٢٠.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٢٠.

(٤) رواه البخاري. الجنائز/ باب: ثناء الناس على الميت(١٣٠١). ومسلم. =

فذهب الأبّي إلى أنّ الحديث الثاني خرج مخرج الغالب، وقد يتفق في بعض أن لا يكون كذلك، كهذا الرجل[١].

فتعقّبه السنوسي بقوله: (لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن حديث أنتم شهداء الله إنما ورد فيما يعرف به حال الإنسان في الآخرة، فتكون هذه الشهادة بعد الموت، إذ المعتبر من الأعمال نفسها فلا تدل على حاله في الآخرة لعدم تحقق البقاء على الحالين إلى الموت، والمعتبر من العمل كما سبق خاتمته، نسأله سبحانه حسن الخاتمة بفضله)[٢].

٣٠ ـ ذهب الإمام ابن عرفة إلى أنّ الردّة تبطل الإسلام، وتبطل الجبّ[٣] أيضا، فيؤخذ الإنسان بكفره الأوّل أيضا، فاعترضه الأبّي بقوله: (لا يلزم من إبطالها الإسلام إبطالُها الجَبّ)[٤].

=

الجنائز / باب: فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى(٩٤٩).

(١) إكمال الإكمال، ١/٢٢٢.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٢٢.

(٣) وهو الوارد في قوله r : (الإسلام يجبّ ما قبله). رواه أحمد في مسنده، ٤/١٩٨. وإسناده حسن.

(٤) إكمال الإكمال، ١/٢٢٨.

فتعقّبه السنوسي بقوله: (وفيه نظر؛ لأن جَبَّه كحصول الثواب عليه فيبطل ببطلان الإسلام، ولا معنى للانتفاع بإسلام باطل كأنه لم يكن)[١].

٣١ ـ في قوله r : (ما من الأنبياء من نبيّ إلاّ قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة).

قال الأبّي: (فهم الجميع[٢] أنّ الغرض من الحديث بيان أنّ أكثرية أتباعه إنّما هي لكون معجزاته أظهر، وبيان كونها أظهر ما ذكراه من الوجوه الثلاثة، والأظهر في سياقه عكس ما علّلا به الأكثرية، وهو أنّ أكثرية أتباعه إنّما هي تكرمة من الله تعالى له، وإلاّ فمعجزة غيره كالعصا وانفلاق البحر، ونتق الجبل، وإحياء الموتى، وخروج ناقة من الحجر، من الظهور لعامّة الخلق، بحيث يؤمن لها البشر، وتكون أتباعها أكثر، وإنّما معجزته كلام يتلى إنّما يدرك وجه

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٢٨.

(٢) يعني القاضي عياضا والشيخ محمد بن عرفة.

إعجازه بتأمّل)[١].

وقد تعقّب الإمام السنوسي كلام الأبّي هذا، فقال: (ترتيبه r رجاء الأكثرية بالفاء على كون ما أوتيه وحيا يتلى يدل على خلاف ما ذكره الأبي، ولا خفاء في ظهور معجزة القرآن لجميع الخلق، أما لعلماء البلاغة فواضح، وأما لغيرهم فلمشاهدة العجز منهم مع طول السنين وكثرة المعادين للدين، مع ما فيه من العلوم الجمة والقصص الغريبة والمواعظ الرائعة، وبالجملة فقد احتوى على خير الدنيا والآخرة، ثم هو شاهد على صدق نفسه بنفسه)[٢].

اعتراضات من السنوسي على الأبّي بسبب الخطأ في نسخته.

من المعروف أنّ نسخ أيّ كتاب قد تتعدّد بتعدّد النُسَّاخِ، وقد يوجد في نسخة ما لا يوجد في الأخرى، بسبب عدم الدقّة في النقل، أو ذهول عن موضع النقل، أو انصراف النظر من موضع إلى آخر، وغير ذلك من الأسباب التي تؤدّي في النهاية إلى اختلاف النسخ.

وبناء على هذا الاختلاف بين النسخ يقع الخطأ في النقل منها.

---

(١) إكمال الإكمال، ١/ ٢٦١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦٢.

وفيما يتعلّق بالإمام السنوسي فقد وقع في نسخة كتاب الأبي التي معه خطأ، جعله يعترض على الأبّي ويوهّمه في ذلك ويتعجّب منه.

وخلاصة هذا الأمر أنّ القاضي عياضاً رحمه الله استفاد من حديث معاذ المشهور أنّ الإيمان لا يكفي فيه النطق دون عقد القلب، خلافا للجهمية، ولا التقليد، خلافا لمن ظنّه من الجهلة[١].

فتعّقبه الأبي بقوله: (.. ونسب القولَ بعدم كفاية التقليد إلى الجهلة، مع أنّه مذهب الأشعري وأكثر المتكلّمين واختاره من المتأخرين الآمدي .....). الخ[٢].

ولكنّ السنوسي رحمه الله نقل عن الأبّي أنّه قال: (ونسب القول بكفاية التقليد ..)، بحذف لفظ (عدم)، فانعكس المعنى، ممّا دعا السنوسي إلى أن يتعقّب الأبي في ذلك، فقال: (قلت: انظر وهم هذا الشيخ رحمه الله وكيف حمل على عياض رحمه الله تعالى أنّه أسند القول بعدم كفاية التقليد للجهلة، مع أنّه صرّح بضدّه، وهو أنّه أسند القول بكفاية التقليد إلى الجهلة، وجعله مخالفا لمضمون هذا

(١) إكمال المعلم، ١/ ٢٤٠.

(٢) إكمال الإكمال، ١/ ١٠٢.

الحديث. ونصّه في الإكمال: وفيه - يعني في حديث معاذ - دليل على أنّ الإيمان لا يصحّ إلاّ بالمعرفة وانشراح الصدر، ولا يكفي فيه نطق اللسان كما تقول الجهمية، ولا التقليد المجرّد كما يظنّه الجهلة. والعجب من الشيخ الأبّي رحمه الله تعالى أنّه قرّر بنفسه وجه أخذ عياض من الحديث عدم كفاية التقليد، ثمّ غفل عن ذلك إثره، وذكر آخرا أنّ عياضا وتابعيه أخذوا ضدّ ذلك من هذا الحديث. ومثل هذا الوهم لا يسع فيه إلاّ التسامح، وهو ممّا لا يؤاخذ به العلماء رحمهم الله تعالى)(١).

قلت: فانظر كيف أنّ هذا التعقّب من السنوسي رحمه الله انبنى على خطأ وقع في النسخة التي معه، بينما جاءت الجملة على الصواب في النسخ المعتمدة(٢)، ولم تكن المسألة تحتاج إلى هذه المناقشة أصلا.

إلاّ أنّنا محظوظون بهذا الخطأ الذي وقع في نسخة السنوسي؛ لأنّه كشف لنا عن عظمة الإمام السنوسي من جهة أخرى، وهي تواضعه وحسن أدبه مع العلماء والتماس الأعذار لهم ما أمكنه ذلك، وتلك

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٠٣.

(٢) يعني أنّ الجملة التي قالها الأبّي: (ونسب القولَ بعدم كفاية التقليد).

والله خصلة من أعظم ما يجب أن يتحلّى به العلماء، وما أعزّها وأندرها في أيامنا هذه!

المبحث الثاني: اختيارات الإمام السنوسي رحمه الله

لقد قلتُ سابقا إنّ الإمام السنوسي لم يكن مجرّدَ ناقل للآراء والأقوال، بل كان يعمل نظره فيها ويرجّح منها ما يراه صوابا أو راجحا.

وقد حرصت في هذا المبحث أن أعرض ـ بشكل مختصر ـ لبعض آراء الإمام السنوسي واختياراته.

١ ـ فمن ذلك ترجيحه لإسلام ورقة بن نوفل في الحال(١).

٢ ـ ومن ذلك استحسانه لما ذهب إليه بعضهم من تعليل سبب شموس البراق ـ أي نفوره ـ عندما ركبه النبيّ r ، بأنّه فعل ذلك نشاطاً وفرحاً بركوب النبيّ r عليه، فصار يلعب، فيقبل ويدبر، ولم يضبط نفسه من شدّة الفرح والسرور.

ثمّ قال السنوسي: (وقد قيل في سبب شموسه غيرُ هذا، وهذا

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٣.

أحسنُ ما قيل)(١).

٣ ـ وفي صفة البراق الذي ركبه النبيّ r في رحلة الإسراء والمعراج، قال: (وفي صفة البراق أقوال أحسنها أن وجهه كوجه إنسان وصدره ياقونة حمراء وظهره درة بيضاء وعليه رحل من رحال الجنة وله جناحان يطير بهما كالبرق)(٢).

٤ ــ في مسألة هل رأى رسول الله r ربّه، في رحلة الإسراء والمعراج، والخلاف بين العلماء في ذلك، قال السنوسي: (وأصحها أنه رأى ربَّه ...)(٣).

٥ ـ في قوله r : (فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر).

قال السنوسي: (يحتمل أن يكون من باب نفي الصفة للدلالة على نفي الموصوف، أو من باب نفي الصفة فقط، فعلى الأول: لا عين هنالك ولا رؤية ولا أذن ولا سماع ولا قلب ولا خطور، وعلى

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٠٥

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٢٧.

الثاني: المنفي الرؤيةُ والسماع والخطور فقط، وهذا الثاني أرجحُ)[١].

٦ ـ ذهب الإمام السنوسي إلى ضرورة الاجتهاد وعدم الوقوف مع فتاوى المتقدّمين التي بنوها على أعراقهم.

فقد نقل عن بعض الشيوخ قولهم: (وفي اختلاف الجواب عن السؤال الواحد دليل على أن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأعراف، وحتى في الفتاوى كما ذكره المتأخرون من أنها إذا كانت مبنية على العرف ينبغي أن تتنوع بتنوعه ولا يوقف فيها مع منصوص المتقدمين التي بنوها على عرفهم المنقضي، ثمّ قال: (وهو تحقيق من النظر، وكذا ينبغي للواعظين أن ينوعوا الوعظ بحسب ما تدعو الحاجة إليه).

ثمّ قال: (وفي شرح أحكام عبد الحق لجد الشيخ سيدي محمد بن مرزوق رحمهما الله تعالى: قالوا يؤخذ من اختلاف الجواب لاختلاف الأحوال وجوب تعليم الإمام أو المذكر للناس ما جهلوه وتذكريهم ما نسوه وتحريضهم على مهم أهملوا، قالوا: ولهذا جرت

(١) المصدر السابق، ١/٣٥١.

عوائد خطباء المشرق وقدماء الأندلس بتنويع الخطب بحسب الحاجة الوقتية للتنبيه على ما يفعل الناس لذلك فيحصل للسامعين أعظمُ منفعة وأكبرُ فائدة، وأهمل هذا أهلُ الغرب، بل طالما أنكره وانتقده من ينتمي منهم للعلم، ولو علم هذا ما اشتملت عليه خطبه r وخطب خلفائه y وأئمة الصدر الأول من ذلك لما أنكره وهي طريقة مشهورة عن السلف ذكرت شواهدها في صدر ديوان خطبي التي أنشأتها)[1].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٧.

الفصل الرابع

الصناعة الحديثية عند الإمام السنوسي

لقد أضاف الإمام السنوسي كثيرا من الصناعة الحديثية التي لم يتعرّض لها الإمام الأبّي في شرحه، وقد استفادها من شرح الإمام النووي خاصة، أو غيره، كالقاضي عياض والقرطبي.

بل إنّ الإمام السنوسي أحيانا يضيف أشياء لم يذكرها النووي في نفس الموضع، وإنّما ذكرها في فصوله الأولى على شرح الإمام مسلم(١)، فيقوم السنوسي باستيرادها من هناك، ويجعلها في الموضع المناسب لها من شرحه.

وعموما، فإنّ جهد الإمام السنوسي في جمع هذه المادّة من الشروح السابقة واختصارها وسدّ الفراغ الذي تركه الإمام الأبّي يشكّل إضافة نافعة للقارئ ويغري بالاكتفاء بشرح السنوسي، ويغني عن الرجوع إلى الشروح الأخرى، وهو ما قرّره الإمام السنوسي في مطلع شرحه.

سوف تتّضح هذه الفوائد النافعة من خلال العناصر الآتية:

---

(١) المراد بالفصول الأولى تلك المقدّمة التي كتبها الإمام النووي قبل شروعه في شرح صحيح مسلم، وقد ضمّنها كثيرا من قواعد علوم الحديث، لا غنى لطالب العلم عن قراءتها قبل الشروع في قراءة شرحه على صحيح مسلم، وقد استفاد منها الإمام السنوسي في مواضع كثيرة.

إضافة ما يتركه الإمام النووي وغيره من أقوال في المسألة، ممّا يتعلّق بقواعد علوم الحديث:

فمن ذلك - مثلا - أنّ الإمام النووي أورد إشكالا على الإمام مسلم في روايته عن أبي عقيل يحيى بن المتوكّل، وقد كثر من ضعّفه من العلماء الأعلام، ثمّ أجاب عن ذلك بجوابين، قال في الأول منهما: إنّه لم يثبت جرحه عنده مفسّرا[(١)].

فقام السنوسي بعده يستكمل سائر أقوال العلماء في هذه المسألة، فقال: (وقيل: يقبل مطلقا، وثالثها: يقبل من العالم وإن لم يذكر السبب بخلاف غيره)[(٢)].

اهتمامه ببيان درجة الحديث من حيث التواتر، أو الصحة أو الضعف:

فمن ذلك قوله عن حديث: (من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار): (هو حديث عظيم في نهاية من الصحّة، وقيل: إنّه متواتر، قيل: رواه مائتان من الصحابة، وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة، رضي

---

(١) شرح النووي، ١/ ٩١. ثمّ ذكر الجواب الثاني بقوله: (والثاني: أنّه لم يذكره أصلا ومقصودا، بل ذكره استشهادا لما قبله).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٦.

الله عن جميعهم)(١).

الجرح والتعديل: نقلا عن علماء الحديث.

الجرح والتعديل علم جليل يتوقّف عليه الحكم على الحديث صحة أو ضعفا، قبولا أو ردّا، وقد اهتمّ علماء الحديث بالرواة، فنقبوا عن أحوالهم وسبروا أحاديثهم، والّفوا في ذلك المؤلفات العظيمة، ورغم أنّ احاديث الصحيحين ممّا حكم لها بالصحّة، إلاّ أنّ منهج الإمام مسلم الذي سار عليه في كتابه اقتضى وجود بعض الضعف في بعض الرواة، ولذلك ربّما اضطرّ بعض شراح صحيح مسلم إلى ذكر أحوال هؤلاء الرواة، وما ورد من أقوال العلماء فيهم، سواء ما ثبت ضعفهم، أو ما انتفى عنهم الضعفُ بسبب من الأسباب، ولم يشذّ الإمام السنوسي عن هذه القاعدة، حيث تحدَّث في مواضع من شرحه عن أحوال رجال الإمام مسلم جرحاً وتعديلاً.

وأمثلة ذلك في الكتاب كثيرة، نذكر منها هذه الأمثلة:

١ ـ قال عن ابن أبي ليلى: محمد بن عبدالرحمن، وهو ضعيف عند

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٧.

المحدثين[(١)].

٢ ـ قال عن يزيد بن أبي زياد: وهو ضعيف في الحديث، لا يكتب حديثه، خلافا للدارقطني وابن عدي فإنّما قالا: يكتب حديثه[(٢)].

٣ ـ قال عن عبدالله بن محرّر: واتّفق الحفاظ على تركه[(٣)].

٤ ـ إسماعيل بن علية: ريحانة الفقهاء وسيد المحدثين[(٤)].

٥ ـ قال عن عليّة: هي أمّ إسماعيل، وكانت امرأة عاقلة نبيلة[(٥)].

٦ ـ ترجم لعطاء بن السائب ـ وقد مثّل به الإمام مسلم لأهل الطبقة الثانية من الرواة ـ فقال: مثال للطبقة الثانية، وهو ثقفي، كوفي، تابعي، ثقة، إلاّ أنّه اختلط في آخر عمره، فمن سمع منه قبل ذلك فهو صحيح السماع، ومن سمع منه متأخّرا أو شكّ فيه فهو ساقط، ومن السامعين منه

---

(١) المصدر السابق، ١/١٥، في حقّ محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

(٢) المصدر السابق، ١/١٠.

(٣) المصدر السابق، ١/١٢.

(٤) المصدر السابق، ١/١٦، في حقّ إسماعيل بن عُليّة، نقلا عن شعبة بن الحجاج.

(٥) المصدر السابق، ١/١٦.

قبل الاختلاط سفيان الثوري وشعبة[١].

٧ ـ ترجم ليزيد بن أبي زياد، فقال: ويقال فيه أيضا: يزيد بن زياد، وهو قرشي دمشقي، وهو ضعيف في الحديث، لا يكتب حديثه، خلافا للدارقطني وابن عدي فإنّهما قالا: يكتب حديثه.

٨ ـ قال عن عبد الله بن محرر: عامري، من تابعي التابعين، روى عن الحسن وقتادة والزهري ونافع مولى ابن عمر وآخرين من التابعين، واتّفق الحفاظ على تركه[٢].

٩ ـ قال عن محمد بن سعيد المصلوب: قتل وصلب في الزندقة، قتله أبو جعفر[٣].

العناية بتقييد المهمل وتوضيح المبهم وتمييز المشكل من الأسماء والألقاب والكنى والأنساب.

إنّ العناية بتقييد المهمل وتوضيح المبهم وتمييز المشكل من الأهمية بمكان، ولا يعرف أهميةَ ذلك إلاّ من عانى القراءةَ في كتب العلماء من

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٢.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٢.

وجود أسماء أو ألقاب أو كنى أو أنساب لا يُدرى كيفيةُ ضبطها، ومن هنا دخل التصحيف والتحريف إلى جملة من الأسماء والألقاب والكنى والأنساب، ومن جهة أخرى، فقد يكون الخطأ في ضبط اسم راو سببا في تصحيح ما هو ضعيف، أو تضعيف ما هو صحيح، أو نسبة الأقوال إلى غير أصحابها، وغير ذلك من الأخطاء الكبيرة، وكثير من التصحيف الذي وقع في هذا الباب إنّما سببه التقصير في ضبط ما يشكل من الأسماء والألقاب والكنى والأنساب، وتبيين المبهم من ذلك.

لذلك اشتدّت عناية علماء الحديث بهذا الجانب، فألّفوا كتبا كثيرة في بيان ضبط ما يرد مهملا، وتوضيح ما يوجد مبهما، وتمييز ما يقع مشكلا، وتعدّدت طرق العلماء في طريقة ضبط ذلك، وحفلت كتب علوم الحديث ببيان هذه الطرق والقواعد وتطبيقاتها العملية.

ولذلك رأينا الإمام السنوسي رحمه الله يُعنى كثيرا بهذه المسألة فهو يؤكّد ما يذكره الأبّي من ذلك، فإذا وجده لم يذكر شيئا من ذلك وأغفل ضبط أسماء الرواة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فإنّه يهتمّ كثيرا بذلك، فلا يكاد يمرّ رجل في السند أو المتن إلاّ ويقوم بضبطه بالحروف وبيان المهمل منها من المعجم.

وفيما يلي بعض الأمثلة من ذلك لبيان منهج السنوسي في ضبط أسماء الرواة، بشكل مختصر ومفيد.

١ ـ ليث بن أبي سُليم: بضمّ السين مصغّرا، واسم أبي سليم أيمن، وقيل: أنس.

٢ ـ ابن عون: هو عبد الله بن عون.

٣ ـ عبدالله بن مِسور: بكسر الميم.

٤ ـ عبد الله بن محرَّر: هو بفتح الحاء المهملة، وبرائين مهملتين، والأولى مفتوحة مشددة.

٥ ـ يحيى بن أبي أُنيسة: بضم الهمزة مصغّرا.

٦ ـ أبو العَطُّوف: بفتح العين وضمّ الطاء المهملتين.

٧ ـ الجراح بن المِنهال: بفتح الجيم وتشديد الراء، والميم في المنهال مكسورة.

٨ ـ حسين بن عبدالله بن ضُميرة: بضمّ الضاد مصغّرا.

٩ ـ عمر بن صُهبان: بضمّ أوّله كعثمان.

١٠ ـ سُفيان بن عُيينة: المشهور فيه ضمّ السين والعين، وذكر ابنُ السكّيت جوازَ الحركات الثلاث فيهما، وذكر أبوحاتم جوازَ الضم

والكسر في العين.

١١ ـ وأمّا سفيان المذكور هنا فهو سفيان الثوري.

١٢ ـ وأما سمرة بن جُ‍َندب، فبضمّ الدال وفتحها، وجندب هو ابن هلال الفزاري، وكنية سمرة: أبوعبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان، مات بالكوفة في آخر خلافة معاوية.

١٣ ـ وأمّا حبيب، فهو ابنُ أبي ثابت قيس، التابعي الجليل.

١٤ ـ وميمون بن أبي شبيب، بفتح الشين.

١٥ ـ عُلية: بضم العين وفتح اللام، هي أمّ إسماعيل، وهي علية بن حسان، مولاة لبني شيبان، وكانت امرأة عاقلة نبيلة[١].

١٦ ـ أبوعوانة: بفتح العين وبالنون، واسمه الوضاح بن عبدالله الواسطي.

١٧ ـ واسم أبي حصين: عثمان بن عاصم، الأسدي، الكوفي، التابعي.

١٨ ـ أبو صالح: فهو السمان، ويقال له الزيات.

١٩ ـ محمد بن عبدالله بن نُمير، بضمّ أوّله مصغّرا.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٦.

٢٠ ـ عليّ بن حُجْر: بضم الحاء وسكون الجيم.

٢١ ـ عليّ بن مُسهِر: بضم الميم وكسر الهاء وسكون السين.

٢٢ ـ محمد بن قيس الأسدي: بفتح الهمزة والسين...الخ.

٢٣ ـ الوالبي: منسوب لوالب، قبيلة أو قرية.

٢٤ ـ أبو الأحوص: بالصاد المهملة، واسمه عوف بن مالك الجشمي الكوفي التابعي المعروف، لأبيه صحبة.

٢٥ ـ عن أبي جمرة: هو بالجيم والراء، واسمه نصر بن عمران الضُّبعي، بضم الضاد المعجمة، البصري.

٢٦ ـ أبو هريرة: واسمه عبدالرحمن بن صخر، على الصحيح.

٢٧ ـ أبو ذر: واسمه جندُب ـ بضم الدال وفتحها ـ ابن جُنادة، بضم الجيم، وقيل غيرُ ذلك.

٢٨ ـ ابن شهاب: واسمه محمد بن مسلم.

٢٩ ـ الربيع الزهراني: واسمه سليمان بن داود.

٣٠ ـ أبو يعفور: بالعين المهملة والفاء والراء، واسمه عبدالرحمن بن عبيد بن نسطاس بكسر النون وبالسين المهملة، ونسطاس غير منصرف.

٣١ ـ أبو مُراوِح: بضم الميم وبالراء والحاء المهملة والواو مكسورة.

٣٢ ـ الشيباني الراوي عن الوليد بن العيزار: هو أبو إسحاق سليمان بن فيروز الكوفي.

٣٣ ـ أبو معن الرَّقَاشي: بفتح الراء وتخفيف القاف.

٣٤ ـ ابن شَمُاسة المهري: بفتح الشين المعجمة وضمّها، والميم مخففة، وآخره سين مهملة، والمهري: بفتح الميم وإسكان الهاء، وبالراء، واسمه عبدالرحمن بن شماسة بن ذئب.

٣٥ ـ أبو الجوّاب: بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحّدة.

٣٦ ـ علي بن عَثَّام: بفتح العين المهملة والثاء المعجمة المشددة وآخره ميم.

٣٧ ـ سُعَير بن الخِمس: بضم السين المهملة وسكون الياء، وابن الخِمس بكسر الخاء المعجمة وسكون الميم.

٣٨ ـ أبو الأشهب: بالشين المعجمة، واسمه جعفر بن حبان العطاردي السعدي البصري.

٣٩ ـ فَرّوخ: بفتح الفاء وتشديد الراء والخاء المعجمة آخره، غير مصروف؛ لكونه أعجميا.

٤٠ ـ أبو غسان المِسمَعي: بكسر الميم الأولى وفتح الثانية، منسوب إلى

مِسمَع بن ربيعة، وغسان يصرف ولا يصرف.

٤١ ـ أبو عمران الجَوْني: بفتح الجيم وسكون الواو ونون مكسورة وآخره ياء النسب.

٤٢ ـ الجَهضَمي: بفتح الجيم والضاد المعجمة وإسكان الهاء بينهما.

٤٣ ـ سِماك: بكسر السين وتخفيف الميم.

٤٤ ـ أبو زُمَيل: بضم الزاي وتخفيف الميم المفتوحة.

٤٥ ـ العلاء بن عبدالرحمن مولى الحُرَقَة: بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف، وهم بطن من جهينة.

٤٦ ـ عقبة بن مُكرَم: بضم الميم وإسكان الكاف وفتح الراء.

٤٧ ـ العَمِّي: بفتح العين وتشديد الميم المكسورة، منسوب إلى بني العم بطن من تميم.

٤٨ ـ أبو زُكَير: بضم الزاي وفتح الكاف وإسكان الياء وبعدها راء، قيل: هولقب له، وكنيته أبو محمد.

٤٩ ـ حرملة التجيبي: الأشهر فيه ضم التاء، ويقال بفتحها، واختاره بعضهم، واسم أبي طالب: عبد مناف، واسم أبي جهل: عمر بن هشام، وصالح عن الزهري: هو صالح بن كيسان، وكان أكبر سنا من الزهري،

وابتدأ التعلّم من الزهري، ولصالح تسعون سنة.

٥٠ ـ قوله: حدثنا قتيبة، بضمّ أوّله مصغّرا، وهو قتيبة بن سعيد الثقفي هو مولاهم، قيل إنّ جدّه جميلا، بفتح الجيم مكبرا كان مولى للحجاج بن يوسف الثقفي. وطريف بفتح الطاء المهملة، وأبو سهيل بضمّ أوّله، وابن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ونافع عمّ مالك بن أنس الإمام، وهو تابعي، سمع أنس بن مالك.

٥١ ـ قوله: حدثنا عمرو بن عثمان، قال النووي: (هكذا هو في جميع الأصول، في الطريق الأول: عمرو بن عثمان، وفي الثاني: محمد بن عثمان، واتفقوا على أنّ الثاني وهم وغلط من شعبة، وأنّ صوابه عمرو بن عثمان كما في الطريق الأول، وموهب بفتح الميم والراء وإسكان الواو بينهما).

٥٢ ـ قوله: (حدثنا أمية بن بسطام العيشي: أمّا بسطام فبكسر الموحدة على المشهور، وحكي فتحها، واختلف في صرفه، والأصح لا ينصرف للعجمة والعلمية. وأمّا العشّي فبالشين المعجمة، وهو منسوب إلى بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، وكان أصله: العائشي فخففوه..).

٥٣ ـ وأمّا خالد فهو ابن مهران الحذاء كما بيّنه في الرواية الثانية، وهو ممدود، كنيته أبو المنازل، بضم الميم وبالنون والزاي، ومحمد بن أبي بكر

المقدمي، بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، وبشر بن المفضّل بضم الميم وفتح الفاء والضاد المعجمة المشددة.

٥٤ ـ في ضبط الميم في المغيرة بن شعبة، قال: (بضمّ الميم على المشهور، وحكى ابن السكيت وابن قتيبة وغيرُهما جوازَ كسرها)[١].

الاهتمام ببيان المتفق والمفترق من الأسماء والكنى والأنساب والألقاب

المتفق والمفترق هو ما اتفق لفظه وخطّه وافترق معناه، فهو كالمشترك اللفظي الذي اتحد لفظه واختلف وضعه ومعناه، وسماه الشافعي: المؤتفق في الرسالة[٢]، وقد غلط بسببه كثير من العلماء، ولم يزل الاشتراك ـ كما قال ابن الصلاح ـ من مظانّ الغلط في كل علم، ولذلك نبّه كثيرٌ من العلماء إلى أهمية معرفة المشترك من الأسماء والكنى والألقاب والأنساب، وشارك الإمام السنوسي في تأكيد هذه الأهمية من خلال حرصه على بيان هذا النوع من علوم الحديث.

ومن الأمثلة التي أمكنني العثور عليها في هذا الجزء محلّ الدراسة:

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٨٨، ١٩٣، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٧، ٣٣٤، ٢٢٣، ١٦٩، ١٠٩، ٧٨، ٨٣، ١٠١، ١١٢، ١٥.

(٢) انظر: فقرة رقم ٩٥، فقرة رقم ٥٦٩، فقرة رقم ٦٦٢، وهي لغة أهل الحجاز.

١ ـ أمّا عبدالرحمن بن أبي ليلى فهو من أجلّ التابعين، .... وأمّا ابن أبي ليلى المذكور في الفقه، والذي له مذهب معروف، فاسمه محمد، وهو ابن عبدالرحمن هذا، وهو ضعيف عند المحدثين(١).

٢ ـ حجاج بن الشاعر: هو حجاج بن يوسف بن حجاج، الثقفي، أبو محمد، البغدادي، كان أبوه شاعرا، صحب أبا نواس، وحجاج هذا يوافق حجاج بن يوسف الجائر المشهور في الظلم في اسمه واسم أبيه وكنيته ونسبه، ويخالفه في جده وعمره وعدالته(٢).

الاهتمام ببيان المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب والألقاب

هو ما تتفق في الخط صورته، وتختلف في النطق والتلفظ صيغته، وسواء كان منشأ الخلاف: النطق أو الشكل، وهو فن جليل وعلم نبيل، من لم يعرفه ممّن يشتغل بعلم الحديث لم يأمن على نفسه العثار، وأشدّه ما كان في الأسماء لأنّه لا يدخلها القياس، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلاّ

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧.

بالنقل والرواية عن أهل المعرفة.

ويصعب ـ إن لم نقل يستحيل ـ ضبطُ هذا النوع ، لأنّه منتشر جدا، وليس له ضوابط معينة تجمعه، وكل ما يمكن ضبطه هو بعض الأمثلة، أو ضبط ذلك بالنسبة إلى كتاب معين كالصحيحين أو الموطأ، وقد اهتمّ علماء الحديث بهذا النوع من علوم الحديث؛ لئلاّ يقع المحدّث في التصحيف الذي يؤدّي إلى أحكامٍ غيرِ صحيحة على الرواة، جرحا أو تعديلا، وبالتالي يقع الخطأ في الحكم على الأحاديث صحّة أو ضعفا، قبولا أو ردّاً.

وإدراكا منه لهذه الأهمية اهتمّ الإمام السنوسي بهذا النوع وحرص على ضبط ما يوجد من ذلك في أسماء الرواة أو كناهم أو أنسابهم أو ألقابهم.

ومن الأمثلة التي وردت في الجزء الأوّل من شرح الإمام السنوسي:

١ ـ ربعي بن حراش بكسر الراء وإسكان الموحدة، وحراش بكسر الحاء المهملة، وآخرها شين معجمة، وليس في الصحيحين حراش بالحاء المهملة سواه، ومن عداه بالمعجمة[1]. يعني: خراش.

---

(١) المصدر السابق، ١/١٦.

٢ ـ أبوحصين بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد، إلاّ حضين بن المنذر فإنّه بالضاد المعجمة[١].

٣ ـ خبيب بن عبدالرحمن: بضم الخاء المعجمة، وليس في الصحيحين خبيب بالمعجمة إلاّ ثلاثة، هذا، وخبيب بن عدي، وأبوخبيب كنية ابن الزبير[٢].

قلت: يعني أنّ ما سوى هؤلاء فهو حبيب، مثل حبيب بن أبي عمرة، وحبيب المعلِّم، وحبيب بن أبي ثابت، ويزيد بن أبي حبيب، وسليمان بن حبيب، وغيرهم.

٤ ـ يحيى بن الجزار، بالجيم والزاي والراء آخره، قال صاحب المطالع: ليس في الصحيحين والموطّأ غيرُه، ومَنْ سواه: خزاز أو خراز بالخاء فيهما[٣].

٥ ـ قال الإمام مسلم: (وروى الزهري وصالح بن أبي حسان).

نقل الإمام السنوسي عن النووي قوله: (قال الترمذي عن البخاري:

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٦.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٨.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٤. وهو عند القاضي في مشارق الأنوار، ١/ ٩.

صالح بن أبي حسان ثقة، وكذا وثّقه غيره، وإنّما ذكرت هذا؛ لأنّه ربّما اشتبه بصالح بن حسان أبي الحرث البصري المدني، ويقال: الأنصاري، وهو في طبقة صالح بن أبي حسان هذا، فإنّهما يرويان جميعا عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، ويروي عنهما جميعا ابن أبي ذئب، ولكن صالح بن حسان متفق على ضعفه، وأقوالهم في ضعفه مشهورة...)[١].

٦ ـ نقل السنوسي عن الحاكم أبي عبدالله والخطيب أبي بكر البغدادي أنّهما قالا: (العيشيون بالشين المعجمة بصريون، والعبسيون بالباء الموحدة والسين المهملة كوفيون، والعنسيون بالنون والسين المهملة شاميون)[٢].

٧ ـ قال عند ذكر واقد بن محمد: (وليس في الصحيحين وافد بالفاء)[٣].

٨ ـ قطن بن نُسير: بنون مضمومة، فسين مهملة مفتوحة، فمثناة من تحت ساكنة، فراء، وليس في الصحيحين غيرُه).[٤]

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٣. شرح النووي، ١/ ١٣٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٠١. قال النووي: (وهذا الذي قالاه هو الغالب).

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٧٩.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٢٢٧.

الاهتمام بضبط الألقاب وبيان أسبابها

المراد باللقب ما يطلق على الراوي ممّا يشعر بمدح أو ذمّ، ويحتاج العالم ـ أو طالب العلم ـ إلى معرفة هذا النوع، حتى لا يتوهّم أنّها أسماء، وعندئذ يقع الخطأ في عدّ من اشتهر باسمه ولقبه شخصين كما حصل لكثير ممّن ألّف في الرجال.

وينقسم اللقب إلى ما يجوز التعريف به، وهو ما لا يكرهه الملقَّبُ به، وإلى ما لا يجوز، وهو ما كان لمجرّد الذّمّ والتعيير، ولكن إذا لم يتميّز إلاّ به فجائز، حتى ولو كان ممّا يكرهه الملقَّب به.

ومن الأمثلة على الألقاب التي ذكرها الإمام السنوسي، مع بيان سببها:

١ ـ قال في شأن غندر: (غندر: بضم الغين المعجمة وإسكان النون وفتح الدال المهملة... وذكر الجوهري في صحاحه جوازَ الضم، واسمه محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري .. وغندر لقبه به ابن جريج لمّا

أكثر الشغب عليه في مجلس حديثه بالبصرة)(١).

٢ ـ وقال في شأن أبي صالح السمان: (ويقال له الزيات، واسمه ذكوان، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة)(٢).

٣ ـ وقال عن أبي جعفر الباقر: (المعروف بالباقر؛ لأنّه بقر العلم، أي شقّه وفتحه، فعرف أصله وتمكّن منه)(٣).

٤ ـ وقال عن أم صالح مولى التوأمة: (.. وكانت مع أخت لها في بطن واحد، فلذلك قيل: التوأمة)(٤).

الاهتمام بضبط الكنى المشكلة وتحديد المراد منها، والتنبيه على تعدّد الكنى للراوي الواحد

كثيرا ما أوقع إبهامُ الكنى في الالتباس، فقد يشترك أكثر من راو، من طبقات مختلفة، في كنية واحدة، ويشتهران بها، فإذا لم يعرف صاحبا الكنية وقع الخطأ في تحديد المقصود، وأدّى ذلك إلى الوقوع في أخطاء

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٦.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٧.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣١. شرح النووي، ١/ ١٠١.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٣٧. إكمال المعلم، ١/ ١٥٨. شرح النووي، ١/ ١١٨.

فاحشة، وقد رأيت بعض طلاب العلم يغلطون في ذلك كثيرا، وربّما وقع الخطأ في ضبط الكنية، فهذا أيضا موضع للخطأ والوهم.

وقد اهتمّ الإمام السنوسي رحمه الله بتمييز المتفق والمفترق من الكنى، وحرص على بيان صاحب الكنية، وضبط الكنى ضبطا دقيقا، تحقيقا لهذا المقصود، وتجنبا للوقوع في الزلل.

والأمثلة من ذلك كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١ ـ أبو السوار: قال: هو بفتح السين المهملة وتشديد الواو، وآخره راء مهملة، حسان بن حريث العدوي[١].

٢ ـ أبو قتادة: اسمه تميم بن نُذير، بضم النون، وفتح الذال المعجمة[٢].

٣ ـ أبو سفيان الراوي عن جابر: اسمه طلحة بن نافع[٣].

٤ ـ أبو الزبير: محمد بن مسلم بن تدرس[٤].

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ١/١٣٢.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٠٢.

(٤) المصدر السابق، ١/٢٠٢.

ومن جهة أخرى يقع أحيانا كثيرة أن يكون للراوي أكثر من كنية، بعضها أشهر من بعض، وربّما اشترك في بعضها مع راو آخر، فلا يعرف الشخص الذي لم يشتهر بهذه الكنية، أو يقع الخطأ في تعيين المقصود بهذه الكنية أو تلك.

ومن الأمثلة على هذا ممّا وجدته عند السنوسي في هذا الجزء:

* ـ وأما سمرة بن جُنَدب، فبضمّ الدال وفتحها، وجندب هو ابن هلال الفزاري، وكنية سمرة: أبوعبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان، مات بالكوفة في آخر خلافة معاوية(١).

* ـ وأما محمد بن سعيد المصلوب، فهو الدمشقي، كنيته: أبو عبدالرحمن، ويقال: أبوعبدالله، ويقال: أبو قيس(٢).

* ـ قال عن غندر ـ وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم ـ: (.. كنيته أبوعبدالله، وقيل: أبو بكر)(٣).

* ـ قال عن شهر بن حوشب: (أبو سعيد، ويقال: أبو عبدالله، وأبو

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٥.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٦.

عبدالرحمن)[١].

الاهتمام باختلاف اللغات في اسم الراوي الواحد

مالك بن الدخشم: والدخشم قيّد ذلك بالميم والنون مكبرا ومصغرا، وزاد ابن الصلاح كسر الدال، وبالميم والنون مُكبَّراً لا غير، فاللغات ست[٢].

التنبيه على الاختلاف في اسم الراوي، وبيان الصحيح من ذلك.

قال عن أبي بكر بن عياش: (واختلف في اسمه، والصحيح أنّ اسمَه كنيتُه، وقيل: اسمه محمد، وقيل: عبدالله، وقيل: سالم، وقيل: شعبة، وقيل غيرُ ذلك)[٣].

الاهتمام بذكر طرف من أخبار الراوي، ممّا انفرد به، أو اشتهر به:

لا شكّ أنّ في حياة كثير من العلماء والرواة مواقف تميّزوا بها أو أخلاق عرفوا بها، تصلح مادّة للتربية والتوجيه والإرشاد والاقتداء، وإنّ من شأن ذكر شيء من ذلك تزويدَ القارئ بطرف من هذه الأخلاق

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٢٧.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢١.

والمكارم أو الأخبار الطريفة.

وقد حرص الإمام السنوسي على ذكر طرف من أخبار بعض الرواة والعلماء الذين جاء ذكرهم في صحيح مسلم، أو في شروح العلماء عليه.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ قال عن المغيرة بن شعبة: (ومن طرف أخباره ما حُكي أنّه أحصن في الإسلام ثلاثمائة امرأة، وقيل: ألف امرأة)[١].

٢ ـ وقال في شأن غندر ـ وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم ـ: (ومن طرف أخبار غندر أنّه بقي خمسين سنة يصوم يوما ويفطر يوما)[٢].

٣ ـ وفي ترجمة عبدالله بن إدريس الإمامِ المتفَقِ على جلالته، نقل السنوسي ما ذكره النووي أنه قال لابنته حين بكت عند حضور موته: (لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة)[٣].

٤ ـ وفي ترجمة أبي بكر بن عياش الإمام المُجمَع على فضله، نقلَ ما ذكره النووي أنه قال لابنته عند موته ـ وقد بكت ـ: (يا بنية! لا تبكى،

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٦.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢١. وانظر شرح النووي، ١/ ٧٩.

أتخافين أن يعذبني الله تعالى وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟!)[١].

٥ ـ وعند ذكر الإمام الأوزاعي نقل عن النووي أنّه أفتى في سبعين ألف مسألة[٢].

٦ ـ وعند ذكر نصر بن عليّ الجهضمي، قال عنه: (وكان من العلماء المتقنين، وكان المستعين بالله بعث إليه ليشخصه للقضاء، فدعاه أمير البصرة لذلك، قال: أرجع فأستخير الله تعالى، فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلّى ركعتين، وقال: اللهم! إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، فنام، فأنبهوه فإذا هو ميت)[٣].

٧ ـ وقال ـ نقلا عن النووي ـ في ترجمة صالح المري: (.. وكان t حسن الصوت بالقرآن، وقد مات بعضُ مَن سمع قراءتَه، وكان شديدَ الخوف من الله تعالى، كثير البكاء، قال عفان بن مسلم: كان صالح إذا أخذ في قصصه كأنّه رجل مذعور يفزعك أمره؛ من حزنه وكثرة بكائه،

(١) المصدر السابق، ١/ ٢١، وانظر شرح النووي، ١/ ٧٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٤. شرح النووي، ١/ ٨٤.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٤. شرح النووي، ١/ ٨٥.

كأنّه ثكلى)[(١)].

٨ ـ وقال عند ذكر أبي رافع نفيع المدني: (قال ثابت: لمّا أُعتق أبو رافع بكى، فقيل له: وما يبكيك؟ فقال: كان لي أجران فذهب أحدهما)[(٢)].

٩ ـ وقال عن الصنابحي: (وهو تابعي جليل رحل إلى النبيّ r ، فقُبض النبيّ r وهو بالطريق بالجحفة، قبل أن يصل بخمس ليال أو بستّ، فسمع أبا بكر الصديق وخلائق من الصحابة y)[(٣)].

١٠ ـ ولمّا أورد الإمام مسلم حديثا من رواية جرير بن عبدالله، وهو قوله: (بايعت رسول الله r على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكلّ مسلم)، ساق الإمام السنوسي قصّة لجرير، وهو أنّه أمر مولاه أن يشتري له فرسا فاشتراه بثلاثمائة درهم، وجاء به لينقده، فقال جرير لصاحب الفرس: إنّه خير من ثلاثمائة، أفتبيعه بأربعمائة؟ فقال: لك ذلك يا أبا عبدالله! فقال: إنّه خير منها، أفتبيعه بخمسمائة؟ فقال: ذلك لك. فما زال يقول له ذلك حتى اشتراه بثمانمائة، فقيل له في ذلك، فقال: (بايعت

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٣. شرح النووي، ١/ ١١٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٤٤. شرح النووي، ١/ ١٣٨.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٩.

رسول الله r على النصح لكلّ مسلم)[١].

١١ ـ وعند ذكر المعرور بن الأسود: قال السنوسي: (قال الأعمش: رأيت المعرور وهو ابن مائة وعشرين سنة، أسود الرأس واللحية)[٢].

١٢ ـ وعند ذكر عمرو بن العاص، أورد قصة في الثناء عليه، وما قاله عند موته[٣].

١٣ ـ وعند ذكر حكيم بن حزام أورد له فضيلة لم تتّفق لغيره، وهي أنّه ولد في الكعبة، وأسلم عام الفتح، وعاش ستين في الإسلام، وستين في الجاهلية[٤].

الاهتمام بالتعاريف الاصطلاحية لعلوم الحديث

أولى الإمام السنوسي رحمه الله تعالى اهتماماً كبيراً للحديث عن التعريفات الإصطلاحية لجملة من أنواع علوم الحديث وقواعدها

---

(١) المصدر السابق، ١/١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٠٢.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق، ١/٢٣٢. وقد شاركه في التخضرم حسان بن ثابت، فقد عاش هو أيضا ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام.

الأساسية:

١ ـ عرّف الإمام السنوسي الإسناد بأنّه ذكر طريق الحديث، ويسمّى ذلك الطريق في الاصطلاح سندا، والحديث الذي وصل إليه متنا[١].

٢ ـ ذكر اختلاف العلماء في تعريف المُسنَد على ثلاثة أقوال[٢].

٣ ـ تحدّث السنوسي عن الحديث باعتبار منتهى إسناده، فعرّف المرفوع والموقوف والمقطوع، ونبّه إلى أنّ المقطوع خلاف المنقطع[٣].

٤ ـ تعريف المتّصل، ويقال له الموصول أيضا، وهو ما اتصل إسناده بأن سمعه كلّ واحد من رواية من فوقه، من مبدئه إلى منتهاه، سواء كان مرفوعا، أو موقوفا[٤].

٥ ـ عرَّف الحديث الصحيح.

٦ ـ عرَّف الحديث الحسن وذكر أقسامه.

٧ ـ نبَّه إلى أنّ سنن الترمذي أصل في معرفة الحسن.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٤.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٤

(٤) المصدر السابق، ١/ ٤.

٨ ـ نبَّه إلى أنّ من مظان الحسن سنن أبي داود.

٩ ـ تحدَّث عن صنيع الترمذي وغيره في الجمع بين وصف الصحة والحسن في الحكم على الحديث.

١٠ ـ ذكر تعريف الحديث الضعيف، وبيّن أنّه أقسام كثيرة، ذكر منها أبوحاتم بن حبان تسعة وأربعين قسما، ثمّ ساق بعضها، ثمّ قال: إلى غير ذلك من الأقسام المذكورة في علم الحديث[1].

١١ ـ تحدَّث عن حقيقة الحديث الموضوع، وأنّه شرّ الأحاديث الضعيفة، ولا تحلّ روايته لأحد في أيّ معنى كان، إلاّ مقرونا ببيان وضعه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي تحتمل الصدق في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب. ثمّ بيّن ما يعرف به وضع الحديث، من إقرار واضعه، أو ما يتنزّل منزلته من قرينة حال الراوي والمروي، ثمّ قال: فقد وضعت أحاديث طوال، يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها، ثمّ ذكر أنّ الواضعين أصناف، وأعظمهم ضرراً قومٌ من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الحديث احتسابا فيما زعموا، فتقبّل

(١) المصدر السابق، ١/٦.

الناس موضوعاتهم[(١)].

وقال في موضع آخر: الحديث الموضوع هو المختلق المصنوع، وربّما أخذ الواضع كلاما لغيره، ممّا فيه حكمة وتكلّمت به الحكماء ونحو ذلك فيجعله حديثا، وربّما وضع كلاما من عند نفسه، وكثير من الموضوعات أو أكثرها يشهد لوضعها ركاكة لفظها[(٢)]، وحكم وضع الحديث التحريم بإجماع المسلمين الذين يعتدّ بقولهم، وشذّ من يعتدّ به من المبتدعة كالكرامية، فقالوا: يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب والزهد. وقد سلك مسلكهم بعض المتوسمين بسمة الزهادة، ترغيبا في الخير بزعمهم الباطل[(٣)].

ثمّ نقل قول النووي رحمه الله: (وهذه غباوة ظاهرة وجهالة متناهية، ويكفي في الردّ عليهم قوله r : من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦.

(٢) ذكر علماء الحديث أنّ ركاكة اللفظ وحده ليس كافيا للحكم على الحديث بالوضع حتى ينظمّ إليها ركاكة المعنى، لاحتمال أن يكون الراوي روى الحديث بالمعنى. انظر:

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٢.

النار)(١).

١٢ ـ عرَّف الحديث المقلوب، وذكر أمثلة عليه.

١٣ ـ عرَّف الشاذ، وذكر بعض كلام العلماء حوله.

١٤ ـ عرَّف المعلّل، وبيّن كيف تدرك علّة الحديث، مع ذكر أمثلة على العلل الواقعة في الأسانيد والمتون، وأنّ منها ما يؤثّر ومنها ما لا يؤثّر.

١٥ ـ عرَّف الحديث المضطرب، وبيّن شرط وقوع الاضطراب في الحديث، وأنّه يقع في السند وفي المتن، وأنّ الاضطراب موجب لضعف الحديث؛ لإشعاره بأنّه لم يضبط.

١٦ ـ عرَّف المرسل، وأنّ حاصل كلام العلماء فيه قولان: قول التابعي مطلقا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما يرفعه التابعي الكبير إلى رسول الله r .

١٧ ـ تحدَّث عن مرسل الصحابي، وأنّه حجّة عند جمهور العلماء:

وقد تكرّر الكلامُ منه على مرسل الصحابي في أكثر من موضع:

---

(١) والحديث متواتر لفظا ومعنى، ولعلّه الوحيد الذي حاز اتفاق العلماء على كونه متواترا لفظا ومعنى.

الموضع الأول: تحدّث السنوسي عن مرسل الصحابي فقال: (ثمّ الأكثر أنّ مرسل الصحابي حجّة بخلاف مرسل غيره، وهذا الحديث مرسل ومتصل، وفي الاحتجاج بهذا النوع خلاف، والصحيح صحته تغليبا للاتصال، وقيل: الحكم للإرسال، وقيل للأكثر رواة، وقيل للأحفظ منهم)(١).

الموضع الثاني: في حديث عائشة عن بدء الوحي، قال السنوسي: (قوله: أنّ عائشة.. إن سمعت من النبيّ r فواضح، وإلاّ فهو مرسلُ صحابي، وهو حجّة، خلافاً للإسفراييني)(٢).

١٨ ـ عرَّف المنقطع: ثمّ نقل عن الحاكم أنّه الإسناد الذي يسقط منه راو قبل الوصول إلى التابعي، ثمّ قال: ويطلق أيضا على ما ذكر فيه بعض رواته بلفظ مبهم، نحو: عن رجل أو شيخ أو غيرهما. وقال أبو عمر ابن عبدالبر: المرسل مخصوص بالتابعين، والمنقطع أعمّ منه، وهو كلّ ما لا يتّصل إسناده.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧١.

١٩ ـ عرَّف المعضل، وبيَّن أنَّه بفتح الضاد، وهو عبارة عما سقط من إسناده اثنان فصاعدا، وهو أخصّ من المنقطع، فكلّ معضل منقطع، وليس كلّ منقطع معضلا(١).

٢٠ ـ تقطيع الحديث: قال السنوسي رحمه الله: (هذه مسألة اختلف العلماء فيها، وهي رواية بعض الحديث، فمنهم من منعه مطلقا، بناء على منع الرواية بالمعنى، ومنعه بعضهم وإن جازت الرواية بالمعنى إذا لم يكن رواه هو أو غيره بتمامه قبل هذا، وجوّزه جماعة مطلقا، ونسبه القاضي عياض إلى مسلم، والصحيح الذي ذهب إليه الجمهور والمحققون التفصيل: فيجوز ذلك من العارف إذا كان ما تركه غير متعلّق بما رواه، سواء جوّزنا الرواية بالمعنى أم لا، رواه قبل تامّا أم لا، والمنعُ فيما تعلّق معناه بالمتروك، هذا إن ارتفعت منزلته عن التهمة، فأمّا من رواه تامّا، ثمّ خاف إن رواه ثانيا ناقصا أن يتّهم بزيادة أوّلا، أو نسيان لغفلة، أو قلّة ضبط، فلا يجوز له النقصان).

ثمّ نقل عن النووي قوله: (وأمّا تقطيع المصنفين الحديثَ الواحدَ في

(١) المصدر السابق، ١/٨.

الأبواب فهو بالجواز أولى، بل يبعد طرد الخلاف فيه، وقد استمرّ عليه عمل الأئمّة الحفّاظ الجلّة، وحمل قوم قول مسلم هنا على مذهب الجمهور من القول بالتفصيل، وهو ظاهر)[١].

ثمّ قال السنوسي: (وحاصله أنّ الحديث المشتمل على معنى زائد على ما ذكر لا بدّ من إعادته تامّا إن لم يكن مع المعنى الزائد منه لتعلّق له بما بقي تحقيقا أو شكّا[٢]، أو ذكر ذلك المعنى الزائد منه وحده إن أمكن قطعه وحده اختصارا لعدم تعلّقه بما بقي تحقيقا)[٣].

٢١ ـ في كيفية معرفة ضبط الراوي: قال السنوسي رحمه الله: (قوله: (لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش) تصريحٌ بما قال الأئمّة أنّ ضبط الراوي يعرف بأن تكون روايته غالبا كما روى الثقات،

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩.

(٢) هكذا في الأصل المطبوع، وقد أشار مصحّحه بالهامش أنّه هكذا بالأصل، ثمّ قال: ولا يخفى على المتأمّل أنّ الصواب: إن كان للمعنى الزائد منه تعلّق بما بقي.

قلت: وهو الصواب إن شاء الله، وهو الموافق لما في كتب علوم الحديث. انظر: التبصرة والتذكرة، ٢/ ١٧١.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩ ـ ١٠.

لا يخالفهم إلاّ نادرا؛ فإنّ النادر لا يقدح؛ لعدم إمكان التحرّز منه وإن كثرت روايته)(١).

٢٢ ـ التنبيه إلى اختلاف إطلاقات العلماء للفظ المنكر، وأنّ ما ذكره الإمام مسلم في هذا الموضع يريد به المنكر المردود، وقد يطلق المنكر في الاصطلاح على انفراد الثقة بحديث، وليس هذا بمنكر مردود إذا كان الثقة ضابطا متقنا(٢).

٢٣ ـ رواية المبتدع: ذكر السنوسي أنّ قول الإمام مسلم من وجوب اتقاء ما كان من الروايات عن المعاندين من أهل البدع هو مذهبه في هذه المسألة، والخلاف في المسألة جار بين العلماء، على أقوال: قيل: يقبل. وقيل: لا. وقيل: يقبل إلاّ الداعية إلى مذهبه فلا يقبل، قال: (وهو الأعدل الصحيح)(٣).

٢٤ ـ الخلاف في اشتراط بعض شروط القبول في الراوي، والفرق في ذلك بين الراوي والشاهد: من المباحث التي تعرّض لها الإمام مسلم

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٢.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٣.

مسألة أنّ الخبر وإن فارق الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيهما... الخ.

فقال السنوسي رحمه الله: (الخبر والشهادة يشتركان في اشتراط الإسلام والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وضبط الخبر المشهود به عند التحمّل والأداء، ويفترقان في الحرية والذكورية والعدد والتهمة بالعداوة وضدّها، وما في معنى ذلك، وقبول الفرع مع وجود الاصل، فتعتبر هذه في الشهادة، ولا تعتبر في الخبر، هذا قول العلماء الذين يعتدّ بهم، وشذّت جماعة فشرطوا أن يكون تحمّل الخبر بعد البلوغ، والإجماع يردّ عليهم؛ لأنّ البلوغ إنّما يعتبر حال الرواية ـ يعني وقت الأداء ـ لا حال السماع ـ يعني وقت التحمّل ـ، وجوّز بعض الشافعية روايةَ الصبي وقبولَها قبل البلوغ، والمعروف خلافُه، وشرط بعض المعتزلة كالجبائي العددَ في الرواية، فقال الجبائي: لا بدّ من اثنين عن اثنين، كما في الشهادة، وقال بعضهم: لا بدّ من أربعة عن أربعة، والأدلّة مسطورة في فنّ الأصول)[1].

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤.

٢٥ ـ تعريف الأثر: وقد ارتضى السنوسي تعريف جمهور العلماء في أنّ الأثر هو المروي عن رسول الله r ، أو عن صحابي، ثمّ قال: (ومنهم من خصّه بالثاني)[١].

٢٦ ـ الحاء التي توجد بين طرق الحديث وأسانيده: درج العلماء في باب ضبط كتابة الحديث على وضع حرف (ح) بين أسانيد الحديث المختلفة، قال السنوسي: (اختلف فيها، فقيل إنّها مأخوذة من التحويل؛ لتحوّله من إسناد إلى آخر، وإنّه يقول القارئ إذا انتهى إليها: ح، ويستمر. ورأيت لبعض المتأخرين استحسانَ زيادة هاء السكت. قلت: وتحسن زيادتها في الوقف لا في الوصل، ولعلّ هذا الشيخ المتأخر إنّما أطلق؛ لأنّه يرى أنّ الوقف عليها يتعيّن، وهو الأولى؛ لاستقلالها بنفسها. وقيل: إنّها مأخوذة من حال بين الشيئين إذا حجز؛ لكونها حالت بين الإسنادين، وعليه فلا يُلفظ عند الانتهاء إليها بشيء؛ إذ ليس من الرواية. وقيل: إنّها رمز إلى الحديث، وإنّ أهل الحديث كلّهم إذا وصلوا إليها يقولون: الحديث، وقد كتب جماعة من الحفاظ موضعها: صح، فيشعر

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤.

بأنّها رمز صح)[١].

ثمّ نقل السنوسي عن الإمام النووي أنّه قال: (وحسنت هنا كتابة صح؛ لئلاّ يتوهّم أنّه سقط متن الإسناد الأوّل). وقد أحال على هذا الموضع لاحقا[٢].

٢٧ ـ أنّ ضعف الإسناد لا يقتضي ضعف المتن: وهي قاعدة مشهورة عند العلماء، وقد عبّر عنها السنوسي بقوله: (... لأنّ الرواية قد تصحّ بمتن، ويكون الناقلون لبعض أسانيدها متّهمين، فلا يشتغل بذلك الإسناد)[٣].

٢٨ ـ وفي شأن الكذب قال السنوسي: (الكذب عمدا كلّه حرام، إلاّ ما استثني، ويتأكّد تحريمه في الخبر على النبيّ r ؛ لأنّه في الحقيقة كذب على الله جلّ وعلا؛ لأنّ النبيّ r لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى، والجمهور على أنّ الكذب عليه r من أعظم الكبائر).

ثمّ تكلّم السنوسي عن قبول رواية التائب من الكذب، هل تقبل

(١) المصدر السابق، ١/ ١٤.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٣.

روايته إذا تاب وحسنت توبته، أو لا تقبل توبته في ذلك أبدا، قال: (فقال بالأوّل جمهور الشافعية، واختار النووي الثاني)[١].

ثمّ بيّن الإمام السنوسي أنّ ممّا يقرب من الكذب على رسول الله r ـ أو هو هو ـ اللحنَ في حديثه، فليكن المؤمن على تحفّظ عظيم في ذلك.

ثمّ ذكر أنّ بعض المبتدعة أجاز الكذب فيما يرجع إلى الترغيب والترهيب، وهو مخالف لإجماع المسلمين المعتدّ بهم[٢].

٢٩ ـ الفرق بين رواية الخطأ من الكتب وبين تصحيحه فيها: وهنا أوضح الإمام السنوسي رحمه الله تعالى أنّ هناك خلافا بين العلماء في مسألة ما يوجد من تصحيف أو لحن في الكتب، وأنّ أكثر العلماء على أنّ الواجبَ روايتُه على الصواب، وهو لازم على مذهب رواية الحديث بالمعنى، وخالف بعضهم فأوجب روايته على الخطا، قال السنوسي: (وهذا غلوّ في منع الرواية بالمعنى).

أمّا تغيير ذلك أو إصلاح شيء منه في الكتاب فإنّ الصواب أن يترك

(١) المصدر السابق، ١/ ١٧.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٧.

على حاله، ويقرّر ما وقع في الأصل على ما هو عليه، مع التضبيب عليه، وبيان الصواب في حاشية الكتاب، فهذا أجمع للمصلحة وأنفى للمفسدة[١].

٣٠ ـ أنّ السبيل إلى السلامة من التصحيف في الحديث هو أخذُه من أفواه أهل العلم والضبط[٢].

٣١ ـ مسألة تعارض الوصل والإرسال: أسند الإمام مسلم حديث: (كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكلّ ما سمع)، من طريقين، فرواه في الأولى من طريق معاذ العنبري وعبدالرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن خبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، مرسلا[٣]، ورواه في الثانية من طريق علي بن حفص، عن شعبة، عن خبيب، عن حفص، عن أبي هريرة، موصولا، مرفوعا.

فقد تعارض هنا الوصل والإرسال، والذين أرسلوه أكثر، وإذا ثبت ـ كما قال السنوسي ـ أنّه روي متصلا ومرسلا، فالعمل على أنّه متصل، هذا

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٨.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٨.

(٣) وكذلك رواه غندر عن شعبة فأرسله.

هو الصحيح، ولا يضرّ كون الأكثرين أرسلوه؛ فإنّ الوصل زيادة من ثقة فيقبل[١].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله السنوسي عند حديث ابن عباس أنّ النبي r بعث معاذا ... الحديث، قال: (هذا اللفظ يقتضي أنّ الحديث من مسند ابن عباس، وكذا الرواية التي بعده، وأمّا الأولى فمن مسند معاذ، ووجه الجمع بينهما أن يكون ابن عباس رضي الله عنهما سمع الحديث من معاذ، فرواه تارة عنه متصلا، وتارة أرسله ولم يذكر معاذا، وكلاهما صحيح. وقد تقدّم أنّ مرسل الصحابي حجة إذا لم يعرف من روى عنه[٢]، فكيف وقد عرفناه في هذا الحديث، ويحتمل أنّ ابن عباس سمعه من معاذ وحضر القضية، فتارة رواها بلا واسطة لحضوره إياها، وتارة رواها عن معاذ، إمّا لنسيانه الحضور، وإمّا لمعنى آخر، والله أعلم)[٣].

ومن أمثلة ذلك أيضا أنّ الإمام مسلما قال: (حدثنا أبو بكر بن النضر

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٩٨.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٠١.

بن أبي النضر، قال: حدثنى أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا عبيد الله الأشجعى، عن مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف، عن أبي صالح، عن أبي هريرة). ثمّ قال في السند الثاني: (حدثنا سهل بن عثمان وأبو كريب محمد بن العلاء جميعا، عن أبي معاوية ـ قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية ـ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبى هريرة، أو عن أبي سعيد ـ شك الأعمش ـ).

قال السنوسي في شرحه عند هذا الموضع: (هذان الإسنادان ممّا استدركهما الدارقطني، أمّا الأول فلعلّه من جهة أنّ أبا أسامة وغيره خالفوا عبيدالله الأشجعي فرووه عن مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف، عن أبي صالح مرسلا. وأمّا الثاني فلعلّه بكونه اختلف فيه عن الأعمش، فقيل فيه أيضا: عنه، عن أبي صالح، عن جابر، وكان الأعمش يشكّ فيه).

ثمّ نقل عن ابن الصلاح أنّ الإرسال، وإن قدح في السند لم يقدح في الصحة؛ لأنّ ما وصله الثقة وأرسله غيره الحكمُ فيه الوصلُ عند المحققين؛ لأنّها زيادة ثقة، ولذا قال الدمشقي في جواب هذا الاستدراك: الأشجعي ثقة مجوّد، وأمّا شكّ الأعمش فغير قادح في متن الحديث؛ فإنّه

شكّ في عين الصحابي الراوي له، وذلك غير قادح؛ لأنّ الصحابة كلَّهم عدول[١].

ثمّ كرّر هذا التعليق في موضع آخر بعد ذلك[٢].

ومن ذلك أيضا ما رواه الإمام مسلم، بسنده، عن عبدالصمد، حدثنا شعبة عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن أبي موسى، عن النّبي r ، بهذا الحديث.

فقد نقل الإمام السنوسي اعتراض الدارقطني على رفع هذا الحديث من هذا الطريق، وذكر أنّ غير عبدالصمد من أصحاب شعبة رووا هذا الحديث عن شعبة موقوفا على أبي موسى.

فقال السنوسي نقلا عن النووي: (وهذا لا يضرّ؛ لأنّ الصحيح فيما رفع ووقف، أنّ الحكم للرفع، وقيل: للوقف، وقيل: للأضبط رواة، وقيل: للأكثر رواة، على أنّ مسلما إنّما ذكره في الاتباع، وكذا الخلاف فيما وصل وأرسل)[٣].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١١٦. إكمال الإكمال، ١/ ١١٦.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢١٣.

ومن ذلك أيضا ما رواه الإمام مسلم، بسنده، إلى سفيان بن عيينة، حدثنا مطرف وابن أبجر، سمعا الشعبي يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يخبر به الناس على المنبر. قال سفيان: رفعه أحدهما، أراه ابن أبجر، قال سأل موسى r ربّه عزّ وجلّ ... الخ. الحديث.

قال السنوسي: (وقوله: رفعه أحدهما، أي: إلى رسول الله r، يعني والآخر أوقفه على المغيرة، فقال: عن المغيرة، قال: سأل موسى، والضمير في أحدهما يعود على مطرّف وابن أبجر شَيْخَيْ سفيان، والحكم للمرفوع على الصحيح؛ لأنّه ثقة)(١).

٣٢ ـ إذا روى المحدّث حديثا بإسنادين، وساق المتن مع الطريق، ثمّ قال في الثانية: بمثله، فهل يجوز أن يرويَ المتنَ بالإسناد الثاني مقتصرا عليه.

قال السنوسي: (اختلفوا ...)، ثمّ نقل عن النووي أنّ الأظهر منعُه، وهو قول شعبة، وأجازه سفيان الثوري بشرط أن يكون الشيخ المحدث ضابطا متحفظا مميّزا بين الألفاظ.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٥٠.

قلت: لأنّ هذا من باب الرواية بالمعنى، فيشترط فيه ما يشترط فيها.

أمّا يحيى بن معين ففرّق بين قوله (بمثله) وقوله (نحوه)، فأجازه في الأولى، ومنعه في الثانية، بناء على مذهبه في منع الرواية بالمعنى.

وذكر السنوسي اختيار الخطيب في هذا وهو أن يُورِدَ الإسنادَ الثاني، ثمّ يقول: مثل حديث قبله متنه كذا، ثمّ يسوقه، قال السنوسي ـ نقلا عن النووي ـ: (ولا شكّ في حسنه)[1].

٣٣ ـ قاعدة في حديث المختلط

قد يقع الاختلاف في قبول حديث الراوي بناء على الحكم عليه بالاختلاط، ولكن الاختلاط له زمان يجب أن يعرف ويحدّد، وعندئذ يفرّق بين ما سمع من الراوي المختلط قبل اختلاطه وما سمع منه بعد حصول الاختلاط أو وقع الشكّ في تحديد تاريخ ذلك.

وعلى هذا فما سمع من الراوي قبل اختلاطه يقينا فهو مقبول، وما سمع منه بعد اختلاطه يقينا أو وقع الشك في تحديد تاريخه فحكمه الردّ، هذا الذي عليه جمهور علماء الحديث.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٩. وانظر شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٧.

ومن الأمثلة على ذلك ممّا ذكره السنوسي:

ـ ترجم الإمام السنوسي لعطاء بن السائب ـ وقد مثّل به الإمام مسلم لأهل الطبقة الثانية من الرواة ـ فقال: (مثال للطبقة الثانية، وهو ثقفي، كوفي، تابعي، ثقة، إلاّ أنّه اختلط في آخر عمره، فمن سمع منه قبل ذلك فهو صحيح السماع، ومن سمع منه متأخّرا أو شكّ فيه فهو ساقط، ومن السامعين منه قبل الاختلاط سفيان الثوري وشعبة)(١).

ـ ذكر الإمام السنوسي ما ورد من تضعيف الإمام مالك لصالح مولى التوأمة، بينما خالفه آخرون في هذا الحكم، ولمّا سئل الإمام يحيى بن معين عنه قال: صالح هذا ثقة حجة، فقيل له: إنّ مالكا ترك السماع منه؟ فقال: إنّما أدركه مالك بعدما كبر وخرف، وكذلك الثوري إنّما أدركه بعدما خرف، فسمع منه أحاديث منكرة، ولكن من سمع منه قبل أن يختلط فهو ثبت(٢).

ـ ما ذكره السنوسي أيضا في حقّ سعيد بن أبي عروبة، فقد ضبطه بفتح

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٧.

العين، ثمّ قال: (ويكنى أبا النضر، اختلط في آخر عمره، سنة ثنتين وأربعين ومائة)[١].

قلت: ولا شكّ في أهمية تحديد زمان الاختلاط، من أجل أن يميّز بين ما روي عن هذا الراوي المختلط، فما كان قبل الاختلاط قبل واحتجّ به، وما كان بعده فهو في حكم المردود، تغليبا لاحتمال الخطأ، والله أعلم.

٣٤ ـ قاعدة في رواية الإمام مالك عن الرجل المبهم

أورد الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه أنّ الإمام مالكا سئل عن رجل، فقال للسائل: (هل رأيته في كتبي؟)، فقال السائل: لا. فقال مالك: (لو كان ثقة لرأيته في كتبي).

قال السنوسي: (هذا تصريح من مالك t بأنّ من أدخله في كتابه فهو ثقة، أي عنده، وقد لا يكون ثقة عند غيره)[٢].

٣٥ ـ في رواية العدل عن المجهول، هل تكون تعديلا له

قال الإمام السنوسي ـ نقلا عن النووي ـ: (وقد اختلف العلماء في

(١) المصدر السابق، ١/ ٩٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٣٧. شرح النووي، ١/ ١٢٠.

رواية العدل عن مجهول، هل يكون تعديلا له؟ فذهب بعضهم إلى أنّه تعديل، وذهب الجماهير إلى أنّه ليس بتعديل، وهذا هو الصواب؛ فإنّه قد يروي عن الثقة لا للاحتجاج به، بل للاعتبار والاستشهاد أو لغير ذلك. أمّا إذا قال مثل قول مالك أو نحوه، فمن أدخله في كتابه فهو عنده عدل، أمّا إذا قال: أخبرني الثقة فإنّه يكفي في التعديل عند موافق القائل في المذهب وأسباب الجرح على المختار. فأمّا من لا يوافقه أو يجهل حاله فلا يكفي في التعديل في حقه)(١).

٣٦ـ في وجوب العمل بخبر الواحد

فقد نقل عن الإمام النووي قوله: (هذا الذى قاله مسلم رحمه الله تنبيه على القاعدة العظيمة التى ينبنى عليها معظم أحكام الشرع، وهو وجوب العمل بخبر الواحد، فينبغى الاهتمام بها والاعتناء بتحقيقها، وقد أطنب العلماء فى الاحتجاج لها وايضاحها، وأفردها جماعة من السلف بالتصنيف واعتنى بها أئمة المحدثين، وهي مبسوطة بأدلّتها في

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٧. شرح النووي، ١/ ١٢٠. وانظر: إكمال المعلم، ١/ ١٥٨.

أصول الفقه)[١].

٣٧ ـ قاعدة في حديث المدلّس

ذهب جمهور العلماء إلى التفصيل في حكم حديث المدلّس، فإذا روى بالعنعنة فحكم حديثه الردّ؛ لاحتمال أن يكون دلّس فيه، أمّا إذا صرّح بالسماع فحديثه مقبول؛ لأنّه ثقة، وقد انتفت شبهة التدليس بتصريحه بالسماع.

وقد اهتمّ الإمام السنوسي بهذه القاعدة فأورد مجموعةً من التنبيهات والتطبيقات في بيانها، وقد أمكن رصد ثلاثة مواضع في الجزء الأوّل، وهي:

الأوّل: نقل عن النووي قوله: (الأعمش مدلّس، والمدلّس إذا قال: عن، لا يحتجّ به، إلاّ إذا صرّح بالسماع من طريق آخر، وتقدّم أنّ ما في الصحيحين من ذلك محمول على أنّه سمعه من طريق آخر)[٢].

الثاني: وفي قول مسلم في سنده: (قال يعقوب في روايته: حدثنا

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٤. شرح النووي، ١/ ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٨٥.

سيار). قال السنوسي: (والمدلّس إذا قال: عن لا يحتجّ به، إلاّ إذا ثبت سماعه من جهة أخرى، فبيّن برواية يعقوب اتصالَ رواية هشيم بسيار)[١].

الثالث: روى الإمام مسلم حديثا بعدّة أسانيد، عن الأعمش وهو سليمان بن مهران، ثمّ قال: (وحدثني يحيى بن حبيب الحارثي، حدثنا خالد، يعني ابن الحرث، حدثنا شعبة كلّهم بهذا الإسناد مثله، وفي رواية شعبة عن سليمان، قال: سمعت ذكوان ...).

قال السنوسي: (قوله: بهذا الإسناد: يعني أنّ هؤلاء الجماعة وهم جرير وعبثر وشعبة رووه عن الأعمش كما رواه وكيع في الطريق الأوّل، إلاّ أنّ شعبة زاد هنا فائدة حسنة، قال: عن سليمان ـ وهو الأعمش ـ سمعت ذكوان ـ وهو أبو صالح ـ فصرّح بالسماع، وفي الروايات الباقية يقول: عن)[٢].

وقال بعد ذلك بقليل: (قوله: عن الأعمش عن أبي صالح، تقدّم أنّ

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٦٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢١٨.

الأعمش مدلّس، فلا يحتجّ به إلاّ إذا ثبت السماع من جهة أخرى، وقد ثبت هنا في الطريق الآخر من رواية شعبة)[١].

٣٨ ـ الإسناد العالي

وهو الإسناد الذي قلّ رجاله، وله عند العلماء فضل وميزة، ويظهر ذلك في أنّ كلّ رجل من رجال السند يحتمل أن يكون الخلل من جهته، سهوا أو عمدا، ففي قلّة الرواة قلّة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، ولذلك تواتر عن علماء الحديث استحبابُ الإسناد العالي والترغيب في تحصيله.

وقد وجدت للإمام السنوسي موضعا واحدا في الجزء الأوّل ينوّه فيه بالإسناد العالي، وذلك في قول الراوي: (.. ثمّ سمعته منه)، فقد قال السنوسي عقبه: (هذا تنبيه منه على علوّ إسناده هنا، فإنّه نقص عنه رجلان)[٢].

التنبيه على الإدراج الواقع في أسانيد الأحاديث ومتونها

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٢٣.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٣٤.

في حديث عائشة في بدء الوحي: (فكان يخلو بغار حراء يتحنّث فيه وهو التعبد ..).

قال السنوسي: (فسره في الأصل بالتعبد، فيكون إدراجا، قيل: وهو من تفسير الزهري، ويدل عليه ما في التفسير من صحيح البخاري من رواية يونس[(١)]. ويبعد كونه من تفسير عائشة رضي الله عنها لأن عروة الذي خاطبته لا يحتاج إلى تفسيره. وقال المازري: يتحنث أي يتعبد، قاله مسلم، فظاهره أنه من إدراج مسلم، وهو بعيد؛ لأن البخاري قبل مسلم، وقد نقله كذلك)[(٢)].

تنبيه على دقّة منهج الإمام مسلم وتحرّيه الزائد في ضبط ألفاظ الحديث

وهذه مسألة تحدّث عنه كثير من العلماء السابقين ونوّهوا بها، وجعلوا ذلك من مناقب الإمام مسلم ودلالةً على ورعه في رواية الحديث.

١ ـ ومن الأمثلة على ذلك ما اشتهر عنه من حرصه على التمييز بين

(١) صحيح البخاري. التفسير/سورة العلق(٤٩٥٢).

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٤.

صيغ الأداء، مثل حدّثني وحدثنا، وأخبرني وأخبرنا، ونحو ذلك.

وكان الإمام السنوسي قد أتى على ذكر هذه المسألة سابقا[١]، وأشار إلى أنّه سوف يأتي بيان ذلك، وقد وفّى بذلك، فقال رحمه الله ـ في فائدة من فائدتين ذكرهما: (الثانية: من لطائف صنعة الإسناد الذي اختصّ به مسلم رضي الله عنه وتجده يتحرّاها أجزل الله مثوبته الفرقُ بين حدثني وحدثنا، وأخبرني وأخبرنا، فحدثني: فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ، وحدثنا: فيما سمعه مع غيره، وأخبرني: فيما قرأه وحده على الشيخ، وأخبرنا: فيما قرئ على الشيخ بحضرته)[٢]، ثمّ نقل عن النووي أنّ هذا الاصطلاح بحسب الأولى، ولكن لو أبدل حرفا بآخر فلا أثر له على الرواية[٣].

ثمّ نقل عن الأبي ـ وربما هو الموضع الوحيد الذي نقل عنه هنا في شرح المقدّمة[٤] ـ: (أمّا أن قراءة الشيخ يعبّر عنها بحدثني وحدثنا،

(١) المصدر السابق، ١/ ٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٥.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ١٥١.

(٤) والسبب كما ذكرنا سابقا أنّ الأبي رحمه الله تعالى لم يتعرّض في شرحه لمقدّمة الإمام =

وقراءة التلميذ بأخبرني وأخبرنا، فهو الذي عليه الأكثر، وأجاز بعضهم حدثنا في قراءة التلميذ، ثمّ حيث يقول حدثني أو حدثنا، فإنّما ذلك إذا قصد الشيخ إسماعه، وإن لم يقصد فإنّما يقول: قال الشيخ، أو حدثنا، أو سمعته يقول، وحيث يقول: أخبرني أو أخبرنا، فالأكثر على أنّه يقوله دون تقييد، ومنعه قوم حتى يقول: قراءة عليه)(١).

٢ ـ ومن ذلك أيضا ما قاله تعليقا على قول الإمام مسلم: حدثنا إسماعيل يعني ابن عليّة: (إنّما قال يعني؛ لأنّ هذه النسبة لم يسمعها من شيخه، واحترز عن الكذب، واحتاج إلى النسبة للتعريف، فقال: يعني، وهذا من ورعه رضي الله عنه)(٢)، ثمّ قال: (وقد أكثر البخاري ومسلم رضي الله عنهما من هذا الاحتياط، إلاّ أن البخاري كثيرا ما يقول: هو ابن فلان، ومسلم كثيرا ما يقول: يعني ابن فلان، وكلاهما سواء)(٣).

=

مسلم، لذلك لم يجد السنوسي ما ينقله عنه، أمّا كلامه هذا الذي نقله عن الأبّي فلم يتسنَّ لي معرفة موضعه من إكمال الإكمال.

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٦.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٦.

٣ ـ وبصدد المفاضلة بين الصحيحين، قال: (اعلم أنّ كتاب البخاري وإن كان أصحَّ وأجلَ وأكثرَ فوائدَ من مسلم، فقد اختصّ مسلم رضي الله عنه بلطائف من صنعة الإسناد تجده يتحرّاها، رضي الله تعالى عنه). ثمّ نقل عن الإمام النووي مثالين على ذلك بمناسبة الحديث المذكور، فقال: (فمنها أنّه قال أوّلا: حدثني أبو خيثمة، ثمّ قال في الطريق الآخر: وحدّثنا عبيدالله بن معاذ، ففرّق ـ لورعه واحتياطه ـ بين حدثني وحدثنا؛ لأنّ الأوّل فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ، والثاني فيما سمعه مع غيره)[1].

وقال بعده: (ومنها أنّه قال في الطريق الأول: حدثنا وكيع عن كهمس، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، ثمّ في الطريق الثاني أعاد الرواية عن كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيى، فقد يظنّ الظانّ أنّ هذا تطويل لا يليق بإتقان مسلم، فكان ينبغي أن يقف بالطريق الأول على وكيع، ويجمع معاذا ووكيعا في الرواية عن كهمس، عن ابن بريدة؟

والجواب أنّ مسلما t ؛ لدقّة نظره، وعظيم إتقانه، وشدّة احتياطه،

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٥٠.

وخوفه من الله تعالى رأى أنّ الاختصار هنا يحصل به خلل، وذلك أنّ وكيعا في هذا السند قال: عن كهمس، ومعاذ قال: حدثنا كهمس، وقد علم ممّا قدّمناه في باب المعنعن أنّ العلماء اختلفوا في الاحتجاج بالمعنعن، ولم يختلفوا في المتصل، فأتى مسلم t بالروايتين كما سمعت؛ ليعرف المتفق عليه من المختلف فيه، وليكون راويا باللفظ الذي سمعه، ولهذا في كتابه نظائر)[(١)].

ثمّ قال السنوسي: (وهذا من أظهر دليل على شدّة ورعه t ، فإنّ مذهبه على ما سبق أنّ المعنعن والمتصل بلفظ حدثنا واحد، بل قدم الإجماع فيما سبق على ذلك، ومع هذا لم يتركه الورع أن يبدّل لفظ الراوي بما هو بمعناه عنده، فلله درّه! ما أزكاه من ورع!)[(٢)].

قلت: وهذا الذي ذكره السنوسي رحمه الله أخيرا لفتة طيّبة لم أر من ذكرها قبله، رحمه الله[(٣)].

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٥٠.

(٣) انظر شرح النووي، ١/ ١٥٢، الذي نقل عنه السنوسي بعض هذه الفوائد، حيث لم يذكر هذه اللفتة على ندرتها، والله أعلم.

٤ ـ ثمّ قال بعدها: (وهنا لطيفة أخرى ترك مسلم لأجلها الاختصار، وذلك أنّ في رواية وكيع قال: عن عبدالله بن بريدة، وفي رواية معاذ قال: عن ابن بريدة، ولم يسمّه، فلو أتى بأحد اللفظين عنهما معا حصل الخلل؛ فإنّه إن قال ابن بريدة لم يدرَ اسمه، وهل هو عبدالله، أو أخوه سليمان بن بريدة، وإن قال عبدالله بن بريدة كان كاذبا على معاذ؛ فإنّه ليس في روايته: عبدالله)(١).

٥ ـ ومن ذلك أيضا قوله: (ومنها قوله: وحدثنا عبيدالله بن معاذ، وهذا حديثه، فهذه عادة لمسلم رحمه الله تعالى، قد أكثر منها، وقد استعملها غيره قليلا، وهي مصرِّحةٌ بتحقيقه، وشديد ورعه، واحتياطه، ومقصودُه أنّ الروايتين اتفقتا في المعنى، واختلفتا في اللفظ، وهذا لفظ فلان، والآخر بمعناه)(٢).

٦ ـ ومن ذلك أيضا قوله: (هذا من احتياط مسلم t ، فإنّ غندرا هو محمد بن جعفر، ولكنْ أبو بكر ذكره بلقبه، والآخران باسمه ونسبه.

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٥٠. وفي الموضع نفسه مثال آخر على هذه المسألة.

(٢) المصدر السابق، ١ /٥١.

وقال أبوبكر: عن شعبة، وقال الآخران عنه: حدثنا شعبة، فحصلت المخالفة بينه وبينهما من وجهين)[١].

٧ ـ ومن ذلك قوله: (قوله: عن ابن عباس عن معاذ، وفي الآخر: أنّ معاذا: إذا حدّث صحابي عن صحابي، فلا فرق بين عن وأنّ في صحة الاتصال عند الأكثر، وقال جماعة: تقتضي الانقطاع، لكنّه مرسل صحابي فهو في حكم المتصل على المشهور، خلافا للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، فاحتاط مسلم رحمه الله تعالى بذكر الأمرين)[٢].

٨ ـ ومن ذلك ما قال الإمام مسلم: (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم، قال أبو بكر حدثنا ابن علية ...) الخ، وابن علية هو نفسه إسماعيل بن إبراهيم.

قال السنوسي: (هذا احتياط من مسلم t ؛ فإنّ أحد الراويين قال: ابن علية، والآخر قال: إسماعيل بن إبراهيم، فجمع بينهما ولم يقتصر على أحدهما)[٣].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٩١.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٩٨.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١١٢.

قلت: وأيضا فإنّ فيه بيانا باختلاف صيغ التحمّل والأداء، فإنّ أبا بكر صرّح في روايته بالتحديث، بينما روى زهير بن حرب عن إسماعيل بالعنعنة، وهذه العنعنة لا تضرّ الحديث أصلا؛ لأنّ زهير بن حرب غير معروف بالتدليس، ولكنّ الإمام مسلما أبى إلاّ بيانَ ذلك والتمييزَ بين صيغ الأداء والتحمّل، مبالغة في التحرّي والتحقيق، رحمه الله.

٩ ـ قال الإمام مسلم: وحدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار، حدثانا ـ واللفظ لأبي غسان ـ قالوا ... الخ.

قال الإمام السنوسي: (قوله: حدثانا: خبر عن قوله: محمد بن المثنى وابن بشار، وإنّما لم يعطفهما على أبي غسان لشدّة احتياطه وإتقانه t ؛ لأنّ أبا غسان سمع منه وحده، ولهذا قال: حدثني، وهذا سمع منهما مع غيره، فلهذا قال: حدثانا، فقوله: محمد بن المثنى مبتدأ لا معطوف على أبي غسان، فتنبّه لهذه اللطيفة)[1].

١٠ ـ في قول مسلم في إسناده: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق بن منصور، وعبدالوارث بن عبد الصمد، كلّهم، عن عبدالصمد بن

(١) المصدر السابق، ١/٣٦٨.

عبدالوارث، عن شعبة عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك الأنصاري.

ثمّ قال: ح، وحدثنا محمد بن رافع حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك، وذكر الحديث.

نقل الإمام السنوسي عن النووي أنّه قد يقال إنّ هذا تطويل، وكان حقّه أن يقتصر أوّلا على أبي قلابة، ثمّ يسوق الطريق الآخر إليه، فأمّا ذكر ثابت فلا حاجة إليه أوّلا.

ثمّ قال: (وجوابه أنّ في الرواية الأولى روايةِ شعبة عن أيوب، نسبَ ثابتَ بْنَ الضحاك، فقال: الأنصاري، وفي رواية الثوري عن خالد لم ينسبه، فلم يكن له بدّ من فعل ما فعل)(١).

١١ ـ في سند الإمام مسلم: حدثني ابن وهب، قال: وأخبرني عمرو.

قال الإمام السنوسي: (فيه دقيقة نفيسة، وذلك أنّ يونس سمع من ابن وهب عن عمرو أحاديث جمّة، منها هذا الحديث، وليس هو الأوّل

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٢١.

منها، ولا شكّ أنّ ابن وهب يعطف ما عدا الأوّل عليه بالواو، فيقول: أخبرني عمرو بكذا، وأخبرني عمرو بكذا، إلى آخرها، فأتى يونس بالواو احتياطا ومحافظة على اللفظ كما سمع)[1].

١٢ ـ في سند الإمام مسلم: عن صالح عن الشعبي قال: رأيت رجلا سأل الشعبي:

قال الإمام السنوسي: (فيه لطيفة يتكرّر مثلها، وإلاّ فظاهر اللفظ غير منتظم، ولكن تقديره: حدثنا صالح عن الشعبي بحديث، وقصته طويلة، قال فيها صالح: رأيت رجلا سأل الشعبي)[2].

ذكر من أكثر الإمام مسلم من الرواية عنهم من مشايخه.

١ ـ قال عند ذكر أبي بكر بن أبي شيبة: (واسم أبي بكر بن أبي شيبة: عبدالله، وقد أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه، وعن أخيه عثمان، ولكن عن أبي بكر أكثر، وهما أيضا شيخا البخاري، وهما منسوبان إلى جدّهما)[3].

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ١/١٥.

الفصل الخامس

علوم اللغة عند السنوسي في كتابه

اللغة أداة فهم علوم الشريعة، وبقدر التمكّن منها يكون النجاحُ في فهم نصوص القرآن والسنّة، والمتتبّع لشرح الإمام السنوسي يلحظ أنّ الإمام السنوسي قد أوتي حظا وافرا من علوم اللغة، انعكس أثره على كثرة اهتمامه بالجوانب اللغوية في الحديث النبوي الشريف في كتابه هذا.

فلا توجد صفحة من صفحات هذا الشرح المبارك تخلو من إشارة إلى ناحية من نواحي اللغة، من إعراب لفظة، أو شرح جملة، أو ضبط كلمة ممّا يُشكل معرفةَ الصواب فيه، أو موقع لفظ من الإعراب، أو تقديم وتأخير في الجمل واختلاف اللغات في اللفظ الواحد، ثمّ جوانب البلاغة العربية، بمعانيها، وبيانها، وبديعها، ثمّ الاستشهاد بالشعر العربي الذي أخذ مساحة لا باس بها، وغير ذلك من جوانب الاهتمام بقضايا اللغة العربية.

وفيما يلي ذكر نماذج من اهتمامه بعلوم اللغة في شرحه:

أوّلا: الاهتمام بضبط الألفاظ

رأينا فيما سبق كيف حرص الإمام السنوسي على ضبط أسماء الرجال، من الصحابة والتابعين ورواة الأحاديث، رعاية لصحّة الرواية ودفعا لوقوع الالتباس بسبب المتفق والمفترق وغير ذلك، ونراه هنا أيضا

يحرص على ضبط الألفاظ العربية عامّة، للغرض نفسه.

وفيما يلي نماذج من هذا الاهتمام:

١ ـ في معنى (زعمت) التي استعملها الإمام مسلم في مقدّمته. قال السنوسي: (زعمت: أي اعتقدت أو قلت من غير تقييد بأنّ هذا القول غير مرضي، ومنه قول ضمام بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه للنبيّ r : زعم رسولك، أي: قال. وقد أكثر سيبويه في الكتاب من قوله: زعم الخليل، في أشياء يرتضيها)(١). وفي موضع لاحق اكتفى بما ذكره الأبّي(٢).

٢ ـ ومن ذلك ـ مثلا ـ أنّ الأبّي ترك الكلامَ عن قول عمر بن الخطاب: (لا يرى عليه أثر السفر)(٣)، وبيان ما فيه من ضبط ألفاظه، فنقل السنوسي عن النووي أنّه قال: (ضبطناه بالياء المثناة من تحت، المضمومة، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره، وضبطه الحافظ أبو حازم العبدري هنا: نرى، بالنون المفتوحة، وكلاهما صحيح)(٤).

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٥٥.

(٣) وذلك في حديث جبريل المشهور.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٦٠.

٣ ـ ومن ذلك أنّ الأبّي ترك ضبط لفظ (حجّة)[1]، فاستدرك عليه السنوسي ذلك ـ نقلا عن النووي ـ فقال: ((فحججنا حجة) هي بكسر الحاء وفتحها لغتان، فالكسر هو المسموع من العرب، والفتح هو القياس كالضربة وشبهها)[2].

٤ ـ ومن ذلك ما قاله عند الإشارة في قول الإمام مسلم: (فذلك إن شاء الله يهجم ... الخ)، قال: الإشارة راجعة إلى من رزق بعض التيقّظ، أو الخاصّة من الناس بتأويل المذكور. والضمير في (أسبابه وعلله) يعود على السقيم، ويصحّ عود الضمير في (أسبابه) على التيقّظ، إلاّ أنّه يلزم عليه تفكيك الضمائر، إذ الضمير في (علله) لا يصحّ فيه ذلك[3].

وفي موضع آخر قال: (قوله (ممّن رزق بعض التيقّظ) بيان للناس، أو لخاصة، فمن لبيان الجنس، أي: الذين رزقوا، فعلى أنّها بيان للناس لا يكون كلّ من رزق بعض التيقّظ ينفعه الاستكثار عاما لكلّ من رزق

(١) في قول يحيى بن يعمر: (فحججت أنا وحميد بن عبدالرحمن حجّة ...). وانظر: إكمال الإكمال، ١/ ٧٤.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٧٤. وانظر شرح النووي، ١/ ١٦٠.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٨.

بعض التيقّظ).

وبعده قال: (قوله (بما أوتي من ذلك): الباء سببية، والإشارة راجعة إلى بعض التيقّظ والمعرفة، أو إلى نفس التيقّظ والمعرفة، وهو أظهر، و(من) ـ على الأوّل ـ لبيان الجنس، وعلى الثاني للتبعيض).

فانظر إلى الدقّة والعمق في فهم المعاني وسياق الألفاظ والضمائر وغير ذلك.

ثانيا: بيان اللغات الواردة في اللفظ الواحد

١ ـ ومن ذلك ما قاله عند قول الإمام مسلم في المقدّمة: (ممّا يَشغَلك)، قال: هو بفتح الياء والغين(يَشغَلك)، مضارع شغل الثلاثي، وهو اللغة الفصيحة الشهيرة، وعليها قوله تعالى:﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا ﴾. [الفتح: ١١]، وفيها لغة رَدِيَّةٌ حكاها الجوهري: أشغله يُشغله، فعلى هذه اللغة يصحّ أن يضبط قوله: يُشغِلك، بضمّ الياء وكسر الغين[١].

٢ ـ ومن ذلك قوله: قوله ـ يعني الإمام مسلما ـ: وقد عجزوا، هو بفتح الجيم في الماضي، وكسرها في المستقبل، وهي اللغة الفصيحة، وحكى

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥.

الأصمعي لغة أخرى بعكس الأولى، وفي القرآن: ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ ﴾. [المائدة: ٣١]، فجاء على اللغة الفصيحة[1].

٣ ـ في معنى: هيهات ثلاث عشرة لغة، ذكرها الواحدي، ثمّ أتى على ذكرها بطريقة مختصرة، مع ذكر فوائد أخرى تتعلق بهذه اللفظة[2].

٤ ـ قوله: (يمصّونه): في الميم الفتح والضم، وهما معا مضارع مصصت بكسر الصاد، وأمّا مصصت بفتحها فمضارعه بضم الميم لا غير، وفي الأمر منه نحو: مص الرمانة ومصها خمس لغات على ما ذكر ثعلب: فتح الميم مع فتح الصاد وكسرها، وضم الميم مع الحركات الثلاث في الصاد، والمعروف في مصها مما يتصل بضمير الواحدة فتح الصاد[3].

٥ ـ قوله: (ثمّ أسندوا عظم ذلك وكبره): أما عظم فهو بضم العين وإسكان الظاء، أي: معظمه، وأمّا كبره فبضم الكاف وكسرها، وخطّأ أبو عمرو بن العلاء قراءة الأعرج: ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾. [النور: ١١]،

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٨.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٢.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١١٥.

بالضمّ[١].

٦ ـ في قوله r : (.. ولا تؤمنوا حتى تحابوا ..).

قال السنوسي: (وحذف النون من (ولا تؤمنوا) على الأولين تخفيف، وهي لغة، وعلى الثالث للجزم ..)[٢].

٧ ـ في قوله r : (عودا عودا)، قال السنوسي: (ضبط بثلاثة أوجه، أظهرها: بضم العين وبالدال المهملة. والثاني فتح العين وبالدال المهملة أيضًا. والثالث بفتح العين والذال المعجمة)[٣]، ثـمّ شرع في بيان المعنى وفق اللغات السابقة[٤].

ثالثا: التنبيه على الفوائد والنكت اللغوية

١ ـ فمن ذلك ما قاله في قوله r : (وأن تؤمن بالقدر)، قال: (فكأنه أعاد العامل فيه اعتناءً بشأنه، وتنبيهًا على أن المصيبة تجيء الأمة منه، ويدل أيضًا على اعتنائه بهذا النوع إعادتُه له مع دخوله في الإيمان بالله تعالى؛ إذ

(١) المصدر السابق، ١/١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ١/١٦٢.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٥١.

(٤) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٥١.

من الإيمان بالله تعالى الإيمانُ بقدم جميع صفاته، وأنه يستحيل على ذاته الحوادثُ، ويدخل في صفاته علمُه وإرادتُه المعبرُ عن قِدمها بالقدر)(١).

٢ ـ في قوله: (فغطني حتى بلغ مني الجهد).

قال السنوسي: (ومعنى حتى بلغ مني الجهدَ أي: نهاية جهدي في قدري، ويدل على إضافة الجهد إليه r قوله: مني، ولذا قدمه على الجهد، اهتمامًا واحترامًا؛ لئلا يتوهم قبل ذكره مؤخرًا أن المراد حتى بلغ الملك جهدَه في الغط والعصر، وهذا على المعتاد من قوة الملك لا يصح؛ لأنه لو بذل قوته لأهلك الدنيا بأسرها، ألا ترى كيف حمل مدائن لوط الخمس على خافق جناحه إلى أن سمعت ملائكة السماء صوت ما فيها وقلب عاليها سافلها؟ اللهم إلا أن يُعطي الله نبيَّه r من القوة ما يستفرغ الملَكُ معها جهدَه ولا يضره بأكثر مما وقع، كما قواه الله جل وعلا ليلة الإسراء على العروج في منازل لم يستطعها أكابرُ الملائكة وخافوا لو صعدوا فيها أن يحترقوا بعظيم نورها أو يُضْعف سبحانه قوةَ الملَك حتى لا تضر نبيَّه r غايتُها، وفاعل (بلغ) على الوجهين يعود على الملك أو على الغط

(١) المصدر السابق، ١/ ٦٨.

المفهوم من (غطني) والجهد مفعوله، وهو على الأول مضاف في المعنى لضمير الرسول r أي جهدي، وأظهره مجرورًا بمن وقدمه على مذهب البصريين، ولم يستغن عنه بـ(ال) على مذهب الكوفيين دفعًا للإيهام المذكور، وهو متعلق بالجهد، ولا يضر تقدمه عليه؛ لعدم انحلاله إلى أن والفعل حتى يكون كالموصول إذ ذاك في المصدر الذي يقصد به التجدد لا الثبوت، ويصح تعلقه ببلغ أو بفعل مضمر أي: فنال، أو يكون حالاً من الجهد مقدمًا، وعلى الثاني يكون مضافًا في المعنى إلى ضمير الملك أي: جهده، فنابت أل عن الضمير على مذهب الكوفيين، أو يقدر بعده منه على مذهب البصريين ومنى في هذا الوجه يتعلق بما قبله، ويروى الجهد بالرفع فاعل (بلغ) مُنـزَّلاً منزلة القاصر، أي: انتهى الجهد على الاحتمالين، أو يقدر له مفعول، أي: غايته، أو مبلغًا عظيمًا على الاحتمالين أيضًا، ويكون حذفه لتذهب النفس كل مذهب، وعلى اللزوم يكون الإسناد حقيقيًا، وعلى التعدي يكون مجازيًا)[1].

وربّما ناقش الإمام السنوسي بعض القضايا اللغوية إذا اقتضى الأمر

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٩.

ذلك.

ومن ذلك قول ورقة بن نوفل: (إذ يخرجك ..). قال السنوسي: (أصل إذ أن تكون للماضي من الزمان واستعملت هنا للمستقبل من الزمان لأن الإخراج الذي هو مظروفها مستقبل وذلك بالمجاز والتأويل عند الجمهور لا بالاشتراك خلافًا لابن مالك فإنه قال هو استعمال صحيح غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين. قال: ومن عكسه ـ وهو وقوع إذا موقع إذ ـ:{ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ }. [عمران: ١٥٦] وقوله:{ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ }، الآية[التوبة: ٩٢]، وقوله:{ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا }. [الجمعة: ١١].

ومن ذلك قوله r : (بينا أمشي..) الخ، فقد عرض الإمام السنوسي لضبط هذه الجملة وبيان أحوالها الإعرابية، تمهيدا لبيان معناها، فقال: (بين ظرف مكان يتخلل شيئين أو أشياء تحقيقًا أو تقديرًا ثم زيدت عليها الألف كما هنا أو ما نحو بينما فصارت ظرف زمان، وكانت قبل اتصالها بهما تضاف إلى مفرد، وبعده تضاف إلى جملة اسمية وكأنّهما كفّاها عن عملها في المفرد الذي كانت تضاف إليه وقيل بينا وبينما أصلان لأنفسهما وتقع بعدهما إذا كما هنا وتركها معهما أقيس وأكثر وأفصح. وإذا بعدهما

يحتمل أن تكون للمفاجأ فيختلف فيها بالحرفية والظرفية الزمانية والمكانية كالخلاف في إذ حيث تأتي للمفاجأ وقيل إذا زائدة والعامل في بينما وبينا ما بعد إذا من فعل وعلى القول بعدم زيادتها فالعامل فيهما فعل يدل عليه الفعل الذي بعد إذا وقيل ما يفهم من الكلام وإذا بدل منهما. واختلف أيضًا في العامل فيهما ان لم تكن إذا فقيل الفعل بعدها وقيل معنى الجملة ومن النحويين من زعم أنهما بعد زيادة الألف وما تضافان إلى زمن مفرد مقدر فالتقدير في نحو بينا زيد قائم جاء عمرو بينا أوقات زيد قائم وتقدير المعنى في الحديث على الجادة سمعت بين خلال مشي صوتًا حين سمعت صوتًا من السماء أي من جهتها ولا يخفى تقديره على بقية الأقوال(١).

رابعا: الاهتمام بالإعراب وتوضيح ما قد يشكل من ذلك، ومناقشة بعض الخلاف الواقع بين الشراح

١ ـ فمن ذلك ـ مثلا ـ أنّه أورد قول مسلم: (صاحب الدم قدر الدرهم)، فقال السنوسي: (الظاهر جرّ قدر الدرهم على البدل أو عطف

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠١.

البيان للدم قبله)[١].

٢ ـ وفي كلام الراوي عن يحيى بن يعمر: (.. وذكر من شأنهم)[٢]. قال السنوسي: (فيكون من حذف المفعول تعظيما له بالإبهام، أي ذكر من شأنهم في البحث عن العلم واستخراج غوامضه شيئا عظيما، أو بالتعميم لتذهب النفس فيه كلّ مذهب ممكن[٣]، ويحتمل أن يكون الغرض في حذفه ضدّ ما أشار إليه النووي وعياض والأبّي، وهو صون اللسان عن ذكره، ويكون المعنى: وذكر من شأنهم في نفي القدر والابتداع في العقائد ما يجب أن يصان اللسان عن ذكره. وعلى كلٍّ ففائدة وصفهم بالاجتهاد في العلم[٤] والتوسّع فيه الموجب لهم القدوة وتقليد الغير المبالغة في استدعاء ابن عمر رضي الله عنهما لاستفراغ الوسع في النظر فيما يزعمون؛

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٩.

(٢) في حديثه لعبدالله بن عمر عن معبد الجهني وأصحابه بالبصرة.

(٣) انظر: الشروح الثلاثة في هذا الموضع.

(٤) هذا رجوع من السنوسي إلى تفسير رأي القاضي والنووي والأبّي، وكأنّه ارتضى قولهم أيضا، ولذلك قال في آخر كلامه: (ومن هنا يصحّ أن يكون الغرض من ذكر أوصافهم مجموع الأمرين).

لأنّ أقوال الأغبياء قد لا يهتبل العلماء بشأنها[١]، ويكتفون بردّها بأدنى نظر، فجواب ابن عمر رضي الله عنهما بعد تلك الأوصاف من أثبت شيء وأحقّه، وقد يكون الغرض في ذكر ما وصفهم به من العلم وكونهم مع ذلك يزعمون ما يزعمون إظهار التشكّي والتلهّف بما نال المسلمين من مصيبتهم، إلاّ أنّ هذا إنّما يحسن إذا كان ابن عمر[٢] قد أحسّ ببدعتهم وسوء نظرهم، وإنّما سأل ابن عمر رضي الله عنهما ليحقّق العلم من معدنه، ويرسخ ما كان في روايته، وهذا هو الظاهر؛ إذ يبعد أن يخفى أمر أقوالهم على مثل يحيى بن يعمر، ويدلّ عليه قوله: يزعمون، على ما يأتي في معنى الزعم[٣]، ومن هنا يصحّ أن يكون الغرض من ذكر أوصافهم مجموع الأمرين، والله تعالى أعلم)[٤].

---

(١) لعلّ المقصود أنّهم لا يولونها اهتماما كبيرا ولا يهتمون باستفراغ الوسع والجهد في الردّ عليها، ولكن عندما تكون صادرة عن بعض من يؤنس منه العلم، فإنّ الهمّة تنشط للردّ عليهم بشكل كاف، والله أعلم.

(٢) هكذا في أصل الكتاب، وهو خطأ ظاهر، والصواب: ابن يعمر، يعني يحيى، والله أعلم.

(٣) انظر: مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٥٥.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٥٤ ـ ٥٥.

٣ ـ في قوله r : (أو مخرجي). قال السنوسي: (وأصل مخرجي مخرجوني جمع مخرج فحذفت النون للإضافة فبقى مخرجوي فأبدلت الواو ياء لسكونها قبل الياء وأدغمت فيها وأبدلت ضمة الجيم كسرة لتناسب الياء وهو خبر مقدم علامة رفعه الواو المدغمة و(هم) مبتدأ مؤخر، ولا يصح أن يكون مخرجي مبتدأ وهم فاعل سدّ مسدّ الخبر وان اعتمد على الاستفهام لاتصال ضمير الجمع إلا عند من يقول أكلوني البراغيث ومنه في الجمع المكسر { خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ }.[القمر: ٧][(١)].

٤ ـ ومن ذلك أنّه نقل عن بعض الشيوخ اعتراضهم على جعل قوله r : (أو مخرجيّ) معطوفا على ما قبلها، لأنّ ما قبلها من كلام ورقة بن نوفل، وهي من كلام النبيّ r ، فكيف يتعاطفان؟ اللهم إلا عند من لا يشترط كون الكلام من ناطق واحد فنعم، ثم ليس في كلام ورقة ما يصلح ان تعطف عليه إلا قوله يخرجك إلا أنه يقتضي تقييد الإنكار بوقت المعطوف عليه، وليس كذلك، وإنما المنكر وقوع الإخراج في كل زمان، فلم يبق إلا أن يكون المعطوف عليه مقدرًا بين الهمزة والواو على

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

رأي الزمخشري، أو قبل الهمزة على رأي الأكثر، أي يؤذونني وهم مخرجي، أو يتعاطون ظلمى وأهم مخرجي.

ثمّ قال السنوسي: (لم يرد من قال عطفت الجملة على ما قبلها إلا أنها عطفت على جملة محذوفة قبلها دل عليها الكلام السابق لا سيما على ما في السيرة من قول ورقة ليؤذنك وليكذبنك فكأنه r يقول يؤذونني ويكذبونني وأمخرجي هم. مع ذلك كله صلوات الله وسلامه عليه استعظم جمعهم هذه الخصلة إلى الخصلتين السابقتين. ثم في رده العطف على يخرجك باقتضائه التقييد بزمانها نظر لعدم تعين زمان الإخراج في كلام ورقة بل هو تابع لوقوعه وإنما الصحيح في الرد أن يقال لو عطف على يخرجك المذكور في كلام ورقة إن سوغنا الكلام من ناطقين أو المحذوف لدلالته عليه إن لم نسوغه لكان عطفًا للشيء على نفسه إذ هذا الإخراج المستعظم هو نفس الإخراج الذي أخبر به ورقة فيصير المعنى أيخرجني قومي ومخرجي هم أو يخرجني قومي وأهم مخرجي والله أعلم.

٥ ـ قال: (تطعم بضم التاء من أطعم خبر مبتدإ محذوف أي هي أن

تطعم، نحو: تسمع بالمُعَيْدي[١] خير من أن تراه، وحذفت أن التي تخلص للاستقبال ليأتي الفعل بصورة الراجح للحال إظهاراً للرغبة في حصوله والتعجيل به للمحتاج إليه وبصورة المضارع لتصور حالته العظيمة التي أثنى الله بها على مطعمه { **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** }. [الإنسان: ٨]، وللرغبة في تجدد إعطائه واستمراره وصرح بمفعوله الذي هو الطعام احتراسًا من توهم التجوز بتطعم لحديث حسن، أو علم معاوية، ونحو ذلك ومنه لا ينصرفون إلا عن ذواق في وجه وتطعم من الخطاب العام وليس المقصود السائل أي تطعم يا من يصح من الإطعام ولما رُويَ: (حكمي على الواحد حكمي على الجماعة)[٢]. والطعام اسم للمطعوم المقتات وهو عند الفقهاء ما يعد طعامًا لا دواء وعند الأطباء ما ينمي الأبدان وفي الكلام حذف مفعول ثان وهو الأول في الحقيقة والرتبة لأنه

---

(١) هذا مثَل يُضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس، فإذا رأيته ازدريت مرآته. والمعيدي تصغير معدّي منسوب إلى معدّ، و معد هو أبو العرب وهو معدّ بن عدنان، وإنما خُففت الدال؛ استثقالا للجمع بين الشديدتين مع ياء التصغير.

(٢) هذا حديث لا أصل له كما ذكر العراقي والذهبي وغيرهما. انظر: المقاصد الحسنة، ص٣١٢. كشف الخفاء، ١/ ٣٦٤.

الفاعل في المعنى أي المحتاج أو السائل ونحوه وحذف للعلم به أو ينزل الفعل بالنسبة إليه كالقاصر عنه ليفيد العموم في المحتاج وغيره دفعًا للتحكم في تقدير مفعول دون آخر والمراد إيجاد حقيقة الإطعام. وعن البيهقي يحتمل إطعام المحاويج أو الضيافة أو هما جميعًا، وللضيافة في التحابب والتآلف أثر عظيم)[١].

٦ ـ في قوله r : (ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان ...). الحديث. نقل الإمام السنوسي كلام الأبّي في المسوّغ للابتداء بالنكرة، وأنّ ذلك بتقدير محذوف، أي: خصال ثلاث، ثمّ أضاف السنوسي أمثلة لتأكيد هذا الأمر، فقال: (قلت: نحو تسويغ الابتداء بالنكرة لحذف الموصوف قولهم (مؤمن خير من مشرك) أي رجل مؤمن وقولهم: ضعيف عاذ بقرملة[٢]، أي إنسان ضعيف، والقرملة شجرة ضعيفة،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٥.

(٢) في أكثر المصادر: ذليل عاذ بقرملة. والمعنى واحد. انظر: مجمع الأمثال، ص ١٢٢، ١٢٥. المستقصى في أمثال العرب، ص ١٠٠. جمهرة الأمثال، ص ١٠٩، ١١١. وغيرها.

ويحتمل أن يكون المسوغ الإبهام لكونه للتعظيم كما التعجبية)[١].

٧ ـ ومن ذلك ما قاله في قوله r : (لا يؤمن)، قال: (في كثير من الروايات أعني في غير مسلم بحذف الفاعل: وفي رواية: أحدكم، وهو المراد في الأخرى، وحذفه أدخل في العموم لصحة إسناده إلى كل ما يصح الإسناد إليه لبطلان الترجيح بلا مرجح، أي لا يؤمن أحد أو عبد أو الرجل وقد رويت كلها أو مكلف أو من يصح منه الإيمان وحذف الفاعل للعلم به ودلالة السياق وارد وإن قل، ومنه:﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾. [النور: ٤٠]، أي: الكائنُ في تلك الظلمة، و: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر)، أي: الشارب، وأما رواية: (أحدكم)؛ فلكونها ظاهرةً في خطاب الصحابة فتحتمل أن غيرَهم مثلُهم في ذلك، ويحتمل أن يقال: إنهم لشرفهم يُطالَبون بالأكمل، وغيرُهم لكونه أدنى منزلة منهم يكتفى منهم بأدنى من ذلك، ويحتمل أن يكون من الخطاب العام)[٢].

٨ ـ ومن ذلك ما قاله في قوله r : (حتى يحبّ لأخيه ...)، قال: (

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤١.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤٧.

حتى غاية لنفي الإيمان، وهي جارّة، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة واجبة الإضمار، ويمتنع رفع الفعل بعدها لاقتضاء ذلك كون (يحب) منفيا، أي لا يكون إيمان ومحبّة، وهو باطل وضد المقصود)[1].

ثمّ قال: (وقال بعضهم: لا يصحّ العطف بحتى؛ لأنّ عدم الإيمان ليس سببا للمحبّة).

ثمّ نقل السنوسي عن بعض الشيوخ في توضيح القول السابق، أنّه قال: (كأنّه يعني: وليس هو كقولهم: سرت حتى أدخلها ـ بالرفع ـ، لأنّ السير سبب في الدخول، وكأنّه لم يردّه إلاّ بهذا، لا بما لزم من نفي الإيمان والمحبّة، ثمّ هذا المعنى الذي ذكر لحتى إنّما يصحّ فيما إذا كانت ناصبة ووقعت بعد موجب، نحو: سرت حتى أدخل، وأمّا إذا وقعت بعد منفيّ كما هنا، فليس فيما بعدها إلاّ النصب عند سيبويه وغيره، وإنّما أجاز الرفعَ الأخفشُ قياسا، وقال إنّه لم يسمع. ومنهم من تأوّله على الوفاق، وأنّ ما أجاز الأخفش كان أصله موجبا نحو: سرت حتى أدخل، فجاء النفي لنفيهما، أي: ما كان سيرٌ حتى أدخل، وهذا هو الذي أبطلنا حمَل الحديث

(١) المصدر السابق، ١/١٤٩.

عليه، وأمّا حتى العاطفة فلها أحكام أخر، ولا يصحّ حمل الحديث عليها)[١].

خامسا: الجوانب البلاغية في الأحاديث

اهتمّ الإمام السنوسي بالجوانب البلاغية في الحديث، وسعى إلى إبرازها، بل ناقش بعض ما قاله الأبّي أو غيره في ذلك، وتعقّبَهم في بعض ما ذكروه، وأبدى وجهة نظره، وعموما، فقد احتوى شرح الإمام السنوسي على أنواع كثيرة البيان والبديع، مثل الاستعارة، والاستعارة الترشيحية[٢]، وتجنيس الاشتقاق أو التشبيه به[٣]، والمبالغة والمجاز وقصر الصفة على الموصوف[٤]، والطباق المعنوي، وطباق السلب المعنوي: وذلك في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ ﴾. [المدثر: ١،

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ١٤٢، ٣٠٣.

(٣) المصدر السابق، ١/ ١٤١.

(٤) المصدر السابق، ١/ ١٤١. وقصر الصفة على الموصوف: يقوم على تخصيص صفةٍ بأمر دون آخر، أو مكانه، نحو: لا رجلَ إلاّ زيدٌ. انظر: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، ص٩٤.

٢][١]، قال السنوسي: (لأن المدثر غالبًا مضطجع أو قائم أو موصوف بهما وهي أضداد للقيام والإنذار. والجمع بين الإنذار والقيام من التناسب وربك فكبره من طباق السلب المعنوي؛ لأن الحصر يدل على: ولا تكبر غيره).

ومن ذلك أيضا المطابقة: قال السنوسي: (وفي قوله فحمى مع قوله وفتر، أي: الوحي، مطابقة لطيفة؛ لأن الماء وغيره حار وبارد وفاتر والثلاثة متضادة، وإنما طابق حمى بفتر الوسط؛ لأنه كان مترقبًا عوده، والوسط لم يخل من حرارة، ولو كان انقطاعًا لا يعود لقال: وبرد، كما يقال لمن مات: برد)[٢].

ومن ذلك قلب الكلّ، والإيجاز لدلالة المنطوق والمفهوم، وتشابه الأطراف، والإرصاد[٣]، وتواطؤ الفواصل، وهو من المطرف[١]،

---

(١) الطباق أو المطابقة: هي الجمع بين متضادّين، أي: معنيين متقابلين في الجملة. انظر: تلخيص المفتاح، ص١٧٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٣٠٣.

(٣) الإرصاد: ويسمّيه بعضهم: التسهيم، وهو أن يُجعل قبل العجُز من الفقرة، أو البيت، ما يدلّ عليه إذا عرف الرويّ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾. [التوبة، ٧٠، الروم، ٩]. انظر: تلخيص المفتاح، ص١٧٨.

والتشاكل[٢].

ومن ذلك أيضا: الحقيقة والمجاز[٣]، والكناية[٤]، وقصر القلب[٥]، والاستعارة، والمجاز المرسل[٦]، والتشبيه البليغ[٧]، والاستثناء المفرّغ، وقصر الإفراد[٨]، ومفهوم اللقب[١]، والمجاز بالحذف[٢]، والكناية[٣]،

=

(١) المطرّف: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وإن اختلفتا في الوزن، نحو قوله تعالى:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا.وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. [نوح، ١٣، ١٤]. انظر: تلخيص المفتاح، ص٢٠٥.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٣٠٣. وانظر الروض الأنف، ٢/٤٠. والتشاكل أو المشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته، تحقيقا، أو تقديرا، نحو قوله تعالى:﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾. [المائدة: ١١٦]. انظر: تلخيص المفتاح، ص١٧٨.

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٠٩.

(٤) المصدر السابق، ١/٣٦٣.

(٥) المصدر السابق، ١/١٥٠.

(٦) المصدر السابق، ١/١٣٠.

(٧) المصدر السابق، ١/٢٩٢، ، ٢٩٣.

(٨) قصر إفراد: إذا اعتقد المخاطَبُ الشركةَ في المقصور عليه، صفة كان أم موصوفا، نحو: ما زيدٌ إلاّ عالمٌ، أو لا عالمَ إلاّ زيدٌ. انظر: تلخيص المفتاح، ص٩٤.

والاستئناف البياني(٤)، والإيجاز(٥)، والموازنة(٦) والطباق الخفي(٧).

هذه جملة أساليب البلاغة العربية التي ذكرها الإمام السنوسي في الجزء المخصص للدراسة، وهو يدلّ على سعة علم هذا الإمام واطلاعه على اللغة العربية بمعانيها وبديعها وبيانها، وقد أتينا على ذكرها اختصارا.

سادسا: استشهاده بالشعر في تقرير المعاني المستفادة من الأحاديث.

لم يكن الإمام السنوسي شاعرا، ولم أجد له شيئا من شعره مذكورا في

=

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤٤.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٧٢.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١، ، ١/ ٢٨٧.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق، ١/ ١٥٠.

(٦) الموازنة: هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦]. انظر: تلخيص المفتاح، س٢٠٧.

(٧) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٧.

الكتب المطبوعة، سوى بيتين نسبهما إليه صاحب سلك الدرر، وهما[(١)]:

كـــم جاهـــل وعـــالم يـــسكن
لمـا سـمعنا قولـه نحـــن قـــسمنا

ولكن لدى قراءتي في المواهب القدسية (مخطوط) رأيت الملالي أورد للإمام السنوسي جملة من الأشعار، ولكنّه أشار إلى أنّ السنوسي كان يصعب عليه الوزن غاية الصعوبة، رغم معرفته ببحور الشعر العربي وأوزانه، ولذلك كان شعره قليلا.

وقد أورد له الملالي نماذج من شعره، لكن لم أستطع قراءتها نظرا لقدم المخطوطة، وقد رأيت أن أكتفي منها بهذين البيتين من قصيدة في مدح رسول الله ﷺ:

فكيـــف ومـــا وما العـزّ إلاّ عـزّكم
بكـــم صـــارت وتقطـــع بيـــداء

ولكن رغم قلّة شعر الإمام السنوسي، فإنّ تمكّنه من معرفة اللغة

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤/٢٢٣، ثمّ ذكر أنّ الإمام موسى بن سعد المحاسني، الدمشقي خمّسهما. وقد ذكرهما الثعالبي في تفسيره دون أن ينسبهما إلى أحد.

أعطته فرصة لحفظ الشعر العربي قديمه وحديثه، وقد أحسن في توظيف هذه المعرفة في كتبه بصفة عامّة، وأمّا في شرحه على صحيح مسلم فإنّ استشهاد الإمام السنوسي بالشعر أثناء شرحه يعتبر ظاهرة واضحة، وهي معلم من معالم منهجه في هذا الكتاب، وهي تدلّ من جهة أخرى على معرفته بالشعر وكيفية الاستفادة منه في تقرير المعاني الشعرية، أو الفوائد التي يستخرجها من الأحاديث.

وقد وظّف الإمام السنوسي هذا الشعر في بيان معاني الأحاديث، أو شرح بعض الألفاظ، أو الاستدلال لبعض التوجيهات والإرشادات التي يستفيدها من الحديث، أو ما يرى الموضعَ مناسبا لذكره من ذلك.

والشعر الذي استشهد به الإمام السنوسي فيه من القديم الموغل في القدم، وفيه من الجديد الذي قاله شيوخه أو من قبلهم، وقد يبيّن السنوسي القائل، وقد يبهمه اكتفاء بشهرة القائل، أو لغير ذلك،

وفيما يلي عرض لنماذج من المعاني التي استشهد لها الإمام السنوسي بالشعر.

١ ـ ذكر السنوسي أنّ المحبّة هي السبب الأقوى في الحمل على الفعل؛ لأنّ من أحبّ شيئا حبا صادقا لا يصدّه شيء عن فعله، ثمّ استشهد بهذا

البيت[1]:

لـو كـان حبّـك إنّ المحـبّ لمـن

٢ ـ وفي بيان فضل رسول الله r وأنّه الـذي انتظم بـه شـمل المـؤمنين وحصلت به المكارم وأنواع الخيرات، قال السنوسي[3]:

أحـــلّ أمّتـــه في كالليـــث حـــلّ مـــع

٣ ـ في قوله r : (عند أصول أذناب الإبل)، ينـصح الإمـام الـسنوسي

---

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٥٠.

(٢) هذا أحد بيتين، وردا منسوبين إلى أكثر من واحد، مثل الحسن بن محمد بن الحنفية، والشافعي، وابن المبارك، وأبي العتاهية، ورابعة العدوية، ومحمود الوراق، وذي الرّمّة، ولكن الأكثر على أنّها لمحمود الوراق، والبيتان هما:

تعصى الإله وأنت تظهر هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا إن المحب لمن يحب يطيع

انظر: لباب الآداب للثعالبي، ١/٥٥. زهر الآداب وثمر الألباب، ١/٤٠.

وقد زاد بعضهم بيتا ثالثا، هو:

في كل يوم يبتديك بنعمة منه وأنت لشكر ذاك

انظر: الآداب الشرعية، ١/١٩٧)

(٣) مكمّل إكمال الإكمال، ١/١٥٠.

(٤) من قصيدة البوصيري المشهورة التي مطلعها:

أمِنْ تذَكُّرِ جيرانٍ بذي مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ

انظر: فوات الوفيات، ٣/٣٦٨.

غيره بصحبة الأخيار واكتساب أخلاقهم، والابتعاد عن أضدادهم، ثمّ يستشهد بهذين البيتين(١):

عليك بأرباب	مضافًا لأرباب
وإياك أن ترضى	فتنحط قدرًا من

٤ ـ في جواز زيادة الباء في الخبر استشهد السنوسي بقول الشاعر(٢):

---

(١) هي ثلاثة أبيات، أوردها الصفدي في الوافي بالوفيات، ٢/ ١٥، وأورد منها البغدادي بيتين في خزانة الأدب، ٢/ ١٤٨، ونسباها إلى أمين الدين المحلي، ونصّها عند الصفدي:

عليك بأرباب الصدور	يجالس أرباب الصدور
وإياك أن ترضى صحابة	فتنحط قدراً من علاك
فرفع أبو من ثم خفض	يحقق قولي مغرياً ومحذرا

وبعضهم أوردها غير منسوبة. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥/ ١٩٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١/ ١٩٤.

(٢) هي جملة من الأبيات منسوبة للقحيف العجلي، كانت له فرس يقال لها سكاب، فطلبها منه أحد الملوك، فأجابه:

أَبَيْتَ اللَّعْنَ، إنَّ سَكابِ	نَفِيسٌ لا تعارُ ولا تباعُ
مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنا	تجاعُ لها العِيالُ ولا تجاع
سَلِيلَة سابِقَيْنِ تَناجَلاها	إذا نسِبا يَضمُّهما الكراعُ
فلا تَطْمَعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ	بمَنْعُكَها لَشَيْءٌ يُسْتَطاعُ

انظر: الحماسة البصرية، ٣٥. شرح ديوان الحماسة، ١/ ٦٢.

=

فلا تطمع أبيت ومتعكها بـشيء

٥ ـ وفي قصّة مجيء جبريل إلى رسول الله r ، ثمّ ما أصابه من الرجف، حتى رجع إلى بيته يقول: دثّروني، استحسن الإمام السنوسي قول من فسّر هذا الأمر بأنّه مظهر من مظاهر السرور والفرح، والفرح قد يرعد كما يرعد الفزع، ثمّ استشهد الإمام السنوسي بقول الشاعر أبي تمام الطائي(٢):

=

وأوردها نشوان الحميري في الحور العين، ص ٦٦، بأطول من هذا:

أبيت اللعن إن سكاب نفيسٌ لا تعار ولا تباع

مفداةٌ مكرمةٌ علينا يجاع لها العيال ولا تجاع

سليلة سابقين تناجلاها إذا نسباً يضمهما الكراع

وفيها عزةٌ من غير نفرٍ يحيدها إذا حر القراع

فلا تطمع أبيت اللعن ومنعكها بشيء يستطاع

وكفى يستقل بحمل وبي ممن تهضمني امتناع

وحولى من بني قحفان وشبانٌ إلى الهيجا سراع

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٧٧.

(٢) الروض الأنف، ٢/ ٣١١. العقد الفريد، ٢/ ٣٥٨. ديوان المعاني، ص ١٥٧. مع اختلاف الكلمة الأولى من البيت في العقد الفريد(وطف)، وديوان المعاني(جون).

وفي السيرة قول عائشة رضي الله عنها في قصة الهجرة: (ما كنت أرى أحدا يبكي من الفرح =

دهـــم إذا وكفـــت في عيـــون أزهارهـــا

وقول أبي الطيب المتنبي[1]:

فـلا تنكـرن لهـا فمن فرح النفس

وقول بعض المحدثين[2]:

ورد الكتـاب مـن سـيزورني
غلب السرور عليّ من فرط ما قد
يا عين صار الدمع تبكين في فرح

٦ ـ وفي التحذير من الزمان وأهله ووجوب العزلة عن الناس يعقد الإمام السنوسي مقارنة بين الأزمنة السابقة وزمانه، فلا يرى ما يسرّه، بل يرى علماء يسيرون في ركب الظلمة، يشاركونهم في ظلمهم قولا وفعلا، من غير مبالاة في ذلك، كأنّهم سلبوا حقيقة من دينهم وعلمهم، وحتى الأولياء الصالحين لم يسلموا من مصايد الإنس والجنّ، فلم يبق إلاّ العزلة

=

حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح).

(١) شرح ديوان المتنبي، ص ٢٢٤.

(٢) أورده السهيلي في الروض الأنف، ٢/ ٣١١، ونسبه إلى بعض المحدثين، وعنه أخذ السنوسي ذلك. انظر أيضا: تفسير حقي، ٥/ ٥٢.

عن هذا الزمان وأهله، ثمّ ينشد السنوسي قول الشاعر[١].

هـذا الزمـان الـذي في قـول كعـب وفي قـول
إن دام هـــــذا ولم لم يبـك ميـت ولم يفـرح

٧ ـ وفي وصـف خديجة لرسـول الله r ومـا جمـع الله فيـه مـن خـصال الحمد ما كان سببا في حفظه من أيّ مكروه يصيبه، ثمّ أنشد السنوسي[٢]:

إن الهـــلال إذا أيقنـــــــت أن

٨ ـ ونيل معالى الأمور لا يكون إلا بالصبر على ما يكـره الإنسان مـن تحمل المشاق العظيمة، وتلك سنّة ماضية لله تعالى في عباده، وقـد اسـتدلّ الإمام السنوسي لهـذا المعنى بجملـة مـن الآيـات الكريمـة في إثبـات هـذا الأمر، ثمّ أردف ذلك بجملة من الأبيات الشعرية، مختلفة البحور، فقال:

---

(١) أورد ه السيوطي في الازدهـار في مـا عقـده الـشعراء مـن الأحاديـث و الآثـار، ص ٩، منـسوبا إلى أبي هـلال، وأورده غـيره غـير منـسوب. انظـر: المحـاضرات في اللغـة و الأدب، ١ /٢٤. غرائب الاغتراب، ص ٤٣.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١ /٢٨٧. والبيت من قصيدة لأبي تمام، في رثاء طفلين لعبد الله بن طاهر، ومطلعها:

مازالتِ الأيامُ تخبرُ سائلا أَنْ سَوْفَ تَفْجَعُ مُسْهلاً أَوْ

انظر: أخبار أبي تمام، ص ٣١. الأغاني، ٤ /٣٧٨. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص ٩٢.

.(١)

تريـــــدين إدراك	ولا بـد دون الـشهد
ومــن لم يــذق ذل	تجـرع كـأس الجهـل
الـصبر مفتـاح مـا	وكل خير بـه يكـون
فاصبر وان طالـب	فربما أمكن الحـزون
وربما نيل باصطبار	مـا قيـل هيهـات لا
لا تيأســـــن وإن	إذا اسـتعنت بـصبر
أخلق بذي الـصبر	ومـــدمن القـــرع

٩ ـ في قول ورقة للنبيّ r : (نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت بـه إلاّ عودي)، تسلية وعزاء له r ، عندما يعلم أنّ هذه المشقّة التي ستصيبه

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٠.

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة طويلـة، وهـي في ديوانـه. وانظـر: شرح ديـوان المتنبـي، ص ٣٦٠.

(٣) البيت للإمام الشافعي، وهو في ديوانه.

(٤) وردت هذه الأبيات غير منسوبة، ونسبها بعضهم إلى الإمام علي بن أبي طالب. انظـر: الفرج بعد الشدة للتنوخي، ص ٣٧٥.

(٥) من قصيدة للشاعر محمد بن يسير الحميري البصري أبو جعفر. انظر: البيان والتبيين، ص٢٢٢.

قد شاركه فيها إخوانه الأنبياء السابقون، ومثل ذلك قوله تعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ }. [الأحقاف: ٣٥]، ومثله قوله تعالى:{ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ}. [آل عمران: ١٤٠]، ثمّ أنشد السنوسي[1] قول الخنساء في رثاء أخيها:

ولولا كثرة — على إخوانهم
وما يبكون مثل — أسلّي النفسَ عنه

١٠ - وفي انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ وما وقع له من الحوادث عقب ذلك وحزنه الشديد وترقّبه لعودة جبريل مرّة ثانية، فلما ناداه جبريل: أنت رسول الله، زال ما به من الغم، واستبشر بعودة الوحي إليه، وكان كالحبيب يرى من الأحوال ما يؤذن بقرب اللقاء.

ثمّ أنشد السنوسي قول الشاعر[2]:

وأبدع ما يكون الشوق — إذا دنت الخيام من

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/٢٩٦.

(٢) ورد البيت في كثير من المصادر، غير منسوب. انظر: روضة المحبين، ص ٣٢، ٤٣٦. مدارج السالكين، ٢/٨١، ٣/٩٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤/٣٦٩. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص ٢٩٧. الرسالة القشيرية، ص ١٤٩. تفسير النيسابوري، ٧/٣٧١. تفسير القشيري، ٢/٤٣٦.

وقول الشاعر:

هـم أرضـعوني ثـدي   فكيف يحسن منها

١١ ـ جاء جبريل إلى رسول الله بعد فترة انقطاع وأعلمه أنّه رسول الله إلى الناس، مع ما في ذلك من المشاق والصعاب، فما نقص ذلك من شوقه بل عظم وزاد؛ لأن ذلك التصريح حقق له كريم منزلته عند مولاه إذ جعله واسطة بينه وبين العباد فصار يستعجل أمر الرسالة استعجال الوسائل ويتلذذ بما فيها من المشقات لأن بالفراغ منها يتصل بغاية المراد، على حدّ قول الشاعر[1]:

إن كـان سـفك دمـي   فما غلـت نظـرة منهم

(١) نسبه الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر، ٥/ ٤٩٦، وابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ٢/ ١٥٣، إلى ناصر بن أبي الفضل بن إسمعيل المقرئ الصالحي ابن الهيتي(ت ٧٢٦)، قالها عندما قدّم ليقتل، متّهما بالزندقة. ونسبه ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة، ١/ ٢٦٥ إلى ابن شلبطور الهاشمي، من أهل ألمرية.

وقريب منه قول صفي الدين الحلي:

إن كان أقصى مناكَ سفكَ   فلَيسَ عندي لذاكَ من أثَرِ

انظر: ديوان العرب، ١/ ١٠٢٥٧.

وقول الآخر(١):

أعــــاذلتي عــــلى	ورعــــي في الــــسها
إذا شــــام الفتـــى	فـأهون فائـت طيـب

١٢ ـ وعندما يتملّك نفسَ العاشق هذا الشوق الكبير فإنّه لا يبالي بخروج روحه، إذا كان في ذلك ما يحقّق غاية الشوق وهي اللقاء، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما أنشده الشيخ الولي الصالح أبو مدين رحمه الله تعالى(٢):

وقل للـذي ينهـى عـن	إذا لم تـــذق معنــــى
إذا اهتــــزت الأرواح	ترقـصت الأشـباح يـا
أما تنظر الطير المقفص	إذا ذكـر الأوطـان حـن
ففــرج بالتغريــد مــا	فتــضطرب الأعــضاء
ويـرقص في الأقفـاص	فتهتـز أربـاب العقـول

---

(١) نسبه الخطيب في الفقيه والمتفقه، ٢/ ٤٧١، والثعالبي في يتيمة الدهر، ٢/ ١٤٠ إلى أبي القاسم السعدي ابن عم أبي نصر بن نباتة. ونسبه البهاء العاملي إلى الكشكول، ١/ ٢١٢.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ٢٩٩. وأورد بعضها اليوسي في المحاضرات في اللغة و الأدب، ص ٦٣.

كـذلك أرواح المحبـين تهزها الأشواق للعالم

أتلزمهـا بالـصبر وهـي فهـل يـستطيع الـصبرَ

فيا حادي العشاق قـم وزَمْـــزِمْ لنـــا باســـم

وصن سرّنا في سكرنا وإن أنكـــرت عينـــاك

فإنـا إذا طبنـا وطابـت وخامرنـا خمـر الغـرام

فـلا تلـم الـسكران في فقـد رفـع التكليـف في

١٣ ـ وقد يكون في قلب المحبين ضِغْنٌ فيزول بالتحية، وقـد يكـون عـدواً فينقلـب بهـا صـديقًا. ثـمّ أورد الـسنوسي ثلاثـة أبيـات مـن بحـور مختلفة، في تأكيد هذا المعنى(١):

وحـــــــــي ذوي تحيتـك الحسنى فقـد

(١) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٥.

(٢) هذا البيت أحد ثلاثة أبيات مـذكورة في كثـير مـن الكتـب، عـلى اختلاف في ألفاظهـا، منسوبة إلى العلاء بن يزيد الحضرمي، قالها بين يدي رسول الله r ، وهي:

وحـــي ذوي الاضـــغان تحيتـك الأدنى فقـد يرفـع

وان دحسوا للشر فاعف وإن كتموا عنـك الحـديث

فـان الـذي يؤذيـك منـه وإن الـذي قـالوا وراءك لم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحسنت يا علاء ، أنت بهذا أحذق منك بغيره، إن من الـشعر =

إني أحيـــي عـــدوي　　لأدفـــع الـــشر عنـــي
كيـــف أصـــبحت　　يـــزرع الـــود في فـــؤاد

سابعا: استعماله للأمثال العربية في بيان المعاني

استعمل الإمام السنوسي الأمثال العربية وسيلة لتوضيح معاني

=

لحكما، وإن من البيان لسحرا. رواه ابن النجار والديلمي، كما في جامع الأحاديث للسيوطي، ٧٢/٣٣، كنز العمال، ٨٥٧/٣. وقد أوردها الحافظ ابن حجر في الإصابة، ٤٦٨/٢، ولم يذكر شيئا يتعلّق بالحكم على صحّة هذا الخبر.

(١) هذا البيت من قصيدة للشاعر أبي عمر هلال بن العلاء، الباهلي، وهي:

لما عفوت ولم أحقد على　　أرحت نفسي من هم
إني أحيي عدوي عند　　لأدفع الشر عني
وأظهر البشر للإنسان　　كأنما قد ملا قلبي تحيات
ولست أسلم ممن ليس　　وكيف أسلم من أهل
ولست أسلم ممن لست　　فكيف أسلم من أهل
الناس داء دواء الناس　　وفي الجفاء لهم قطع
فسالم الناس تسلم من　　وكن حريصا على كسب
وخالق الناس واصبر ما　　اصم أبكم أعمى ذا

انظر: روضة العقلاء، لابن حبان، ص١٦٩. ومصادر أخرى كثيرة.

(٢) هو بيت واحد، منسوب إلى أبي علي الفارسي في شرح ديوان الحماسة، ٤٣٠/١، وإلى أبي زيد في ديوان المعاني، ص٢٤٥. وإلى أبي الحسن في الخصائص، ص ٨٤، وغير ذلك.

الأحاديث الشريفة، وهي وسيلة استعملها شراح الحديث قبله، وقد انفرد السنوسي باستعمالها في مواضع من شرحه على الأبّي.

ومن أمثلة ذلك في الجزء الأوّل(محلّ الدراسة):

١ـ عاذ ضعيف بقرملة:

فمن ذلك أنّه تحدّث عن المسوّغ للابتداء بالنكرة في قوله r : (ثلاث من كنّ فيه) ، فأوضح أنّ ذلك بتقدير محذوف، أي: خصال ثلاث، ثمّ قال: (نحو تسويغ الابتداء بالنكرة لحذف الموصوف قولهم (مؤمن خير من مشرك)، أي: رجل مؤمن، وقولهم: ضعيف عاذ بقرملة[1]، أي إنسان ضعيف، والقرملة شجرة ضعيفة)[2].

٢ ـ تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

ففي شرحه لقوله r : (تطعم الطعام وتقرأ السلام ... الحديث)

قال السنوسي: (تطعم بضم التاء من أطعم خبر مبتدإ محذوف أي هي

(١) في أكثر المصادر: ذليل عاذ بقرملة. والمعنى واحد. انظر: مجمع الأمثال، ص ١٢٢، ١٢٥. المستقصى في أمثال العرب، ص ١٠٠. جمهرة الأمثال، ص ١٠٩، ١١١. وغيرها.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٤١.

أن تطعم، نحو: تسمع بالمُعَيْدي[١] خير من أن تراه)[٢].

(١) هذا مثَل يُضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس، فإذا رأيته ازدريت مرآته. والمعيدي تصغير معدّي منسوب إلى معدّ، و معد هو أبو العرب وهو معدّ بن عدنان، وإنما خُففت الدال استثقالا للجمع بين الشديدتين مع ياء التصغير.

(٢) مكمّل إكمال الإكمال، ١/ ١٣٥.

الخاتمة

البحث عن الحقيقة فتنة، وأكثر من ذلك فتنةً البحثُ في تاريخ الرجال، يُبتلى بها الباحث، فتنزاح من أمامه حدود المكان، وتطوى له حدود الزمان، فيضحى مخلوقا يسير مع قوافل الرجال السابقين، ويرافق مواكب الماضين من خيار هذه الأمّة، الذين شادوا مجدها وحقّقوا عزّها، ومضوا ولهم في سمع الزمان دويّ وأيّ دويّ، فيه عزاء للمسلم في هذا العصر وسلوى عن واقعه البائس وزمانه التعيس.

حقيقة، لقد كانت هذه الرحلة التي قمت بها مع هذا البحث من أعظم لحظات عمري، وقد ضحّيت في سبيل إعداد هذا البحث بإجازتي، فصرفت الأهل والأولاد، وخلوت إلى نفسي وإلى المصادر التاريخية أجمع شواردَ في الكتب، وفوائدَ في المؤلفات، حتى ترآءت أمامي صورةُ ذلك الرجل العظيم الإمام السنوسي الذي كان واحدا من أبناء هذا البلد الذي أعتزّ بالانتماء إلى تاريخه وحاضره ومستقبله.

لقد كان للجزائر في دهرها صفحاتٌ مشرقة، حمل أبناؤها لواء العلم من زمن قديم، منذ أن اكتحلت عينها بنور الإسلام، واصطبغت بأنواره صبغة كاملة، واحتضنته راضية مختارة، وأحلّته من نفسها المقام العالي،

ونهض أبناؤها إلى تعلّمه بلغته التي جاء بها، لغة القرآن، فكان لهم في ذلك شأن وأيّ شأن.

وقد كان الإمام السنوسي واحدا من هؤلاء الأبناء البررة، برّ دينه فخدمه، وبرّ وطنه فشرّفه بين البلدان، وبرّ العلم فعاش عالما ينشر العلم ويربّي النفوس.

وقبل أن يحطّ القلمُ رحالَه بعد هذه الرحلة الطويلة في الجزء الأوّل من هذا السفر العظيم، لا مناص قبل ذلك من تسجيل بعض النتائج التي وصلت إليها من خلال هذا البحث.

ويمكن أن ألخّص ذلك في النقاط الآتية:

١ ـ لقد بلغت صفحات هذه الدراسة أربعمائة صفحة، ولكن التزاما بالقدر المطلوب قمت باختصار كثير من الفوائد التي رصدتها حول منهج الإمام السنوسي وكلامه في كثير من القضايا العلمية المختلفة.

٢ ـ كان هذا البحث فرصة لتصحيح بعض الأخطاء والتصحيفات التي وقعت في الكتب التي ترجمت للإمام السنوسي، أو نقلت ترجمته من كتب سابقة.

٣ ـ لقد رأينا من خلال هذه الدراسة المختصرة كيف أنّ شرح الإمام

السنوسي قد استوعب كثيرا ممّا ذكره الشرّاح قبله، وزاد عليهم بذكر كثير من الفوائد المتعلّقة بالأسانيد أو المتون، واستخراج المعاني التربوية والفوائد العلمية والأحكام الشرعية.

٤ ـ كشف هذا البحث عن تلاميذ وشيوخ للإمام السنوسي لم يرد ذكرهم في بعض كتب التراجم المشهورة كمعجم المؤلفين والأعلام وغيرهما.

٥ ـ لقد أبان هذا البحث عن عظمة هذه الشخصية الكبيرة وحياتها المتميّزة، وألمح إلى الأسباب التي وقفت حائلا دون اشتهار كثير من علماء المغرب، وهو هذه التربية الصوفية التي غلبت عليهم وجعلتهم يبتعدون عن الأضواء ويرضون بحياة الزهاد العباد، حياة الخمول والهرب من التصدّر على عكس كثير من إخوانهم المشارقة الذين كان لهم من الرياسة ومخالطة الحكام ما ضمن لهم مقدارا كبيرا من الشهرة في المشرق والمغرب.

٦ ـ لقد كانت المؤلفات العلمية معروفة سابقا عند كثير من العلماء، يتداولونها بينهم ويضبطون أسماءهم، ولذلك جاءت في كثير من المصادر مختصرة، أمّا اليوم فإنّ بعض هذه المؤلفات يصعب تمييزها ومعرفة مؤلفيها إلاّ بعد البيان، ومثال ذلك بعض الكتب التي قام الإمام

السنوسي بشرحها أو اختصارها، نجد أنّ بعضها أو كثيرا منها ورد ذكره مختصرا، يصعب على بعض أهل العلم ـ فضلا عن طلاب العلم ـ أن يميّزوا المراد منه؛ لأنّ أسماء الكتب ربّما تتفق، أو تتشابه في أحيان كثيرة، وقد عانيت أنا نفسي كثيرا من هذا.

ومن أجل رفع الالتباس قمت بالبحث عن هذه الكتب وذكرتها بأسمائها كاملة، وترجمت لمؤلفيها ترجمة موجزة تفي بالغرض وترفع الالتباس ويؤمن بذلك اختلاطها بغيرها، وقد استفدت بذلك فوائد أخرى ذكرتها في موضعها، من مثل التنبيه على ما وقع في ذلك من التصحيف أو غير ذلك.

٧ ـ لقد حرصت على ذكر اهتمام أهل العلم بكتب الإمام السنوسي، شرقا وغربا، وأتيت على ذكرهم بشكل يكاد يكون مستوعبا لذلك، تأكيدا مني على مكانة هذا الإمام الكبير، وقيمة ما كتبه في جميع جوانب العلوم.

٨ ـ أثمّن هذه المبادرةَ الطيّبة من رئيس الجمهورية عبدالعزيز بوتفليقة، وأسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته يوم القيامة وأن يرفع بها ذكره، جزاء ما شجّع على إعادة إظهار الكنوز الدفينة من تراث الجزائر وعلمائها الفحول الذين كان لهم إسهام كبير في الحضارة الإسلامية، ومن سنّ سنّة

حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وأتمنّى أن تستمرّ هذه المكرمة لاستجلاء جوانب أخرى من تاريخ الجزائر العلمي، والتنقيب عن مآثر علماء آخرين لم يزالوا في طيّ النسيان، لم يجدوا حظّهم من البحث، ولم ينالوا ما يستحقّون من المكانة ولو بعد وفاتهم وانصرام حياتهم، ولا بأس أن أذكّر بعض هؤلاء، من أمثال الإمام المقّري وأسرته العريقة في العلم، والإمام ابن مرزوق الجدّ ثمّ أبنائه من بعده الذين كانوا سلسلة من العلماء في أسرة جمعت المجد من جميع أسبابه، وأتته من واسع أبوابه، والإمام الشاوي الذي كان له في المشرق صيت وأيّ صيت، وغير هؤلاء كثير، لعلّنا بذلك نكون قد وصلْنا بين حلقات التاريخ المشرق لهذه البلاد، وربطْنا هذا الخَلَفَ بسلفه الكريم، وهيّأنا للأجيال القادمة أسباباً من التعلّق بتاريخهم والافتخار به، والسعيِ لربط الحاضر بالماضي، ثمّ الانطلاق نحو مستقبل مشرق.

وقد بذلت في إعدادي هذا البحث جهدي، ولكنّ الوقت كان يلاحقني باستمرار، ثمّ ضاق عليّ أخيرا، ممّا أقعدني عن إتقانه وإبرازه بالصورة المرضية، وأسأل الله أن ييسّر لي إتمام ذلك في المستقبل بإذن الله تعالى؛ فقد نشأت بيني وبين الإمام السنوسي ألفة كبيرة لا أظنّها ستنتهي

قبل أن أقوم بأداء بعض الواجب في خدمة آثار هذا الإمام الكبير.

وأخيراً ـ وليس آخراً ـ فإنّي أرفع أكفّ الضراعة إلى المولى القدير ألاّ يجعل فيما كتبنا وسطّرنا حظّا لأنفسنا في الدنيا، وأن يكتب لنا الأجر يوم نلقاه، وأن يحشرنا مع العلماء العاملين والأولياء الصالحين يوم القيامة، وأن يجزي السيدَ رئيسَ الجمهورية ـ عبدالعزيز بوتفليقة ـ خيراً على هذه الالتفاتة الكريمة والاهتمام الكبير بخدمة تراث هذه الأمّة، وأن يجزي كلَّ من كان سببا في هذا الأمر، من قريب، أو من بعيد،

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهارس العامّة

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١. **إبراهيم بن محمد بن سفيان، روايته، وزياداته، وتعليقاته على صحيح مسلم**: عبدالله بن محمد حسن دمفو. دار ابن القيم، دار ابن عفان.

٢. **إتحاف السّادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**: محمد الزبيدي. القاهرة، ١٣١١هـ.

٣. **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**: أحمد بن أبي الضياف. تح: محمد شمام، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٩م.

٤. **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٥. **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي. تح: محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٦. **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**: عبدالسلام الترمانيني. طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧. **إحياء علوم االدين: أبوحامد الغزالي. دار االمعرفة، بيروت.**

٨. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر. تح: علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.**

٩. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني. دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ط١، تح: علي محمد البجاوي.
١٠. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: الخطابي(ت٣٨٨هـ)، تح: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١١. أعلام المغرب العربي: عبدالوهاب منصور (مؤرخ المملكة). المطبعة الملكية بالرباط، د.ط، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٢. الأعلام: الزركلي. دار العلم للملايين، ط١١، ١٩٩٥.
١٣. أعيان العصر وأعوان النصر: الصلاح الصفدي. إعداد: قسم الدراسات والبحوث في دار الفكر بدمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٤. إكمال إكمال المُعْلم: أبوعبدالله الأبِّي(ت٨٢٧هـ). مكتبة طبرية، الرياض، د. ط، د. ت.
١٥. إكمال المُعْلم: القاضي عياض. تح: يحيى إسماعيل. دار الوفاء، المنصورة ـ مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٦. الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي وشرحه (النصيحة على صحيح البخاري). عبدالعزيز دخان. مجلّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد (٣٣)، يونيو ٢٠٠٧م.

١٧. الأنساب: السمعاني(ت٥٦٢هـ). تقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي. دار الجنان، بيوت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨. أهل السنة الأشاعرة: حمد السنان وفوزي العنجري. دار الضياء، الكويت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٩. ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٢٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني(ت١٢٥٠هـ). دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، د.ط، ١٩٩٠م.

٢١. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ابن مريم المديوني التلمساني. وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب المدرس بالمدرسة الثعالبية الدولية. المطبعة الثعالبية، د. ط، ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م.

٢٢. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس(وهو ذيل جذوة المقتبس للحميدي): أحمد بن يحيى الضبي(ت٥٩٩هـ). دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي. تح: مجموعة من المحققين دار الهداية.

٢٤. تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون(ت٨٠٨هـ). دار الفكر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥. تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.

٢٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي(٧٤٨هـ). تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٧. تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

٢٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي. تح: السيد هاشم الندوي. دار الفكر.

٢٩. تاريخ المغرب الكبير: السيد عبدالعزيز سالم. دار النهضة العربية - بيروت، د. ط، ١٩٨١م.

٣٠. تاريخ المغرب وحضارته: حسين مؤنس. دار العصر الحديث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣١. تاريخ بغداد(تاريخ مدينة السلام): الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ). تح: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٢. تاريخ دمشق: ابن عساكر(ت٥٧١هـ). تح: محب الدين العمروي. دار الفكر، د. ط، د. ت.

٣٣. التبصرة والتذكرة، شرح ألفية العراقي: العراقي. ويليه: فتح الباقي على ألفية العراقي: زكرياء بن محمد الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٤. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر العسقلاني. تح: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٣٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي. تح: عبد الوهاب عبد اللطيف. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٣٦. التدوين في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني. تح: عزيز الله العطاري. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٧. تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٣٨. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي(ت٦٧١هـ). تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم. مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٩. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض(ت٥٤٤هـ). تح: مجموعة من الباحثين. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧هـ، وطبعة وزارة الأوقاف بالمغرب.

٤٠. تعريف الخلف برجال السلف: الديسي. مؤسسة الرسالة - بيروت، المكتبة العتيقة - تونس، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤١. التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر: محمد بن الطيب القادري(ت١١٨٧هـ). تح: هاشم العلوي القاسمي. دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٢. تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني. تح: محمد عوَّامة. دار الرشيد، حلب - سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٣. التكملة لكتاب الصلة: أبو عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار(ت٦٥٩هـ). تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٤. التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر العسقلاني. تح: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني. المدينة المنورة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٥. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر. تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٧. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة: ابن عَراق الكناني. تح: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري. دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م.

٤٨. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: السيوطي. المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٩. جامع الأحاديث: السيوطي. جمع وترتيب: عباس أحمد صقر وأحمد عبدالجواد. دار الفكر، د. ط، د. ت.

٥٠. الجامع الصحيح (سنن الترمذي): محمد بن عيسى الترمذي. تح: أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١. الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل البخاري. تح: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٣.

٥٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي. تح: محمود الطحان. مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٥٣. جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس: ابن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣.
٥٤. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحميدي، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٥٥. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ط١، ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٢م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٥٧. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: الدسوقي. دار الفكر، بيروت.
٥٨. الحلل السندسية في الأخبار التونسية: ابن السراج، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٥٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٦٠. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبدالرزاق البيطار. تحقيق وتعليق: محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦١. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبدالقادر البغدادي(١٠٩٣هـ). تح: عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٢. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المحبّي. دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة.

٦٣. دار الحديث الأشرفية بدمشق: محمد مطيع حافظ. دار الفكر المعاصر ـ بيروت، دار الفكر ـ دمشق، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٤. درة الحجال في أسماء الرجال(وهو ذيل لوفيات الأعيان): ابن القاضي(ت٩٦٠هـ). تح: محمد الأحمدي أبوالنور، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٦٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني. دار الجيل، بيروت، د. ط، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٦. دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: محمد الشفشاوني. تح: محمد حجي. دار المغرب ـ الرباط، ط٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٦٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي(ت٧٩٩هـ). تح: مأمون الجنّان. دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٨. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله المراكشي(ت٧٠٣). تح: إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٦٥ـ ١٩٧٣م.

٦٩. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: الزمخشري. تح: سليم النعيمي. دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، ط١.

٧٠. رحلة التجاني: عبدالله بن محمد التجاني(٨١٧هـ). المطبعة الرسمية، تونس، ١٣٧٧هـ.

٧١. رحلة القلصادي: أبوالحسن القلصادي. تح: محمد أبو الأجفان. الشركة التونسية للتوزيع.

٧٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٣. الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام: السهيلي(ت٥٨١هـ). مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٧٤. الروض المعطار في خبر الأقطار: الحميري. تح: إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٧٥. روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ابن القيم. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٦. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: أبوالفضل المرادي(ت١٢٠٦هـ). دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك العاصمي المكي. تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٨. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت.

٧٩. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨٠. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي. تح: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨١. سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي. تح: السيد عبد الله هاشم يماني المدني. دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٨٢. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨٣. سير أعلام النبلاء: الذهبي. تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٨٤. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨٥. شرح العلامة العارف السنوسي على رسالته الموسومة بصغرى الصغرى: السنوسي. مطبعة التقدم العلمية، مصر، ١٣٢٢هـ.

٨٦. شرح أمّ البراهين في علم الكلام: السنوسي. تحقيق وتعليق: مصطفى محمد الغماري. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م.

٨٧. شرح صحيح البخاري: ابن بطال. ضبط وتعليق: ياسر إبراهيم. مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨٨. شرح مختصر خليل: أبو عبد الله محمد الخرشي. دار الفكر للطباعة، بيروت.

٨٩. شرف الطالب في أسنى المطالب: ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق ودراسة: عبدالعزيز دخان. مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٩٠. شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي. تح: محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٩١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى [مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمني(ت٨٧٣هـ)]: القاضي عياض(ت٥٤٤هـ).

٩٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. تح: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٩٣. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل: أبوغدة. دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط٦، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٩٤. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: الأفراني: محمد الصّغير بن محمد بن عبدالله. نسخة بخطّ المؤلّف، كتبها سنة(١١٣٧هـ).

٩٥. صلة الصلة: أبو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي. تح: عبدالسلام الهراس وسعيد أعراب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٦. الصلة: ابن بشكوال. الصلة، ابن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٩٧. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: ابن الصلاح. تح: موفق عبدالله عبدالقادر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٩٨. الضعفاء الكبير: أبو جعفر العقيلي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي. دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٩٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي. دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

١٠٠. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي. تح: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠١. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨هـ). تح: مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٢. علوم الحديث: ابن الصلاح. تح: نور الدين عتر. دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني. تح: محب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت.

١٠٥. فهرس ابن عطية: ابن عطية المحاربي(ت٥٤١هـ). تح: محمد أبو الأجفان، محمد الزاهي. دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.

١٠٦. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات: عبدالحي الكتاني. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٠٧. فهرسة ابن خير: ابن خير الإشبيلي(٥٧٥هـ). وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٨. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: الشوكاني. تح: عبدالرحمن المعلمي. دار الكتب العلمية.

١٠٩. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غنيم النفراوي المالكي. دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.

١١٠. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب. تح: إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٦٣م.

١١١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الحنفي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ ـ ١٩٩٢.

١١٢. كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني: أبو الحسن المالكي. تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، بيروت، ١٤١٢.

١١٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي المتقي الهندي(ت٩٧٥هـ). مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

١١٤. لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني. تح: دائرة المعارف النظامية بالهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٥. مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. تح: محمد محيى الدين عبد الحميد. دار المعرفة، بيروت.

١١٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١١٧. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: الرامهرمزي. تح: د. محمد عجاج الخطيب. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط٣.

١١٨. محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق، دراسة وتحقيق: اسعيد عليوان (رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة)، جامعة الجزائر.

١١٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم. تح: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٣ـ ١٩٧٣.

١٢٠. مدرسة الإمام البخاري في المغرب: يوسف الكتاني. دار لسان العرب، بيروت.

١٢١. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: اليافعي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

١٢٢. المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

١٢٣. مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود الفارسي البصري الطيالسي. دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٤. مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي التميمي. تح: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤.

١٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر. تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض. المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٢٧. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبدالرحمن بن محمد الدباغ، وأكمله وعلّق عليه: أبوالقاسم التنوخي. تح: محمد الأحمدي أبور النور ومحمد ماضور. مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس، د.ط، د. ت.

١٢٨. المعجب في تلخيص أخبار المغرب: محمد بن عبد الواحد المراكشي. دار الكتاب بالمغرب، ط٧، ١٩٧٨م.

١٢٩. معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.

١٣٠. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: الحموي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٣١. معجم البلدان: الحموي. تح: فريد عبدالعزيز الجُندي. دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) .

١٣٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، د. ط، د. ت.

١٣٣. معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: يوسف إليان سركيس. مكتبة الثقافة الدينية.

١٣٤. معجم مشاهير المغاربة: فرقة البحث العلمي بجامعة الجزائر. الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م. د. ط.

١٣٥. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣٦. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي(ت٩١٤هـ). خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٣٧. المعين فى طبقات المحدثين: الذهبي. تح: همام عبد الرحيم سعيد. دار الفرقان، عمان - الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري. تحقيق وشرح: عبداللطيف محمد الخطيب. الكويت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٩. المغني في الضعفاء: شمس الدين الذهبي، تح: الدكتور نور الدين عتر.

١٤٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي(ت٦٥٦هـ). تح: مجموعة من العلماء. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٤١. مقدّمة إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض. تح: الحسين محمد شوّاط. دار ابن عفان، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤٢. المكتبة الشاملة. وهي مكتبة على قرص كبير (   ) تحتوي مجموعة كبيرة جدا من المصنفات القديمة والحديثة، وفق طبعاتها الموجودة في الأسواق، أو التي عزّ وجودها لتقدم تاريخ طبعها.

١٤٣. مُكمِّل إكمال الإكمال، أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي، (مطبوع مع إكمال إكمال المعلم للأبّي)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٤. منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، محمد عليش، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤٥. منظومة مصباح الراوي في علم الحديث: عبد الله بن فودي. دراسة وتحقيق وشرح: محمد المنصور إبراهيم. دار العلم للطباعة والنشر، سكتو، نيجيريا، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٤٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٤٧. منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم: الحسين بن محمد شواط. دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٨. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: محمد بن عبد الرحمن الحطاب. دار الفكر للطباعة والنشر.

١٤٩. المواهب القدسية في المناقب السنوسية: الملالي، (مخطوط)، نسخة على الميكروفيلم بمركز جمعة الماجد بدبي، عن نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، ضمن مجموع(ابتداء من ص ١١٩).

١٥٠. موسوعة أعلام المغرب: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٥١. الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٥٢. موسوعة المؤلفات العلمية لائمة الدعوة النجدية: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي. تح: إسماعيل الأنصاري، محمد عيد، عبد العزيز بن إبراهيم الفريح. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٢٠٦هـ.

١٥٣. موسوعة تراجم الفقهاء: موقع وزارة الأوقاف الكويتية.

١٥٤. الموضوعات: ابن الجوزي. تح: توفيق حمدان. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٥٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي. تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

١٥٦. النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: ابن صعد التلمساني، (مخطوط)، نسخة على الميكروفيلم بمركز جمعة الماجد بدبي، عن نسخة الهيئة العامة للأوقاف - مكتبة طرابلس - ليبيا.

١٥٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردى. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

١٥٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تح: إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

١٥٩. النكت على ابن الصلاح: ابن حجر العسقلاني. المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦٠. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروسي(ت١٠٣٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٦١. نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التنبكتي. إشراف وتقديم: عبدالحميد عبدالله الهرامة. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا، ط١، ١٩٨٩م.

١٦٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي. وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م. أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٦٣. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي. تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان(ت٦٨١هـ). دار صادر، بيروت ـ لبنان، د. ط، د. ت.

١٦٥. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة: محمد البشير ظافر الأزهري. مطبعة الملاجئ العباسية، القاهرة، ١٣٣٥هـ ـ ١٩٠٨م.

فهرس المحتويات